مجلة

كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية
بالشاطبى ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى كلية الآداب

الدار الأثرية

مجلة سنوية محكمة تصدر أول أكتوبر

هيئة التحرير

رئيس مجلس الادارة :

الأستاذ الدكتور جودة حسنين جودة

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور أحمد عبد الخالق
الأستاذ الدكتور نادية عبد الله
الأستاذ الدكتور على عبد الرازق جلبى
الدكتور محمد مرسى الحريرى
الدكتور أولجا مطر

سكرتارية التحرير

مبارك السيد حسين
مصطفى عزمى صادق
بلتاجى أحمد بلتاجى

توجه المراسلات والأبحاث إلى :
الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث - كلية الآداب - الشاطبى - الاسكندرية - ج.م.ع
هاتف : ٤٩٣٥٧٣٧ - ٤٩٣٥٧٣٥
تلكس : 54467 UNIVY UN

المحتـويات

فن الرثاء ، وبائية بن الريب ٩

دكتور صالح حسن اليظى

القيم الاجتماعية والانسانية فى رباعيات الياس فرحات ٥٧

دكتور عبد الرحيم محمود زلط

مدينة تنّيس فى التاريخ الإسلامى ٨٩

دكتور جابر سلامة المصرى

دراسة تاريخية للهجرة اليمنية إلى أفريقيا ١٤٣

دكتور فاروق عثمان أباظة

بنو رَزين ودورهم السياسى والحضارى فى شمرية الشرق ١٩٩

دكتور كمال السيد أبو مصطفى

دراسة تطبيقية لصور الأقمار الصناعية الأرضية ٢٣٩

دكتور عبد القادر عبد العزيز على

الزراعة والتنمية الاقتصادية بالسعودية ٢٧١

دكتور على أحمد هارون

هجرة زراعة البطيخ البعلى ٣٤٣

دكتور مدحت جابر عبد الجليل

المدخل الاجتماعى للاعلام العربى ٣٨١

دكتورة نسمة أحمد البطريق

بسم الله الرحمن الرحيم

فن الرثاء ، ورائية مالك بن الريب في رثاء نفسه

بقلم
دكتور صالح حسن اليظى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

فن الرثاء ، ورثاء مالك بن الرّيب
فى رثاء نفسه

بقلم
دكتور صالح حسن اليظى

الرثاء فى العربية فن شعرى قائم بذاته ، ويمكن لنماذجه الموصولة بتجارب فنية وإنسانية حميمة أن تتجاوز فى قيمتها نماذج المدح الجيد ، للثابت من أن بصر الممدوح وبصيرته يتركزان غالبا على جدا الممدوح وجوائزه ، فالرثاء بهذا المنظور أدل على الوفاء وصدق المشاعر من المدح ، غير أن آفة الرثاء تمثلت فى تلك النمطية التى صار إليها ، إذ بات مرقاة الرائى إلى المجاملات الاجتماعية ، وكأنّه التوجّه فى يوم الناس هذا إلى سرادقات العزاء للمشّ على الأيدى ، والجلوس بعض ساعة فى صمت متكلّف ثقيل ، وقد شُغلت أكثر العقول والسرائر بشجونها الخاصة .

ويمكننا على أية حال أن نرصد أنماطا ثلاثة اتجه إليها الرثاء فى الشعر العربى :

أولا : ذلك النمط التقليدى المجامل ، الذى لا يعدو أن يكون مدحا للمتوفّى بصيغة الماضى ، يقوم الرائى فيه بنسبة مكارم الأخلاق من جود ومروءة وشجاعة إلى مرثيّه إرضاء لآله الأحياء ، ولا يمتنع لدينا أن تكون عينه على ما يرتجيه من مالهم وجاههم فى مقبل الأيام ، وبديهى أن هذا الرثاء يصدق على المرثىّ وغيره سواء بسواء ، إذ هو قد ارتكن إلى تكريس مطلقات وقيم أخلاقية عامة ، ولا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الكثرة الكاثرة من الرثاء العربى

تندرج تحت هذا النمط ، ومن الوارد بطبيعة الحال أن يقدم بعض الشعراء بين يدى رثائهم النمطىّ هذا بتمعن فى الحياة وأوصابها ، خاصة إذا كانوا من ذوى الطبيعة الفائقة أو المواقف النفسية المتميزة ، ويمكننا أن نرصد ذلك فى غير قليل من رثائيات ابن الرومى وبخاصة رثاءه أمّه[1] ، إذ نراه قد حمّل مقدمة الرثاء بكثافات معتمة من تشاؤمه وسوء ما بينه وبين الحياة والأحياء ، حتى إذا خلص إلى الرثاء نفسه ، لم يتجاوز فيه نُجوم الرثاء التقليدى بما أشرنا إليه قبلا ، ولا يغرب عنا بطبيعة الحال ما تفاقم إليه صنيع ابن الرومى لدى أبى العلاء ، فقد انتهى ذلك الأخير إلى رفض الحياة مطلقا ، وتكريس العدم ضد الوجود، ولئن كان جمّاع ذلك الموقف قد تكشف تماما فى الزوميات ، فإن أبا العلاء قد أرهص به دون شك فى مقدمات غير واحدة من رثائياته فى السقط ، خاصة داليته المشهورة التى رثى بها صديقه الفقيه أبا حمزة[2] ومرثيته المطولة فى أبيه وأولى مراثيه فى أمه[3] .

ثانيا : ذلك الرثاء الحار الموصول بأغوار نفس الراثى ، ومن ثم يغدو للقارىء المتلقى محمولاً على معاناة محنة فقدٍ فعلية قد اخترمت حبيبا أو ولداً أو صديقا وفيا أو زوجة أثيرة . وطبيعى أن يتفتق الصدق الفنىّ فى تلك التجارب عن بوح صادق بذات نفس ، وأن تحلق لغة الشاعر فى الآفاق العلا للفن ، وعلى الرغم من اختلاف مدى تحقق مثالية الإبداع فيما سنشير إليه من نماذج ، فإنه يمكننا أن نرصد فى عباءة ذلك الرثاء الحميم رثاء ديك الجن الحمصىّ لمعشوقته ورد ، تلك التى اختلفت الروايات فى علة قتله إياها ، وطبيعة علاقته بها ، وتشير بعض روايات القصة إلى أنه اتهمها وفتى له بخيانته ، فقتلهما وأحرقهما وصنع من رمادهما كأسين للخمر ، ولم يلبث أن أكتشف أن الأمر برمته إن هو إلا مكيدة مدبّرة من ابن عم له يكرهه ، فانتهشه الندم بأنياب حداد ، وتوفر على بكاء ورد بكاء حاراً موجعا يقول ديك الجن (عبد السلام ابن رغبان) فيما رثى به ورد :

يا طلعة طلع الحِمام عليها ... وجنى لها ثمر الرّدى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتىّ من شفتيها

قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعـــي تجري على خدّيها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى ... شيء أعـزّ عليّ من نعليهـا
ما كان قتـليها لأني لم أكـن ... أبكي إذا سقـط الغبـار عليها
لكنّ ضننت على العيون بحسنها ... وأنفت من نظر الحسود إليها[4]

ويقول أيضا :

أشفقتُ أن يدلي الزمان بغدره ... لو أبتلي بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنه ... لبليتـي وجلوتـه من خدره
فقتلتـه وبـه عليّ كرامـة ... ملء الحشا ، وله الفؤاد بأسره[5]

ولقد كان رثاء الخنساء في صخر أخيها مثوبا بزعيق عالي النبرة واتكاء على نمطية القيم في الجاهلية ، ومع ذلك فإن النظر المتأمّل يكشف لنا دون خفاء ما اتسم به ذلك الرثاء من صدق فني نابع مما استعر بالشاعرة من فقد واقعي . ومعلوم أن طبيعة المرأة بكاءة نواحة ، ولا نعني بذلك أنها أعمق حزنا من الرجل ، إنها فحسب أقدر منه على الأخذ بطقوسه ، ورفع راياته السوداء ، ويكمل ذلك ما هو معروف عن انتهاب الأحزان غير قليل من الرجال وفتكها بهم ، ولكنهم يرون النواح ضعفا يجدر بالرجال أن يترفعوا عنه يقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي في ذلك :

كـم مـن أخ لـي حـازم ... بوأتـــه بيـــدي لحدا
ما إن جزعتُ ولا هلعـــ ... ـتُ ولا يردّ بكـاي زنـدا
ألبستُـــه أثوابـــه ... وخُلِقْتُ يوم خلقت جلدا[6]

غير أننا بمنظور واقعي لابد أن نفرق بين حزن المرء على بنيه أو أبويه أو أشقائه أو أبنائه ، إذ تكون المدامع كفاء ماديا غريزيا لأحزان قاسية تعتصر النفوس ، وبين الحزن على زميل أو جار ، ربما تضنُّ الدموع والمشاعر الجارفة عن الإسعاف فيه .

وبكائيات الخنساء في صخر معلم بارز في رثاء الشعراء ذويهم الأقربين ، وإنها لتبكيه إذا أودى بحياته جرح أصابه في معركة ثأره لأخيهما معاوية الذي

ناحت عليه الخنساء نواحاً أقضّ مضجع صخر ودفعه دفعاً إلى الانتقام[٧] وكأننا بالخنساء بعد مصرع صخر ترثي أخويها كليهما ، وربما تألّب عليها الإحساس بأنها المسئولة عن دفع صخر إلى ملاقاة حتفه ، ومن ثم اتسمت بكائياتها فيه بلوعة حرّى ومشاعر ذبيحة ، تقول الخنساء :

قذى بعينيك أم بالعين عوّار ... أم ذرفت أن حلت من أهلها الدّار
كأنّ عيني لذكراه إذ خطرت ... فيض يسيل على الخدّين مدرارُ
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ... ودونه من جديد الترب أستارُ
تبكي خناس على صخر وُحقّ لها ... إذ رابها الدهر ، إن الدهر ضرّار
وإن صخراً لتأتمُّ الهداة به ... كأنّهُ علمٌ في رأسه نار[٨]

وفيما يتصل برثاء الأخوة أيضا ، نشير إلى أن رثاء متمم بن نويرة أخاه مالكا الذى قتل فى حروب الرّدة ، كان أحفل بالأسى ، وأدلّ على معاناة الفقد مما سبق لمهلهل أن رثى به جساساً أخاه ، ومردّ ذلك بطبيعة الحال إلى الاختلاف بين حساسية نفوس الشعراء ، فضلا عن تباين مواهبهم بمنظور طاقة الإبداع ، لقد بكى متمم أخاه مالكا إلى أن ابيضّت عيناه ، ومن أحفل رثائه بالشجن والأسى ذلك الذى أورده ابن قتيبة إذ يقول :

أبى الصبر آيات أراها وأنسى ... أرى كل حبل دون حبلك أقطعا
وأنى متى ما أدع باسمك لا تُجب ... وكنتَ جديراً أن تجيب وتسمعا
فما شارفٌ عياءٌ ربعت فرجعت ... حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا
ولا وجد أظآرٍ ثلاث روائم ... رأين محرّا من حُوار ومصرعا
يُذكّرْن ذا البث القديم بدائه ... إذا حنّت الأولى سجعن لها معاً
بأوجد منى يوم قام لمالك ... منادٍ فصيح بالفراق فأسمعا

ومعروف أن خالد بن الوليد قد قتل مالكا فى حروب الرّدة وتزوّج امرأته وقتل من قومه خلقاً كثيرين ممّا أسخط عمر بن الخطاب عليه ، وكان زيد أخو الخليفة عمر قد استشهد يوم مسيلمة ، وحين دخل متمم على عمر

استنشده شعره فى مالك لينصبّر به ، فأنشده الأبيات السابقة ومنها قوله المشهور :

وكنا كندمانىْ جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً[9]

ومما يصوّر بالغ حزن متمم على أخيه قوله أيضا :

قد لامنى عند القبور على البكا ... صديقى لتذراف الدموع السّوافك
يقول : أتبكى كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدّكادك
فقلت له إن الشجى يبعث الشجى ... فدعنى ، فهذا كله قبر مالك[10]

ولا دفاع أن أباذؤيب الهذلىّ ، ومن بعده ابن الرومى هما أبرز المنكوبين بين شعراء العربية فى الأبناء ، وهما — فضلا عن ذلك — من أبرز من خلّفوا الإحساس بالثكل والفقد بلغة الفن ، لقد ابتلى الأول بفقد بنيه السبعة ، وانتهش قلب الثانى فقدُ بنيه الثلاثة ، وخلفا للتراث ندبا خالداً ، ونشيجا رهيبا فى رثاء ذراريهم الراحلين ، يقول أبو ذؤيب (خويلد بن خالد محرّث) فيما رثى به بنيه :

أمِن المنون وريبها تتوجّعُ ... والدهر ليس بمعتب من يجزعُ
قالت أميمة : ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ، ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا ... إلّا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمى إنّه ... أودى بنىّ من البلاد فودّعوا
أودى بنىّ وأعقبونى غصّة ... بعد الرّقاد ، وعبرة لا تقلع
سبقوا هوىً واعنقوا لهواهمُ ... فتُخُرّموا ، ولكل جنب مَصرع
فغبرت بعدهم لعيش ناصب ... وإخال أنى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهمُ ... فإذا المنيّة أقبلت لا تُدفَعُ
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهمُ كأنّ حداقها ... سُملت بشوك فهى عور تدمع
حتى كأنىّ للحوادث مروة ... بصفا المشرق كل يوم تُقرعُ
لابد من تلف مقيم فانتظر ... أبأرض قومك أم بأخرى المصرع

ولقد أرى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يولع بالبكا من يفجع

إلى أن يقول :

ولئن بهم فجع الزمان وريبه ... إنى بأهل مودّتى لمُفجَّعُ [١]

وندْبُ ابن الرومى بنيه الثلاثة - وخاصة أوسطهم - مذاع مشهور ، يقول ضمن رثاء ذلك الأوسط محمد :

ألح عليه النزف حتى أحاله ... إلى صفرة الجادىّ عن حمرة الورد
وظل على الأيدى تساقط نفسه ... تساقط در من نظام بلا عقد
أريحانة العينين والأنف والحشا ... ألا ليت شعرى هل تغيّرت عن عهدى
كأنى ما استمتعت منك بضمةٍ ... ولا شمّةٍ فى ملعب لك أو مهْد
ألام لما أبدى عليك من الأسى ... وإنى لأخفى منك أضعاف ما أبدى
عليك سلام الله منى تحية ... ومن كل غيث صادق البرق والرعْد [٢]

وقد رثى كل من جرير ومحمد بن عبد الملك الزيات زوجته رثاء حاراً صادقاً ، عوّل فيه كلاهما على أن الزوجة الراحلة قد خلّفت صغاراً هم فى مسيس الحاجة إلى حدبها يقول جرير ضمن رثائه زوجته :

لولا الحياء لعادنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولقد نظرتُ وما تمتع نظرة ... فى اللحد حيث تمكّن المحفارُ
ولهت قلبى إذ علتنى كبرة ... وذوو التمائم من بنيك صغارُ
أرعى النجوم وقد مضت غوْريةً ... عُصَبُ النجوم كأنهنّ صِوارُ [٣]

ويقول محمد بن عبد الملك الزيات :

ألا من رأى الطفل المفارق أمّه ... بعيْد الكرى عيناه تبتدران
رأى كل أم وابنها غير أمّة ... يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً فى الفراش تحثه ... بلابل قلب دائم الخفقان
فلا تلحيانى أن بكيت فإنما ... أداوى بهذا الدمع ما تريان [٤]

ولقد اشتهر البحترى بصادق الرثاء ، غير أن رثاءه الخليفة جعفرا المتوكل يعد ذروة رثائياته الباكية ، ومعلوم أن المتوكّل اغتيل بتدبير متواطىء

بين ولده المنتصر وبين قادة الأجناد الأتراك من حرس الخليفة ، وحين هوجم وقتل ، كان فى معيته وزيره الفتح بن خاقان ، وشاعره الأثير البحترى ، وعل حين قتل الفتح فى المذبحة ، قُدّر للبحترى أن ينجو ليندب خليفته وولى نعمته ندبا باقيا ، بل يتجاوز ذلك إلى اتهام المنتصر صراحة بأنه قاتل أبيه ، ويدعو الناس إلى الثورة عليه والانتقام منه ، يقول البحترى ضمن رائيته المشهورة فى رثاء المتوكل :

فأين الحجابُ الصعب حيث تمنّعت ... بيوتها أبوابُه ومقاصره ؟
وأين عميد الناس فى كل نوبة ... تنوب ، وناهى الدهر فيهم وآمره ؟
تخفّى فعتالته تحت غرّة ... وأولى لمن يغتاله لو يجاهره
فما قاتلت عنه المنونَ جنودُه ... ولا دافعتْ أملاكُه وذخائره

إلى أن يقول :

حلوم أضلتها الأمانى ومدّة ... تناهت ، وحتف أوشكته مقادره
ومُغتصَبٌ للقتل لم يُخْشَ رهطه ... ولم يختشم أسبابُه وأواصره
لنعم الدّم المسفوح ليلة جعفر ... هرقتم،وجنح الليل سودٌ دياجُره[١٥]

وعل الرغم من أننا أشرنا قبلا إلى رثائيتين لأبى العلاء المعرى فى أبيه وأمه ، واعتبرناهما من الرثاء النمطىّ النازع إلى الحكمة والنظرة الكلية إلى الوجود ، فإننا نؤثر أن نختم هذا القسم الثانى من الرثاء الحار الموصول بأغوار النفس ، برثائية المعرى الثانية فى أمه ، وسيوقفنا الرجل على أنه بعد أن استوعب محنته ، قدعاتى عمق مرارة الفقد وفداحة الأحزان ، ومن ثم ابتعد بفنه عن مبالغات التعبير وزعيق الصدمة الأولى ، وانصرف بالفعل ليعبر بومضات الفن عن دخيلته الجريحة المفتاعة ، يقول الرجل :

خلو فؤادى بالمودة إخلان ... وإبلاء جسمى فى طلابك إبلالُ
ولى حاجة عند المنيّة فتكها ... بروحى ، والأهواء مذكنّ أهوال
إذا مت ، لم أحفل أبالشام حفرة ... حوتنى أم ريم بريمان منهالُ
على أنّ قلبى آنس أن يقال لى ... إلى آن هذا القبر يدفنك الآل
دعا الله أمّا ، بيت أنى أمامها ... دُعيت ، ولو أن الهواجر آصال

مضت وكأنى مرضع وقد ارتقت ... لى السّن حتى شكل فودى أشكال
أرانى الكرى أنى أصبت بناحذ ... ألا إن أحلام الرّقاد لضلّال
أجارحتى العظمى تشه ساهيا ... بسنى لها فى ساحة الفم أمثال ؟
وبين الرّدى والموت فرق ونسبة ... وشتان برء للنفوس وإعلال
إذا نمت لاقيت الأحبة بعدما ... طوتهم شهور فى التراب وأحوال[٣]

ثالثا : والنمط الثالث من أنماط الرثاء فى العربية رثاء النفس ، وغير مدافع أن صادق هذا النمط نادر شحيح ، فليس شائعا أن يوقن الشاعر يقينا تاما من دنو أجله ، وأن يلم - فضلا عن ذلك - شتات روعه ليبدع فنا عظيما ينبض بأنفاس تلك التجربة المخيفة الجميلة : تجربة مباشرة الموت ، ويذكر الدكتور شوقى ضيف أن أول من بكى على النفس وذكر الموت هو الجاهلى يزيد بن خذاق إذ قال :

هل للفتى من بنات الدهر من واقى ... أم هل له من حمام الموت من راقى
قد رجفونى وما بالشعر من شعث ... وألبسونى ثيابا غير أخلاق
ورفعونى وقالوا أيما رجل ... وأدرجونى كأنى طىّ مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ... ليندوا فى ضريح القبر أطباقى[٤]

ثم يذكر الدكتور رتلا طويلا من شعراء العباسيين والأندلسيين الذين هم عنده قد رثوا أنفسهم ، ونسمح لأنفسنا بألّا نرى فيما أورده الأستاذ الكبير رثاء للنفس ، وإنما هو - فيما تقول النصوص نفسها - زهد ووعظ وتنفير من لذائذ الدنيا الخادعة الفانية ، وترغيب فى نعيم الباقية ، بل إن كلمات الأستاذ تكاد تقول ما نقول وترى ما نرى ، إذ يمهّد لشعرائه ونماذجه بالقول : « ونمضى إلى العصر العباسى ، فنجد الشعراء يكثرون من نوح أنفسهم ، وخاصة أنهم يذكرون ذنوبهم فيخافون ربّهم ، ويشفقون من لقائه ، فينطلقون وجلين معلنين التوبة والاستغفار مما قدّمت أيديهم » ثم يورد لأبى نواس قوله :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم

مالى إليك وسيلة إلا الرّجا وجميل عفوك ثم إنّى مسلم[١١٨]

ويورد لأبى العتاهية قوله :

إلهى لا تعذبنى فإنى مقر بالذى قد كان منّى
فما لى حيلة إلا رجائى وعفوك إن عفوت وحسن ظنّى
فكم من زلة لى فى الخطايا وأنت علىّ ذو فضل ومنّ
إذا فكرت فى ندمى عليها عضضت أناملى وقرعت سنّى
يظن الناس بى خيراً وإنّى لشرّ الناس إن لم تعف عنّى[١١٩]

ويورد وصيته بأن تكتب الأبيات الأربعة التالية شعاراً على قبره :

أذنَ حىّ تسمّعنى اسمعى ثم عى وعى
أنا رهن بمضجعى فاحذرى مثل مصرعى
عشتُ تسعين حجة فى ديار التزعزع
ليس زادٌ سوى التقى فخذى منه أودعى[١٢٠]

وكذلك وصية ابن شهيد الأندلسى بأن يكون شعار قبره الأبيات التالية :

يا صاحبى قم فقد أطلنا أنحن طول المدى هجودُ
فقال لى : لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة لهونا فى ظلها والزمان عيدُ
وكم سرور همى علينا سحابة ثرة تجود
كُلٌّ كأن لم يكن تقضّى وشؤمه حاضر عتيد

إلى أن يقول :

يارب عفواً فأنت مولى قصّر فى أمرك العبيدُ[١٢١]

ويورد كذلك وصية الطبيب الأندلسى ابن زهر ، وهى الأبيات :

تأمّل بعقلك يا واقفا ولاحظ مكانا وقفنا إليه
تراب الضريح على وجتى كأنّى لم أمش يوما عليه
أداوى الأنام حذار المنون وها أنا قد صرت رهنا لديه[١٢٢]

ثم يذكر الأبيات التالية للسان الدين بن الخطيب على أنه بكى بها نفسه :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ وكنّ صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة ، تلاه الصموتُ
وكنا عظاما فصرنا عظاماً وكنا نقوت فهل نحن قوتُ[٢٣]

وغنى عن البيان أن تلك الشواهد التى أوردها الأستاذ الجليل ليست رثاء أو بكاء للنفس ونواحاً عليها ، وإنما هى شعر وعظ وزهد لا خفاء فيه ، وقائلوها جميعا لا يرتاعون من الموت أو ينتهيهم الحزن لفراق الحياة ، وإنما هم قد أدركوا لاجدواها ، وأن الباقية أحق بأن يتوفر عليها الإنسان ذو اللب وأن يقدم لها بصالح الأعمال فى دنياه الغرورة الموقوتة ، وعلى الأحياء أن يسمعوا فيعوا ، ومن هنا نذهب إلى أن الشعر الخالص فى رثاء النفس وندبها وقد أيقن الشاعر تماما بأن قد صار إلى فكّيْ الموت يلتهمه شيئا فشيئا ، هو أشح أنواع الرثاء وأندرها ، وأن الصادق الآخذ بجُمّاع القلوب والنفوس منه هو فى الحقيقة أندر النادر وأقل القليل ، ولا يكاد المرء يذكر بالفكر أو القول هذا النمط من الرثاء إلا وتداعت إليه وإلى غيره رائعة مالك بن الريب التميمى فى رثاء نفسه ، ذلك لأن مالكا - كما سنرى وشيكا - قد صدر عن نفسه ليتجاوزها تجاوزا خلاقا إلى الوطن والأحياء ، وصدر عن الحاضر الآنىّ المنكفىء على حياض الموت ليصل به ماضى الزمان وآتيه جميعا ، ولقد تخطّت القصيدة تخوم الرثاء كافة ، لتصبح نمطا من الذهول الفنىّ المناجى للنفس آنا ، وللآخرين آنا آخر ، أو تصبح نمطا من شعر أحلام اليقظة يمزج الشاعر فيه بتلقائية الفن وبساطته بين ما يحبه وما يخشاه ، بين طلب الممكن والإغراق فى متاهات المستحيل ، ونحن لا نجاوز طبيعة التجربة الفنية فى قصيدة مالك إذا قلنا إنها تمثل عندنا نوعاً من الدراما الصغيرة ، إنها دراما مأساوية مكثفة قد اكتملت لها من حياة الرجل ونهايته عناصر مأساوية لا تخفى على المتأمّل ، بل سنرى وشيكا أنه يجسّد فيها من عناصر المونولوج والحوار والشخصيات ما قربها كثيراً من طبيعة الدراما المأساوية .

على أننا قبل أن نلج إلى عالم مالك فى قصيدته ، حريّون بأن نرصد محاور ثلاثة حاكمة فى حياته ، لا نحسب تمثل القصيدة على نحو جيد ممكنا بمعزل عنها :

المحور الأول : عاش مالك حقبة غير قليلة من شبابه ورجولته فارساً فاتكا ، حتى نراه يقطع الطريق ويسلب المسافرين الرّحل شأنه شأن غيره من صعاليك الشعراء الذين تجاوزوا القانون وأعراف المجتمع ، ورأوا فيها أمتاً يجب أن يقوم ، ومنهم الشنفرى والسليك بن السلكة وتأبط شراً وعمرو بن برّاقة الهمدانّي الذي يصف حياة الصعاليك فيقول :

تقول سليمى : لا تعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم
غموض إذا عضّ الكريهة لم يدع ... له طمعا ، طوع اليمين ملازم
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم ... قليل ، إذا نام الخلىّ المسالم
إذا الليل أدجى واكفهر ظلامُه ... وصاح من الأفراط بوم جواثم
ومال بأصحاب الكرى غالباته ... فإنى على أمر الغواية حازم
متى تجمع القلب الذكىّ وصارماً ... وأنفا حمياً تجتنبك المظالم[24]

ويقول شاعرنا مالك فيما بعد ، تبريراً لخروجه وانفلاته عن نظم المجتمع وأعرافه ، متحديا السلطان الشرعّي على أيامه .

فإن تنصفونا آل مروان نقترب ... إليكم ، وإلّا فأذنوا بتعادى
فإن لنا عنكم مراحا ومزحلاً ... بعيس إلى ريح الفلاة صوادى
وفى الأرض عن دار المذلة مذهب ... وكل بلاد أوطنت كبلادى[25]

إنه التمّرد على قوانين المجتمع ، والعزم على النأى عنها إلى الصحراء ، حيث الحرية المطلقة ، ونحن على أية حال لا نعلم لمالك قضية سياسية أو عقدية يمكن أن تجعل من سلوكه المتمّرد هذا نمطا من أنماط صراعات المبادىء أو مجابهة السلطة دفاعاً عن موقف أو رأى ، إنها الصعلكة والانفلات لا شيء غير ذلك ، يقول صاحب الشعر والشعراء معرّفا بمالك : « هو من مازن تميم ، كان فاتكا لصا يصيب الطريق مع شظاظ الضبّىّ الذى يضرب به المثل ، فيقال : ألصّ من شظاظ ، ومالك الذى يقول :

سيغنينى المليك ونصل سيفى ... وكرّات الكميت على التجار

وحُبس بمكة فى سرقة ، فشفع فيه شماس بن عقبة المازنى فاستنقذه ، وهو القائل فى الحبس :

أتلحق بالرّيب الرفاق ومالك بمكة فى سجن يُعَنّيه راقبه[٢٦]

ومعلوم أن اتجاه الصعلكة ، أو شق عصا الطاعة على المستقر من أوضاع المجتمع ، قد استقطب غير قليل من الفرسان ، أو الشعراء الفرسان منذ أقدم تاريخ العرب ، واستمرت صوره بعد حياة مالك ، يقول الأحيمر السعدى الذى توفى بعد شاعرنا بمائة سنة وعشر :

عوَى الذّئب فاستأنستُ بالذّئب إذ عوى وصوّت إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ
رأى الله أنى للإنس لشانىء وتبغضهم لى مُقْلَةٌ وضمير
فلليل إذ وارانى الليل حكمه وللشمس إن غابت علىّ نذور
وإنى لأستحيى لنفسى أن أُرى أمرّ بحبل ليس فيه بعير
وأن أسأل العبد اللئيم بعيره وبعران ربى فى البلاد كثير

ويقول الأحيمر كذلك :

أرانى وذئب القفر إلفيْن بعدما بدأنا كلانا يشعثر ويذعر
تألفنى لما دنا وألفتــه وأمكننى للرمى لو كنت أغدر
ولكننى لم يأتمنى صاحب فيرتاب لى ما دام لا يتغير[٢٧]

إن المال لدى هؤلاء مال الله والأرض أرضه ، ولهم أن يأخذوا لأنفسهم ولغيرهم ممّن تكدّست لديهم الثروات ، ويجسد الأحيمر عمق القطيعة والخصام بين المجتمع وهؤلاء الفرسان الخارجين ، لقد انقلبت لديهم دلائل الأمور ومفاهيمها ، فباتت الصحراء المقفرة بما فيها من وحوش وأهوال رمزاً للإيناس وموئلا للأمان ، على حين صار المجتمع البشرى مصدراً للفزع والنفار ، ولا يمكن للعدل بطبيعة الحال أن يقوم على الاغتصاب والعدوان ، خاصة بعد أن استظل الناس بالإسلام وأصبح للتكافل بينهم مساراته الشرعية .

والثابت أن مالكا كان طلعة حسن السمت ، لقد كان « من أجمل

العرب جمالاً ، وأبينهم بيانا وأحسنهم ثيابا »[٢٨] ممّا أتاح له أن يعيش قويا ساطيا مستمتعا برجولته فى آن معاً .

المحور الثانى : شاء الله لحياة مالك أن تتحول حين التقى به سعيد بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنهما وكان على رأس جيش المسلمين أيام معاوية لإقرار الأمور فى خراسان ، فأصلحه واصطحبه ، غير أن الأمر بالنسبة لمالك لم يكن طلبا للجهاد بقدر ما كان طلبا للمال وغنائم الفتح ، ولن يكون عمدتنا فى رأينا هذا من الناحية الفنية سوى النص الذى سنتعامل وشيكا مع معطياته ودلالاته النفسية والفنية ، وإضافة إلى ذلك فإن ما ورد بهذا الخصوص فى بعض مصادر التراث ، قد يلقى على الأمر ضوءاً كاشفا ، يقول صاحب الأغانى : « فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له : مالك ، ويحك ، تفسد نفسك بقطع الطريق ؟ وما يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العيث والفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال : ما يدعونى إليه العجز عن المعالى ومساواة ذوى المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك ، أتكف عما كنت تفعل ؟ قال : أى والله أيها الأمير ، أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه ، قال : فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر.» ويورد البغدادى صاحب خزانة الأدب ما يكاد يكون مماثلا لكلام أبى الفرج باستثناء أنه جعل ما أجراه سعيد على مالك من رزق خمسمائة دينار ، لا خمسمائة درهم فى الشهر ، ويقول ياقوت فى معجم البلدن : « فمّر بأبى حردبة الأتيم ، ومالك بن الرّيب ، وكانا لصّين يقطعان الطريق ، فاستصحبهما ، فصحبه مالك بن الرّيب المازنى ما شاء الله ، فلم ينل منه ممّا وعده شيئا ، وأتبع ذلك بجفوة ، فترك سعيداً وقفل راجعاً ، فلما كان بأبر شهر ، وهى نيسابور ، مرض فقيل له : أى شىء تشتهى ؟ فقال أشتهى أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه ، أو أرى سهيلاً ، وأخذ يرثى نفسه ، وقال قصيدة جيدة مشهورة »[٢٩] .

من الجلىّ إذن -- وفقا لما أوردناه عن أبى الفرج والبغدادىّ وياقوت – أن مالكا قد صاحب سعيداً موعوداً بما يمكن أن يجذب فارساً فاتكا قاطع إلى الإقلاع عمّا أوضع فيه ، وواضح مما أورده ياقوت خاصة ، أنه لما لم يقض من

الصحيحة وطرحه ، شجر الخلاف بينه وبين قائده فانصرف عنه إلى حال سبيله ، وفضلا عن ذلك أورد محقق الديوان بيتا عن أمالى اليزيدى وذيل أمالى القالى ، يدعمّ منحانا فى تمثل دوافع مالك إلى رحلة خراسان ، ونصّ البيت هو :

إنّ الله يرجعنى من الغزو لا أرى وإن قلّ مالى طالبا ما ورائيا

ويفسره بقوله : « يريد : لا أسافر ، وأقيم وأقنع بما عندى »[٣] ولو افترضنا أن البيت موضوع ، وهو كذلك على الأرجح لعدم وروده فى الجمهرة التى نطمئن إليها وإلى صاحبها ، فإن دلالته على دوافع مالك وتياراته النفسية تبقى قائمة ، لأن واضعى الشعر غالبا ما يعوّلون على ملابسات حياة الشاعر وما أثر فى إبداعه ، كى يكون وضعهم أقرب إلى النّص الأصلىّ الذى يضيفون إليه ، أما إذا كان البيت لمالك بالفعل ، فإنه يحسم القضية حسما نصيا لا شبهة فيه .

وثمة أمر أخير فيما يتصل برحلة مالك إلى الغزو نودّ أن نلبث إزاءه قليلا ، فقد ذكر الزركلى فى الأعلام أن مالكا قد تنسّك بعد أن ذهب إلى خراسان[٣١] ، وعلى الرغم من أن دوافع مالك إلى الرحلة مادية بحتة كما فصلنا آنفا ، فإنه لا يمتنع لدينا أن يتحوّل قلب الرجل عن حب الدنيا والتعلق بها إلى الزهد فيها والانصراف عنها والأخذ بأسباب الانقطاع والتنسك ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وقتما يشاء ، غير أن يائية مالك التى سنشغل أنفسنا للتوّ بتحليلها واستبار دلالاتها النفسية والفنية التى هى ساطعة الإبانة عن التحوّلات الروحية لمالك حتى رمقه الأخير ، لا تقول بما قال صاحب الأعلام ، بل تقطع بأن الرجل بقى ابن دنياه المخلص لها .

المحور الثالث : وبهذا المحور الثالث يضاف البعد المأساوى لحياة مالك ، إذ قدّر له أن يمرض مرض الموت على أبواب مدينة مرو بخراسان ، أو بنيسابور وفقا لياقوت ، ولا يعنينا من أمر مرضه هذا إلا أنه كان مخاضا لرائعته تلك التى رثى بها نفسه ، فثمة رواية تذهب إلى أن أهمى كانت قد اختبأت بخفّه قد لدغته فأودت بحياته ، وأخرى تشير إلى المرض مطلقا ، والرواية الثانية

أرجح لهيبا لما يُتيحه مؤداها من مدى زمنى قبل الوفاة يسمح بالتأمل واستعادة الذكريات والإبداع ، على عكس الرواية الأولى التى يترتب عليها أن يلقى المدوغ حتفه من فوره أو بعد مدى زمنى جدّ قصير .

ونحن نتصور أن فسحة الوقت بين تيقن مالك من حتمية موته وبين انقضاء أجله بالفعل ، قد أتاحت للرجل تلك الرحلة الفريدة فى أغوار نفسه ، ومن ثم طفق يجدل بين ماضيه وحاضره وآتيه ، ويزاوج بين التماسات ممكنة وتمنيات مستحيلة ، وقد أطبق عليه فكاً معاناة الجسد وأوصابه من جهة ، وإحساسه الكابى المكفهر بمباشرة الموت غريبا عن وطنه من جهة أخرى ، ومن خليط مرّ أجاج لتلك الآلام والمشاعر الذبيحة الحادة ، أبدع مالك قصيدته وقد انتهبته أشواقه لنجد بعامة ولآل الرَّيْب ومازن بخاصة ، ولزوجته وبناته على نحو أخص ، وتسلط عليه من ذاته شعور قاتم بسوء المصير ، إذ قُدّر له أن يتجرع صاب الاغتراب وأن يموت وبذالقته وملء فيه ذلك السُّم الزّعاف .

يبدأ مالك مرثيته المتفردة هذه بتشوق مقهور وبتسنٍّ للمستحيل ، إنه إذ تقين من صيرورته إلى فكىّ الموت ، ولم يبق إلا أن يلتقمه ليسرب فى تياره الأبدى ، لا يعدم أن يدهمه طوفان الحنين إلى نجد ، إنه ليتمنى المستحيل إذ يتوق لماضيه الخصب الآمر بموطنه نجد ، يمارس حياة فروسيته ورعويته البسيطة التلقائية ، فيستلقى نائما فى حرم شجرة من أشجار الغضا ، أو يدفع أمامه رتلا من النياق القوية السريعة ، ونرى مالكا إذ كنىّ بالبيت كله عن حنينه الجارف لوطنه ولمعالم حياته الأولى فيه ، لا يلبث أن يتبع ألا الاستفتاحية بليت التى هى تمنى البعيد أو المستحيل ولكنه من حومة صدقة النفسى والفنى ، وتصويراً لهول ما يجد المغترب المشتاق المحتضر ، يلحق نون التوكيد بالفعل أبيت ، لا لتوكيد حدوث الفعل أو ترجيح احتماله ، وإنما لتوكيد عنفوان لهفته وفوران جنوحه الغريزى الحميم لوطنه يقول مالك فى ذلك كله :

١ – ألا ليت شِعْرى هل أبيتَنّ ليلة بجنب الغضا أُزجى القِلاصَ النّواجيا

ثم نراه يشفع ذلك فى ثانى الأبيات بأمنيتين أخريين مستحيلتين ، إنه

يتمنى لو أن موكب رحيله بصحبة سعيد لم ينته من عبور نجد إلى خراسان ، ثم يمعن فى استحالة التمنى النابع من تداعى التصوّرات والتجاوزات بوجدان المحتضر ، فنراه يتمنى لو أن تراب نجد وطنه قد ماشاهم فى رحلتهم ، وكلما فرغوا من قطع مرحلة وجدوها كرّةً أخرى بإزائهم ، وهكذا يحلق بنا مالك فى ذرا عالية للفن ، إذ هو خلّق لنا بالصورتين الاستعاريتين فى البيت عمق التشابك بين كينونته الإنسانية وبين وطنه ، إنه لم يتردّ فى ضحالة النثرية والمباشرة ، ولم يهتف زاعقا بنجد أو بالحنين لها ، ولكن التصوير الاستعارى فى صدر البيت وعجزه والكناية الرحبة الشفافة فى البيت كله جمعت وأوعت فأدّت :

٢ – فليت الغضا لم يقطع الرّكبُ عَرْضَهُ وليت الغضا ماشى الرّكابَ لياليا

وإنه إذ يترنح الآن فى حومة الموت ، ليرتاع الارتياع كله فى مواجهة موت كالح رهيب ليس كموت الناس ، كلا ، إنه موت ذو ثلاثة وجوه كابية منذرة خسيسة ، أولها موت الناس إذ ينتزع الروح من البدن انتزاعاً ، وثانيها أن يموت بشوق ذبيح إلى شميم نجد بعقها وترابها وظلالها وغضاها ، وبتلهف موءود ذى ذراعين خرافيتين تمتدان عبر فضاء الله الواسع لاحتضان الآل والأحباب فترتدان خاسرتين لم تدركا سوى قبض الريح ، وثالثها أن يموت – فضلا عن احتراقه بجمرات الشوق للوطن والأهل – محترقاً كذلك بالوحدة الضروس والاغتراب العبوس ، إنه يموت غريقا فى غربته بمثل ما يختنق غريق البحر بملوحته وعطانة مائه مفتقدا عزاءه الأخير فى لمسة دافئة ونظرة عاطفة وضمة حانية ودمعة مشاركة ، بل إنه ليتلمس حضن الإنسانية كلها عبر حضن زوجة مرتاعة أو بنية ملهوفة محزونة ، فلا يجد سوى الغربة قد أطبقت عليه بمثل ما أطبق الموت ذاته ، ولو أن الوطن نجد دانٍ من خراسان لزاره الأودّاء وأمدوه بدفء يجابه به قشعريرة الموت ، غير أن بعد ما بين وطنه ومحل غربته شاسع هائل ، إنه الفاصل الخرافى الذى يفصله عن الحياة ويفصل عنه أهله وذوى رحمه فى لحظة مجهولة محتومة فى حياة الإنسان لا يسد مسدهم فيها أحد ، إنها لحظة الاحتضار بهولها الأبدىّ المقيم .. يقول مالك :

٣ – ... كان في أهل الغضا لو دنا الغضا ... مزارٌ ، ... لكنّ الغضا ليس دانيا

فيقابل مالك في حميّا الموت والأمنيات المحجوبة – بين المستحيل المرغوب والواقع المرير المكروه ، يقابل بين دنوّ نجد من خراسان ، وهو المستحيل المرغوب،وبين نأيها الأكيد عنها وهو الواقع المعيش المكروه ، ولأن الشاعر في الأبيات الثلاثة آنفة الذكر يضرب في مفازة من مستحيلات أحلام اليقظة نرى لغته الشعرية العفويّة قد خلقت ذلك بتكرار (ليت) مرة في البيت الأول ومرتين في البيت الثاني ولو ولكن في البيت الثالث ، والتمني لا يكون في الغالب إلا للمستحيل أو للشبيه بالمستحيل ، كما أن دلالة (لو) على الامتناع ، وأداء (لكن) لمعنى الإضراب والانصراف عن إمكانية زيارة الأهل في محنة مرض الموت بافتراض دنو نجد من خراسان ، هما في القلب من تصوير ما اهتاجت به روح مالك من حيرة وقلق واضطراب وتخبط بين المستحيلات .

ولقد وردت كلمة (الغضا) مرة في البيت الأول ومرتين في البيت الثاني وثلاث مرات في البيت الثالث ، فجاوز دلالتها على ذلك الشجر النجدي الطيب لتصبح شعارا لجيشان روح مالك بحب وطنه ، إنه استطاع بالفعل أن ينسينا دلالتها اللسانية الأولية ، لينثر في أقطار ذائقتنا صورة نجد الوطن برماله وسفوحه ووديانه وجباله وغضاه وخزاماه وعراره وإنسانه وحيوانه ، ولم يكن ذلك إلا عبر الوطن المتشابك تماما بأغوار الرجل حمله إلينا مكثفا على أحرف تلك المفردة اللغوية الحيّة الخامسة : (الغضا) ولم تكن غير تجاوز الكلمة دلالتها المعجمية إلى دلالات أعمق وأرحب هو الذي سما بها ، فبرأها من وعثاء تريتها ، وطهرها من ملائة تكرارها المتطاول هذا في ثلاثة الأبيات الأولى ، إننا في الحقيقة وقد تلبسنا الشاعر وتلبسناه ، لم نتلبث مطلقا إزاء سلبية التكرار هذه ، بل تلقيناها حسنا فنيا خالصا .

ثم لا يلبث مالك في رابع الأبيات أن يسترجع الحدث القريب البعيد العلّة في محنة عمره هذه ، إن مصاحبته لابن عفان في جيش غزوه حدث بعيد في الزمن لصيق بالوجدان ، وهو العلة في محنة عمره الآنيّة ، وعلى الرغم من أن ظاهر التجربة استبدال للذي هو خير بالذي هو شر ، استبدال لحياة الجهاد

لحياة السطو والصعلكة ، فإن دلالة البيت - لغويا ونفسيا - ترصد التجربة بمالها وبما عليها ، وقبل استعارةٍ صور بها مالك تحوّله عن الضلالة إلى الهدى ، ينثال استفهام منفيّ تقريرى شاك مُحمّلٌ عندنا بتداعيات شتى من فخر بالهداية ، وأنين من سياط الشوق الذبيح والاغتراب المكفهر ، تلك التى احتلدته جميعا حياً وميتا ، إن الوجيعة لتتسرب فى كلماته إذ يقول :

٤ - ألم ترنى بعتُ الضلالة بالهدى ... وأصبحتُ فى جيش من عفّان غازيا

ولا أدل على ذلك كله فى مسار تجربة مالك المتفردة تلك ، من أن يولّد البيت السابق انعطافا نفسيا جامحا ، هو بمثابة التعويض المتخيّل بأحلام اليقظة عن نواقص التجربة المعيشة ، إنه تكميل وتجميل بالفن ، وإشباع بالتوهم .. يقول مالك فى البيتين التاليين :

٥ - دعانى الهوى من أهل ودى وصُحْبتى ... بذى الطَّبسيْن فالْتفتُّ ورائيا
٦ - أجبْتُ الهوى لمّا دعانى برفْرة ... تقنَّعْتُ منها ، أن أُلام ، ردائيا

إن سلبيات رحلته الغازية إلى خراسان قد تمثلت فى بركانين من الحرمان ، أولهما الحرمان من عبق الوطن ، وثانيهما الحرمان من دفء الأحباب وعطر الأودّاء ، وها هو الهوى الصاخب بوجدان الفارس المُعَنّى بمرض الموت ، الدّفاق فى شرايين همد كل ما فيها إلّا الحب ، ها هو يصّاعد بكيانه المكدود بذى الطبسين من قرى خراسان فيدعوه إلى لحمه الغائب وذوى رحمه ، إنهم لذاذات الماضى وعذابات الحاضر ، ولا يملك إلا أن يتوق لجُمّاع نفسه ، وأن يتلفت بدخيلة قلبه إلى هذه الجنة المفقودة الموجودة القريبة البعيدة ، إنه إذ هو فى إسار الفناء الوشيك ، لا مندوحة له عن التفات النفس وتوقد الذكريات ، فتلبية الدعوة الآسرة الحزينة برحيل الجسد إلى الداعين مستحيلة مستحيلة ، وإن مالكا رجل الفروسية الفاتكة فى ماضيه والفتوحات الغازية فى حاضره - لغارق فى دوّامة العجز عن التلبية إلا بزفرات متلهّبة خجلة ، إن أوار الاشتياق ليسعره حتى قرارته ، ويدعوه لإجابة لا تكون بغير الرحيل إلى الأودّاء ، ولكنه لا يملك سوى الزفرات الحرّى يداريها بطرف ردائه

أن تظهر فتشي بمعاناته لرفاقه اللُّوَّم الذين لا يدرون هول ما يجد ، وكيف يليق بفارس صلب أن يتداعى مستسلما لنداءات العواطف ، إن الصور الفنية لتتخلق متدفقة سلسة لتُشَخِّصَ ما يجد مالك من معاناة ، إن الحب المتفجر بدخيلته للغائبين داع يدعوه إليهم ، وانثيال الذكريات عليه التفات يُجمِّع النفس إلى أولئك لأحباب إنه التفات يذكرنا بالتفات كان آنفا فى ضمير الغيب للشريف الرضى إذ يقول :

وتلفتت عينى ، فمذ خفيت عنها الطلول تلفت القلب[٣١]

وإن الزفرات الواجدة الشاكية لهى الإجابة الممكنة الكسيحة لنداء الأحباب ، ولا تلبث معاناة الغربة والوحدة والموت أن تعاظم من ملابسات التجربة - تجربة مصاحبة سعيد - على إيجابياتها فترجحها ، ومن ثم تبدد المداراة ويتفجر الندم فى بيت نرى قاطع كحد السيف إذ يقول :

٧ - لعمرى لئن غالت خراسانُ هامتى لقد كنتُ عن بابىْ خراسان نائيا

إنه يدرك الآن - وقد بات بين فكّىْ الفناء - فداحة ما سُلب منه ، إنه العمر والحيوية وعبق الأحباب ، لقد عصفت رحلة الغزو إلى خراسان بهذا كله وأوردته موارد البوار الذى لا منجاة منه ، وما كان أنأى خطاه عن طريق التحسر والندم هذا ، ما كان أبعد نجد حيث الرمل والتوق والحرية والأحباب عن أسوار خراسان بما جلبته من دثار النهاية الحالك ، إن خراسان من رموز التجربة كلها ، وإنها لتمثل فى البيت وحشا هائلا قد اغتال حيوية مالك وحياته ، ويقابل الندم والحسرة بين صدر البيت وعجزه بين ما صار إليه من تداع تام وفناء وشيك ، وبين ما كان عليه من بعد عن ذلك الموت والخسران المبين ، ومن وقدات المشاعر تتولدّ الأحرف والكلمات والتراكيب والصور ، إنه يؤكد حسرته وتمزقه لما أوقعت به رحلة خراسان بالْقَسَم المُحَمَّل بالشرط الحاصل فعلا ، ويؤكد الجواب المتضمن خُلْدَه الضائع فى نجد ، بقد المقترنة باللام ، ومن ديمومة تشتته الأسيف لهول ما يعانى ، تمتزج دلالة الاستحسان فى صيغة من صيغه الثوابت بدلالة التحسر على نعيمة الذى ضاع ، ومن ثم يوالى فى أربعة الأبيات التالية التهجد بتفصيلات من حياته النجدية ، بدءاً من حين

رحيله والتأسى على الناصحين المعارضين ، وانتهاء بكبوته النهائية على أسوار مرو ، إنه يقول :

٨ – فلله دَرُّى يوم أترُكُ طائعا بنيَّ بأعلى الرقمتين وماليا
٩ – ودرُّ الظِّباء السانحات عشيَّة يُخبِّرْن أنى هالك منْ ورائيا
١٠ – ودرُّ كبيرىَّ اللذين كلاهما عليَّ شفيقٌ ناصح ما ألانيا
١١ – ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابه ودرُّ لحاجاتـى ، ودرُّ انتهائيـا

فعلى الرغم من تداعى الجسد وفنائه الوشيك ، بقى لتجربة الفن وبوح النفس إطار حاكم يتسق ولا يتنافض ، إنه محور المزج بين الاعتزاز بما كان ، والأسف العميق عليه ، محور الزهو برحلة الغزو والأنين المكلوم من ميتة المنفرد المتغرّب المحروم ، وقبلا رصدنا ذلك التعدد المتوحد فى الإحساس لدى مالك إذ قال :

ألم ترنى بعتُ الضلالة بالهدى وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا ؟

عقب ثلاثة أبيات تتضح بغاية الألم لهول ما كان ، فضلا عن تمنٍ صريح بألا يكون ، لو كان ذلك بالإمكان ، ونحن لما نزل مع اتساق هذا الإحساس القابل الرافض ، إنه يستحسن ويتحسر لقراره بأن يرافق سعيد بن عثمان ، وأن يخلف وراءه بنيه وثراءه بأعلى الرقمتين حيث داره وعياله ، وإنه ليذكر مستحسنا متحسراً شواهد مأساته وقد خاطبته النذر – على غير ظاهرها – غب أن عزم على الرحيل ، إن سانحات الوحش والطير تدفع إلى التفاؤل والتيمن عادة ، ولكنها فى تجربة مالك أنذرت بالشؤم الآتى وبالهلاك الذى لا محيص عنه إن أصرّ على الرحيل ، ويلفتنا أن ثنائية الإحساس لدى مالك حين استحسن وتحسّر فى آن ، قد دفعته إلى استشعار ثنائية أخرى فصار سانح الوحش دالا على التشاؤم ومنذراً بالهلاك ، إن مالكا ليُدخِل القدر هنا طرفا أساساً وفاعلا ذا جبروت حتى ليعجز الإنسان عن تحاشيه أو تخطيه وإنْ أُنذِرَ بهول ما أعدّ له وتيقن منه ، إن الظباء المخالفة لطبيعة دلالتها والمنذرة بالموت ، تعادل انكشاف القدر للمقدورين وعجزهم التام عن تغيير ما انتهت إليه مصائرهم ، حتى وإن تدعّمت النذر الناهية بمعارضة رموز الحب الصاق والشفقة الخالصة المتجرّدة ،

معارضة الوالدين الناصحين ونهيهما عن الرحيل ، ولكن هيهات للنذر والنصح والنهى أن تحول بين المرء وقدره ، وما أجمل الحب الذى يصاعد بدخيله ،،أو يحمله إليه نسيم نجد ، داعيا إياه إلى مداركة الأحباب ، وما أشدّ حسرته لفوات أوان ذلك وعجزه عنه ، وما أعظم اندفاعاته وفتكاته وصاباته ، وبالشدّة حسرته لانحسار ذلك كله وانتهائه إلى حطام جسد يتداعى وروح يُستلب .

إن الندب نواح بالصور والأصوات كليهما ، ولقد هيأت الصور لنفسها بحراً مواتيا للنواح هو الطويل بتفعيلاته الثمانى الممتدة التى تهيىء للصور أن تتمدّد وأن تغنى بالمشاعر والمعانى ، هذا فضلا عن رويٍّ مثاليٍّ للبكاء تمثل فى الياء المشبعة الممتدّة ، والياء الممتدة بالألف تفيد النداء ، وتُستخدم للاستغاثة ويُعوَّل عليها كثيراً فى التوجع والعويل ، إنها مثل (الآه) تنفيس نلقاه عن الشدائد وتعبير غريزى عنها ، ولقد توالت كلمة (درّ) ست مرات متتابعات بما يشبه النشيج المتتابع فى تضاعيف لحن جنائزى جريح ينتظم القصيدة كلها .

ويستفيق مالك من غاشية أحلامه الخابية الغاربة خلف تلال نجد وفى قلب رمالها على صاب حقيقته التى يغص بها وجدانه : إنه صار إلى مواجهة الموت غريبا منفرداً ، يتلمس زوجة وفيه أو أما رؤوما أو بنيّة عاطفة تبكى ميتة الفارس الجبار فلا يجد سوى الفراغ الكئيب ، ليس من دفء ثرى يأسى عليه ويذكر مناقبه ويشدّ من وهنه فى تلك اللحظات الرهيبة الثقال ، وفى حميّا الانفعال والجيشان يعوّل مالك على التعويض مرة أخرى ، ولكنه تعويض الفارس الذى وهب الفتك والفروسية عمره كله ، ومن ثم فهو لا ينتمى ، ولا ينتمى إليه بعد الوطن والأحباب سوى سيفه ورمحه وفرسه ، نعم سنرى لمالك وشيكا رفقة طريق يلتمس منهم إقامة طقوس دفنه بما يرضيه ، ولكنهم ليسوا انتماءه الحميم أبداً ، فليس للفارس الوامق من انتماء بعد وطنه وآله سوى عدة فروسيته :

١٢ – تذكّرتُ من يبكى علىّ فلم أجد سوى السيف والرمح الرُّدينىّ باكيا
١٣ – وأشقرَ جنديد يجر عنانه إلى الماء ، لم يترك له الذعرُ ساقيا

إن الصورة الفنية متمثلة فى الاستعارة لتنثال من وجدان المأزوم المتواجد فى صوفية المحتضر عذبة رقراقة ، أشبه ما تكون بأصفى عيون الماء فى نجد ، إن سيفه الخطىّ ورمحه اليمانىّ ليُعْولان عليه تعويضا عن الآل والأوْدّاء ، وليس لهما من مُعين سوى فرسه الأشقر الضخم الأصيل الذى لحقته محنة الفقد بقبض من والاه عمراً ، وأفاء عليه من حدبه ، فتشابك الوجدان الأعجم بوجدان الإنسان ، إنه إذ يفقد الصديق المطعم الساق لفى حداد عمره ، قد تنكس مقوده واعتفرته غبرة الأديم بعد إذ كان دوما شامخا مرفوعا بيدى الفارس الصديق ، إنه لا يعدو ، أو يمشى كفيا إلى الماء ، بل إنه ليجر جسده المثقل وأقدامه المقيدة جرّا هو فى الحقيقة خطى المشيعين فى الجنازات ، ولا يخفى علينا دلالة الصورة فى جرّ العنان المنكس وحقه أن يكون فى الأعالى ، ولا يخفى علينا – فضلا عن ذلك – دلالات اندياح الفقد ليشغل حيزاً كونيا يتجاوز كينونة مالك الفرد ليشمل مفردات رامزة لمطلق الكون الجامد والحىّ متمثلا فى السيف والرمح والفرس ، أن الموت هنا أشبه ما يكون بالموت الميتافيزيقى الذى تتسدل ستائره المعتمة وسحائب أحزانه على الطبيعة ذاتها ، ويبرز الدهر فى عجز البيت – فاعلاً للمأساة وخصما مباشراً للحياة متمثلة فى مالك وسيفه ورمحه وفرسه جميعا ، وإن الفرس – خاصة – ليبدو فريسة للدهر شأنه شأن فارسه مالك ، فالفارس تُسلب روحه ، والفرس يُسْلَبُ فارسُه وساقيه ، والصورة الفنيّة هنا تلقائية عفويّة وكأنها وضوح شمس الصحراء أو عيون مائها الدّفّاقة بفعل الطبيعة ذاتها .

وما تلبث شهقات اعتبار الذات أن تتجاوز بالشاعر حالة الذهول إلى حالة تشبه الوعى ، فينشبُّ كرة أخرى بانتمائه إلى دفء الأحباب ، وبانتمائهن إليه ، إن دياره بجانب بئر السُّمَيْنَة قرب أرض أوْدّ بنجد ليسكنها نساؤه وذوات رحمه اللائى سقينه وسقاهنّ الحب والمودة والتراحم ، وإنهن إن يدرين بهول ما يجد فى ليلة موته الكابية تلك ، ليعصف بين – يقينا – هول الحداد والأحزان ، إنهن على جسور ما تواشج بينه وبينهن من أدق وأرق مشاعر بنى البشر ، ليصعب عليهن ويدميهن هول ما يلاق من وحدة واغتراب واحتضار :

١٤ – ولكنْ بأطراف السُّمَيْنَةِ نسوةٌ عزيزٌ عليهنّ العشيّةَ مابيا

ويلفتنا أن مالكا فى معرض تأسيه بمكانته لدى آله ، يخص نساءه بالالتفات فى مجال الحداد والأسى لما استقر بشعوره ولا شعوره من طاقة موفورة لديهن على العطاء العاطفى ، خاصة قدرة الندب والعويل واستظهار الأحزان ، ويلفتنا كذلك أن يتداعى ذلك لديهن - وفقا لمالك - باسوداد العشيّة وكآبة المساء ، إن مالكا - بوعيه ولا وعيه - قد استوعب تلازم الليل وفداحة المرض على المريض والأحزان على المكلوم الحزين ، ومن ثم تداعى لديه ارتباط هول ما يجد وهول ما يجد أحباؤه عليه مع كآبة الكون كله وقد ائتشح من مسائه وليلة ثوبَىْ حداد .

وما يعمق روح مالك المرفرف بسموات نجد والسُّمَيْنة وأودّ ، أن ينسحب إلى مفازة مرو ، إنه فى أوبة أخرى من الذهول والحلم إلى واقع المحتضر المشوب بالغيبوبة ، إنه يرصد تداعيه وانكساره محمولاً على أيدى رفاق سفره بمفازة مرو ، إنه يكنى ببساطة الفارس البدوى ووضوحه عن تدنيه ونفاد حيويته ، وإنها لمؤشرات - لا حيلة فى تكذيبها - على حتمية الموت ، إنه بات مُخَوَّمًا فى قلبه وعقله وتوتراته وحلمه ، بل مُخَوَّماً عبر واقعه إذ استجاب الرفاق لنذره فجدّوا فى تهيئة رسومه المادية وتوطئة مواضع قدميه فى قبر يضم بصماته الأبدية على رفات كينونة مالك :

١٥ - صريعٌ على أيدى الرِّفاقِ بقفرة يُسَوُّونَ لحدى حيثُ حم قضائيا

ويستمر مالك فى تكثيف لقائه الموت عند مرو ، وتوكيد دنوّ المنيّة ومباشرة التحول عن دنياه إلى أخراه بعد أن ضعف جسمه وبراه المرض ووطئته المعاناة ، غير أن مالكا لما يزل حيا ، ولما تزل غرائز الأحياء تفعل فيه دون كف إلا بخروج الروح إلى بارئها ، ولما يزل مالك محمولاً على نوازع بقايا بشريته الحيّة ، سابحا فى أحلام يقظته وتشوّفات احتضاره ، ملتمسا من أصحابه الممكن طلبا لما قد يكون ممكنا أو مستحيلا ، ومتشبثا بدلائل فروسيته واعتباره لذاته ، وبأقصى الممكن من دلائل الحياة حتى آخر نأمة متاحة ، بل وراسما طقوس دفنه وندبه ومعالم قبره تفصيلا .. يقول مالك :

١٦ – ولما تراءت عند مرو منيتي ... وحل بها سُقْمي ، وحانت وفاتيا
١٧ – أقول لأصحابي ارفعوني لأنني ... يقرّ بعيني أن سُهيلٌ ...
١٨ – يا صاحبيّ رحلي دنا الموتُ فانزلا ... برابيـــة إني مُقيمٌ لياليـــا
١٩ – أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلاني ، قد تبينّ ما بيا
٢٠ – وقوما إذا ما سُلّ روحي فهيئاً ... بي السِّدْر والأكفان ثم ابكيا ليا
٢١ – ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن تُوسعا ليا
٢٢ – وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجعي ... وردّا على عيْنيّ فضل ردائياً
٢٣ – خذاني فجُرّاني بُرْدي إليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

إن مالكا – وقد تداعى جسده وتيقّن من نهايته – ليلتمس من رفاقه أن يرفعوا جسده العاجز الهالك إلى أعلى ، أن يدنوه من أبواب السماء كي يستعيض عن مستحيل احتضان تراب الوطن باحتمال قد يكون أو لا يكون ، هو سطوع النجم سهيل بسماء خراسان ، إن الفارس المُحْتَضر المُتَمَنّي ، الغارق في أحلام اليقظة المتشابكة مع انتقاضات النزع الأخير ، ليعلم بالمتبقي له من نبضات العقل المدرك ، ضعْف نزعه احتمال بزوغ النجم سهيل أو استحالة ذلك حيث هو في نزعه الأخير الآن ، ولكنه – في اهتياج الفنّان المتخطم في فورات النهاية – ليستبدل المستحيلات والأمنيات بعيدة التحقيق بثوابت الحقائق ، فلا شيء يوفيه سعادة ترضيه ، وتقر بها عينه – وقد عجز عن الرحيل إلى نجد – قدر سطوع النجم اليمانيّ النجدي سهيل بسموات مرو خراسان ، حتى وإن كان في ضبابية خيالاته ، وارتعاشات احتمالاته البعيدة وتوهماته .

وفي البيت التالي يعود إلى توكيد النهاية بتشخيص الموت ، إنه يرتئيه شبحا كونيا رهيبا قد دنا منه وحاصره وشرع في التقامه ، ويرغب إلى صاحبي رحلة موته أن يكون قبره في الأعالي ، حيث ينام نومة الأبدية ، ولنتأمل تيار الاعتزاز بالنفس والنزوع إلى الانعتاق ، بل والدنوّ – قدر المستطاع – من آفاق السماء ، حيث تزداد احتمالات مباشرة سهيل إن بالحقيقة أو بالتوهمّ ، لنتأمل

ذلك كله فنراه يدفع مالكا لالتماس النزول إلى الأعالى ، ولتتلبث إزاء الطباق فى قوله (فانزلا براية) لتدرك أن الفارس المنعتق المندفع دوما سهما ملتهبا إلى الأرحب والأعلى ، ليس فى مكنة أن يكون غير ذاته ، حتى وإن كان فى سكرات الموت ، ثم لتأمل كنايته السلسة عن رقدة الأبدية التى لا يعلم آلاف ، بل ملايين سنواتها الآتية إلا الله بقوله (إلى مقيم لياليا) لكم أدّى اسم الفاعل فى جواب إن المؤكدة مفهوم الثواء الأبدىّ ، ولكم أدت كلمة (لياليا) هنا - ببساطة مذهلة - مفهوم الزمن السرمدىّ المطلق الذى لا يحد بغير إرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته .

وبوسعنا من غير شك أن نغفر للشاعر اضطراب التماساته وتداخل انفعالاته وتصوراته لهول ما كان فيه ، إنه - قبل أن يفصّل ما يودّه إثر امتلال الروح من جسده - يلتمس منهما ألّا يتعجلا أمره وأن يصبرا عليه إن طالت فترة الاحتضار ، عليهما أن يتلبّثا به يوما وبعضا من ليلة إن اقتضت الضرورة ، فقد بات ما به جليا وبرح الخفاء .. إنه فراق إلى غير لقاء ، ولما كان مالك يلتمس ولمّا يزل حيا ، فهو إن ينبض برغبات الأحياء ، ويتنفس غوالزهم فى الاجتماع والائتناس بالناس ، إن مالكا إنسان حتى الرمق الأخير إذ يرجوهما ألّا يتعجلا فراقه ، إنه متشبث بهويته إلى أن يحول ويدخل إلى ملكوت المجهول ، وهو لا يكتفى - إذ تلح عليه غريزة الاجتماع والتشبث بالحياة - بأن يلتمس إقامتهما معه بصيغة الأمر (أقيما على اليوم) وإنما يكثفها مؤكدا بصيغة النهى (ولا تعجلانى) ثم يعلل الأمر الملتمس والنهى الراجى كليهما بقوله (قد تبيّن مابيا) إنه متشبث بهما لأنهما جسره إلى الحياة ، وإذا ما انصرفا لطيتهما انهدم ذلك الجسر إلى الأبد ، ونراه فى البيت التالى يصوّر اللحظة الرهيبة - لحظة خروج الروح من الجسد - بأنها انتزاع وامتلال ، والحقيقة أن عنف الاستعارة هنا لا ينفصل عن إيغال مالك فى العضّ بالنواجذ على الحياة والتشبث المطلق بها والأسى الفادح لفراقها ، وتأسيسا على ذلك لا مناص لتلقائية الخيال من أن تتمثل خروج روح صاحب تلك المنازع كلها خروجا مُتأبّياً عصيبا يصدق وصفه بالامتلال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاستعارة هنا نابعة من كيان فارس فى حياته وفارس فى مماته ، إنها روح مالك .. الريب

للسلام قد وسمه جدّ الترحال وامتطاء السوق العناق الشداد والسعي تجاه ما يسعى إليه الفارس المقدام أيام سلمه وطمأنينته ، ثم لا يعدم في البيت الأخير أن يستدير مرة أخرى إلى وجه العنف والحرب في حياته ، فيقول انه موجود هناك في حومة رحاها الدائرة المستديرة ، لا ينكص أو يتردد ولا يتحاشى الإقدام ، ولقد صوّر مالك – بالاستعارة التصريحية – في صدر البيت – هول تلك الحرب وشراستها ، إذ لا فخر له ولا لغيره في أن يخوض حرباهينة ضد خصوم مهزولين ، ثم يكني في عجز البيت مؤكداً على دموية تلك الحرب وأنه فيها قطب معدود وهدف مقصود من خصومه لثقل وزن في تحديد قيمة جيشه ومدى فاعليته ، غير أن أقصى ما يدركه منه الأعداء لا يتعدّى الإصابات الفوقية التي لا تتجاوز جلد الجسد إلى أغواره العميقة القاتلة ، إنها إصابات تخدشه بها أطراف الرماح فحسب ، وليس للرماح أن تغور في جسده للتعامل مع مناط الحياة والموت في ذلك الجسد ، وقد استخدم الشاعر قوله (ليا ليا) في قافية البيت الخامس للدلالة على الجلد الذي تحت تلك الثياب في نمط من أنماط المجاز المرسل .

ونحن نتقبل من مالك أن يعود لسيرته الحربية مرة أخرى في البيت آنف الذكر ، بعد أن خاض فيها قبلا وتجاوزها ، وذلك مقبول إذا ما وصلناه بذلك الجيشان المتوفز الذي يعاني من سكراته مالك المحتضر ، فضلا عن إلحاح قيمة الفروسية على الباقي من شعوره والكامن من لا شعوره في تحديد هويته ومكانته حيا وميتا .

ولا يلبث شاعرنا في انتفاضات روحه أن يستحضر آله بني مازن ، وحرصه على أن يُنعَى إليهم ، وليس من يقوم بذلك سوى شاهدَيْ موته و دافنيْه ، وهما – على الأرجح – من قبيلته ، أو من قبيلة أخرى مجاورة ، إنه يخاطبهما قائلا :

٢٩ – وقُومَا على بئر الشُّبَيْكِ فأَسْبِعا ... بها الوحش والبيضَ الحسان الرَّوانيا

بأنكما خلفتماني بقفرة ... تهيلُ عليّ الريحُ فيها السوافيا

٣١ – ولا تنسيا عهدي ، خليليّ ، إنني ... تقطّعُ أوصالي وتبلى عظاميا

فلن يعدم الولدانُ بيتا يجُنني ولن يُعدم الميراثُ مني الموالِيا

إنه يلتمس منهما الذهاب إلى هذا المعلم الذى لابد من أن يتوافد إليه الفارنبون وأن يتجمعوا للسقاء والرىّ عند بئر الشبيك ، وهناك يعلنان للملأ موت ولدهم وفارسهم مالك ، غير أن مالكا الذى عاش فاتكا قانصا لاهيا ، يخص بالذكر فى عجز أول الأبيات ما يتداعى إليه بين لوازم تلك الحياة .. إنه يتذكر ويذكر ابتداء إناثه ، وحسناوات متعه ذوات العيون السود الروانى ، وكأن الجميع بانتظار أوبته من رحلته التى لا أوبة منها إلا إلى الموت ، إنه لن يعود إلى أبعاض غالية من حياته لأنه قد انتهى فى خراسان وأودعه العائدان قبراً منفرداً فى صحراء مرو ، وإن الرياح لتكشف ذلك القبر من جنباته كلها ، وتهيل عليه من ذر ترابها السافى ما يشمله ويغطيه ، وفى اتساق مع تردد أنفاس المحتضر ، يلح مالك على رفيقيه ، وهما آخر جسوره إلى دنيا الناس ، بألّا ينسيا وصاياه التى باتت الآن أشبه ما تكون برغبات المحكوم عليهم بالإعدام ، إن الفناء سيلتقمه شلوا شلواً بعد إذ تمزقه أصابعه الرهيبة مزقا ، وسينخر منه البلى العظام فتتفتت – رغم تأبيها عليه ومن ثم تتلاشى ، ولغة الشاعر هنا تصّاعد من كيان يفزع فزعا من الموت والفناء ، وقد تجسد ذلك الفزع من ملاقاتهما تجسداً مادياً بالكلمات والأصوات ، وبتحاشى ذكرهما تماما ، ومن ثم يرد الفعلان المجسّدان هول الموت وبشاعة الفناء مبنيين للمجهول فى قوله (تُقطع أوصالى) و(تُبلى عظامى) ، إن مالكا بين أيدينا ههنا قد تعرّى من صلابة الفارس وجبروته ليتدثر غضاضة الطفولة العفوية البريئة الملساء ، وإنّه إذ ضيعه الموت واخترمه ، فإنه الرجل الذى لم يضيّع ورثته ، ولم يغفل مسئوليته حيا وميتا – تجاههم ، فداره التى آوى إليها طيلة حياته ، هى لولدانه من بعده ملاذ وحماية ، وللأنصار والموالين من ذوى رحمه نصيبهم من تراثه وباقيه الموروث .

ونرصد فى الأبيات الأربعة السابقة انبثاق الأداء الفنى محمولاً على اللغة المُصَوِّرة الموحية ، ذلك أن جهارة الإعلان عن الموت بما يناسب فارسا فى حجم مالك ، تقتضى أن يكون ذلك الإعلان برأس معلم من معالم ديار مازن هو بئر الشبيك ، وفضلا عن ذلك عبّرت الصورة الكنائية فى قوله (أسمعا بها

الوحش والبيض الحسان الروانيا) عن أفقين رئيسين من آفاق حياة مالك الفارس الإنسان ، والبيت التالى - بأكمله - كناية معتمة الدلالة باكية الألفاظ عن الصيرورة إلى الموت : إنه يُتْرَكُ فى القفر المرعب الخالى ، وحيداً ، تعصف به الرياح وتهيل عليه من سوافيها ، وتكتف الفناء المخيف فى البيت التالى مكنّى عنه بالأوصال التى تقطع والعظام التى تبلى ، ثم نلمس فى رابع الأبيات ذلك التَلَمُّسَ الغريزى للبقاء المعنوى إذ يتأبّى على ابن الريب دميمة البقاء بمادة الجسد ، إنه الامتداد الباقى بالتراث الذى يخلفه الفانى للمقيمين من بعده ، متمثلا فيما سينعم به من بعد مالك ولدانه وخلصاؤه .

ولا يلبث مالك أن يأخذ فى نوبة حرّى من التذب العنيف والنشيج المعول ، تصّاعد بكيانه المستسلم آنا بعد آنّ ، فيقول فى ثلاثة أبيات مُرّةٍ مكفهرة :

٣٣ - يقولون لا تبعد وهم يدفنونى ... وأين مكانُ البُعْدِ إلّا مكانيا ؟
٣٤ - غداةَ غدٍ ، يالهف نفسى على غدٍ ... إذا أدْلَجوا عنى وأصبحتُ ثاويا
٣٥ - وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ ... لغيرى ، وكان المال بالأمس ماليا

إن التميز الحاد لمرارة التجربة الفنية وأصالتها فى هذا النص ، يتركز فى ذلك اليقين الثابت الذى تمطى بلب مالك وإدراكاته كلها بأنه ميت لا محالة ، ثم عكوفه الصوفى المتوحّد حينا ، والمادى المتكفىء المتشبث بحطام دنياه حينا آخر ، على تأمل ذلك الفناء الذى يدب فيه دبيبا ، وإننا لنعلم أن جل الأموات من بنى الإنسان - على غير ما كان عليه مالك - لا تنبت حبالهم بالحياة إطلاقا إلى أن يسلموا الرمق الأخير ، وذلك - فى الحقيقة - هو التميز الجوهرى الذى وهب تلك التجربة زخمها وعبقها الخاص ، إن مالكا ليضعنا فى القلب من هول مأساة إدراكه لحتمية انتهائه إلى الموت ، التى هى - كما أسلفنا - أشبه بهول معاناة المحكوم عليهم بالإعدام ، حين يقابل فى صدر أول الأبيات بين أقوال مواسية لا يصدقها من رفيقيه ، وبين أفعال كئيبة كابية يصدقها بكل خلجة حيّة باقية فى كيانه المتهرىء ، إنهم - بألسنتهم المواسية ، وبمناجرهم الصائتة - يتمسكون به ، ويدّعونه للبقاء ، وبألّا يرحل ، ولكنهم - بأفعالهم

التي تكذب تلك الأقوال وتجسد هول واقعه المعيش - قد حفروا قبره ، وأعدوا غسله وكفنه ، وتلك خطوات فعلية في طقوس دفنه ، تؤكد ألّا فكاك له من أن يرحل الرحيل الأبدي ، وهل أبعد للإنسان عن أحبائه وذويه من جدث يطبق عليه ، وإن كان دانيا منهم قالما بين ظهرانيهم ؟ إنه القريب غاية القرب ، البعيد غاية البعد ، إنّ هذا الحدث قد حدّد حدوداً كونية لا تجتاز أبداً بين عالمين منفصلين يستحيل أن تمتد بينهما الجسور ، والمقابلة لا تقوم في صدر البيت بين المضمونين فحسب ، وإنما هي ماثلة في الصياغة الموسيقية واللغوية كذلك ، ولا يخفى علينا التضاد بين انقباض الأداء اللغوي والصوتي في الفعل المجزوم بلا الناهية في قولهم له : (لا تبعد) ، وبين انبساطه وامتداده وتكثيفه في الجملة الاسمية التي تركز مرارة معاناة الحقيقة حين يعقب بقوله (وهم يدفنوني) ، والإحساس الملتبس بالمعنى قد تعمق وانبسط هنا بمفردات لغة الشاعر جميعا : صوتيا ، من حيث تجسده في وحدتين من وحدات بحر الطويل ، بحر القصيدة : (فعولن مفاعلين) ، على حين تخلقت كلمتهم المزجاة بالمجاملة ومجافاة الحقيقة (لا تبعد) في أقل من وحدة من وحدات البحر ، إنها مشمولة بالإيقاع (مفاعيلن) ناقصا متحركه الأول ، ولغويا : من حيث تقلص الصياغة في مقول القول إلى فعل منهيّ عنه أضمر فاعله ، وحلت السكون الخانقة المختنقة على آخره محل امتداد ضمة الرفع على الأصل قبل دخول أداة النهي الجازمة عليه ، على حين كثفت الصياغة المضمونَ في قوله : (وهم يدفنوني) بواو الحال ، ثم بالجملة الاسمية التي أخبر فيها عن المبتدأ (هم) بجملة فعلية هي (يدفنوني) ، ثم بورود فعل هذه الجملة الخبرية تام البنية بثبوت نون الرفع فيه ، وبروز فاعله ومفعوله كليهما ، وفي عجز البيت أدت لغة الشعر المكثفة بنوع من الوجد الشاهق مالا يحُدّ من المشاعر والإدراكات عن رعب مالك من ذلك المجهول الذي يُطوِّح به إليه الموت ، ولقد أدى الاستفهام البلاغي في قوله (وأين) شعوراً مرعبا بالاستهوال المتوفز ، فضلا عن النفي النسبي للبعد عن أي مكان يحله الإنسان مقارنا بمستقره وبرزخه المضبب بدخان المصير المجهول ، والمكفهر بأقصى المعاناة والانقطاع والاغتراب بعد الموت ، ثم حسمت ألّا كل دلالات البعد ،

وقصرتها على قبره خاصة دون سائر رموز النأى والشتات الدنيوية أيا كانت ، إنه المصير الذى سيباشره من فوره وسيتفاقم فى وقت وشيك هو صباح الغد ، حين يدير الرفاق لقبره ظهورهم ، ويمضون لطياتهم راحلين وقد تركوه مقيما إقامته الأبدية ... فيا هول ما ينتظره من مخاوف الانقطاع للموت فى مفازة مرو ، وقد أطبق الاغتراب على رفاته بعد أن التهم شطراً غير قليل من حياته ، إنه العزلة والاغتراب فى تابوت من جليد الموت ورهبوت الفناء ، وهل من مثير للهلع وغاية الشجن والأسى من الغد الرهيب الآتى أكثر من انطوائه على ذلك الهول كلهُ ؟ إن رعب مالك من حقيقة الموت رعب غريزى جاهلىّ فى آن معا ... فلا دفاع فى أن البشر سواء فى انطوائهم على أقصى الخوف من المجهول المتفجّر فى حقيقة الموت ، وهو مجهول مرعب تُفاقِمُ منه ظواهره المادية المؤكدة المائلة فى قبر الأجساد وانغمارها بالتراب ، ثم وحشة الانفراد فى ظلمات اللحود ، وما يلى ذلك من تعفن الأجساد وتسلّط دود الأرض عليها ، ثم انتخار العظام واستشراء البلى فيها ، إن المجهول من الموت يتضخم تضخما سرطانيا بواعية الإنسان الحى أو المحتضر ، وتلك هى حقائق الأشياء بمنظور الطبيعة الإنسانية والمفهوم الجاهلىّ الذى غالبا ما كان يقيس الحياة والموت بمقاييس المادة ، وقد غابت عنه – أو كادت – حقيقة البعث المسبوق بحساب القبر وارتباط ذلك كله بما كسبه الإنسان أو اكتسبه من دنياه الفانية لأخراه الباقية ، وتلك الحقيقة الدينية الوضاءة هى التى تطامن من جبروت الرعب المنبث فى حقيقة الموت لدى غير قليل من المؤمنين صادق الإيمان وذوى الصلات الحميمة بالملكوت الأعلى قلوبا وسلوكا ، وفيما يقول النص بين أيدينا ، يبدو أن ذلك التمثل الدينّى النورانى قد غاب عن دخيلة مالك أوغام فيها .. ذلك هو التفسير البادى – فيما نرى – لهذا الهلع المتفاقم الذى قبض على أنفاس مالك وشهقاته الأخيرة جميعا ، ولا مناص لنا من أن نقول بأن روح التدين لم يلفتنا فى تلك القصيدة الطويلة إلا على استحياء شكلى حذر فى بيتها الرابع إذ يقول :

ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا ؟

وقد تناولناه آنفا ، ورأينا دلالته على اضطراب مشاعر مالك واختلاطها إذ يُقيِّمُ تجربة رحلته إلى خراسان بصحبة سعيد بن عثمان ، وذلك لامتزاج سلبيات التجربة إنسانيا وواقعيا - بإيجابياتها ، فقد كان أن انتهى ذلك التحوّل فى مسار حياة مالك - أيا كانت دوافعه إليه - إلى المرض والوحدة المعزولة المغتربة ثم الموت فى مفازة من جليد الحرمان ممّا يتوق إليه المحتضر من ومضات المودة والحنان ، هذا فضلا عن الحرمان من أن تثوى رفاته فى حمى وطنه وأله ومناط أزهى أيامه وأحفل ذكرياته ، ولاشك أن ايثاق الوجدان الإسلامى الحميم بدخيلة امرىء محتضر ، كان قمينا بأن يطامن شيئا ماً من ذلك الجحيم المستعر بأغوار مالك حين باشره الموت .

ونحن حريون بهدى من ذلك كله أن نذهب - على استحياء - إلى تصوّر لا يناقض معطيات النص ، تُفسِّرُ فى ضوئه ارتحال مالك إلى خراسان بصحبة سعيد بن عثمان : لقد كان مالك إلى أن قابله سعيد فاتكا قاطع طريق ، وحين وجّه سعيد لسيرته تلك ، وعرض عليه الانضمام إلى جند الغزو ، رأى مالك فى ذلك بديلا ملائما يردّ إليه اعتباره المسلوب لخروجه على القانون ، بل يضيف إليه شرف حمل لواء الدين والغزو فى سبيله ، ولا يحرمه - فى الوقت ذاته - مما اعتاده طيلة حياته من ميل إلى الفتك والغنم من ورائه ، وسيصبح الفتك فى خراسان مشروعا ، بل ومطلوبا لأنه استجابة لوازع دينى وتحقيق لمطلب الدولة ، سيصبح الغنم مشروعا كذلك ، لأنه ليس اغتصابا فرديا كما كان الحال فى سطوات قطع الطريق من قبل ، وإنما هو غنيمة الحرب المدعومة بسند من شريعتها ومن شريعة الدين كذلك ، ويبدو لنا أن تديّن مالك لم يتجاوز نطاق الإيمان النمطى إلى أفقه الأعلى الذى يدرك بصاحبه باحة رحبة من نورانية اليقين وشفافية الوجدان ، كان مالك - فيما يقول النص - مسلما من أفراد المسلمين المشغولين بدنياهم ، أكثر مما تعنيهم نهايتهم وشؤون أخراهم ، ولم يكن - إلى نهاية عمره ، وفيما يقول النص صراحة - من النسّاك أو العباد المنقطعين إلى ما بعد الحياة وقد بتُّوا ما بينهم وبين الحياة ، لم يكن ممّن يقبلون على أخراهم بقلوب هاشة باشة على مرقاة من ألق النفس وصفاء الوجدان والضمير ، وإنما كان الرجل مسلماً عاديا - شأننا جميعا - تشابكت أسبابه

بدنياه ، أكثر بكثير من تواصفها بما بعدها ، ومن ثم ، تضحت قصيدته الرائعة بذلك كله ، تضحت بالأسف على الرحيل إلى خراسان ، وبالأنين من مرارة الاغتراب ، وبالفزع المفتاع من الموت بمنأى من دفء ذوى الرحم ، وتضحت كذلك بكراهية الثواء فى قبر ناءٍ عن نجد ، وبالحنين الجارف إلى رملها ونبتها وحيوانها وحيوانها ونسائها ، وسنرى فى الآتى من القصيدة تعلق الرجل - وهو بغومة الاحتضار - بوشائج الحرب والامتلاك والتعبير الجاهلى العنيف عن الحداد والحزن ، ونحن لا نصادر على مالك تلك المشاعر البشرية الصميمة المغرقة فى إنسانيتها أو ننعيها عليه ، ولكننا نقول إن عشاق الله المتجردين ، المرتمين على أعتاب رضوانه ، الراحلين دوماً إليه وفى سبيله ، يكون شأنهم مع الامتلاك والأهل والحياة والموت وما بعد الموت على غير ما كان عليه مالك إذ باشره الموت على أسوار مرو ، بعد حياته التى ألممنا بخطوطها البارزة آنفا ، ويؤكد ذلك ما الاستشراف المادىّ لنتائج الموت لدى مالك ، إذ يئنُّ بأسفه فى البيت التالى لصيرورة تراثه من مال ومتاع مُقْتَنىً ، قديم وحديث ، إلى سواه ، بعد أن اكتسبه بكدّ عمره ، وكان المتصرف الأوحد فيه ، والمال بالمنظور الإسلامى مال الله ، وما نحن إلا موكلون فيه ، ولتلك الوكالة الدنيوية شرائط استحسان واستقباح وحدود تُفصِّلُها ، وهى على أية حال تنتهى بانتهاء الأجل ، وينقطع ابن آدم فى أحراه عن دنياه إلا من عَمَلٍ صالح قد اكتسبه ، أو علم نافع خلفه ، أو دعاء ولد مستقيم على طريق الله قد أنجبه ، وجليٌّ أن خفقات مالك عن تفاصيل ماله الذى سيؤول إلى سواه لا تصدرُ عن ذلك التمثل الإسلامى الذى أوردناه .

ولأن مالكا يخاف ما بعد الموت ويرتعب منه ، بل هو فى الحقيقة لمّا يزل متشبثا بدنياه إلى آخر نزع فيه ، ما يعنم أن يرتد إلى تفاصيل وقائعه ومسارات حياته المتلبسة بمفردات دنياه من أماكن حرب أو ملاعب سلم ، واحتمالات ما انتهى إليه - من بعده - ذلك كله .. يقول :

٣٦ - فياليت شِعْرى هل تغيّرتْ الرحى ... رحى الحربِ أم أضحت بفَلْج كماهيا
٣٧ - إذا القومُ حلّوها جميعاً وأنزلوا ... بها بقراً خُمَّ العيون سواجيا

٣٨ رعين وقد كان الظلامُ يجُنُّها يسفى الخزامى نورها والأقاحيا
٣٩ وهل ترك العيسُ المراقيل بالضحى تعاليها تعلو المتون الفيافيا
٤٠ إذا عُصِبُ الركبان بين عُنيزةٍ وبولان عاجوا للنقيبات المهاريا

إن مناخ فارس الدنيا قد قهر فى مالك منازع مُتعبِّد الآخرة ، إنه لمتشبث بفروسيته ودنياه ، متشوق - وهو بحضرة الموت - إلى أن يعرف مصير الحرب التى كانت شباها مستعرة ، ورحاها دائرة بأرض الفلج حين اتجه إلى خراسان قبل سنين عددا ، إنه يتمنى لو يعرف صيرورتها إلى انتهاء ، أو بقاءها تطحن ضحاياها من الفرسان المتقاتلين ، لقد خاض القوم جميعا غمار الحرب ، وأسهموا فيها بما يعين عليها وعلى الاستمرار فيها من قطعان البقر الشاخصة بعيون سود حميمة ، لقد حتم التستر وتوقى الانكشاف أن ترعى تلك القطعان فى حمى الليل ، تجنّها ظلمته عن رصد الأعداء ومسهامهم ، وفى دثار من خفاء الليل وعتمته يرعين ويشممن نور الأقاحى والخزامى ، إن مالكا فى غمرات موته غارق حتى قرارته فيما كان من شئون دنياه ، ومحورها الحرب والفتك ، وما يزال فى خيال موته متشوقا لمعرفة مسار صراعات القبيلة وانعكاساتها على تفاصيل حياتها ، لقد كانت العيس تصّاعد نهاراً إلى الهضاب المرتفعة الصلبة ، تجيا تبلايا الحرب وتصيّد الخصوم ، وكانت جماعات الفرسان يغدون للشدّ من أزر المقاتلين مارّين بعنيزة وبولان ، حائدين بسمين النياق المهازى المجلوبة للإمداد عن مواضع خطر الخصوم المقاتلين ... ترى أما يزال ذلك كله كما خلفه مالك يوم رحل إلى خراسان ، أو تغيّر ؟

نحن هنا فى الحقيقة أمام حياة جاهلية تماما ، سواء بما كانت عليه فعلاً ، أم بمردودها الممتزج بوعى ولا وعى فارسنا المحتضر مالك .. إن تمثله لعلاقة الإنسان بالدنيا ومتعلقاتها المادية المملوكة ، فضلا عن ذلك الرعب المرتعش المتوحس من الموت وما بعده ، كما رأينا آنفا ، ثم ذلك الاستدعاء المُلِحّ لمعالم الحرب القبلية وأصولها وتقاليدها ، كل ذلك صادر عن وجدان جاهلى صرف ، وإن كان صاحبه قدمات بعد ستين سنة من الهجرة .

وما يعتم مالك - فى تداعيات روحه ووجدانه الغائمين فى غلالات الموت

أن يبدأ من سياحات المعارك إلى باحات [illegible] ، فيتشوق إلى المستقبل بصيغة الماضي ، يتلهف إلى معرفة ما سيفجّره نبأ موته بدخيلة الأم العجوز ، ثم يمعن في تفصيل وصيته الجنائزية لها .. يقول مالك :

٤١ ويا ليت شعري : هل بكت أمُّ مالكٍ كما كنتُ .. لو عالوا نعيّكِ باكيا ؟
٤٢ - إذا مت فاعتادي القبور وسلّمي على الرّمس أُسقيتِ السّحاب الغواديا
٤٣ - ترى حدثا جرّت الرّيحُ فوقه غباراً كلون القسطلاني هابيا
٤٤ رهينة أحجار وبئر تضمّنتْ قرارتُها مني العظام البواليا

إنه تواق توق من لا يرتكن إلى شيء بعد الموت ، كي يرتكن إلى قيمته لدى الآخرين مجسّدة في انعكاسات موته عليهم ، إنها الرغبة الأخيرة في توكيد الذات - قبل العدم - لدى الفارس الذي تداعى : مالك بن الريب .. إنه يود لو يعرف ردّ فعل موته بدخيلة الأم ، تُراها ستبكيه بما يجدر به ، وبما كان سيبكيها هو به من أحزان الفجيعة ومدامعها لو أنها سبقته إلى الموت وكان النعيّ المعلن نعيّها لا نعيه هو ؟

ولا تلبث طقوس الجاهلية في الحداد والأحزان أن تتمثل في البيت التالي حين يطلب مالك إلى أمّه أن تلزم المقابر حداداً عليه ، وأن تتخيل قبره بين تلك الأجداث ، وكأن كل القبور يذكر بمالك ، وتقرأه السلام ، وتزجي إليه المودة ، إن مالكا في تمنياته الملتاعة تلك ، يحفز الأم ، بأن يستمطر لها السماء غيثا ساقيا ، ولا غرابة في أن تختلط الحقائق بالأمنيات بالأوهام في حميّا الاحتضار بذلك الكيان المتصدّع ، إن قبره الذي احتفره رفيقاه بربوة عالية بخراسان ، قد اجتاز المفازات عبر برزخ احتضاره ، ومن ثم صار في مدافن بني مازن والريب بنجد ، وعلى ذلك رأينا الأم - وفقا لمشيئة الولد - قد لازمته وأهدته المودة وعبق التحية ، ونراها في البيت التالي وقد استدلت عليه بهدى من أوصاف مالك لقبره بعد حين من موته ، إنها ليست معطيات العقل الواعي ، وإنما هي شهقات الوجدان المخبل بتقلصات انتزاع الرمق الأخير ، إن مالكا قد عاين قبره ببصيرته عبر المستحيل ، إن ما سيكون قد كان ، والآتي قد تشخّصَ في الآنيّ ، يصّاعد هذا عبر واقعه النفسي المعيش في تخبطات الموت ، وها هو يرشد الأم الثكلى إلى جدثه : إنه قبر

خرافيٌّ دام يقطر بحمره الشفق وأرجوانه ، بعد إذ عصفت به الريح فسربلته من هبائها ثوبا قسطلانيا قانيا ، إنه ثاو ، حبيس لحده ذى الحجارة الصلدة والتراب المنعفر ، وقد استقرت بقايا عظامه الباليات بقرارة ذلك الجدث ، وإننا لنرصد مرة أخرى - صورة غير إسلامية ، مادّيّة وقبيحة ، لمصير الإنسان بعد الموت ، ولا دفاع فى أنها مغايرة تماما لما يمكن أن نتمثله لذلك المصير عبر وجدان تحقق ببرد الإيمان وعذوبة اليقين .

وإذا يفرغ مالك من رصف جسر الأسى الممتد بينه وبين أمه ، يشخص بمزيج حلمه الغائم وغيوبته اليقظة إلى قبيلته ، وإلى آله خاصة ، ثم إلى خصومه ومواليه فيقول :

٤٥ - فيا راكباً إما عَرَضْتَ فبلِّغَنْ بنى مالك والربب ألّا تلاقيا
٤٦ - وأبلغ أخى عمراء بُرْدى ومئزرى وبلغ عجوزى اليوم ألا تدانيا
٤٧ - وسَلِّمْ على شيخىّ منى كليهما كثيرا ، وعمّى وابن عمى وخاليا
٤٨ - وعطل قلوصى فى الركاب فإنها ستُبْرِدُ أكبادا وتُبكى البواكيا

إنه يوصى رفاقه العائدين إلى نجد بعد أن يدفنوه فى خراسان ، بأن ينعوه إلى قبيلته ، إنه يكنى عن الموت بنفى احتمال اللقاء بينه وبينهم ، وبعد أن يوصى لأخيه ببرده ومئزره ، يلتمس من رفاقه أن ينعوه إلى زوجته ، مكنيا عن موته مرة أخرى بنفى احتمال الاقتراب أو اللقاء بينهما ، ثم يوصى بسلامه إلى والديه ، وقد أشار فى بداية القصيدة إلى أنهما عارضا سفره إلى خراسان ونهياه عنه :

ودرّ كبيرىَّ اللذين كليهما علىّ شفيقٌ ناصح ما ألانيا

وقبل قليل ، رأينا تلهفه المأزوم إلى أن تبكيه أمه ، وأن تلازم المقابر حداداً عليه ، وسلامه مُوصًى به كذلك إلى ابن عمه ، وخاله . وفى رابع الأبيات يوصى مالك بأن تُعْفى ناقته من العمل ، وألّا تعد للركوب بعده ، وعليهم أن يطلقوها فى الحمى دون قيود ، ومرآها دون صاحبها مالك قمين بأن يهيج خصومه وأن يحزن خلصاءه ومحبيه ، إنه يكنى عن سعادة شانئيه بموته

بقوله (ستبرد أكبادا) فيصور غاية راحتهم وسعادتهم بذلك ، ثم يقابل بين مشاعر الخصوم والأوفاء بقوله : (وتبكى البواكيا) .

ولا يلبث أن ينسحب من جمى قبيلته بنجد إلى مفارة احتضاره بخراسان مارقا عبر الزمان والمكان ، وقد كادا أن يتلاشيا فى تهويمات النزع الأخير ، إنه ما يزال فى محل تداعبه فوق راحلته ، مُتخيِّطا فى ارتطامات موته الدّانى وفى تشوقه الدبيح وفى اغترابه ، إنه للُحائرُ الذى يتلمس المستحيل من أعين نساء بيته ، يهدهدن عذابات انتهائه بنظراتهن الحانية المؤاسية .. يقول مالك .

٤٩ - أُقلِّب طرفى فوق رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مُراعيا

ودلالة الفعل المزيد (أُقلِّبُ) بتضعيف لامه على غاية الشتت وتوزع النفس جليّة ظاهرة ، إضافة إلى أن البحث عن الأحباب هنا ليس بالبصر الذى فلهّ مرض الاحتضار ، إنه بالوجدان المتوقد والبصيرة المشحوذة على سنان الموتى الدانى ، ولقد استخدم التقلب استخداماً ربانيا معجزاً للدلالة على حيرة سيدنا رسول الله ﷺ ، قبل أن يُحسم أمر القبلة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وذلك فى قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » ١٤٤ البقرة ويتكثف معيس احتياج مالك إلى الدفء الأسرى ودعته فى التعبير باسم الفاعل عوضا عن الفعل فى قوله (مراعيا) ولكنه فى تراوحه بين الوهم والحقيقة - يكتشف استحالة مبتغاه ، ويقر بأنه مقضىّ عليه بأن يفارق دنياه دون أن يحظى بذلك .

ولا يلبث مالك فى انتفاضاته التعويضية ، ونابعا من بؤرة إحساسه بنفسه ، لا يلبث أن يسبح فى موجات أسًى لابد من أن تجتاح الغريب المشتاق المحتضر ، الذى - من أسف - لا يستظل بما يستظل به أقوياء الإيمان بعد الموت ، إن الروح المُعنَّى بكل ما أسلفناه من قلق المتوتر بالاغتراب والاشتياق والعزلة ، فضلا عن الهول الأكبر ماثلا فى الموت وما بعد الموت ، لا يلبث هذا الروح المعنى بذلك المدير الكونى الواقعى الخرافىّ أن يكمل نصف قطر الدائرة فيغلقها ليستقر بروحه فى مركزها رغم استحالات الزمان والمكان ، لقد بدأ نديه الباقى هذا لنفسه بالتحويم حول نجد وتمنيها ، واستدعاء عمره الضائع فيها

حين قال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا

ونراه فى ثلاثة الأبيات الأخيرة من القصيدة ينتهى إلى فردوسه الدنيوى المفقود ، ويهبط بعد أن أجهده التحليق إلى الرمل فى قلب نجد ، وقد استبدل مقبرة الوهم بالوطن ، بمقبرة الواقع فى مفازات مرو ، إنه خداع النفس الرائع ... البديل الجميل عن قبح الواقع المعيش ودمامته ... يقول مالك :

٥٠ وبالرمل منى نِسْوَةٌ لو شهِدْنني ... بكَيْن ، وفدَيْن الطبيب المداويا
٥١ – فمنهن أمى وابنتاها وخالتى ... وباكيةٌ أخرى تُهيجُ البواكيا
٥٢ – وما كان عَهْدُ الرَّمْلِ منى وأهله ... ذميما ، ولا وَدَّعتُ بالرَّمل قاليا[٣٤]

إن نسوته فى ديار برمل نجد ، ليعصف بهن الحزن ويعتصرهن الأسى مدامع ثرة ، لو قُدر لهن مباشرة مأساته ومعاناته عذابات مرضه واحتضاره ، وإنهن – لفرط تفانيهن فيه ، وإعزازهن الفائق إياه – ليفدين حياته بحياتهن ، ومحمولاً على الكناية المصوّرة كشف مالك ذلك الإعزاز المُفَدَّى بقوله إنهن يفدين بحياتهن الطبيب إن كان فى مكنته استنقاذه من براثن الموت ، إنه مُفَدَّى من رتل متتابع من نساء بيته ، بدءاً بالأم : وهى الثكلى الأولى وصاحبة الوجيعة الأوفى ، يشاركها الفجيعة ابنتاها اختا مالك ، وخالته ، ثم يكنى مالك عن زوجته التى يتعين – وفقا للأعراف أن تكون أفدح النسوة جزعا ، وأن يكون بكاؤها المتواصل الموجع بقدر فقدها الشامل ، ومن ثم فهى مصدر ثر لبكاء الأخريات المشاركات فى تلك المَنَاحة التى لا مناص لنا من أن نرصد جاهليتها الواضحة وشجاعيها البيّن عن مفهوم الحزن فى الإسلام .

إن مالكا قد استراح إلى أن يُدفن بالوهم فى قبر من رمال نجد وشهقات نساء بيته ومدامعهن المعولة ، وكان هذا هو المناح الوحيد إزاء الجسد المتهالك بين فكّى الموت ، وقد فغر قبره بصحراء مرو فاه ليلتقمه ، وتأبى شاعرية الفارس المأزوم أزمة حياته وموته أن يتركنا فى ضبابية تقييمنا لمردود رحيله من نجد وانتهائه فى خراسان ، إنه الندم الصريح الذى لا خفاء فيه ، والحسرة الكابية على كل ما كان : على ما تركه بنجد وأدركه بخراسان جميعا ، إن محصلة

التجربة كلها وجيعة مريرة لفقده فردوسه الأرضي وطناً وأودّاء ، وإخفاقه البيّن في التحقق بفردوس بديل بعد اغتراب الدنيا بمباشرة خراسان ، واغتراب الآخرة بمباشرة الموت :

وما كان عهْدُ الرمل مني وأهله ذميما ، ولا ودَّعْتُ بالرمل قالبا

لقد كانت أيام مالك بالرمل أيام مجد وفتك وانتهاب للذاذات واجتلاء للمتع ، وكان الناس من أقارب وأودّاء محبين محبوبين مؤْثِرين مأثورين ، وحينما شاء القدر لمالك أن يرافق سعيداً ، لم يغادر وطنه كارها أو مكروها ، إنه عن نفسه لم يرحل عن نجد كارها جافيا ، ولم يفارق عشيرته الأقربين وأصفياءه الأدنين مجانبا مخاصما ، بل رحل عن الوطن وعنهم مُحِبًّا محبوبا ، وغاب عنهم ظمآن مشتاقا ، ونحن - بعد - لسنا في حيرة من اختيار مالك لو قدر لتجربته

تلك أن تَرِدَهُ وقد كشف عنه الحجاب ، وتمثلت بإزائه النهايات قبل الأخذ بالأسباب ، نحن نذهب في هَدْيٍ من تمثلنا لنص مالك - إلى أنه ما كان ليصاحب سعيدا لو أدرك نهاياته قبل بداياته ، في رأينا النابع من معطيات الإبداع الفني في قصيدة مالك ، أنه كان سيختار نجد والرمل ولذاذات السلام وفتكات الحرب والارتماء المشتاق بأحضان ذوي رَحِمِه وخلصائه ، فذلك هو فردوسه الأرضي الذي نأى عنه على أمل العودة إليه أفضل مما كان حين فارقه ، فلما قُدِّرَ له غير ما قدّر وتصوّر ، وجعلت منيته التي باشرته بمرو فراقه لوطنه وأحبائه فراقا أبَدِياً بائنا ، ندم ندم عمره ، وتوجع وجيعة حياته وموته حيث لا جدوى من ندم ، ولا منتهى لوجيعة إلا بصفائح جَدَثٍ قسطلاني سربله الشفق وهبو غبار الصحراء غلالة أسطورية داميه في لون الأرجوان ، واستقر مُنْفَرداً وحيداً على رأس ربوة بمفازة مروزية بأرض خراسان .

الحواشي والإحالات

(١) تراجع القصيدة بديوانه : ٢٢٩٩/٦ ومطلعها :

أفيضا دماً إن الرزايا لها قيم فليس كثيراً أن تجود لها بدم

ديوان ابن الرومي (علي بن العباس بن جريج) تحقيق د . حسين نقار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١ .

(٢) أبو العلاء المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان : شروح سقط الزند : ٩١٧/٣ ط دار الكتب القاهرة ١٩٤٨ ومطلع القصيدة :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

(٣) شروح سقط الزند : ٩٠٧/٢ - ٩٣٩ ومطلع قصيدة رثاء الأب :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

أما قصيدته الأولى في رثاء أمه ، فهي بسقط الزند أيضا : ١٤١٧/٤ - ١٤٣٢ ومطلعها :

سمعت نعيها صمي صمام وإن قال العواذل لا همام

(٤) ديوان ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) : ٩١ ، تحقيق وتكملة أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري ، نشرة دار الثقافة - لبنان ١٩٦٤ يراجع غرام الشاعر ومأساته والروايات المختلفة في ذلك بالمقدمة من ١٠ - ١٤ .

(٥) السابق : ٩٣ .

(٦) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٦٥ ، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .

(٧) شرح ديوان الخنساء : ١٣ : خبر قتل معاوية ، ٢٠ : خبر قتل صخر . ط دار التراث بيروت ١٩٦٨ .

(٨) ديوان الخنساء : ٤٩ دار صادر دار بيروت ١٩٦٠ .

(٩) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله مسلم) : الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء : ١٥٧ - ١٥٨ ، تحقيق وضبط الدكتور مفيد قميحة الطبعة الأولى ، دار الباز - دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١ ، ويراجع كذلك محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : ٢٠٤ السفر الأول شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني ١٩٧٤ .

(١٠) شوقي ضيف (دكتور) : الرثاء : ١٦ ط دار المعارف مصر ١٩٥٥ ، ويراجع كذلك : أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ٧٤٨/٢ ، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، يراجع ما يتصل بمقتل مالك ورثاء متمم له .

(١١) ديوان الهذليين : ١ - ٤ نشرة الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٥م « مصوّرة عن طبعة دار الكتب » وقد هلك له خمسة بنين في عام واحد أصابهم الطاعون ، وفي رواية : كان له سبعة بنين ، شربوا من لبن شربت منه حيّة ثم ماتت فيه فهلكوا في يوم واحد ، ديوان الهُذليين :

(١٢) ديوان ابن الرومي ٢/٦٢٥ ٦٢٧

(١٣) ديوان جرير (جرير بن عطية الخطفي) : ١٥٤ ط دار صادر دار بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

(١٤) الرثاء : ٣٦ .

(١٥) راجع القصيدة بديوان البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد) : ٢/١٠٤٧ وما بعدها ، تحقيق حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية ، دار المعارف مصر ١٩٧٢ .

(١٦) شروح سقط الزند : ٣/٩٧٤

(١٧) الشعر والشعراء : ١٨٥ ، ويقول ابن قتيبة : « مما سوءه ويزيد ابن خذاق ، قال أبو عمرو بن العلاء : أول شعر قيل في ذم المدح قول يزيد بن خذاق » .. ويورد الأبيات . وانظر كذلك الرثاء : ٣٠ .

(١٨) ديوان أبي نواس : ٣٠٤ ، وضع محمود كامل فريد ط دار الاستقامة القاهرة : ١٩٥٦ ، وانظر كذلك : الرثاء : ٣١ .

(١٩) ديوان أبي العتاهية : ٤٢٥ - دار صادر دار بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م .

(٢٠) السابق : ٢٦٨

(٢١) ديوان ابن شهيد الأندلسي : ٤٧ ، عني بجمعه CHARLES PELLAT ، أستاذ بالسوربون ، ط دار المكشوف ، لبنان ١٩٦٣ .

(٢٢) الرثاء : ٣٣ .

(٢٣) السابق : ٣٤ .

(٢٤) القال : أبو علي إسماعيل بن القاسم : كتاب الأمالي : ٢/١٢٢ ، بشرة دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، هذا وقد أورد ابن الشجري في حماسته ثلاثة أبيات مما أوردناه عن القالي ، وبترتيب غير ترتيبه ، فقد أورد الرابع يليه الثاني فالسادس ، راجع :

ابن الشجري : أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري : كتاب الحماسة (من جمعه) : ٥٥ ، تحقيق المستشرق فريتس كرنكو طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ ، وقد استبدل في اسم الشاعر لقب (القالي) بـ (الصعداني) عند القال فقال : عمرو بن براقة الثمالي .

(٢٥) ديوان مالك بن الريب ، حياته وشعره : ٩٩ تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، لجنة معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، المجلد الخامس عشر الجزء الأول ، ١٩٦٩ ، ويراجع كذلك : الشعر والشعراء : ١٦٦ .

(٢٦) الشعر والشعراء : ١٦٦ ، والبيت الثاني (رافعه) بالديوان : ٦٩ ؛ أما البيت الأول (النجار) فلم يرد نصا ، وأقرب معنى إليه قول مالك :

وأنياب سيخلفهن سيفي وكرات الكمي على النجار (الديوان : ٧٦)

وكلمة (الكمي) فيما أورده الديوان أنسب للمعنى والسياق من كلمة (الكميت) فيما أورده ابن قتيبة) .

(٢٧) الشعر والشعراء : ٤٠٧ .

(٢٨) ديوان مالك بن الريب : ٥٥ ويُراجع في ذلك :

أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد القرشي : كتاب الأغاني : ٢٢/٢٠٥ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج نشرة دار الثقافة العربية بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ويقول أبو الفرج « كان من أجمل الناس وجها وأحسنهم ثيابا » وكذلك : القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم : كتاب ذيل الأمالي والنوادر : ١٣٥ نشرة دار الكتاب العربي : بيروت - لبنان (د . ت) .

وكذلك : البغدادي (عبد القادر بن عمر) . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : ٢/٢١٠ ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشرة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض . ونقل البغدادي عن ذيل الأمالي أن مالكاً كان من أجمل العرب جمالاً وأبينهم بيانا .

(٢٩) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان : ١/٦٥ (أبرشهر) ط دار صادر دار بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

(٣٠) ديوان مالك بن الرّيب : ٨٩ ، وكذا الحاشية رقم (٣) بالصفحة نفسها .

(٣١) الزركلي . خير الدين : الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين : ٦/١٣٤ الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٣٢) ديوان الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن أحمد الحسين الطاهر : ١/١٨١ ، دار صادر بيروت) مجلدان (د . ت) .

(٣٣) « ألا = قصّر ، من قولك : ألا يألو » الجمهرة : ٢/٧٦١ حاشية (٢) والمعنى أنهما نصحاه بألا يذهب لم يرد البيت بالجمهرة ، ورأينا إثباته لاتصاله الوثيق بجانب أساس من حياة مالك هو حياة اللهو المُسْتَمْتِع ، فضلا عن أنه مواتٍ تماما للسياق ، وليدع البيت التالي بقوله (وطوراً) فالأقرب إلى الأذواق والاستعمال أن نقول (فطوراً) ثم نقول (وطوراً) وقد تتكرر الثانية غير مرة . وقد ذكر محقق الجمهرة البيت ضمن الهامش رقم (٤) ص ٧٦٣ نقلا عن الأمالي والاختيارين وخزانة الأدب ، كما أثبته محقق الديوان باختلاف في الصدر على النحو التالي :

فطوراً تراني في ظلال ونعمة وطوراً تراني والعتاق ركابيا (الديوان ٩٢)

(٣٤) اعتمدنا لتحليل القصيدة نصها بجمهرة أشعار العرب جـ ٢ من ص ٧٥٩ - ٧٦٧ إذ رأيناه أقرب النصوص إلى الصحة والقبول في خضم تيارات النحل والزيادات المحيطة بالقصيدة كما هو معروف ، وقد أكّد محقق الديوان تلك الظاهرة إذ يقول « أما عن نحل القصيدة فقد نقل أبو الفرج عن أبي عبيدة قوله : « الذي قاله مالك بن الريب ثلاثة عشر بيتا ، والباقي منحول ولّده الناس عليه » ثم يضيف : ويبدو أنّ اختلاطاً وقع بين قصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وأقنون التغلبيّ ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وقصيدة مالك ، لتشابه هذه القصائد في الوزن والقافية والغرض ، وتضارعها في بعض المعاني والصور والأفكار ، وربما أوحت هذه الأمور إلى الذين شكّوا في بعض أبياتها معتقدين أن نحلاً وتداخلاً وقع في بعض الأبيات ، فذهبوا هذا المذهب » (الديوان : ٦٤) ويبلغ جو الغموض الدّال على مكانة القصيدة غايته حين يذهب قوم إلى أن مالكاً « مات في خان فرثته الجان لما رأت من غربته ووحدته ، ووضعت الجن

الصحيفة التي منها القصيدة [illegible] ، وذلك [illegible] في ذيل أماليه ص ١٣٥ .

هذا وقد خالفت الجمهرة في [illegible] (العصا) و ([illegible]) فقد وردت الأولى بألف المقصورة ([illegible]) كما وردت [illegible] بألف الإطلاق عوضاً عن نون التوكيد الخفيفة فرسمت بالجمهرة ([illegible]) ورأينا أن [illegible] في أغلب نصوص القصيدة ، وهو الأدق والأصوب في الوقت نفسه ، أن تكتب [illegible] .

القيم الاجتماعية والانسانية
في
رباعيات الياس فرحات

دكتور
عبد الرحيم محمود زلط

كلية الآداب - جامعة طنطا

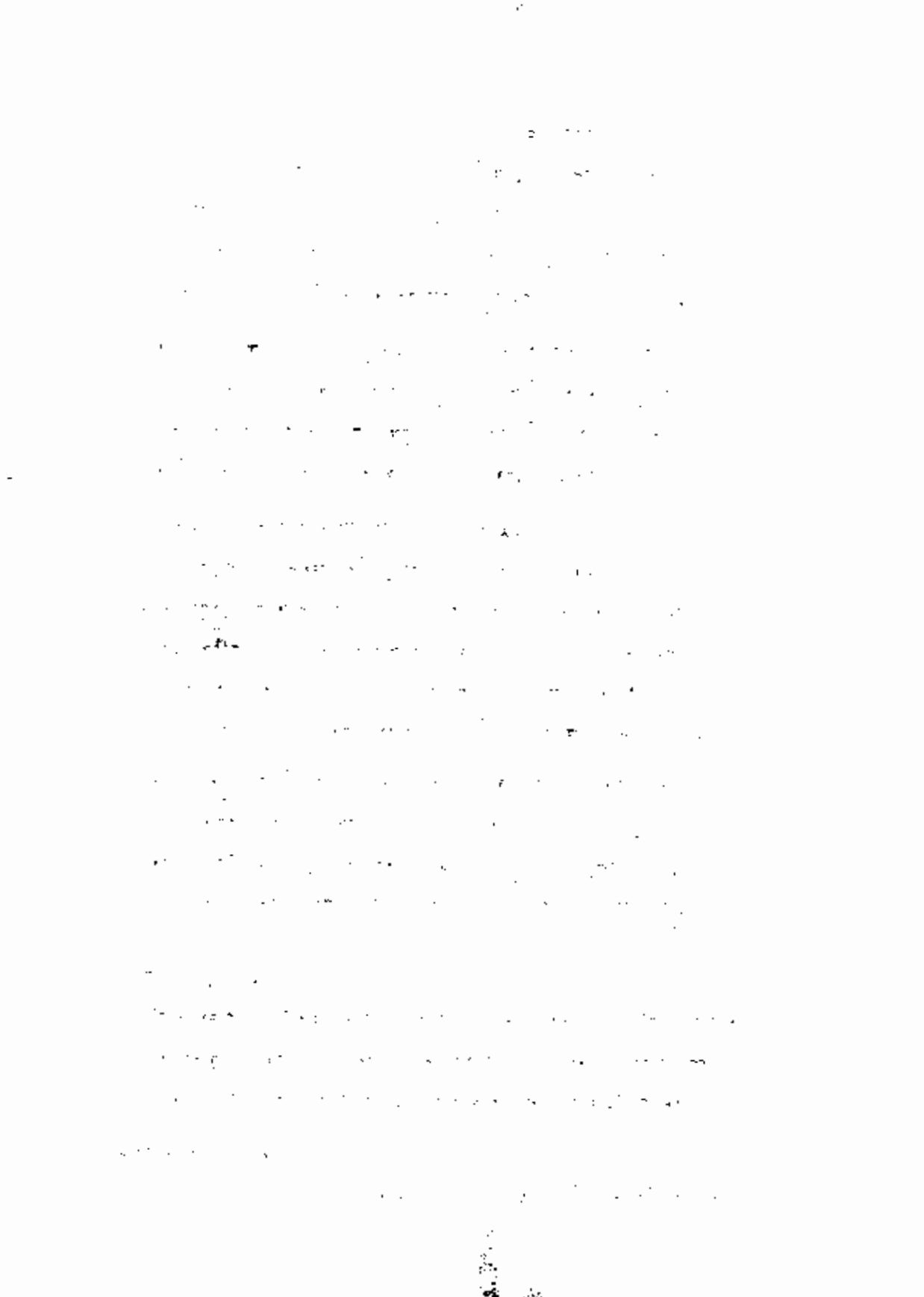

القيم الاجتماعية والانسانية فى رباعيات الياس فرحات

الياس بن حبيب بن جرجس فرحات أحد أعلام شعراء المهجر الأمريكى الجنوبى والمولود فى كفر شيما من أعمال لبنان عام ألف وثمانمائة وثلاثة وسبعين ، وكان حظه من التعليم لم يتعد المرحلة الابتدائية ، حيث انصرف إلى المهن اليدويه كالنجارة وصناعة الكراسى من القش ، وكان ينظم الشعر العامى فى فترات راحته فكان زجالا موهوبا على الفطرة يغذيها بذكاء متوقد .

وهجر الياس فى صباه تلك الحرف اليدوية ليتعمد على ما تعلمه وليعمل منضدا لفحروف فى جريدة « الوطن » ثم جريدة « الحقيقة » ثم مجلة « البطريركية الأرثوذكسية » فى دمشق وكما هجر صباه هجر بلاده ورحل إلى البرازيل ، ثم تزوج وصار له أولاد وأخذ يصارع حياة المهجر ويكابد مرارة الكفاح ويعانى فشل المسعى بين تربية الدواجن والماشية وصنع الأطعمة الشرقية وتصفيف حروف المطابع والتجول لحساب التجار الكبار والطواف بالآفاق لجمع اشتراكات الصحف ونحو ذلك مما صوره فى قصيدته « حياة مشقات » التى يشير فيها إلى سوء حظه والى تكرر أيامه ولياليه على وتيرة واحدة لا تترك أملا فى تحسن أو تبدل ، وقال معبرا عن ذلك :

وأستعرضُ الأيامَ يومى الذى مضى دليلٌ على يومىَ الذى أترقبُ
طوى الدهرُ من عمرى ثلاثين حجةً طويت لها الأصقاعَ أسعى وأدأبُ
أغرب خلفَ الرزق وهوَ مشرقى وأقسمُ لو شرقتُ كادَ يغربُ

وعن تنقله على عجلة صعب يجرها جوادان ، وتقطع المسافات الطويلة بحثا عن مكسب يأتيه أو رزق يرضى به صاحب التجارة ، أما طعامه وشرابه .

مما كان يصادفه فى الطريق حتى قال :

فنشربُ مما تشربُ الخيلُ تارةً وطوراً تعافُ الخيلُ ما نحنُ نشربُ

وعن حياته بين أصناف البشر الذين كان يتعامل معهم ويصبر على ما فيهم من بله وضعف ذكاء :

أعاشرُ من لو عاشرَ القرد بعضهمُ لما رد عن داروين قبرٌ مقبُ
وأنصت مضطرا إلى كلّ أبلهٍ كأنى بأسرار البلاهة معجبُ

كل هذا ينتهى فى آخر الأمر إلى أن هذا البؤس الذى عاش فيه منذ نعومة أظفاره حتى صار مسئولا عن أسرة قد علمه الكثير من طباع الناس ، وهو المثقف ذاته الذى لم يقرأ صفحة فى علم النفس وإنما استقى ما فكر فيه وما دار فى خياله ونظمه درراً من عيون الحكمة من صفة التأمل وبعد النظر والتفكر فى صمت ، وكان كل ذلك يزيده صلابة وقوة إرادة وقدرة تحمل حيث قال :

أقولُ لنفسى كلما عضها الأسى فآلمها صبراً ففى الصبرِ مكسبُ
لئن كان صعبا حملك الهم والأذى فحملك من الناس لاشكَّ أصعبُ
فلولا إباءٌ مازجَ الطبعَ لمْ يكنْ لمثلى مجىء فى البرايا ومذهبُ
حياةُ مشقاتٍ ولكنَّ بعدها عن الذُّلِ نصفو للأبيِّ وتعذبُ

لقد كان فرحات مشهوراً بصلابة الرأى ، فلا يلين ولا يحابى ، ولو أدى ذلك إلى إطالة شقائه أو إضاعة أصدقائه أو إلى تعويت فرص ثمينة عليه وهو القائل :

لا تنتظر أن ترانى راضياً فأنا أرضى ضميرى ولو أغضبتُ أصحابى

وصلابته تفرض عليه أن يكون صريحا فى إبداء رأيه ، جريئا فى قالة الحق حتى نراه يقول :

وإنى لمطبوعٌ على الصدقِ جاهرٌ بآياته والنصلُ فى النطعِ يقطرُ
أقول لذى العينين «إنكَ مبصرٌ » وللأعورِ المغرورِ « إنكَ أعورُ »

وكان ذا تحدى وكبرياء لنوائب الدهر ، فلم تلن قناته أمام ظروف الحياة الشاقة التى كان يحياها ، ولو اقتضى الأمر أن يقف محاربا دنيا الناس ليصل إلى هدف اسمى فى حياته ، فقال يخاطب دهره :

فكنْ بادهرُ ماءً أو سرابا فإنّي عنك والدنيا نزومُ
لبستُ لكلّ سيفٍ منك درعاً تحدثُ عن مناعتها الكلومُ
أنا ابنك دونَ شكٍّ غيرَ انّي غريمكُ حينَ يفتقدُ الغريمُ

كما امتاز بيقظة الضمير وعفة النفس ، فقال فى قوة نفسية عظيمة وفضيلة كبرى برغم ما كان فيه من تعاسة وبؤس حياة :

توالتْ همومُ الحياةِ عليّاً ولولا ضميري لعشتُ خلياً
فكمْ ثروةٍ تعجزُ الحاسبينا تسلمتُ وهى لبعض التجارِ
فقلتُ أفرّ بها هارباً فقالَ ضميري حذارِ حذارِ
فأرجعتها وغسلتُ يديا ولولا ضميري لكنتُ غنياً

إن تعلم فرحات لنظم الشعر لم يكن نتيجة دراية أو دراسة لعلم العروض أو استظهار دواوين الشعراء العرب قبله ، أو حفظه لعيون قصائد العرب فى العصور المختلفة ، أو مساجلاته مع أترابه حتى قوى عوده فى النظم ، وإنما كانت الحياة مدرسته ، طيورها المغردة ، ونسيمها العليل ، وجداولها الضاحكة ، ونظرات الحسان وعبرات الحزانى ، فحق له أن يعتبر كل ذلك جامعة تضمه :

هذا الكونُ جامعةُ الجامعاتِ وذا الدهرُ أستاذها المعتبرْ
ففى المبكيات بيان جميلٌ وفى المضحكاتِ معانٍ غررْ

لقد كان فرحات شاعرا مطبوعا أنشد الشعر قبل أن يعرف أعاريضه . وهو ركبى متوقد الفؤاد شديد العارضة لو صادف بسطة من العيش ولولا حملان ثقيلان ناء تحتهما من فقر وعيال لعزّ نظيره بين الشعراء ... لقد أجاد فرحات فى جميع ألوان الشعر ، ولكنه فتح باب الحكمة على مصراعيه وكذلك الأمثال والمواعظ وكان صادقا فى أحاسيسه ومشاعره صدقه فى سلوكه ، وكان يمضى فى نهجه دون أن يبالى بالأشواك تملأ دربه وعورةً وألما .

لقد كان من أهم ما نظمه فرحات تلك المجموعة التى سماها « رباعيات فرحات » وهى عبارة عن كتيب صغير الحجم يحتوى على شعرية ذات أربعة

الأبيات فى موضوعات مختلفة بين دينية واجتماعية ووطنية ووصفية حكمية ويغلب على أكثرها روح التهكم والنقد اللاذع والتشاؤم ، ولكنها تدل على إخلاص وإنسانية ونبل فى القصيدة الإجتماعية . وتختلف تلك الرباعيات عن رباعيات سابقيه من حيث وحدة الغرض أو طول القصيدة ، وإنما هى خلاصة فكر وثمرة خيال متوقد ، وتجربة شعرية صادقة عاشها فرحات وعبر عنها بإخلاص وشعور فياض ووجدان المجرب الناصح الأمين .

إن هدف فرحات الأول من نظمه تلك الرباعيات هو بناء مجتمع صحيح متكامل على أسس قوية وقيم إجتماعية وعدة إنسانية خالصة ، فان فرحات رأى أن يقيم المدينة الفاضلة فى مجتمعه ، وحق له فقد رأى طباع الناس المتغيرة ، ورأى تلونهم وتدهور أخلاقهم متى تمكن الوضيع منهم ، وتفشى فيهم طباع غير الشرفاء الذين اعتبروا المجتمع قسمة ونهباً بينهم فداسوا فقراءهم وامتصوا دماء ضعافهم ، وأصبحت حياة الغاب أسعد حظاً من حياة البشر وما فيها من طباع صاغها فرحات نظماً ، خاصة وأن فرحات قد كره الأغنياء الذين كادوا لا مثاله فى وطنه الأم وأرغموهم على الرحيل والهجرة ، ولما عاش بدار الغربة فى مهجره لم يسعد بمن عاشر ، ووجد مجتمعا اختلفت فيه السما الخلقية وكأن عنوان حياة ذلك المجتمع البقاء للأقوى والإقامة للمعتدى على الآخرين خاصة وأن هؤلاء الناس وجدوا فى مجتمعهم الجديد أساليب من الحياة لا تتفق والقيم الإنسانية ، ووجدوا أنماطاً من الناس يميلون إلى التحلى بتلك الخلق ليكونوا عصبة شعارها حطمْ أنْ تحطمْ وكأنها جاهلية القرون الأولى عادت على أرض المهاجرة فى أمريكا .

كل هذه الصور التى شاهدها فرحات وعاش بينها جعلته يقف مشدوداً مصورا بصدق وقرب من كل منظر يراه حتى تمثلت فيه كل براعة تصويرية لما رأى ، وكانت خلاصتها تلك الرباعيات التى تعتبر قمة الدراسة الإنسانية لطباع البشر وتصور تصرفاتهم وتعدل سلوكهم فى ثوب الحكمة والموعظة الحسنة .

وإذا استعرض الإنسان ما تضمنته الرباعيات من قيم اجتماعية ، ودستور أخلاق ، وحكمة وعظية لها له ما احتواه ذلك الكتيب الصغير بما لم يتسع له

فكر مشاهير الشعراء فى العصور السابقة .

وقد صنف الباحث هذه القيم فى تلك الرباعيات إلى مجموعات متجانسة ، وقد ألفت بينهما وحدة الفكر ، وبعد النظر الذى يدل على رجاحة العقل وسعة الأفق ، وقد دارت حول العناصر الآتية :

أولا : الدعوة للإخاء والتواضع :

لم يثبت فى تاريخ البشرية أن عاش قوم فى تنافر أو تباعدت قلوبهم ومشاعرهم ، وعمهم الحقد وملأ صدورهم الكبر ، فالمجتمع البشرى فى أى بقعة من الدنيا لا ينسجم حياة أو ينعم بالائتلاف إلا إذا كان الاخاء رائده والتواضع هدفه الأسمى ، فقد حثت الكتب السماوية جميعها على الإخاء وأوصت به حتى تنعم الإنسانية بما تضمنته وصايا الدين وحثت عليه .

فما أحسن دعوة فرحات للإخاء بدءً بالجار والحث على رعاية حقوقه بصرف النظر عن معتقداته ، فالإخاء حق فى الدنيا لكل إنسان يعيش مرتبطا مع غيره من بنى البشر ، عليه واجبات تجاه الجميع وله لديهم حقوق ، وفى هذه الدعوة التى صرح بها فرحات بعد نظر فيما هو القوم فى بعض بقاع العالم العربى من وطن واحد وبينهم شقاق وحروب طاحنة استمرت عشرات السنوات فى لبنان واليمن واندلعت منذ أكثر من ست سنوات بين العراق وايران ، ولو تدبر الناس أمر دينهم فيما يأمر به من المحبة والاخاء والسلام والامان للجميع لعاش الناس اخوة يذكرون نعمة الله عليهم إذ كانوا اعداء فألف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ، وانما هى دعوة الإفساد والمطامع وغرائز السيطرة والبطش والإستعلاء وعدم احترام حقوق الانسان ، فلو تدبر الناس أمورهم الدينية لما وقعوا فيما هم فيه الان ، ولو أدركوا معنى أبيات فرحات لتكاتفوا صفا واحداً ضد عدو واحد ، واشتركوا بكل جهد ضده ، وحافظوا على عدتهم وعتادهم لينالوا ممن ساموهم سوء العذاب . وسجلات التاريخ خير شاهد وناصح لهم ولينهم استمعوا إلى فرحات حين قال (رباعية ١) :

يا جار جار عليَّ الظالمون كما جاروا عليك ولم ترحل ولم تبرُ
نخشى الغريب ونخشى بعضنا فإذا حلَّ البلاءُ شكونا الضيمَ للقمر
فيما التقاطعُ والأوطانُ تجمعنا قمْ نغسل القلب مما فيه من وضر
مادمت محترماً حقيَّ فأنت أخي آمنت بالله أمْ آمنت بالحجر

أما نظرة فرحات للتواضع فقد صاغها في رباعيتين ، بين في كل واحدة كيف يكون الإنسان متواضعا حتى يألفه الناس وينعم بأخوتهم الصادقة ، ويأمن من تلونهم متى كان متواضعا لين الجانب ، فالناس خصوم للمتعالي الباطش ، وكارهون لكل من تطاول عليهم أو حط من شأنهم فالكل لآدم وآدم من تراب ، ويضرب فرحات بذلك الهدف أحسن الأمثال معلنا أنه كم من عظيم في قومه ترفع عليهم وهجر التواضع وظن أنه بمكانته الإجتماعية الرفيعة بينهم قد بلغ كل ما يخطر على خلد الإنسان ، فلما هوى كانت القاضية ، فلم يجد من العوامل التي رفعت قدره في زيف ما يقوم عليه أو يشد أزره ، فندم ولات حين ندامه فخير لأمثاله يتحلوا برداء التواضع حتى تعمهم الرفعة والسكينة (رباعية ٤٤) :

يأمنْ يحاولُ أنْ يبغي بقوته حكماً أصرَّ عليَّ تنفيذه القدرُ
لن للزمانِ متى هبتْ عواصفه إنَّ الغصون إذا لمْ تلوَ تنكسرُ
كمْ عاهلٍ بلغ الجوزاء ثمَّ هوى عنها إلى دركاتِ الذّل ينحدرُ
يرنو إلى مجده والسيفُ متثلمٌ والتاجُ ممتهن والعرشُ مندثرُ

ومن دعوته للتواضع كذلك قوله لمن يترفع وكأنه على عرش الملك باق ، وكأن الأيام تدوم له بخيرها وثرائها ، فيهتف منددا بأصحاب التيجان أولئك الذين يظنون الناس عبيدا لهم ، ويلبسون أردية الكبر والغطرسة ويظنون الخلود في الدنيا وما هم فيها بمخلدين ، وإنما إلى حياة أخرى فيها المساواة وتطبيق العدالة في كل صغيرة حيث لا يظلم ربك أحدا ، وحيث لا ملك لأحد في الآخرة وإنما الملك لله الواحد القهار (رباعية ٨٨)

أربَّ التاج إنك بين جبلٍ يكيلُ لك الهوان بما تكيلُ

وإنك فوقَ عرشٍ لستَ تدري أيبقىَ اليومَ نحتك أمْ يزولُ
تتيهُ علىَ الأنامِ وتزدَ ربهمْ ولكنَّ عمرُ تيهك لا يطولُ
فملكك زائلٌ وغناكَ ماضٍ وحالكَ لا محالةَ مستحيلُ

فلو نظر أى انسان إلى فكر فرحات فى ذلك البيت الأخير من أن الملك زائل والغنى متحول إلى فناء ودوام الحال من المحال لأدرك حقيقة كل الناس ، وتعقل كما تعقل فرحات فى رسم تلك الصورة بهذه البراعة النفسية وكأنى به وقد صور الموقف اجتماعيا ونفسيا منفرا من هؤلاء الذين يتمسكون بالفانية ويسلكون سلوك الأشرار المتكبرين .

ثانيا : القدوة الصالحة :

أبرز فرحات صوراً عديدة فى لوحات فنية كيف يكون المرء قدوة صالحة لغيره ، مؤكدا أن هذه القدوة هى خير بناء فى المجتمع وأحسن لبنات فيه ، وبقدر ما يحتفظ المجتمع من هذه العناصر بقدر ما تكون درجة تقدمه بين شعوب العالم ، فلا خير فى مجتمع قد فقد قدراته الصالحة ، تلك المجموعة من الناس الذين يحملون أمانة الرقى والتقدم بأفعالهم وخصالهم وشمائلهم التى تخلد عبر الأجيال بعد رحيل أصحابها .

ولو طالعنا صورة القدوة الصالحة فى سجلات التاريخ لوجدنا مشاهير الصحابة الذين عاشوا فى مدرسة النبوة ، ونجد تلاميذ مدارس العلماء الصالحين والفقهاء المبرزين فى محيط العالم الاسلامى والعربى ، كما نجد أساطين العلم وفروعه المختلفة الذين عاشوا فى الحضارات المختلفة وقدموا للإنسانية ما تشهد به طبقات العلماء وأولو الرأى والتجربة .

وفى محيط التربية نجد جولات فرحات حيث يركز على أن القدوة الصالحة تكون فى المعلمين والآباء الذين يلقنون أبناءهم دروس الحياة وسيلكون بهم سبل الهداية وصدق الرعاية ، فمن لم يكن قدوة صالحة لابنه أولتلميذه خاب وخسرت تجارته ، وكسد سوقه فى مجتمعه (رباعية ٥٠) .

المرءُ يولدُ شريراً فإنْ غفلتْ عينُ المهذب عنه هكذا لبثا
والأرضُ صلاحاً وإن قبلتْ من طاب من أهلها قلباً ومنْ خبثا
أنت المطالبُ فيها عنْ بنيك إذا صلُّ المفاسد في آذانهمْ نفثا
إنْ لمْ تكنْ قدوةً للولد صالحةً أنفقتَ مالكَ في إصلاحهمْ عبثا

ومن صور القدوة الصالحة التي تناولها فرحات **مصاحبة الكرام** ولو على شظف العيش وقوته والبعد عن صداقة الأدنياء ولو تقلبوا في رياض الثراء ، وكذلك يدعو إلى الصبر في صداقة الأبي فان حياته نور وإن اعترضه الإظلام والضيق أحيانا ، فقد تعودت نفوسهم على الرفعة والإباء والأنفة والوفاء بما عاهدوا والآخرين عليه ، بينما يتفنن أدنياء الناس في التستر وراء خدعهم وما يقدمون عليه من مفاسد مقلقة ومهلكة حبا في المظهرية والفتن (رباعية ١١٠) :

سرْ والكريمِ على القتادِ ولا تسرْ والأدنياءِ على نسيجِ المخملِ
واغشَ الظلامَ مع الأبي فليله مهما تكبد وادلهُم سينجلي
إنَّ الأبي يبيعُ أطلسَ زوجهِ وحليها ليفي الديونَ إذا ابتلى
وبني الدناءةَ يسرقونَ ليشترُوا لنسائهمْ حللَ الأطالسِ والحلى

ومن صور القدوة الصالحة ان يتخير الانسان شريكة حياته من صاحبات المنبت الطيب ، الا يغتر الانسان باختيار زوجه من ربيبات القصور ، فان من ينظر لأن تكون حياته مرتبطة بالثراء فقد خاب وخسر ، ومن اطمأنت نفسه إلى اختيار ذات الأصل العريق التي تتحمل أعباء الحياة ومشقاتها فهو الرابح السعيد ، فان خير النساء من حسنت منبتاً وصبرت محتسبة على ما في الحياة من ضيق حتى يحمد ذلك لها (رباعية ١١٦) .

إنْ كنتَ ترغبُ في الزواجِ فلا تسرْ بينَ القصورِ بأعيُنِ شرهاتِ
فلبعضِ أزهارِ الحقولِ محاسن تزرى بكلِّ أزاهرِ الجناتِ
ولطالما شقي الذين تزوجوا مالاً وجاهاً لا حميدَ صفاتِ
ولطالما حملوا الهوانَ لأنهمْ طلبوا الكرامةَ في بناتِ سراةِ

ثالثا : السعي لطلب الرزق والقناعة :

من أحسن ما قاضت به قريحة الشاعر الياس فرحات أن يدعو الإنسان إلى السعي لطلب رزقه ، والا يعيش عالة على غيره فالإسلام وكل الأديان قد نهت عن أن يعيش الإنسان عالة وان عليه أن يكد ويكدح فلا حياة لكسلان أو متخاذل ، وطلب الرزق يتطلب القناعة عما في يد الآخرين ، فمادام الإنسان ساعيا فهو المحقق أمله والمقنع ذاته بكل ما يحصله .

ومن صور السعي في طلب الرزق ما ذكره فرحات قائلا (رباعية ٢٨) :

حمل الجهولُ إلى البارئ ليرزقهُ قوتاً ونامَ فعاش العمرَ جوعانا
ولوْ سعى في سبيل القوت مجتهداً لكانَ من أمره غيرَ الذى كانا
لينَ العرائنُ للآسادِ رازقةً كبشاً وقدْ يرزقُ النحولُ قطعانا
والحظُّ يخدمُ بعضَ الناسِ عنْ عمهِ حيناً ويخذلُ كلَّ الناسِ أحيانا

إن هذه الصورة التي تحدث عنها فرحات تعيد الإنسان إلى موقف الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب حين رأى عابدا يعكف بالمسجد ، فسأله من أين رزقه فقال : ان له أخا يسعى ليرزقه ، فنهره وقال : قم وارتزق فأخوك خير منك ، وبين له أن السعي لطلب الرزق خير من الاعتكاف في المسجد للعبادة فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وذلك تصديق لقول الحق تبارك وتعالى « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك ١٥) .

ومن ضروب السعي لطلب الرزق **أن يقنع الانسان بما يهبه الله** ، فقد قسم سبحانه نعمه بين الناس بالعدل ، فهذا وهبه مالا وذا علما والاخر قدرة وقوة اقناع وذاك حجة وبيانا .. والله عادل في تقسيم نعمه ولا راد -- لقسمته أو احتجاج على تقسيمه النعم بين خلائقه وليس على الإنسان إلا أن يقنع بما وهب ، ففيه ثراء مفخرة (رباعية ٨٥) :

لعمرك إنَّ منْ أعطى فلاناً ضروبَ المالِ أعطاكَ اليراعا
فلا تطمعْ بابذالِ العطايا ولا تطلبْ لها فيكَ اجتماعا

أترجوُ أنْ تصيرَ أخا ثراءٍ لتقدرَ أن تقولَ وأنْ تطاعاَ
وهذاَ القرشُ تدنو منهُ شبراً فينفرَ منكَ مبتعداً ذراعاَ

ويصرح فرحات بأن السعى لطلب الرزق فرض فلا ينبغى على الانسان ان يلجأ فى مصدر رزقه إلى الآخرين مهما كانت درجة قرابتهم ، وكذلك شأن من يمد يده ليساعده الآخرون يتساوى ومن يلقى بنفسه إلى التهلكة وسرعان ما تهون عليه حياته كما هانت عليه نفسه كسلا وعالة على الناس (رباعية ١٠٠) :

جهادكَ فى سبيل العيشِ فرضٌ فلا تلجأْ لعمٍّ أوْ لخالِ
فكمْ عمّ الويلُ منهُ وكمْ خالٍ من الاخلاصِ خالِ
إذا اليسرُ استحالَ عليكَ فاجمعْ لماَ يغنيكَ عنْ طلبَ النوالِ
فما في مدِّ عنقكَ للمواضي صعوبة مدِّ كفكَ للسؤالِ

وهذا المعنى مصداق لقول رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبلاً ويحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقوله عليه الصلاة والسلام « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

أما دعوة فرحات للرضا والقناعة فتتمثل فى هذا القول الذى يعيب فيه على الناس تكاسلهم وتجاهلهم سبل الحق فى أن يقنعوا فالله قد قسم لكل إنسان رزقه وكفله له ، وقد عاب على الناس كيف أنهم توصلوا إلى الدرجات الرفيعة من العلم والمعرفة وما عرفت القناعة إليهم سبيلا .

ولعل فرحات بذلك يثير قضية إنسانية نفسية وهى سيطرة الجشعين على ذوى الحاجة واضطهادهم وعدم قناعتهم بما وهبهم الله مما يثير حفيظة النفوس ويورثها البغضاء (رباعية ١٢٩) .

ما للأنام يفتشون عن السنى والشمسُ تغمرُ أجيةً وسهولاَ
تخذوا لمنئذهم سبيلاً مظلماً ومضوا فضلوا مشدا وسبلا
طاروا طلوعاً فى الفضاء تفتتاً وتفتتا خاضوا الخضم نزولا
وتعلموا كلَّ الفنونِ ولمْ يزلْ فن القناعة عندهُم مجهولا

ومن ثمرة القناعة أن يدرك الإنسان أن ما جمعه ليس له منه إلا ما انتفع به من مأكل ومشرب وملبس فأبلى ، وليس له من المال إلا ما تصدق به فأبقى ، وأن الإنسان يترك خلفه ما جمع من مال فاض عن حاجته ، فخير له أن يكون قنوعا حين يجمع ، ولا يحرص على ان يكون من الذين يتطلع الناس إليهم بكثرة ما جمعوا ، وليتذكر دوما ان الانسان دخل الحياة عاريا ويخرج منها كذلك ، فخير له ان يكون قنوعا راضيا لا يدخل الهم على نفسه فيفسد عليه ملذاته (رباعية ٢) .

يا ساكنَ القصرِ لا تأسفْ لفرقتهِ سكنى القصورِ وسكنى الترب سيانِ
إنّ انتقالكَ منْ قصرٍ إلى جدثٍ مثل انتقالكَ منْ حانٍ إلى حانِ
جئتَ الحياةَ فقيراً عارياً دمعاً فاذهبْ غنيًّا بتابوتٍ وأكفانِ
واتركْ ورامكَ ما جمعتَ من ذهبٍ فالمالُ محتقرٌ في العالمِ الثاني

رابعا : من ألوان الناس :

لم يكن فرحات بالرجل الحكيم الذى أصدر الحكمة النظمية فحسب ، بل كان العالم الإجتماعى الدارس لأصناف البشر ، وسلوك كل فى الحياة ، ومتى يكون الانسان واضحا ومتى يستدعى المكر والخديعة لتلازمه فترة زمنية محددة حتى يحقق مأربا بارتداء لباسهما ، ومتى يكشف القناع عن وجهه فى تبجح وفحش من القول غير هياب لموقع ألفاظه من أعراض الناس ومعتقداتهم .

وما كان إدراك فرحات لكل هؤلاء القوم عن دراسة فى الأسفار وإنما كان ذلك عن خبرة طويلة وتعامل بين البشر حتى كانت تلك الدراسة العملية تطبيقاً صادقاً لما تحدث عنه رجال علم النفس وبناء المجتمع .

فقال مصنفا من حوله من الناس أنّ فيهم أحياء أموات ، يتحسر عليهم حين يبيعون عزتهم وكرامتهم ويعدهم فى سجلات الموتى ، فالموت أحق بأمثالهم وكذلك من يتهاون فى أعز ما يملك لا حياة له ، وقد ورثهم سلوكهم هذا نوعا من اللامبالاة وعدم التيقن فى الأمور فتصرفوا كما تتصرف السائمة ، ولا هم لهم إلا الإثراء وملء الجيوب وبناء الدور ، والبعد عن كل ما يجلب لهم قدرا من الإنسانية أو الكرامة لو كلفهم ذلك شيئاً (رباعية ٣) .

حولي منَ الناسِ أمواتٌ وما برحوا يمشونَ كالناسِ منْ دارٍ إلى دارِ
أبكي عليهم بأشعاري فتضحكهمْ معَ ما تثيرُ من الاشجانِ أشعاري
قومٌ يبيعونَ للشارينَ عزتهمْ والعرضُ والدينُ والدنيا بدينارِ
لا يفرقونَ إذا أثروا أكفنهمْ تاجٌ منَ الغارِ أمْ تاجٌ منَ العارِ

ويقول عن تبلد الشعور عند بعض الناس ، مع أنهم قد حققوا مآرب ومكانة مرموقة فى الحياة ، ولكن كانت بضاعتهم التى عرفهم بها الناس بضاعة راكدة ، وقد اضطر الشاعر أن يعاشرهم على ما فيهم حتى يعدل من سلوكهم ويحولهم إلى إنسانيته التى رسمها لهم (رباعية ٤) .

لولا بصيصُ رجاءٍ فى النفوسِ لمَا راقتْ لذى أدبٍ فى موطنٍ كاسُ
يلقىَ الألوفَ منَ المستحجرينَ ولا يلقىَ –ولو جدَّ– فرداً فيهِ إحساسُ
بعضُ النفوسِ نسورٌ كلمَا جنحتْ للجو شدتْ على أعناقها الناسُ
فالعلمُ والحقُّ والإنصافُ اجنحةٌ والجهلُ والبطلُ والإجحافُ أمراسُ

ومن ألوان الناس من يتلون ويعاشر أصدقاءه معاشرة الحرباء ، فاذا فاز بمطلبه قلب لهم ظهر المجن وتحول عن شخصيته الأولى ، وقد أنس الشاعر إلى مثل هذه الشخصية وقدم لهم من المعروف الشىء الكثير ، ولكن هو التلون الذى لازمه وألح عليه أن يركن اليه (رباعية ٦١) .

سرينا في الظلامِ معاً وكنا لفرطِ الخوفِ نأنسُ بالوميضِ
وكنتُ إذا سقطتُ عليكَ أحنو كما يحنُو الطبيبُ علىَ المريضِ
فمذْ لاحَ الصباحُ سدلتُ ستراً على عينيكَ منْ جهلٍ عريضِ
تحاولُ ظلمةً وأريدُ نوراً فنحن إذاً على طرفىْ نقيضِ

كذلك يصور لنا فرحات صورة أولئك الذين يبخلون بما اعطاهم الله ، ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى منافذها الشرعية التى أرشدهم الله اليها ، وكذلك فان هذا الصنف من الناس لا حياة له بدون محبة الآخرين وعطفهم عليه اشفاقا ومودة لقاء ما يبذل لهم من مال ومعروف ، والويل كل الويل لمن يتنكر لقومه ولا يكون دائم العطاء لهم (رباعية ١٩) .

مَنْ كان يدخرُ الأموال مختلساً تأتي بلاياهُ مما كان يدخرُ
ومَنْ يعش حاضراً ماء الفرات ولا يسقى العطاش تمنتْ موتهُ البئرُ
كمْ من غنيّ جميل كلما لمحتْ عيناهُ وجهُ فقيرٍ خفَّ يستترُ
ترنو إلى ماله الوراثُ قائلةً لا يؤكلُ الجوزُ إلّا حين ينكسرُ

فيالها من حكمة رائقة تلك التي صبها فرحات في قالب الوعظ إن هذا الذي يبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمم ويتمنى ورثته موته حتى يرتعوا فيما خلف ما لم تنعم به البشرية ، وكان حريا أن يتخذه وجائز له في حياته حتى انفقه في وجوهه المشروعة ولم يبخل به ليكوى به .

خامسا : الحث على الالتزام بالشمائل الخلقية :

لقد حرص الشعراء جميعا أن تكون لهم رسالة إنسانية عبر العصور في حث الناس على الالتزام بالشمائل الخلقية الرفيعة التي تعلي من شأنهم وتبقى ذكرهم ، كما اهتدى الكثيرون من رجال التربية بما قدمه لهم هؤلاء الشعراء بما يتناسب وأسس التربية الحديثة ، وأدرك فرحات في مهجره أن من واجبه الإنساني أن يشدو بهذه الشمائل الخلقية ويبعث في الناس أفكاره هداية لهم وطريقا مستقيما ، وزين بها رباعياته في شكل وعظي يدرك معناه كل إنسان ، فلا تحتاج كلماته إلى إعمال للفكر أو قدح لزناد الفهم ، فشعر فرحات من السهل المطلوب والبلاغي المرغوب .

ويدعو فرحات إلى تهذيب السلوك الإنساني وعدم الخبث في صداقة الناس ، والجرأة في الحق ، وعدم اللين في مواجهة الأشرار حتى لا يرمى الإنسان بالجبن والضعف ، وكل موعظة مما حملته هذه الرباعية يفيض الكلام فيها ونضرب بها الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ، ولكن فرحات جمعها في ثوب قشيب تسر النفس رؤيته ، ويرتاح الفكر إلى كل ما فيه ، حتى يمكن أن يدرج في أساليب التربية الحديثة للناشئة حيث يقول (رباعية ٢٢) .

هذبْ طباعكَ فالإنسانُ يعوزهُ حتّى يلقبَ بالإنسانِ تهذيبُ
ولا تداجِ امرءاً طابتْ سريرتهُ ففي المداجاةِ للأحرارِ تعذيبُ

وكذبْ القائلَ الغادي بحضرته فخيرٌ ما يردعُ الكذاب تكذيبُ
ولُا تكن ليناً في جبرةٍ شرستْ فليسَ يسلم كبشٌ حارةٌ ذيبُ

وليس الناس في بقاع كثيرة من الدنيا يدركون معنى البيت الأخير حتى يقدروا لأنفسهم أقدارها ، فالناس صنفان : ضعيف لا حول له ولا قوة ، ويا ويل فيه الغدر أكوى لبنى الإنسان من غير جنسه ، والويل كل الويل أن يعايش مسالمٌ شرسا ، وليكن بين الضعفاء اتحاد حتى يرهبوا ذلك الباطش الغادر .

ويبرز فرحات في رؤية نفسية كيف وقف يدافع عن المظلومين ، وقد سخر نظمه فضحاً لهم وتنديداً بأفعالهم ، ونقدم يعطي للإنسانية خلاصة دفاعه عنهم وإن كان لم يوفق في هذا الدفاع وتلك الحرب الإنسانية الضروس ضد الظلم والظالمين ، فيوضح للناس أن تمسكهم بالحق ونداله دوما وعدم التفريط منه يمكن أن يعلم الجميع كيف لا يرضى الإنسان بالمفاسد ولا يسكت عنها ويندد بها وما على الإنسان إلا أن يكون كالسيف قطعاً في قول الحق والالتزام به ، والتمسك خفه وإن اتعبه حمل ذلك الحق والنداء به دوما ، فلا شك أنه بالغ ما به محقق ما تصبو إليه نفسه (رباعية ٢٠) حيث قال :

تاريخُ ضدَّ جيوشِ الظلمُ منتقماً منها برأسٍ يراعٍ يقذفُ الحمما
ثمَّ انسحبتَ من الميدانِ مرتعداً والظلمُ يجترفُ الأفرادَ والأمما
كنْ كالحمامِ وقلْ ما أنتَ معتقدٌ للمستبدِ ولا ترهبْ إذا احتدما
إنَّ الجيادَ تلوكُ اللجمَ مزبدةً غيظاً ولكنها لا تبلعُ اللجما

وعن التبصر في الأمور بمقاييس الناب المتفحص في كل خطوة يخطوها ، وعن التيقن في كل احوال الأخبار وعدم الركون إلى الشك فليس هناك من الأمور ما ينبغي للإنسان أن يقول فيه كلمة شك أو ظن ، وإنما على الانسان دوما أن يكون على يقين مما يقول أو يخطط أو يفعل ، وبعد النظر في كل شيء أمر مرغوب حتى يبرىء الإنسان ذاته من محيط الشك إلى بؤرة اليقين ، وهذا ما قاله فرحات في (رباعية ٤٦) :

أنظرْ إلى الأمر كلّ الوجوه لدى إبداء رأيك فيه تأمنْ الخطلا
واحفظْ لنفسك حقّ البحث عن خبر تلقى إليك ولا تلقاهُ محتملا
منْ كان في جبل عالٍ وقال أرى في لجة البحر حوتا يشبه الجملا
فلا تصدقهُ تصديق امرىء عمى ولا تكذبهُ ما لمْ تصعد الجبلا

كما يدعو الإنسان ألا يضيق صدره بأمور الحياة ، وأن عليه أن يكيف نفسه لكل ما خلقه الله في الكون إذ ليس في قدرة الإنسان أن يكيف ما خلق الله لإرادته هو ، وألا يتضخت أو يتبرم بما يراه في الحياة ، فالدنيا للجميع وليست لحساب فرد يسيرها كيف أراد أو يجعلها تنهج نهجاً إبداعياً يطلبه .

وهذه الرباعية تفيض فلسفة إنسانية استطاع فرحات أن ينسج على منوالها هذا النظم الرائق الذي يهب الإنسان صبرا وقوة تحمل على ما هو موجود بالفعل في الحياة ، وهذه الفلسفة التي يهتف بها فرحات جاءته بعد أن عركته الحياة وصعب عليه قهرها فلم يجد بدا من الخضوع لقسوتها والإنصياع لشدتها ، وهو في هذا المجال صابرٌ مصيِّر لغيره ، حتى يقبل الكل على حياتهم غير متبرين أو ضائقي الصدور (رباعية ٤٨) .

يامنْ يخافُ ضياء الشمس مستتراً خلف الدياجر لاح الصبحُ فابتعد
أوقفْ فكلّ مقرٍّ سوف يغمرهُ موجُ الضياء بهذا اليوم أو بغد
قلْ ما أردتَ وذمّ الحادثات ولمْ إن الطبيعة لا تصغي إلى أحد
والشمسُ تبزغُ في آن البزوغ ولوْ جرتْ وبلاً عليّ الخفاش والرمد

ويدخل الياس فرحات مدخلا جديدا في الشمائل الخلقية حيث يتوجه باللوم للنساء وخاصة من تفتخر منهن وتتعالى على من سواها من النسوة ويبين لهن ان هذا الفخر بمتاع الدنيا من ثياب وزينة وحلى عرض زائل ، وكل ما تملكه هذه المفتخرة ربما آل اليها من جراء النهب والسلب الذي اعتادته في حياتها إذ لهؤلاء النسوة سلطان على التجار ، وان المرأة التي تفتخر بغير حميد الصفات وطيب الشمائل لا خلاق لها ، ويعلن ذلك تأديبا لهن وفضحاً لسلوكهن الشائن الذي ينم عن نفسية كاذبة ينبغي البعد عنها (رباعية ٦٥) .

أسبدتي الفخور على اللواتي ... يرين الفخر دون الفضل عارا
سمعتك تفخرين فضاق صدري ... وكاد القلبُ ينفجرُ انفجارا
على أنّي أقولُ كلام جرٍ ... يمرقُ عنْ حقيقتكِ الستارا
حريركِ خلسةً وحلاكِ نهبٌ ... وإنْ كذبتني فسلي التجارا

ومن خير ماهتف به فرحات هذه الطائفة من الشمائل الخلقية **طلب الدفاع عن الحق** ، الإستماته فيه والدعوة اليه ، فان الانسان الذى يهان الحق أمامه أو يفرط فيه لا خير منه يرجى ولا أمل فى حياته ، وربما هتف فرحات بهذا حين أدرك طباع حقوق الناس فأعلن أن الحق يستميت الإنسان فى الدفاع عنه ويستشهد الأبطال فى إظهاره وإعلاء شأنه (رباعية ١٦٣) .

دافعْ عن الحقّ المهانِ ولوْ تكاثـــرت الخصومُ
خيرُ مماتكَ في الدفاعِ من انتصارك في الهجوم
الحقُّ نجمٌ أوشكتْ تخفـــي أشعتـــه الغيـــومُ
فإذا إختفت لا الشمسُ تجـــدى العالمين ولا النجومُ

ويدعو فرحات إلى كظم الغيظ كلون من ألوان الأخلاق الحميدة ، وما ذلك ألا تمشيا مع القيم السليمة الموصلة الانسان إلى بر الأمان متى كان قادرا على عقاب من يبادره الإيذاء ، وقادرا على كظم غيظه كنصرة إنسانية على غيره من المتطاولين ، وكذلك حث فى تلك الرباعية على الا ينسى الانسان الاساءة عن عمد حتى لا يرميه الاخرون بالضعف والاستكانة (رباعية ٧٠) .

تحاشَ الغيظَ إنْ لاقيتَ شراً بدارٍ كلهـــاً شرٌّ بدارِ
فانَّ المرءَ فى دنياهُ رسمٌ يحيطُ منَ الشرورِ به إطارُ
ولا تنسَى المسيء إليكَ عمداً وليسَ لهُ بذاك عليكَ ثارُ
فواحدةٌ بواحدةٍ لعدلٍ بخيرٍ أو بشرٍّ يستطارُ

ومن الشمائل الخلقية ان **يرفض الانسان الذل ، ولا يقبل الضيم** ، وإن من ركن إلى الضعف والاستذلال يعدى الاخرين ويرميهم بما ليس فيهم ، بينما قوى النفوس قوى الإرادة شديد صراحة الرأى تعلو كلمته ويرتفع شأنه ، وإذا

استشرى داء الذل في أمة من الأمم قضى عليها وسهل على الآخرين النيل منها وتحطيم معنويات شعبها .

وقد ساق فرحات تلك الرباعية للدلالة على بعد نظره في أن بعض أبناء الأمة العربية قد هدهم الذل وخوّلب أحوالهم ، ولو اجتمعت كلمتهم لقويت شوكتهم ورفضوا الذل وهدوه ، أي غلبوا الاستعمار ومن أراد بهم السوء أو هزيمتهم (رباعية ١٠٢) .

أرى في شعبنا بعضاً ذليلاً وأخشى أنْ يصيرَ البعضُ كلّا
فداءُ الذلِ في الأرواحِ مثلٌ كداءِ السلِّ في الأجسامِ حلّا
وما بعدي العزيزُ العبدَ عزاً كما بعدي الذليلُ الحرَّ ذلّا
فإنَّ الخلَّ ليسَ يصيرَ خمراً ولكنْ قد تصيرِ الخمرُ خلّا

وليس الذل من الاستعمار فحسب بل كان لبعد نظر فرحات أثر في أن الأغنياء يستذلون الفقراء والمحتاجين بأموالهم ، ويتملكون رقابهم بما يقدمونه لهم ويمنون عليهم حتى يؤذون مشاعرهم ، فما أحق الإنسان بهجر طلب المال من هذه الطبقة المستعلية المستذلة لغيرها بما وهبها الله من مال وعرض زائل وأولى بالإنسانية أن تحافظ على كيانها بعيدة عن استرقاق الأغنياء الفقراء بأموالهم وهذا ما عناه فرحات بقوله (رباعية ١٢٢) .

مالي لمالِ الأغنياءِ ووفرِهِ ميلٌ فما للاغنياءِ ومالي
رغبٌ سواىَ بهمْ فإنَّ نضارهمْ في مسمعيَّ يصلُّ كالأغلال
أخشَى مصادقةَ الغنى لأنني أخشَى عليَّ عواملَ الإذلال
فإذا أنا استقرضتُ قرشاً واحداً منْ مالهِ يستوهبُ استقلالي

وعن أخلاق التجار وجشع بعضهم وتعمدهم الكذب والمغالاة في الربح إلى حد الاغتصاب والنهب من الناس يحذرنا فرحات بالا يتمنى الانسان أن يكون مثلهم يحرص على تكوين ثروة وكذا أموال طائلة ، ولعل فرحات قد أدرك حين رأى أن الكثيرين من الشعراء الذين هاجروا هجروا الشعر وانغرطوا في سبل التجارة واعتبرهم قد ضلوا السبيل لما شاع عن التجار من فساد أخلاق

وغش ونفاق حتى يروجوا بضاعتهم وما هم بتجار إلا أنفسهم وما يشعرون (رباعية ٢١) .

يا شاعرَ العرب أحذرْ أنْ يقالَ غداً كحلُ التجارةِ أعمى شاعرِ العربِ
سر في سبيلِ العلى الشهباءِ منفرداً وليذهبُ الناسُ افواجاً الى الذهبِ
إن التجارةَ للأخلاقِ مقبرةٌ أما النتائجُ فالأكفانُ للادبِ
إنْ ضاقَ عيشك كنْ مساحَ أحذيةٍ لا تاجراً يقتني بالغشِّ والكذبِ

إن في نظرة فرحات إلى هذه الأخلاق في بعض التجار إنما تؤكد حرص الشاعر على تثبيت القيم الإنسانية والاجتماعية في صفوف الناس جميعا ، ويؤكد هذا المعنى في صراع التجار وارتكابهم الآثام في سبيل الإثراء ، ويأبى فعلهم هذا كل من طابت سريرته ونقت نفسه ، ويوضح ذلك في رباعية ضرب فيها مثلا بنفسه حيث قال (رباعية ٨٠) .

فلاسفةُ الأعاريبِ منْ قرونٍ قد احتقروا التجارَ وقد أصابوا
فما سوقُ التجارةِ غيرُ غابٍ تناهبُ في جوانبها الذئابُ
رميتُ بها وما في الكفِّ ظفرٌ أكرُّ به ولا في الفكِّ نابُ
فلمْ يسلمْ منَ التمزيقِ جلدي ولمْ تسلم على جلدي الثيابُ

وقد أدرك فرحات قيمة الصدق في بناء القيم الانسانية والاجتماعية فحث عليه وحذر من الكذابين ، فإن قولهم يفسد الحياة ويشوهها ويصيب أهلها بخيبة الأمل ، فما أجدرنا أن ننبتمتع إلى حديثه عن الأفاكين الذين وطنوا أنفسهم على الكذب قولا وفعلا وأثر ذلك في حياتهم وحياة الآخرين ، وما أحسن أن يتعد الإنسان عن مجال وجود هؤلاء النفر لما يبثونه من سموم فتاكة في جسد الأمة ، وما يزرعونه من بذور الشقاق والتهلكة بين صفوف الناس ، وتلك أسس تربوية ينبغي على كل إنسان أن يتحلى بها وأن يتمثلها قولا وفعلا وإحباطاً لفكر الكذابين وهدماً لما يقيمونه من صروح آمال الدمار والفناء وهذا ما عناه فرحات في « رباعية ٣٧ » وما ورثهم ذلك الإفك من الحقد والفتن والحسد الدائم لبني الانسان .

إني بليت بأفاكين ما نطقوا إلّا تمنيتُ فقدَ السمع والبصر
عاشوا على دهمٍ حتىّ إذا انتشلوا منْ حفرة الذل حلوا هوة البطر
ناموا وأحفادهمْ تجتازُ منْ سهرٍ مضنٍ إلى سهرٍ يفضي إلى سهر
إنْ كنت تطلبُ نفعاً منْ مودتهمْ فالنفعُ أجمعُ أنْ تنجو من الضرر

وهناك صورة أخرى من الكذب والبهتان الذى لا يسمعه الإنسان وإنما يراه ذلك الذى يفعله بعض الناس حين يموت عزيز عليهم يمدحونه كذبا وبهتانا على صفحات الصحف ، وينسبون إليه كل صفات الخير والمعروف ، ويصفونه بما لن يكن فيه نفاقاً وكذباً وذلك ما نهى عنه فرحات فى وعظ تربوى وصورة اجتماعية منفردة حتى لا يقدم عليها من صفت نفوسهم ورفضت شمائلهم ، ولعل الشاعر بذلك يهدف إلى تنقية المجتمع بأسره من تلك الآفات المكلفة ، وهذه البدعة المهلكة للأموال المهيجة لكوامن النفوس (رباعية ١٥٤) .

اسلافنا كانوا إذا ماتَ امرؤ يستأجرونَ لندبه نسوانا
ينسبنَ للميتِ العزيزِ فضيلةً صدقاً وألفَ فضيلةٍ بهتانا
أما الذينَ عرفتهمْ في عصرنا ممنْ يريدون العلوَّ مكانا
يستأجرون ليمدحوا أمواتهمْ صحفاً أحطُّ من النوادب شانا

أرأيت كيف اتبرى الشاعر للقضاء على الكذابين والبعد عن المنافقين يريد بذلك أن يبنى مجتمعا مثاليا خاليا من كل ما يصيب كيانه بالهدم ، الخلقى أو يهدده بالدمار متى دبست القيم وتناساها الناس ، ولعله بذلك قد أدى دوره كمصلح اجتماعى فى هذا الجانب .

لقد أدرك فرحات دور المرأة الكريمة الشمائل فى بناء مجتمعها فنادى أن تكون النساء على جانب كبير من عفة النفس ، والتمسك بكل القيم الإنسانية وخاصة فى مظهرها فدعاها إلى عدم التبرج وعاب عليها حين تكشف عن محرماتها للآخرين ، وأظهر مفاسد ذلك فى كل أبناء الأمة ، فان هذه الانسانة التى تتبرج تضر نفسها وتلحق الضرر الأشد بغيرها من ضعاف النفوس ، حين تستهوى بفتنتها الآخرين ، وكأنى بالشاعر يسير فى تلك الدعوة وفق منهج

إسلامي حيث وجد هذا العمل الشائن فأنكره بلسانه وهتف به في مجتمعه وكان التبرج سمته ، فحافظ على الأنثى ورعى كيانها حتى تظل عفتها في مظهرها وجوهرها على السواء .

وقد ضرب فرحات على وتر العفة وتهذيب النفوس بقضية أن من تتبرج لا تألف قرينها وإنما أن تكون شيئاً من أعين الجميع فهي شرهة أفاقة نبت سمومها لتوقع الآخرين في شراكها ، وخير للانسانة المهذبة خلقا الكريمة منبتاً أن تهجر هذا التبرج وتبتعد عن الزينة الزائفة ، وتقنع بحسنها الرباني وجمالها الذي صنعها الله عليه فمن أحسن من الله صنعا .

وتلك والحق يقال دعوة صريحة إلى تنقية ما نعانيه في أيامنا هذه حتى تعود للأنثى كرامتها (رباعية ١١٩) .

تتبرجُ الخود الوفاخ لتلتمي عنْ ليلِ سوءتها بصبحْ جبينها
ولو انها حسنتْ خليقتها انتهتْ عنْ حسنْ خلقتها وعنْ تحسينها
إنَّ التبرجَّ للقرينة أسطرٌ تفسيرها طمعٌ بغيرِ قرينها
وإذا الصبية لم يلونها الحيا عجزتْ يدُ الرسامِ عنْ تلوينها

وفي نفس الموقف يبدع فرحات في رباعية أخرى (١٢٦) يبين فيها أن تكون المرأة حسنة حتى في وضع الخمار ، فلا تدعه يظهر من محاسنها أكثر مما خفي ، فان جمال الأنثى متى كان خافيا كان أدعى للاحترام وأجل لشمائلها الخلقية :

تبرقعُ المتبرجات سوافراً ببراقع منْ نسجهن كثاف
يصبغن هاتيك الخدودِ تبرجاً فالصبغ باهٍ والخدودُ خوالف
ذاتُ النقاب ترى ملاحتها كما هيَ منْ وراء نقابها الشفاف
أمأ التي تخذُ التبرج برقعاً فهي التي تخفي عن المشتاق

وما أحسن تلك النقطة الفكرية في محيط القيم الإجتماعية والإنسانية أن يكون الإنسان مثالا طيبا يحتذى كما يطلب من الفتاة أن تكون صورة طيبة

لزوجها الذى اختارها عن يقين وإيمان لا عن تبرج وبهرج خداع (رباعية ١٢٧) .

لمستُ الفتاة على نيرجها فما استنتُ إلا ستةً خرقاء
هى ملك كالظل الرفيق فأتبع إنْ تلكُ اعوجاً طبعاً تكنْ عوجاء
ماذنبها وهى التى تجرى الذى ترضى ميولكَ فيه والأهواء
أظهرتَ ميلاً للجمال ولمْ تكنْ بجميلةٍ فتجملتْ إرضاء

ومن القيم الاجتماعية التى طرقها فرحات فى قصة التبرج الذى يخدع ويجذب الشاب للأقدام على الزواج أن يتأنى الإنسان ولا تسبقه عاطفته نحو تزويج بنيه إلا عن وعى وتجربة رائدة ، فإن خداع الرؤية أمر لا يدوم وسرعان ما تنكشف الحقائق ويعلم الإنسان أن ما تعرض له سراب زائل لا حقيقة وراءه ، وتلك دعوة أكيدة لكل من يقترب من شباك خداع الرؤية أو شرك التبرج وخير للإنسان من أن يجزن ساعة للرفض من ندم الحياة للإقدام الأهوج (رباعية ١٢٤) .

خدعتْ بجاذبها الفتى وبحسنها فقدا ضحية حسنها والجاذبُ
ورحمتهُ فسعيتَ فى تزويجه ثقةً بأنكَ قائمٌ فى واجب
لا تحزنن لعاشقٍ متحذقٍ متعلقٍ بوعود لحظ كاذب
فتندمُ تلقاه منْ متزوجٍ أدعى لحزنكَ منْ تحرق عازب

سادساً : بعض طباع البشر :

ساق فرحات لوحات فنية لطباع بعض الناس فى مواقف انسانية متعددة ، ومن أهمها :

١ الحذر من المحتالين : لقد تفهم الياس فرحات من طول معاشرته للبشر أن فيهم الخير ومنهم الشرير ، فكما حث على التقرب من الخيرين والسر فى ركابهم حذر من القرب من المحتالين ونصح بالبعد عنهم . فكم فئة ضالة مضللة تشكل خطر دائما للمجتمع ونفث فى عضد وحدة الأمة ، والمحتال قد

امتلأ صدره حقدا وغيظا ورأى أن يبث سمومه فى مجالات متعددة وأن يكون له أكثر من فريسة فى كل يوم يحتال بما أوتى من دهاء ومكر ليوقعها فى شركه ، وسرعان ما يستجيب ضعاف النفوس لهم ويخضعون لهم خضوعا أبديا يصعب الفكاك منه .

ومن صور المحتالين ما يفعله جماعة من الدجالين يستهوون بأفعالهم بسطاء القوم ويلعبون بأقدارهم ، وذلك ما صوره فرحات فى قوله (رباعية ١٢)

قلتم مخاطبة الأرواحُ مثبتةٌ هيهات ليس لهذا إثباتُ
كفوا عن العالم المجهول ألسنةً كأنهنَّ إذا أطلقن حياتُ
ولا تضيعوا رفات الراقدين فقدْ يودى براحتهم هذى الخرافاتُ
أتكذبون عليهم فى حياتهم وتذنبون إليهم بعد أن ماتوا

وليست تلك الصورة السابقة مما عرضه فرحات بغائبة عن لب الأذكياء مما تفعله من تحطيم القيم الإجتماعية فى النفوس ، ومثلها ما أفاض فيه بتوضيح موقف محتال من الناس يقدم إليك معروفا بسيطا ليحصل منك على ولاء تام ، وبهذا يخدع الناس ويرتمى الجميع فى أحضان عطائه حتى إذا تمكن منهم ظهرت نواياه التى اخفاها من قبل ليتال منهم شر منال . وهذا الصنف نجده الإنسان دوما فى مجتمع تكون أفراده ، خلت ضمائر بعضهم من صدق النصح وبدل الخير نوجه الخير . وهذا ما عناه بقوله (رباعية ٢٩) .

لا يخدعنكَ محتاجٌ إليك إذا فى ما يسركَ من أمواله بذلا
إن ابنَ آدم لا يعطيكَ بعجتهُ إلا ليأخذ منكَ الثور والجملا
جهلُ البرىء طباعُ المجرمين وما شبوا عليه يجلبُ الأجلا
لو يعرف الكبشُ أن القائمين على تسمينه يضمرون الشر ما أكلا

ان هذا التصوير الذى صوره فرحات فى تلك الرباعية ليدل دلالة قوية على بعد نظره بفعل المحتالين فى المجتمع ، وانهم يسعون لتجريده من القيم التى تعلى شأنه مما يرسخونه فى نفوس الآخرين من حيل مكتملة النسج شديدة

الثأر فى النفوس تؤدى بأصحابها إلى الهاوية .

وهناك صورة انسانية يظهرها فرحات فى ابداع سوارى بان شر الأصدقاء من يحتال على صاحبه لينال منه ما يريد ، فان كان به حاجة إلى ما عند صاحبه تظاهر هذا الذى أخذ منه كل شيء بأنه لا يملك شيئا ، وتلك افن الأصدقاء وما ندخل بعضهم فى عداد المحتالين ، والصديق من يصدق صاحبه فى كل شيء ، ويحافظ على قيم المجتمع والانسانية كائنة بينه وبين اصدقائه دوما ولا تغيره ثوب الدهر ، اما من يأخذ ولا يعطى فهذا من أشر خلق الله خلقاً (رباعية ٩٤) .

وقائلة أراك حليفَ همٍّ وصحبكَ يرغبون بأن تسرأ
فقلتُ لها إذا وقيتُ صحبي ورغبتهُم فقدْ وقيتُ شرّا
دعيني من تملقهم فإني بهم من كلّ أهلِ الأرضِ أدرى
لوأستوهبتهم زراً لثوبي لمتُّ ولم أجِد للثوب زراً

ب - **التستر وراء طباع خفية** : يتستر الانسان فى حياته فى المواقف العديدة بصورة متباينة ومن تلك ما يخفيه الانسان من الخبث والغدر ويتظاهر بالطيبة وحسن النية وصدق الطوية : فهذا فرحات يصور الانسان فى تلونه وغدره بانه احط منزلة من وحوش البرارى وحيتان البحار ، وما صور فرحات ذلك الا تنفيرا للناس وحثا لهم على السيرة الحميدة والبعد عن ان يكون للانسان ضحايا فصائد اليوم ضحية الغدر ، وتلك قيم متقابلة بين العباد ، (رباعية ٢٤) :

المرءُ شر يباع البرّ قاطبةً خبثاً وشرُّ ثنايين البحارِ معاً
قولوا عن الذئبِ ماشئتمْ فسامعكم بمثل غدرِ ذئابِ الناسِ ما سمعاً
الذئبُ يتركُ شيئاً من فريسته للجائعين من الذؤبانِ إن شبعا
والمرءُ وهو يداوى البطنَ من بشعٍ يسعى ليسلب طاوى البطنِ ماجمعا

وعن كون الانسان ابن بيئته يترجم عما فيها فى كل سلوكه يحدثنا فرحات حديثا اجتماعيا صريحا عن ان الانسان يتصرف فى حياته وفق نواميس

متوارثة فى مجتمعه ، وعلى الانسان ان يقدر تصرف كل فرد وفق ما عرف من قومه ونعلم منهم من قيم ، وهذا ما يقوله علماء الاجتماع ان الانسان وليد بيئته وسلوكه نهج منها (رباعية ٢٧) .

ما المرءُ فى الكونِ إلا ابنُ بيئتِه ... فانظرْ لمختلفِ البيئاتِ واعتبرِ
إنى درستُ طباعَ الناسِ مختبرا ... مافي النفوسِ وليسَ الخبرُ كالخبرَ
لا يطلبُ الحرُّ فهماً فى الجميعولا ... يغنى من البدوِ ما يبغي من الحضرِ
إنْ كان ينطحني البقارُ لا عجبٌ ... فالنطحُ مكتسبٌ من عشرةِ البقرِ

ومن هذه الصور التى يبرزها الياس فرحات ما نراه فى قوله حين يحذر من جفاء الناس من ان الاباء يسعون دوما إلى تلقين الابناء دروساً فى الحنان وحميد الصفات ، ولكن يغلب التطبع بالجفاء وقسوة القلب أحيانا فلا ينبغى ان يسلم الانسان بما يراه فيهم من قيم وانما عليه ان يحذر فالغدر فى الطبع وليس سمة بارزة فى وجوه الناس (رباعية ٧٨) .

يدينُ والدٌ ولداً حنانا ... ولكن لا على أملِ الوفاءِ
فإن الناسَ ليسَ لهم وفاءٌ ... وقد جمعوا الكثيرَ من الجفاءِ
همُ الغيلانُ فى هزلٍ وجدٍّ ... وفى ضيقِ المعيشةِ والرخاءِ
فلا يغررْكَ إنكَ لستَ تلقى ... على أنيابهمْ أثرَ الدماءِ

وهناك نوع من الناس يضيقون ذرعا بالدهر ويتحدثون دوما ان سبب بلواهم فى دهرهم وان ما يصيبهم من فعل الزمن ، وهؤلاء تبرموا بالحياة وضاقوا بها ، وما أدركوا أن ما أصابهم لم يكن إلا من عمل أيديهم ، وضرب بذلك مثلا بمن يدعى التدين والدين منه برىء ، وان الناس يخشى بعضها بعضا لما اتصفوا به من صفات الغدر والقهر بعضهم لبعض ، ولعل فرحات فى ذلك يندب ما حدث فى المجتمع البشرى ويبصر الناس بما ينبغى عليهم اتخاذه منهاجا وسلوكا لتحقيقا للقيم الاجتماعية وبناء للقواعد الانسانية على أساس من الصدق والوفاء والبعد عما لا ينبغى ان يتصف به الانسان (رباعية ١٦) .

نشكو على الدهر لا أساس لها فالدهر لم يرتكب إثماً ولم يجر
لا يقفل البشرُ الأبواب إن رقدوا خوفاً من الذئب بل خوفاً من البشرَ

يالابسَ الدين عقداً يستعيذُ به قد صار عقدك أصداقا بلا درر
مات الوفاءُ ومات الفضلُ واختلجتْ في صدر عرض الورَى أنفاسُ محتضر

ويبرهن فرحات ان الاحتكاك البشري يولد في الانسان صفات جديدة يجلو معدته ، ويظهر جوهره حين يسلك في تعامله معهم ما ينبيء عن شخصيته ، وان كثيراً من الناس تدور بهم الدنيا ولا يدورون معها تعلما لما حوته من البشر واخذ الحميد منه ونبذ السيء ، فعلى الانسان ان يأخذ من من سلوك الناس صوراً يعتز بها وان يكون دائما في تلاحم معهم بناء لقيمه ، ولا نجد ذلك بين سطور الكتب فسجل المعرفة الحياة وكشفها الاحتكاك في التعامل البشري (رباعية ٤٣) .

شرقٌ وغربٌ فقد يغنيَ أخو سفرٍ عن كل ما تجمع الأسفارُ من حكمِ
والمرءُ لا يرتقي مهما تلا كتباً إلا إذا احتكَّ بالأفرادِ والأممِ
كم في البريّة من حيٍّ تدورُ به الـ غبراءُ وهو على الغبراءِ كالصنمَ
نورُ الوجودِ على عينيهُ منتشرٍ ونفسهُ لم تزلْ في ظلمة العدمِ

وهناك قضية اجتماعية هامة تناولها فرحات في بناء المجتمع على قيم انسانية سليمة وهي خداع بعض الناس بما يرتديه الاخرون ، خاصة ما يخدع به الشباب حين يقبلون على اختيار شريكة الحياة ، فيجرون وراء فاخر الثياب دون التمعن فيما تحويه من انسانة تليق به سلوكا ، وتهنأ معه حياة ، والكيس من تبصر في اموره ولم يخدع بما يبهره من مظاهر خداعه (رباعية ٥٩) .

نظرتُ إلى النساءِ تريدُ زوجا تكونُ من الفواضلِ والحسانِ
فما ميزتُ طهرا من فسادٍ ولا حسناً أكيدا من دهانِ
ففيَّ صبغ الوجوهِ نرى سباقاً تقوم به العجائزُ والغواني
وفي الأزياءِ وهي كما تراها تشاركتِ الحرائرُ والزواني

جـ - البعد عن النفاق ، قضية النفاق فى القول أو السلوك قضية شائكة شغلت الناس والمصلحين دوما ، وضاقوا بها بحثا إلا حل لها فلم يهتدوا الا إلى الوضوح سبيلا وصدق القول منهاجا ، وعدم الضجر والضيق سلوكا ، فما احسن ان يكون الانسان واضحا فى كل تصرفاته ، ويصدق لسانه ما استكن فى صدره وبعد ذلك عن النفاق كما قال فرحات (رباعية ٧٤) .

إذا ضاقَ المكانُ على ابن أنثى يصيح مولولاً ضاق الزمانُ
وكم صدقَ الزمانُ بنيه قولاً وسالمهم فعادوه وماتوا
جنانُ المرءِ تخفى الشرَ عمداً وتبدي العينُ ما تخفى الجنانُ
وبينَ الفكرِ والقولِ ارتباطٌ فإن عثرَ النهى عرجَ اللسانُ

وفى نفس المعنى قال فرحات رباعية اخرى (٨٦) :

تنافرَ أصغراكَ وربَّ رأسٍ تغفرُّ منَ تنافر أصغريه
لسانكُ مظهرٍ لأخيكَ حباً وقلبكُ مضمرٌ حقداً عليه

نأى الإخلاصُ عنك فليسَ يدنوُ إليكَ ولستُ مقترباً إليه
ولستَ بخائفٍ فتكاتِ دهرٍ لديك من الخيانةِ ما لديهْ

ويصور لنا كيف يحتال المنافق على ضعاف النفوس بأساليبه حتى يجذبهم إليه ، وسرعان ما يكشفون خبثه وسواد سريرته وضراوة فعله فى المجتمع تحطيما للقيم الانسانية (رباعية ٨٩) :

تموهَ كل مبتذلٍ حقيرٍ فتملأ منه فارغة الرءوس
وتجلسُ لاختلاقِ أحط قولٍ فتغرى الواقفينَ على الجلوس
فأنتَ أضرُّ من حنشٍ خبيثٍ تنفس بين صافيةِ الكؤوس
وأنقع من حديثكِ سم أفعىً يميت ولا يؤثر فى النفوس

ويتطرق فرحات إلى نفاق المدح والقول كما تعرض لنفاق المظهر وما يخفى وراءه ، ويدعو الانسانية إلى ان يكون المخبر كالجوهر قولا وفعلا ، ويفضح اولئك الذين يقولون مالا يؤمنون به نفاقا وتسترا وراء طلاقة اللسان وحلو البيان (رباعية ٩٣) .

يكيل البعض للعائل مدحا يؤثر في عقول الجاهلينا
فهذا فاضل حرٌ وهذا كريمٌ محسن يعطي المئينا
وعندي أن هذا المدح كذب يوارى تحت بهرجة اليقينا
فأنى يغتني حرٌ كريمٌ وأنى سار يلقى معوزينا

ويعلن براعته في اختبار الناس وصدق فراسته فيما يخفون من سمات خلقية ، ويفضح امرهم بأنه استطاع ان يكشف عنهم ما يسترون به عيوبهم الاخلاقية ويظهر حقيقتهم عاريه امام العيان حفاظا على كيان المجتمع وتنقية من شرورهم ، وحثا على تجنبهم مهما كان الأمر ، وفي ذلك قول فرحات (رباعيات ١٥٦) .

انظر إلى هذا اللئيم فإنني أدرى به من أمةِ الحرباء
ما شيتهُ يوماً فدستُ خياله عرضاً فأثرَّ لؤمهُ بحذائي
متقلب الأطوارِ الأفكار والأقـ ـوال والأفعال والآراء .
عبدٌ مع العبدان حرٌ بيننا كالماء يأخذُ لونَ كلِّ ناء

سابعاً : بين العلم والمال :

لقد أدرك فرحات ان المال والعلم سلاحان في بناء البشرية ، وان من ملكهما أو كلاهما صار في مأمن من عوادي الدهر وفضل ملكية العلم عن خزائن الأرض ادراكا طيبا ان العلم يجلب المال متى عقل الانسان تصريف اموره وادرك قيمة علمه في بناء المجتمع . وبسطاء الناس من يظنون قيمة للمال تعلو على قيمة العلم . (رباعية ٥٢) .

مالي أرى الناس عقالاً فإن جمعوا شيئاً من المال صاروا كالمجانين
والعلمُ والحلمُ سلطانان عندهم أما النضارُ فسلطانُ السلاطين
يصبى الخواطر زهوُ الأغنياء ولا تصبى الخواطرُ أمجادُ الأساطين
كل امرىء يتمنى مال « ركفلر » وقلَّ منْ يتمنى علم « داروين »

فما أبدع تلك المقارنة من ان الجهلاء يتسورون مال زعماء الرأسمالية بينما القلة من الناس من يتمنى أن يكون له جزء من علم داروين صاحب نظرية النشوء والتطور التي تعبر عن قيم علمية دقيقة وبحث لاعمال العقل .

ويؤكد فرحات قيمة العلم في دعوته للناشئين حثا لهم ان يتعلموا العلوم النافعة ليدركوا قيمهم في الحياة ، ويصعدوا إلى مراتب الرفعة والسمو الانساني بما ارتفعت امة بجهلائها ، ولكن على فكر العلماء ورجاحة عقولهم تقوم بناء الحضارات ، وترقى الامم وتتسابق بأبنائها العلماء في شتى مجالات الحياة مما لا غنى عنه ، فيدعو إلى ذلك قائلا (رباعية ٦٦) .

أراكَ فتىً تلوحُ له الأمانى فيحجبها من الجهلِ الغبارُ
تعلمْ ما استطعتَ فكلُ علمٍ به نفعٌ وليس به خسارُ
يكلُّ كلُّ ذى علمٍ شعاعٌ إذا ما كلَّ الأبطالُ غارُ
وجهلك حينَ يبدو العلْمُ يغدو كظلك حينَ ينتصفُ النهارُ

وما أرفع ما يرفع تعلم الادب صاحبه إلى عليا الدرجات ، وان ظن بعض صغار النفوس ان الرفعة تكون للانسان بقدر ما يحصل عليه من مال ، وتلك قيمة رفيعة في حث الانسانية على التزود من العلم يزاد الادب الرفيع ، فهؤلاء الذين صفت نفوسهم وخلد ذكرهم ، وهذا ما أشار إليه فرحات بقوله (رباعية ٦٧) .

لنا لبُّ اللبابِ من المعالى وللمتظاهرين بها القشورُ
نحب الصاعدينَ إلى ذراها وننصرهم إذا عزَّ النصيرُ
ونقصي الخائمينَ على الدنايا كما حامتْ على الجيفِ النسورُ
بهز نفوسنا أدبٌ يسيرٌ وليس بهزها ذهبٌ كثيرُ

وبعـــد :

فان هذه الرباعيات التي تناول فيها الياس فرحات المقاييس والقيم الاجتماعية في رحاب الانسانية لتظهر بجلاء عن نفس شفافة للشاعر ، وفكر متوقد وروح وثابة لاصلاح المجتمع ، فلقد أدرك فرحات ان من أهم مهام الشاعر ورسالته في الحياة تقييم من فيها حتى تستقيم لهم الحياة ويسعد الجميع بما ينالون من احترام الاخرين وتقدير انسانيتهم .

وان الواضح من استعراض الفكر الانساني خلال تلك الرباعيات ليبين عن اصالة ثقافة الشاعر انه استقاها من جامعة الحياة ، فقد عاشر الفقراء وألف حياتهم ، وصادق الأغنياء وهجر مودتهم ، والتحم باواسط الناس واخذ عنهم ، ودار مع الزمان دورات العسر واليسر وادرك ما فيها من موازين مختلة ، وفهم ما يغضب الناس وما يسرهم ، ووطن نفسه على قبول كل امر من الأمور وكانه هيأ نفسه مصلحا اجتماعيا أو واعظا دينيا يوقظ في الناس الشعور بانسانيتهم ويضرب لهم الامثال من الحيوان والجماد النبات لعلهم يتفكرون .

لقد كان فرحات صريحا كل الصراحة حين نظم تلك الرباعيات ومثله لم تكن له تلك الشجاعة ليهتف ان هذا هو الفساد وذاكم العلاج الناجح له ، وكان بعض زملائه فالمهجر يركن إلى الرمز وسيلة للتعبير ،ويقص القصص اظهارا لما يدور في نفوسهم ، ولكن فرحات فتح باب الصراحة على مصراعيه ونادى هلُمَّ للاصلاح وبعدا عن الافساد فحياة الانسان ارقى من ان تدنس أو يهان .

وحين كان يحتاج فرحات إلى التبسط في القول كان يختار الفكاهة اسلوبا ليفهم العامة قبل الخاصة بما يدور في خلده ، وليعلن على الملأ ان هاكم فرحات الثائر الهادىء المثقف البصير المصلح الاجتماعي بما وعاه عن معاشرة مخلوقات الله من حيوان ونبات وجماد ومن احتك بهم من بني الانسان ، وهذا ما حببني فيه وجعلني أهتم برباعياته .

فليت شعراء المهجر أو من جاء بعدهم كان لهم هذا السبق في محيط

الاصلاح الاجتماعي وأدبه الانساني [illegible] ساقه فرحات في ابيات معدودات وعمق فكره وبساطة قول وصائب حكمة

والله المستعان على ما يصنعون

دكتور

عبد الرحيم محمود زلط

مدينة تِنِّيس
فى
التاريخ الأسلامى

دكتور جابر سلامه المصرى
أستاذ مساعد التاريخ الأسلامى
كلية التربية

مدينة تِنِّيس
فى
التاريخ الأسلامى

دكتور جابر سلامه المصرى
أستاذ مساعد التاريخ الأسلامى
كلية التربية

مقدمـــة

تتباين المدن من حيث ظهورها ومولدها ، فمنها ما تم تأسيسه فى تاريخ محدد وعلى أيدى أناس معروفين - حكاما كانوا أو قادة أو ساسة - مثل الأسكندرية والقسطنطينية وبغداد والقاهرة ... ومنها ما نشأ نتيجة لتجمعات بشريه هاجرت من مواطنها تحت ظروف وضغوط معينة ، مثل البندقية ، ومنها ما جاءت نشأته تلقائيه نتيجة لعوامل إقتصادية أو دينيه ، أو غير هذا وذاك من الأسباب .

غير أن هناك بعض المدن القديمة لا يعرف تاريخ محدد لقيامه ، وتخضع نشأتها للحدس والتخمين ، وتحيط بتلك النشأة الأساطير والخ هى مزيج من الحقيقة والخيال . والغالب أن بقاء ها واستمراريتها قرونا طويلة ، إنما يكون لعوامل توافرت لها .

ومن هذا النوع الأخير
إذ أحاطت بنشأتها الأساطير ، ر
من العصور القديمة والوسطى ،
والتجارة ... وجاء كل ذلك على الر
جزيرة صغيرة وسط بحيرة واسعة يغلب

ومع ما أحرزته هذه الجزيرة من شهرة ، فإنها انمحت من صفحه التاريخ فى عصر الحروب الصليبية ، فى أواخر القرن السادس الهجرى - الثانى عشر للميلاد - عندما أمر الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى بهدمها . وهكذا إذا كان التاريخ لا يؤكد أن تنيس تم تأسيسها بيد حاكم ، فإنه يؤكد أن نهايتها جاءت نتيجة لقرار أصدره حاكم .

والواقع إن عصر الحروب الصليبية شهد قيام المسلمين بهدم بعض المدن الاسلامية بمصر والشام ، تخوفا من أن يعود الصليبيون إلى إحتلالها والمخاذها قواعد ينطلقون منها إلى داخلية البلاد . ومن هذه المدن نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - دمياط وطرابلس وتنيس . ولكن المسلمين عندما هدموا دمياط وطرابلس ، شرعوا فى بناء مدينتين جديدتين بدلاً منهما فى الداخل - بعيداً إلى حد ما عن ساحل البحر - حتى تكونا فى مأمن من أى هجوم بحرى صليبى . وهكذا هدمت دمياط القديمة عقب حملة لويس التاسع فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد لتشيد بدلها دمياط جديدة فى الداخل ، وهدمت طرابلس القديمة عقب إستيلاء السلطان المنصور قلاون عليها فى أواخر نفس القرن ، لتحل محلها طرابلس جديدة أقامها المسلمون بعيداً عن ساحل البحر .

أما تنيس فقد هدمت ليخبو نورها إلى الأبد ، لأن موقعها وظروفها الطبيعية كانت لا تسمح ببناء تنيس جديدة فى الداخل مثلما هو الحال مع دمياط وطرابلس الشام . وبذلك أنتهى دور تنيس فى التاريخ فى نهاية القرن السادس الهجرى - الثانى عشر للميلاد - وبقى إسمها فى كتب التاريخ يحمل ذكريات مدينة كبيرة ، نهضت بدور بارز طوال قرون طويلة ، وسجلت نشاطا حضاريا يفوق حجمها فى مختلف الميادين الأقتصادية والأجتماعية والفكرية وغيرها .

وفى هذه الدراسة حاولت أن ألقى أضواء على مدينة تنيس من واقع ما تبعه من إشارات قليلة متناثرة فى بطون المصادر ، والله ولى التوفيق .

تنّيس مدينة قديمة بديار مصر بالقرب من دمياط على بعد تسعة كيلو مترات من الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد الحالية ، كانت تنيس هذه قائمة فى العصور الوسطى فى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة التى عرفت باسم بحيرة تنيس نسبة إلى بلدة تنّيس الواقعة بها . وبعد أن أندثرت تنيس عرفت البحيرة باسم بحيرة المنزلة نسبة إلى بلدة المنزلة القريبة منها والتى هى اليوم قاعدة مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية[1] .

ويلاحظ التمييز بين تنّيس هذه التى بكسر التاء وتشديد النون ، وبين تانيس التى هى صان الحجر بمركز فاقوس ، وكذلك التفرقة بين تنّيس الأولى وبين تنيس بغير تشديد . ويقال لها التينه وهى التى تعرف اليوم باسم البربا بمركز جرجا مسقط رأس الملك مينا أول ملوك الفراعنة[2] .

وللأهمية التاريخية لمدينة تنيس موضوع بحثنا تكلم كثير من المؤرخين عن موقعها وتناولوا ذلك من زوايا عديدة وأتفقوا فى النهاية على مآثر تلك المدينة بعد التعريف بها .

من ذلك ما يذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان من أن تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة والسين مهمله ، جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما[3] ودمياط ، والفرما فى شرقيها . وقد ربط ياقوت نشأة تنيس ببعض الأساطير ، فقال أنها سميت باسم تنيس بنت دلوكه الملكة وهى العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر . كذلك قال إن النيل كان يجرى إليها وأنها كانت ذات حدائق وبساتين . أما عن وصفها[4] فقد ذكر ياقوت أنها كانت

(١) أنظر الخريطة بالملاحق .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٧

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣١٢ هامش ٢ ، جـ ٨ ص ٢١٨ هامش ٢

د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٧٣ هامش ١ .

(٣) الفرما : مدينة على شاطىء بحيرة تنيس بها قبر جانينوس اليونانى ومن الفرما إلى تنيس فى البحيرة دون الثلاثة فراسخ . وهى مدينة خصبة كثيرة الرطب صالحة للفاكهة ابن حوقل . صورة الأرض ق ١ ص ١٦٠ .

(٤) أنظر الخريطة بالملاحق .

جزيرة فى وسط بحيرة مفرده عن البحر الأعظم - أى البحر المتوسط أو بحر الروم - يحيط بهذه البحيرة البحر من كل جهة وبينها وبين البحر الأعظم بر آخر مستطيل وهى جزيرة بين البحرين ، وأول هذا البر قرب الفرما ، وهناك فوهه يدخل منها ماء البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس فى موضع يقال له القرباج فيه مراكب تعبر من بر الفرما إلى البر المستطيل الذى يحول بين البحر الأعظم وبحيرة تنيس ، يسار فى ذلك البر نحو ثلاثة أيام إلى قرب دمياط . وهناك أيضا فوهه أخرى تأخذ من البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس ، وبالقرب من ذلك فوهة النيل الذى يلقى إلى بحيرة تنيس[1] .

وهذه البحيرة طولها مقدار إقلاع يوم واحد فى عرض نصف يوم ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال ، فإذا تكاملت زيادة النيل يُعد الماء الملح وتغلب حلاوة ماء النيل على ماء البحر فيصير ماء البحيرة عذبا حتى عشرة فراسخ حول تنيس ، وعندئذ يدخر أهلها المياه فى جباب وصهاريج عظيمه بنوها تحت الأرض وهى قوية البنيان وتسمى المصانع . وتصبح هذه الصهاريج هى المصدر الرئيسى للمياه التى يستعملها أهالى تنيس وسكانها حتى السنة التالية عندما يفيض النيل ، وكل من لديه ماء فوق حاجته يبيع الفائض لغيره ، وبالمدينة مصانع كثيرة موقوفه يعطى ماؤها للغرباء[2] .

والبحيرة قليلة العمق يُسار فى أكثرها بالمدارى[3] ، ومن حذق نوائى[4]

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) الكرخى: المسالك والممالك ص ٥٢ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٩
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٤٣٠
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥ .

(٣) المدارى : جمع مدراه وهى قواع طويل من الخشب يشبتها الملاح فى قاع الماء ليدفع بها المركب .

(٤) نوائى : جمع نوتى وهو الملاح .

البحر أنهم يقلعون بريح واحدة يديرون القلاع بها حتى يذهبوا فى جهتين مختلفتين متساوية فى سرعة السير فيلقى المركب المركب فى مثل لحظ الطرف بريح واحدة[1] . وبهذه البحيرة سمكه تسمى الدلفين[2] فى خلقة الزق الكبير[3] وتكثر فى مياه بحر الروم ، ولها خاصية مشهورة وذلك أنها لا تزال تدفع الغريق عند غرقه وهو يجود بأنفاسه ودفعه مرة ورفعه تارة أخرى إلى أن تخرجه إلى الساحل أو الماء الرقيق ، كما أنه إذا أكلها الانسان رأى منامات هائلة[4] ، أى مزعجه .

ويذكر المسعودى أن « بحيرة تنيس ودمياط كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها إستواء وطيب تربه ، وكانت جنانا ونخلاً وشجراً ومزارع . ولم ير الناس إلى ما قبل الفتح العربى بمائة عام أرضا أحسن من هذه الأرض ولا أحسن إتصالاً من جنانها وكرومها إلا بلاد الفيوم ، وكانت أرضها ترويها ترع لا تنضب مياهها تأتى من النيل صيفا وشتاء فكانت تنبت لباتاً يانعاً من القمح والنخيل والأعناب وسائر الشجر من فاكهة ورياحين ، وكان بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم واحد . غير أن البحر ما لبث أن طغى عليها فاقتحم ما كان يحجزه من كثبان الرمل ، وكانت المياه تزيد طغيانا عاما بعد عام حتى عمت السهل المنخفض فغرقت معظم القرى ، وأما التى كانت على إرتفاع من الأرض فلم تناله المياه وأعظم ما نحا من تلك الأراضى مدينة تنيس الشهيرة بما لها من الأتساع والكبر ، بعد أن عصفت بغيرها الطبيعه وكتب عليها الغرق واختفت جناتها وآثارها وتكونت على أرضها بحيرة مترامية الأطراف تطوى فى أعماقها مدائن الحدائق ، هذه هى بحيرة تنيس التى عرفت

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١ .
آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٤٣٠ .

(٢) هذا الاسم باللغات الأوربية Dolphin

(٣) الزق الكبير : الزجاجة الكبيرة المبسمه التى يحتق بها الخمر .

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠٣
صورة الأرض ق ١ ص ١٥٦
الكرخى : المسالك والممالك ص ٥٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

فيما بعد باسم بحيرة المنزلة »[1] .

أما المقريزى فيذكر أن « تنّيس بكسر التاء المنقوطه باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء وسين مهملة بلده من بلاد مصر فى وسط الماء ، وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح عليه السلام . ويقال بناها قليمون من ولد أنريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القدم »[2] . وكان للملك بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتى يأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متنزها . ويقال أن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز « واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ... » كانتا لأخوين من بيت الملك أقطعهما ذلك الموضع فاحسنا عمارته وهندسته وبنيانه ، وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتى منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الأطعمه والأشربه ما يستطيبه ، فعجب بذلك المكان أحد الأخوين وكان كثير الضيافه والصدقة ففرق ماله فى وجوه البر ، وكان الآخر ممسكا يسخر من أخيه إذا فرق ماله ، وكلما باع من قسمه شيئا أشتراه منه حتى أصبح لا يملك شيئا وصارت تلك الجنة لأخيه واحتاج إلى سؤاله فنهره وطرده وعيّره بالتبذير ، وقال كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعنى إمساكى فصرت أكثر منك مالا وولداً وولى عنه مسروراً بمانه وجنته ، فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعاً فاقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور[3] ويقول « ياليتنى لم أشرك بربى أحداً . قال الله تعالى « ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله »[4] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٣٠٢/٣٠٣

بلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠١

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٦

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٤

(٣) الثبور : الهلاك والخسران .

(٤) المقريزى : خطط جـ ١ ص ١٧٦

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥

الفتح العربى ودور تنيس
فى الأحداث السياسية

ذكر جماعة ممن شهد فتح مصر أنه مع بداية الفتح العربى ، وبعد أن استقرت أقدام القائد عمرو بن العاص ، وجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونه ودميره وشطا ودقهله وبنا بوصير[1] . وكانت تنيس حينئذ خصاصا من قصب ، ولذا عرفت بذات الأخصاص حتى بداية عهد بنى أميه عندما بنى أهلها قصوراً ولم تزل كذلك إلى صدر الدولة العباسية . ثم دخلها أحمد بن طولون سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م فبنى بها عدة حوانيت وصهاريج تعرف بصهاريج الأمير[2] .

ويروى إبن اسحق أنه لما فتحت دمياط على أيدى المسلمين ، قال الملك الهامونك صاحب دمياط لأبنه شطا[3] « يابنيّ إن الله أنقذنا من نار جهنم وهدانا إلى الصراط المستقيم وجنات النعيم وذلك فضل من الله عز وجل ، وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة لا يصل إليها أحد إلا فى المراكب ، والصواب أن نكاتب صاحبها أبو ثور - من العرب النصارى - وندعوه إلى الله تعالى ودين نبينا ﷺ فإن أجاب فبها وإلا سرنا إليه وقاتلناه والله تعالى ينصرنا ، فقال شطا : نعم الرأى ما رأيت وأنا أكون الرسول إليه ، فقال الملك : إعزم على بركة الله . فركب شطا وأربعة رجال من غلمانه ، فقال يزيد بن عامر لشطا : أنا أسير معكم إلى صاحب تنيس فإنه لو سألكم عن أمر ديننا لم يكن لكم خبر بجواب سؤاله ونحن بحمد الله نعلم معالم ديننا ونرد جواب من يسألنا . فقال شطا : سر معنا ، فسار شطا مع غلمانه ويزيد بن عامر ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بحيرة تنيس وإذا على ساحلها مراكب من قبل صاحبها وفيها رجال يحفظون ثغورها ومن يأتى من قبل دمياط ، وأذن لهم حاكمها أبو ثور

(١) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ٢ ص ٢٥٤ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢ .

(٣) حاكم المدينة التى ينسب إليه وقوع بين تنيس ودمياط وينسب إليها الثياب الشطويه المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٥ .

بالدخول[1] . إلا أن مجرى الأحداث فيما بعد أثبتت عدم إستجابة أبى ثور للدعوه السلميه من جانب شطا وأبيه الهامولك .

ومن ناحية أخرى فقد سار المسلمون إلى تنيس فخرج إليهم حاكمها فى نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فناجزهم فى مواقع كثيرة ودارت بينهم حروب قبل أن يظفر العرب ويهزموا جيشه ويأخذوه أسيراً . ومنذ تم لهم ذلك فتحوا المدينة وبنوا كنيستها جامعاً وغنموا أموالها وقسموها[2] .

وتروى القصة أن شطا لما رأى أن العرب أبطأ عليهم فتح تنيس جمع جيشا من البرلس ودمياط وأهموم طناح وجهزه ولحق باعداد المسلمين ، ثم سار حتى ألتقى بالعدو وأظهر من الشجاعة وحسن البلاء مايظهره الأبطال وقتل بيده إثنى عشر رجلاً من فرسان أهل تنيس وشجعانهم ، ومازال يقاتل حتى قتل ودفن بظاهر المدينة . ويقول المقريزى « أن قبره لا يزال معروفا يزوره الناس من كل أنحاء البلاد المجاورة ليتبركوا به فى يوم مقتله وهو يوم النصف من شعبان[3] .

وأصبح العرب بفتح تنيس ودمياط والبلاد المجاورة مسيطرين على منافذ النيل إلى البحر جميعاً . وأكبر الظن أن سلطان العرب صار يمتد منذ ذلك الحين على كل بلاد مصر السفلى إلا بلاداً قليلة كانت فى الجزائر التى فى مياه بحيرة المنزله الفسيحة[4] .

ونتيجة لذلك أحتفظت القبائل العربية ببقائها فى مصر بعد الفتح زمنا طويلا ، فإن الحمدانى يذكر أن بنى عذره وهم قبائل عربية أقاموا بدمياط وما

---

(١) ابن اسحق الأسوى : فتوح مصر وأعمالها ص ٨٤ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦ / ٣٠٧
داسيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٨٦ .

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٨

(٤) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٤

حولها بتنيس[1] .

ولم تزل تنيس بيد المسلمين إلى أن كانت إمرة بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة ١٠١هـ/٧١٩م فهاجم الروم تنيس وقتلوا أميرها مزاحم بن مسلمه المُرادى فى جمع من الموالى[2] ، وفيهم يقول الشاعر :

ألم تربع[3] فيخبرك الرجال بما لاق بتنيس الموالى[4]

واستمرت تنيس بحكم موقعها الهام تشارك فى الأحداث السياسية ،

---

(١) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٢٩٣ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٧٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١ ص ٢٤٤
د/ عبد الله خورشيد : القبائل العربية فى مصر ص ١٧٤ وص ٢٣٢

(٣) لم يكن الجيش العربى الفاتح بالرغم من إقامته فى معسكر بنى له خاصة منذ اللحظة الأولى باسم الفسطاط ، لم يكن يقيم فى هذا المعسكر بصفة دائمة فقد كان جنوده يتحركون داخل البلاد لأسباب مختلفة منها الأرتياع ، فكانوا ينتقلون كل ربيع إذا « تدنت الجوزاء وزكت الشعرى وأقلعت السماء وأرتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، درجت القبائل » إلى القرى المصريه يطلقون خيولهم فى حقول الربيع ترعى حتى تسمن بينما ينطلقون هم يصطادون ويشربون اللبن الذى يقدمه المصريون إليهم ويأكلون الفراخ التى يحصلون عليها منهم . ولم تكن هذه العملية التى عرفت باسم « الأرتياع » لم كيفما أتفق بل وضع لها منذ اللحظة الأولى نظام مرسوم ، فكان إذا جاء وقت الربيع والتين كتب الوالى لكل قوم بريدهم ولينهم إلى حيث أحبوا . وبالرغم من أنه كان يترك للقبيله إختيار الجهة التى تفضل الأرتياع بها فى الدلتا أو الصعيد ، فإن الوالى كان يصدر أمراً كتابياً يحدد فيه القريه التى تذهب إليها القبيله وكميات اللبن التى يسمح بالحصول عليها من المصريين .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١ ص ٧٣
د/ عبد الله خورشيد : القبائل العربية فى مصر ص ٤٥/٤٦

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص ٧٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ص ٢٤٤
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧ .

ذلك أنها نظرا لتطرف موقعها وحصانتها وصعوبة الوصول إليها غدت ملاذاً ومنجأ للهاربين من وجه خصومهم وأعدائهم .

من ذلك أنه حدث أثناء الصراع بين الأمين والمأمون ولدى الخليفه هارون الرشيد أن أراد الأول الغدر بأخيه المأمون . وكان الوالى على مصر من قبل الأمين هو حاتم بن هرثمه بن أعين فلما ثار عليه أهل نتو وتمى[1] بعث إليهم السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى فتغلبا عليه فى شوال سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م . ثم ولى الأمر جابر بن الأشعث الطائى مصر وكان لينا ، فلما تباعد ما بين الأمين وأخيه المأمون وخلع الأمين أخاه من ولاية العهد وعهد إلى ابنه موسى ، تكلم الجند فى مصر بينهم فى خلع محمد الأمين غضبا للمأمون ، فبعث إليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويحولهم عواقب الفتن ، وأقبل السرى بن عبد الحكم يدعو الناس إلى خلع محمد . وكتب المأمون إلى أشراف مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه وبايعوا المأمون فى رجب سنة ١٩٦هـ/٨١١م ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد بن محمد ، فكتب محمد الأمين إلى رؤساء الحوف بولاية ربيعه بن ليس الجرشى – وكان وليس ليس الحوف – فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمنها وليسها وأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون وساروا إلى الفسطاط لمحاربة أهلها ، فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروى وأرسله فى جيش لقتال خصومه فخرج فى ذى القعده سنة ١٩٧هـ/٨١٢م لقتالهم ، فانهزم الجروى ومضى فى قومه وأتباعه إلى فاقوس ، فقالوا له « لم لا تدعو لنفسك بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض » . فصادف ذلك هوى فى نفس الجروى ، فمضى فيهم إلى تنيس فنزلها ، ثم بعث بعماله يجبون الخراج من مصر السفلى[2] . وفى تلك الأثناء بلغ أهل الحوف قتل الأمين – وهم أنصاره – فتفرقوا . وولى إمرة مصر المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون ، وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله ، ثم صرف

(١) ناحيتين بحوف مصر الشرقى من أسفل الأرض .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٦ وص ٤١٢ .

(٢) هو الوجه البحرى وكان مقسما جغرافيا إلى الحوف الشرقى شرق فرع دمياط والحوف الغربى غرب فرع رشيد وبطن الريف بين فرعى رشيد ودمياط .
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٨٠ وص ٣٩٠ .

المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى فى شوال سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، ثم عاد عبد العزيز فتولى الشرطة مرة ثانية[1] . فلما ثار الجند وأعادوا المطلب فى المحرم سنة ١٩٩هـ/٨١٤م هرب الجروى إلى تنيس وأقبل العباس بن موسى من مكة - وكان قد ترك الأمر لأبنه عبد الله فى مصر ربما يحضر هو - فنزل بلبيس ودعا قيسا إلى نصرته ، ثم مضى إلى الجروى بتنيس فشاوره ، فأشار عليه أن ينزل دار قيس . وبعد موت العباس بن موسى مسموعا فى طعام دسه إليه المطلب دان أهل الخوف للمطلب وبايعوه ، وبعد ذلك بعث المطلب إلى عبد العزيز بن الوزير الجروى بولايته على تنيس وأمره بالذهاب إلى الفسطاط - ويبدو أن المطلب أراد بذلك أن يخدع الجروى ويوقع به لأنه عرف رغبته فى الأستقلال وطمعه فى ولاية مصر - إلا أن الجروى رفض وامتنع عن الأمتثال لأمر الوالى . وإزاء هذا بعث المطلب يوالى على تنيس ، ولكن الجروى منعه من ذلك وأخرجه منها ، فبعث إليه المطلب السرى بن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم إليه ، إلا أنه اجتهد فى الغدر بهم فقطنوا إلى ذلك وحاربوه ، ثم عاد فدعاهم إلى الصلح ولجأ إلى خدعة أستطاع بها أن يقبض على السرى ويأسره ويسجنه بتنيس وذلك فى جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ/٨١٤م[2] .

وفى مجموع النزاع بين المطلب بن عبد الله وعبد العزيز الجروى أخرج الأخير السرى بن الحكم من السجن وعاهده وعقد معه على أن يثور بالمطلب ويخلعه ، فعاهده السرى على ذلك فألقى على أهل مصر أن كتابا ورد بولايته ، فاستقبله الجند من أهل خراسان وأمده قيس بجميع منهم وحارب المصريين الذين أمتنعوا عن تأييده ومبايعته . فطلب المطلب الأمان فأمنه واستبد السرى بأمر مصر .

---

(١) يدل على اضطراب الحالة فى مصر فى ذلك الوقت أن أحمد الشرطه ولبها خمسة رجال على التوالى فى بضعة أسابيع

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ ص ١٥٧ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٥٤/١٥٥/١٥٦/١٥٧

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٦/٤٧

د. سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٦٤

ولما ولى المطلب بن عبد الله الخزاعى ولايته الثانية على مصر باجماع الجند (١٩٩/٢٠٠هـ) - (٨١٤/٨١٥م) ولى على الاسكندرية محمد بن هبيره الذى أستخلف عنه عمر بن هلال ، وقام الأندلسيون الذين قدموا الاسكندرية بعد طردهم من وطنهم فى عهد الحكم بن هشام الأموى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م بقتل عمر بن هلال هذا واستقلالهم بالاسكندرية ، وبلغ الجروى ذلك فسار إليها فى خمسين ألفا من رجاله وحاصرها وكاد أن يفتحها فى المحرم سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، ولكن السرى بن عبد الحكم الذى خشى إزدياد نفوذ الجروى بعث عمرو بن وهب الخزاعى على رأس جيش إلى مقره بتنيس ، فترك الجروى حصار الاسكندرية ورجع إلى تنيس حيث أخرج جيش السرى منها[1] .

وشاءت الأحوال أن يقتل عبد العزيز الجروى أثناء حصاره مدينة الاسكندرية فى صفر سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م ، وبعده مات السرى بن الحكم فى جمادى الأولى من نفس السنة فبايع الجند سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م عبيد الله بن السرى بعد وفاة أخيه أبو نصر بن السرى الذى خلف والده .

وفى تلك الأثناء بعث المأمون واليا على مصر هو مخلد بن يزيد ، فامتنع عبيد الله عن التسليم له فاقتتلوا وانضم على بن عبد العزيز الجروى إلى جانب خالد وجرت بينهما حروب كان نتيجتها أن دخل عبيد الله مدينة تنيس مقر ولاية الجروى ، وفر الأخير هاربا إلى العريش فى رجب سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م وخضعت مصر كلها إلى عبيد الله بن السرى إذا أستثنينا الاسكندرية التى كانت تحت سلطان الأندلسيين قال معلى الطائى :

ألم تر خيله صبحت عليا ... تدق على مناسجها الشاعا
فول عن عساكره وخلى ... على الأسل المذانين والرباعا[2]

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٦٥
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٧ .
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٦٩
(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٧٩

وعندما ولى الخليفه العباسى المعتصم أرسل إلى والى مصر يأمره بأسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم وأرزاقهم فعم ذلك ، فثار يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من أتباعه فى تنيس وقال « هذا أمر لا نقوم فى أفضل منه لأنه منعنا حقنا وفيئنا » . فخرج الوالى إليه وقاتله فى بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه أصحابه[1] .

وفى تلك الأثناء ظلت تنيس تتعرض لهجمات الروم من ناحية البحر . من ذلك أنه حدث فى خلافة المتوكل سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م أن نزلت الروم بدمياط يوم عرفه فملكوها وقتلوا جمعا كثيرا من المسلمين ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها[2] ، وكان والى مصر عنبسه بن إسحق فلم يقاومهم[3] ، قال يحيى بن الغضل للمتوكل :

أترضى بأن توطأ حريمك عنوة ... وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أق دمياط والروم وثب ... بتنيس منه رأى عين وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ما ... أصابوه من دمياط والحرب ترتب

= الغرزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٩
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٧ .

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٩٣/١٩٤
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٥٧
مصر فى عصر الولاه ص ٩٨

(٢) الأشتوم : بالضم ثم السكون وتاء مثناه مضمومه والواو ساكنة وميم موضع قرب تنيس وهو المكان الذى يجرى منه ماء البحر الملح إلى البحيرة
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٧٦
الياس الأيوبى : تاريخ مصر الاسلامية ص ١٠٤
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٨٦ هامش ٦ .

(٣) يقال أن سبب عدم مقاومتهم وغفلته أنه أراد ظهور ولديه يوم العيد حتى يجمع بين العيد والفرح حتى بلغ به الأمر أن أرسل إلى ثغرى تنيس ودمياط فاحضر سائر من كان بهما من الجند والخراجون والزراقين وغيرهم.
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ ص ٢٩٤ .

فلا تنسا أنا بدار مضيعه بمصر وأن الدين قد كاد يذهب[1]

ويبدو أن وقع غزوة الروم كان شديداً ، فأمر الخليفه المتوكل والى مصر ببناء حصن على البحر بتنيس وأنفق فيه وفى حصن دمياط والفرما مالاً عظيماً[2] .

وفى عهد الدولة الطولونية أثناء ولاية الأمير أبو موسى هرون بن خمارويه أضطربت أحوال مصر إلى أن ورد الخبر بموت الخليفه العباسى المعتضد بالله ومبايعة إبنه محمد المكتفى بالخلافة (٢٨٩/٢٩٥هـ) - (٩٠١/٩٠٧م) . وعندما خرج القرامطه بالشام سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م - وكانت تابعه لمصر - جهز والى مصر جيشا لمحاربتهم ، ولم يستطع هذا الجيش إخراجهم من الشام بل حلت به الهزيمة . ثم وقعت بين هرون وبين الخليفه وحشة وتزايدت إلى أن أرسل المكتفى لحربه محمد بن سليمان الكاتب ، فسار بن سليمان من بغداد إلى حمص وبعث بالمراكب والأسطول من الثغور إلى سواحل مصر ، فخرج هرون لدفع محمد بن سليمان عن دخول مصر وأرسل المراكب الحربية لقتاله . وفى تنيس ألتقى الأسطولان العباسى والمصرى فحلت الهزيمة بأسطول مصر ووقعت تنيس فى يد محمد بن سليمان[3] .

وعندما وصل محمد بن سليمان إلى مصر بالجند كان الأمير عيسى النوشرى من جملة القواد الذين قدموا معه ، فأرسله بن سليمان إلى الخليفة يخبره بانتصاره ، وتوجه عيسى إلى العراق . فلما وصل إلى دمشق وافاه كتاب الخليفة بولايته على مصر . ثم ورد كتاب الخلافة إلى جماعة من القواد ممن كان فى معسكر بن سليمان من بينهم مُهاجرين طليق بتقليده ثغر تنيس ودمياط[4] .

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٠١
حسن الأيوبى : تاريخ مصر الاسلامية ص ١٠٤
(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٨٦ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٣ ص ١١٠
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ١٣٣ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥ .

وتجدر الأشارة إلى اهتمام الطولونين بالبحرية ، ولكن السياده فى البحر فى ذلك العصر كانت لبنى الأغلب . والمعروف أن أسطول الخلافة فى طرسوس هو الذى قام بقيادة دمياته بمساعدة القائد محمد بن سليمان فى حملته على مصر ، ونجح فى القضاء على الأسطول الطولونى فى تنيس[1] .

وأثناء ولاية أحمد بن كيغلغ الأخشيدى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م من قبل القاهر محمد . وبعد تولية الخليفة الراضى بالله محمد بن المقتدر ورد كتاب بتولية الأمير محمد بن طغج على مصر وعزل أحمد بن كيغلغ ، فأنكر الأخير ذلك وتهيأ لحربه ، وجهز إليه عساكر مصر ومعه المغاربه ليمنعوه من الدخول إلى الفرما ، وأرسل محمد بن طغج قسما من جيشه فى أسطول والتقى مع عساكر أحمد بن كيغلغ ، وافلح هذا الأسطول فى الأستيلاء على تنيس ودمياط بعد موقعة هائلة وقتال شديد فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م وسلم الأمر إلى محمد بن طغج[2]،وفى سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م وصلت مراكب من صقليه فنهبوا مدينة تنيس[3] .

وإبان العصر الفاطمى . وقد ترتب على استيلاء الفاطميين على دمشق وقوعهم فى نزاع مع القرامطه . وذلك أن دمشق كانت تدفع الجزية لزعيم القرامطه ردحاً من الزمن ، فعدت هذه الجزيه لا تدفع إليهم بعد إستيلاء الفاطميين على هذه المدينة . وعندما سار جعفر بن فلاح – أحد قواد جوهر الصقلى – لملاقاة الحسن القرمطى دارت رحى الحرب بين الطرفين فأسر جعفر وقتل ووقع كثيرون صرعى فى حومة القتال فى شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م . وعندئذ أسرع الحسن بالسير نحو الجنوب بعد إستيلاءه على دمشق فمر بالرمله وانقض على مصر وهاجم الفرما والقلزم على غره . ولحكم

(١) د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٢٦١ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٨٥
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٣ ص ٢٤٤
د/ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ٤٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٧٩

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠

بذلك على برزخ السويس فاعترفت بسلطانه مدينة تنيس ، ومن ثم تقدم داخل البلاد وعسكر برجاله فى عين شمس وهدد القاهرة .

ولما تلقى جوهر نبأ وصول الحسن إلى برزخ السويس شرع فى إعداد وسائل الدفاع ، وبعد محاولات وخدع أرغم القرامطه على الرجوع إلى القلزم . وكان ذلك فى الوقت الذى وصلت الأمدادات إلى الفاطميين من القيروان ، فتقوى بذلك جوهر وزحف إلى تنيس إلا أنه عفا عن هفوات أهلها التى أرتكبوها باستسلامهم للعدو[1] .

وبعد مقتل الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م أحضرت أخته ست الملك خطير الملك الوزير وعرفته الحال واستحلفته كتمان الخبر والطاعه والوفاء ، وطلبت منه مكاتبة ولى العهد وكان مقيما بدمشق نيابة عن الحاكم — بأن يحضر ، فكتب إليه بذلك ، وأرسلت على بن داود أحد القواد إلى الفرما وقالت له : « إذا دخل ولى العهد فأقبض عليه وأحمله إلى تنيس ، ثم كتبت إلى عامل تنيس بارسال ما عنده من المال ، فأرسله وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم خراج ثلاث سنين ، وجاء ولى العهد إلى الفرما فقبض عليه وحمل إلى تنيس[2] .

وهكذا تبرز مواقف تنيس كمدينة مصرية لها دورها فى مجريات الأحداث السياسيه منذ بداية الفتح العربى . وتستمر تؤثر وتتأثر على مرّ الأيام والعصور .

وقد حدث فى مستهل شهر المحرم سنة ٤٥٠هـ/١٠٨٥م أثناء خلافة المستنصر بالله الفاطمى أن قبض الخليفه على وزيره الناصر للدين عبد الرحمن اليازورى ، وسبب ذلك أنه وشى به للمستنصر أنه يكاتب طغر لبك السلجوقى ويحسن له المجىء إلى مصر ، وأنه أخرج أمواله مع ولده إلى بيت المقدس .

(١) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ١١٣/١١٤
ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٢
(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٩

وكان أن أخرج الخليفه وزيرة إلى تنيس ومعه نساؤه وأولاده الصقالبه ، وأخرج الوزير ليلا وضربت رقبته فى أسفل دار الأمارة بتنيس وحملت رأسه إلى المستنصر[1] .

وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م تفاقم الحال واختلت أحوال مصر ، وعجز الخليفه المستنصر الفاطمى أن يصنع شيئا لعلاجها فاستدعى واليه على عكا أمير الجيوش بدر الجمالى ، فلبى الدعوه بشرط أن يستقدم معه عسكره من الأرمن بنى جنسه . وسار بدر الجمالى فى مائة مركب أربعين يوما حتى وصل دمياط فى شتاء سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م فأقام بها وتوجه إلى تنيس ليقترض من تجارها مالا[2] ، مما يدل على نشاط تنيس التجارى وثراء تجارها فى الوقت الذى كانت بقية بلاد مصر تعانى شدة عظمى .

وفى أواخر عهد المستنصر ، لم يحاول الفاطميون العمل على محاربة النورمان الذين أستولوا على صقلية ، فخرجت بذلك عن حكم الفاطميين ، بل وجدنا الخلفاء بعد المستنصر يقيمون علاقات سلميه مع النورمان وبخاصة فى المجال التجارى ولكن ظهور ملوك متعصبين منهم ومشاركتهم الصليبين الذين هددوا الشرق الأوسط جعلهم يغيرون من سياستهم نحو الفاطميين حتى أنهم أغاروا على موانىء مصر مثل تنيس ودمياط والاسكندرية فى أواخر أيام الدولة الفاطمية[3] .

وفى إطار الحركة الصليبية يمكن القول بأن مملكة بيت المقدس الصليبية وصلت سنة ٥١٠هـ/١١١٦ م على يد ملكها بلدوين الأول إلى حدودها التاريخية المعروفة . ولم يبق بعد ذلك أمام بلدوين إلا أن يهاجم الفاطميين فى عقر دارهم ليشعرهم بقوته بعد أن أحس هو بضعفهم[4] .

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ١٦

(٢) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠
د/ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ص ٣٩٣

(٣) د/ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ص ٢٨٧
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٩٠

(٤) د/سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣١٩
Grousset: His. de croisades I. p.283

وكان أن أستطاع بلدوين أن يعبر الصحراء الممتدة من غزه حتى العريش والفرما دون أن يتعرض لتهديد من جانب العدو . ولم يلبث أن وصل الصليبيون فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م واستولوا عليها ثم أتجه غربا نحو مصب النيل . ويروى إبن الأثير أن بلدوين الأول وصل إلى مدينة تنيس فى بحر المنزلة[١] ، ولكن الأسطول الصليبى توقف ببحيرة المنزلة وتنيس ولم يستطع التقدم فى النيل جنوبا صوب القاهرة[٢].

وفى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م وصلت إلى تنيس من موانىء صقليه نحو أربعين مركبا فحاصروها يومين ، ثم وصل إليها من صقليه أيضا سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧منحو أربعين مركبا فقاتلوا أهل تنيس حتى ملكوها . وكان محمد بن اسحق صاحب الأسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فاندمج فى طائفة من المسلمين إلى مصل تنيس ، فلما أجنّهم الليل هجم بمن معه على الفرنج وهم فى غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤوسهم فاصبح الفرنج إلى المصل وقاتلوا من بها من المسلمين ، فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقى منهم إلى دمياط ، فمال الفرنج على تنيس والقوافيها النار فاحرقوها وعادوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والأسرى إلى الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام[٣] .

وبقدوم سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م نزل فرنج عسقلان فى عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعه ، وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، فثار به المسلمون وقاتلوه وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه ... وفى سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م أنتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد ألاتها عندما أشتد

(١) د/ سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٢٠
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٢هـ جـ ١٠ ص ٥٤٣
(٢) د/ سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٦٧٦
(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩/٥٠
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٧

خوف أهل تنيس من الأقامة بها ، فقدر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار ثمن أصناف وأجر[1] .

وعندما احتدم الصراع بين المسلمين والصليبين ، وغدت مصر هدفا للصليبين بعد إستيلاء المسلمين على بيت المقدس فى أواخر القرن الثانى عشر لميلاد ، أمر صلاح الدين سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، عقب صلح الرمله باخلاء تنيس ونقل أهلها إلى دمياط فأخليت فى شهر صفر من الذرارى والأثقال ولم يبق سوى المقاتله فى قلعتها .

ومن الواضح أن تطرف تنيس جهة الشرق وغناها ونشاطها الأقتصادى ، جعل صلاح الدين يخشى عليها الخطر الصليبى ، وقد صدق حدس صلاح الدين إذ تكررت إغارات الصليبين البحريه على شواطىء مصر وثغورها الشماليه ، ولذلك أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى فى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م باخراج سكان تنيس منها ونقلهم إلى دمياط ، كما أمر بهدم ما بقى من سورها وبيوتها ولم يبق منها إلا رسومها فى بحيرة المنزلة[2] .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٥ ص ٣١٢ هامش ٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩/٥٠
على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٤٩

مكانة تنيس الأقتصادية

أشتهرت مصر منذ أقدم العصور بزراعة الكتان وصناعته فضرب المصريون بسهم وافر فى زراعته واهتموا إهتماما كبيراً بأن ينسجوا من ألياقه أنفس منسوجاتهم التي كانت تصنع منها الملابس الفاخرة . ومن أجل ذلك عنوا بزراعة الكتان وحصاده للحصول على الياف كتانية جيدة تسمح بغزل خيوط دقيقة[1] .

ولما كانت الأراضى التى يرويها النيل متفاوته فى المستوى فإن نصيبها من الماء تباين حسب إرتفاعها وانخفاضها ، بمعنى أن أوطأ الأراضى كانت أوفرها ماء ، وهى التى تظل مغموره بالماء أطول مده مما يجعلها أصلح الأراضى لزراعة الكتان . وكان أن تركزت صناعات المنسوجات الكتانية فى مصر فى العصور الوسطى فى تنيس ودمياط وشطا ودبيق والبهنسا وأسيوط[2] . وهى الأماكن المنخفضة الكثيرة المياه مما جعلها موضع إهتمام المصريين وعنايتهم بزراعة الكتان .

وقبل الإسلام أقبل الأقباط على المنسوجات الكتانية فانتشرت صناعتها على نطاق واسع ، وصنع المصريون من الكتان أغلب ما يحتاجون إليه من ملابس وبسط وستور[3] . وفى ظل الإسلام استمرت هذه الصناعة قائمة ، ومارسها كثير من العمال القبط الذين أحتفظوا بدينهم[4] .

ويذكر ياقوت الحموى الذى عاش فى أوائل القرن السابع الهجرى أن ناسجى الثياب فى تنيس ودمياط من القبط مما جعل العرب يطلقون على المنسوجات المصرية إسم قباطى[5] .

(١) سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٢٢/١٢٣

(٢) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٦٨

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٦٥
سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٤

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٠٢
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٠

وقد أسهمت حكومات مصر فى العصور الوسطى فى صناعة النسيج ، حتى أنها كادت تسيطر على تلك الصناعة . والواقع أن هذه السيطرة لم تكن من إبتكار الحكام المسلمين ، وإنما أخذوها عن الحكم البيزنطى . ذلك أنه من الثابت أن البيزنطيين أنشأوا فى مصر مصانع حكوميه للنسيج إلى جانب المصانع الأهلية . ولما جاء المسلمون أبقوا على هذا النظام وعرفت مصانع النسيج باسم الطراز[1] .

أما القول بوجود مصانع تنسج ما يريده الخليفه وما ينعم به على حاشيته من ملابس ، فهذا نظام معروف منذ أيام الساسانيين ، فقد كان الطراز ينسج فى مصانع أعدت له فى قصر كسرى ، فلما قامت الدولة الأموية نقلت هذا النظام عن الساسانيين ثم توسع فيه العباسيون من بعدهم ، فكثرت هذه المصانع الحكومية وأصبح مكانها حيث تكون المادة الأساسية فى الصناعة[2] .

وقد عنى الخلفاء والأمراء بكتابة أسماءهم على الأقمشة الثمينة التى كانوا يتخذونها ملابس لهم أو خلعا يخلعونها على كبار رجال دولتهم ، وكانت الكتابة على النسيج بلحمه[3] من الذهب أو الفضه أو الخطوط المتعددة الألوان ، وكانت الكتابة تشمل إسم الخليفه وألقابه وبعض عبارات الأدعيه ، وكثيراً ما كان يذكر فيها إسم المدينة التى فيها طراز واسم الوزير وصاحب الخراج وناظر الطراز[4] .

---

(١) طراز : مشتق من الفارسيه (ترازيدان) وتراز بمعنى التطريز وعمل المدقع Broderie . ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو السلطان ورجال الحاشية أصحاب المناصب العالية لاسيما إذا كان فيها شيء من التطريز وعلقها أشرطه من الكتابة واتسع مدلول هذا اللفظ حتى أنتهى فى العربية والفارسيه إلى الدلالة على المصنع والمكان الذى تصنع فيه هذه المنسوجات .
د/ زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر جـ ١ ص ٨٤
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٩٢
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاة ص ١٥٨/١٥٩

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٣) اللحمه : هو ما نسج عرضا من الثوب .
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦ هامش ١

(٤) د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٩ / ١٦٠
ونقل المقريزى عن ابن الطوير حديثا طويلا عن صاحب الطراز وحقوقه وواجباته وهذا نصه : =

وكان المركزان الكبيران لصناعة نسيج الكتان فى مصر الاسلامية هما الفيوم وبحيرة تنيس بنواحيها ، وهى مدينة تنيس ودمياط وشطا ودبيق ، وغدت تنيس ودمياط أكبر مركزين لصناعة النسيج[1] .

ويقول ابن حوقل فى كتابه « المسالك والممالك » « من جليل مدنها وفاخر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط ، وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشروب[2] والدبيقى والمنصبغات من الحلل التنيسيه التى ليس فى الأرض ما يدانيها من القيمة والخسس والنعمة والترف والدقة ، وربما بلغت الحله من ثيابها مائتين دينار إذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار وزائداً وناقصا وان كان شطا ودبيق ودمياه وتونه وما قاربهم بتلك الجزائر يعمل فيها الرفيع من هذه الأجناس ، فليس ذلك بمقارب للتنيسى والدمياطى والشطوى »[3] .

وكان بتنيس من مناسج القماش نحو خمسة آلاف منسج[4] ، وأختصت بصنع الثياب السريه وكسوه الكعبة . ويقول الفاكهى فى كتابه أخبار مكه « رأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها « بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمه عامله سنة ١٥٩هـ » .

= « الخدمة فى الطراز وبعث بالطراز الشريف ولا يتولاه إلا أعيان المستخدمين من أرباب الاقلام والسيوف وله اختصاص بالخليفه دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرها .

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٢

(١) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥١

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٢

(٢) الشروب : المقصود الثياب التى تشرب العرق

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١

ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٦

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٤

سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٦

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩

ويقول رأيت كسوة من كسا المهدى مكتوبا عليها « بسم الله بركة من الله نعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به إسماعيل بن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحكم بن عبيده سنة ١٦٢هـ »[١] .

ولقد برزت مدينة تنيس فى صناعة المنسوجات الكتانية وأخذت هذه الصناعة فى الأزدهار وبلغت ذروة مجدها إبان عهد الدولة الفاطمية إذ بلغت من التقدم والرقى قدراً كبيراً لم تشهده مصر الاسلامية فى أى عهد من عهودها .

ومن العوامل التى كان لها أكبر الأثر فى تقدم الصناعة اكتساب الأمن وهو من نتائج الاستقلال وقوة الحكومة المركزية الأمر الذى أشار به المقدسى حين تكلم عن سيادة الأمن والنظام والعداله[٢] .

ومما يدل على عظمة تنيس فى النسيج وتقدمها فى هذه الصناعة وتفرد أنه كان يصنع بها للخليفة ثوب يقال له « البدنة » لا يدخل فيه من الغزل سداه[٣] ولحمه - عبر أوقيتين وينسج بافيه بالذهب صناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل ولا خياطة وتبلغ قيمته ألف دينار ، ولم يحفظ لنا التاريخ أن قطعة نسيج تبلغ قيمتها ألف دينار إلا فى مدينة تنيس ودمياط[٤] .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٩٠
مصر فى عصر الولاه ص ١٦٠

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٢

(٣) السدى من الثوب خلاف اللحمه وهو ما مد من خيوط النسيج
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦ هامش ١

(٤) آدم ميز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٢
ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٨١
بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٥
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٢٩ هامش ١
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٤

وإلى جانب هذه الثياب الجيدة ، ثياب رفيعه مهلهلة النسيج كأنها المنخل وهى المسماة « بالقصب » وكان هذا القصب يلون والملون منه ينسج بتنيس ولم ينسج فى أى مكان آخر قصب ملون مثله ، وكانت تصنع منه عمائم الرجال والوقايات وملابس النساء[1] .

كذلك أشتهرت مدينة تنيس بصناعة الحرير القرقبى[2] المنسوج بالذهب ، ووجدت فى خزائن المعز لدين الله خريطة كان قد أمر بعملها سنة ٣٥٣هـ/٩٧٤م من هذا الحرير زرقاء اللون مبنا عليها بالذهب أقطار العالم بما فيها من جبال وبحار وأنهار وطرق ومدن[3] .

وبمدينة تنيس صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان فى مصانع خاصة تنسج بها أثوابه . ويروى الرحاله ناصر خسرو أنه سمع عن عامل نسج عمامة السلطان فأمر له بخمسمائة دينار مغربى. وشاهد هذه العمامه ويقال أنها تساوى أربعة آلاف دينار مغربى . وما يصنع فى هذه المصانع لا يعرض فى الأسواق ولا يعطى أو يمنح لأحد ، ويذكر أيضا أن ملك فارس أرسل رسله إلى مدينة تنيس بعشرين ألف دينار ليشترى له بها حلة من كسوة السلطان وبقى رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها[4] .

= د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٣
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٣
مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٣
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٤
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٣
سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٦

(٢) القرقب : طائر يرى فى القدر والمستنقعات . ومن هذا اللفظ قيل قماش قرقبى وهو نوع من القماش كان يصنع أولا فى بلاد اليونان ثم أدخلت صناعته إلى مصر ، فصار يصنع فى تنيس ، وهذا القماش مشهور بالوانه اللامعه التى تتغير دائما لاسيما إذا أنعكست عليها أشعة الشمس
د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٥٧ هامش ٥

(٣) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٥٧

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٥

واشتغلت المناسج المصرية فى خلافة العزيز بالله الفاطمى بصنع ثوبين جديدين من النسيج هما العتابى[1] و السقلاطون[2] وينسب الأول إلى أحد أحياء بغداد والثانى إلى بلاد الروم ، ويمكن تعليل ذلك بحسن العلاقة بين العزيز وعضد الدولة ، والصلح مع الروم سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م .

وفى القرن الخامس للهجرة ظهر نوع جديد من القماش وهو المسمى أبا قلمون[3] من الحرير المتغير الألوان . وكان يصنع فى مدينة تنيس وحدها ولا ينسج فى مكان آخر من العالم ، وتصنع منه أسفار[4] هوادج الجمال وليود[5] سروج الخيل الخاصة بالسلطان وكان يصدر إلى بلاد المشرق والمغرب . واحتل هذا النوع مكانه مرموقه فى أسواق القسطنطينية ، حتى أن ملك الروم كان قد

---

(١) العتابى : نوع من الثياب الحريرية وينسب إلى ابن حميد محمود المسمى عتاب ، وكان هذا النوع يصنع فى بغداد وإليه ينسب حى العتابيه بها .
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص١٣٣ هامش ٥
د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٤٢ هامش ٢

(٢) السقلاطون : كلمه يونانيه تطلق على ثياب كتانية موشيه
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٣ هامش ٦

(٣) أبا قلمون - تنسبه إلى قلمون أو أبو قلمون وهى الحرباية (من اليونانية Khatn âilen ، والفرنسية icomeleon) بمعنى أسد الأرض أو الحربية ، وأطلق هذا الأسم على نوع من النسيج كان يصنع فى بلاد اليونان ثم فى مصر ولاسيما فى تنيس . ومن خواصه أنه يظهر فى بلاد اليونان ثم فى مصر ولاسيما فى تنيس . ومن خواصه أن يظهر بألوان شتى على حسب تعرضه للشمس والوضع الذى يكون فيه واختلاف ساعات النهار .
ويذكر المقدسى أن أبا قلمون هى دابه تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها وهو فى لين الخز لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئاً وهو عزيز الوجود فيجمع وينسج منه ثياب تلون فى اليوم ألوانا ، وربما بلغ ثمن الثوب عشرة آلاف دينار .
المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٤٠
الكرخى : المسالك والممالك ص ٤٢
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٤
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٢ هامش ٢

(٤) أسفار : جمع سفر وهو حافه (حافة الهودج)

(٥) ليود : جمع لبده وهى الجزء المرتفع الوثير من سرج الخيل أو برذعة الحمار .

أوفد رسولا إلى الخليفه ليعرض عليه أن يمنحه مدينة تنيس على أن يعطيه مقابلها مائة مدينة فلم يقبل السلطان[1] .

والشواهد كثيرة على ما تمتعت به تنيس من شهرة فائقة حتى أصبح يضرب بها المثل فى جودة إنتاجها من الثياب . فقد روى إبن خلكان أنه وصل إلى حضرة سيف الدولة الحمدانى الشاعران المشهوران أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد إبنا هاشم ، ومدحاه ، فأنزلهما بضيافته : وقام بواجب حقهما وبعث لهما مره وصيفا ووصيفه ومع كل واحد منهما بدره[2] وتخت ثياب من صنع مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة .

هذا ولم تقنع بذاك وهذه ... حتى بعثت الدار وهو نفيس
أتت الوصيفه وهى تحمل بدرة ... وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وحبوتنا مما أجادت حوكه ... مصر وزادت حسنة تنيس[3] .

إلا أن هذه الصناعة المتميزة والتى أشتهرت بها هذه المدينة ، فقدت كثيراً من العناية بها منذ أواخر عهد الدولة الفاطمية ، نتيجة للظروف والأحداث التى مرت بها ، والتى من أهمها ما أصيبت به مصر من شدة عظمى فى عهد الخليفة المستنصر بالله . وكذا ما مرت بها من أحداث وأضطرابات سياسيه إبان عصر الأيوبيين والمماليك والتى ترتب عليها القضاء على مركز هام لصناعة المنسوجات فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، عندما أمر الملك الكامل بهدم مدينة تنيس خشية الغزو الصليبى كما ذكرنا .

وإلى جانب صناعة المنسوجات عرفت تنيس صناعة المعادن وأهمها الحديد حيث صنعوا منه المقصات والسكاكين . واعتقد أن صناع المقصات هذه حتمتها وجود صناعة المنسوجات القائمة للحاجة إليها فى قص القماش وتفصيله .

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨

(٢) البدره : عشر آلاف درهم .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٥

ويذكر ناصر خسرو أنه رأى مقراضا صنع بتنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا أنزل[1] .

وكانت صناعة السلاح المتخذ من الصلب من الصناعات التى كادت تبلغ فى تنيس مبلغ منسوجاتها من الوفره والجوده . وكان هذا السلاح ينقل بواسطة السفن مع المقاتله لغزو بلاد الروم عن طريق الموانىء ومنها تنيس ألتى أقام بها جيش كامل السلاح والعدة لوقت الطوارىء[2] .

وكان من الطبيعى أن يترتب على تلك الصناعات وزيادة إنتاجها وسهولة إتصال تنيس بداخل البلاد وخارجها ، وجود نشاط وعلاقات تجارية مع مختلف الدول . وقد أسهمت المدينة بسهم وافر فى مجموع نشاط مصر التجارى منذ فجر الأسلام نتيجة لأهتمام العرب بالتجارة على وجه الخصوص . وعبر المؤرخون المسلمون عن موقع مصر الممتاز فقال بعضهم ، « أنها فرضة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها ، ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم ... »[3] .

وعلى الرغم من عدم إستقرار الحالة السياسيه وسوء العلاقات بين الدولة البيزنطيه ومصر منذ الفتح الاسلامى لم تتوقف العلاقات التجارية ، إذ كانت بيزنطه فى حاجة إلى بعض المصنوعات المصرية الممتازة مما تنتجه مناسج تنيس ويقبل عليها الأباطره لتزيين قصورهم ، كما أهدى البابوات الكنائس المسيحيه فى أوربا كثيراً من هذه الأنواع[4] .

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٩٤

(٢) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٥ ، جـ ٤ ص ٢٧٣

(٣) النويرى : نهاية الأرب جـ ١ ص ٣٤٠
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٨
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٥٢
مصر فى عصر الولاه ص ١٦٨

(٤) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٥

وقد كان لموقع تنيس وارتباطها بشبكة من المواصلات الداخليه والخارجية أثر واضح فى نشاطها التجارى ، فهى على إتصال بشرق الدلتا بواسطة خليج من فرع دمياط يصب فى بحيرة المنزلة . وفى هذا يقول الأدريسى الرحالة الجغرافى الذى زار مصر فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . « إننا إذا أردنا المسير من دمسيس إلى تنيس متبعين فرع النيل الرئيسى كان علينا أن نتوجه أولا إلى طنخا حيث ينقسم هذا الفرع إلى خليجين أحدهما يجرى غربا إلى دمياط والآخر يتجه شرقا إلى تنيس . »[1] .

كما كانت حركة الملاحه فى النيل بالغة النشاط ، فقد شاهد ناصر خسرو فى ساحل مدينة مصر من السفن أكثر مما رآه فى بغداد والبصرة ، وكان عند تنيس دائما نحو ألف مركب بعضها للتجار ومنها أيضا للسلطان ، حيث يجلب إليها كل ما تحتاجه وتجرى المعاملات فيها بالسفن فلا طريق إليها إلا بذلك[2] .

أما إتصال مصر البحرى بمدن وسواحل الشام ، فكانت تنيس إحدى مراكز هذا الأتصال الهام إلى جانب الاسكندرية ودمياط . فبعد مغادرة الساحل الشمالى لمصر تسير المراكب بحذاء الساحل الشامى مارة بعسقلان وقيساريه ويافا[3] .

= د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٤٠٨

د/ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٥٨

Heyed: Histoire du commerce tome 1 p 48, 58

(١) الأدريسى : نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ص ٨ .

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٢

Quatremère: Memoires Geogra phiques et historiques, tome 1 p. 297.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٩

المقريزى . الخطط جـ ١ ص ١٧٧

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٣

(٣) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٣

وكانت المراكب تبدأ سيرها من تنيس على ما يستفاد من قول اليعقوبى « بها مرسى المراكب الواردة من الشام والمغرب »[1] .

كما كان هناك أتصال بحرى بين تنيس والقسطنطينيه وجزيرة قبرص ، وأهم ما كانا تشتغلان باصداره المنتجات المحلية وكانت السفينة تقطع المسافة بين تنيس والقسطنطينيه فى عشرين يوماً[2] .

وقد ورد فى الأخبار أن تجارة تنيس مع العراق فى القرن الرابع الهجرى وحده بلغت من عشرين ألفا دينار إلى ثلاثين ألف فى السنة الواحدة[3] .

وقامت تنيس بدور تجارى هام مع كثير من الدول الأفريقية والأسيوية ، فذكر اليعقوبى أن مراكب بلاد المغرب كانت ترد إلى ثغر تنيس[4] .

وذكر المقريزى أن ما كان يحمل من ثغور تنيس والاسكندرية ودمياط إلى عسقلان وصور من المنتجات الزراعية بلغ مائة وعشرين ألف أردب من الغلال[5] .

أما المسبحى فقد ذكر فى حوادث سنة ٣٨٤هـ « وفى ذى القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهى أسفاط[6] وتخوت

(١) اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٣٥
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٤
(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
الأدريسى : نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ص ٨
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٦
(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١
بنظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٥
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٣
(٤) اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٣٥
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٤٧
(٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٩
ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٥
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧
(٦) أسفاط : جمع سفط ، وهو ما يعبىء فيه الطيب وما أشبه من أدوات النساء .

وصناديق مال وخيل وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة . وفى ذى الحجة سنة ٤٠٢هـ وردت هدية تنيس الواردة فى كل سنة منها خمس نوق[1] مزينة ومائة رأس من الخيل بسروجها ولجمها وصناعات عده[2] .

وبفضل نشاط مدينة تنيس التجارى أسهمت فى إنعاش ايرادات الحكومه - خاصة فى العصر الفاطمى - عندما أهتم الخلفاء بتنمية موارد بيت المال وتنظيم مصارفه ، ففرضت الرسوم على التجارة والصناعة خاصة صناعة النسيج فى مراحلها المختلفة إلى جانب الجزيه والخراج والضرائب المفروضه على الصناع والأجراء[3] .

ويبدو أن المسلمين لم يحاولوا فى أول الأمر التدخل فى النشاط الأقتصادى للأفراد أو الحد من مكاسبهم ، ولكن مع مرور الوقت أزدادت المكوس والضرائب حتى أن المقدسى الذى زار مصر فى أوائل عهد الفاطميين يقول « أما الضرائب فثقيله بخاصة تنيس ودمياط ، ويوجد بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا وأشباهه ، ورأيت بساحل تنيس ضرائبا جالسا قبل : قبالة هذا الموضع فى كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية »[4] .

وقد بلغ من شدة وطأة الضرائب بتنيس وكثرة الرسوم أن أهلها شكوا منذ أوائل القرن الثالث للهجرة - التاسع للميلاد إلى البطريق وهو مار بمصر حوالى سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م أن الواحد يلزم بدفع خمسة دنانير فى كل عام وهو مبلغ لا يقدرون عليه ، ولكنه يحصل منهم بقسوه[5] .

كذلك فرض العرب ضرائب على التجارة الخارجية التى تمر بالثغور أو

(١) نوق : جمع ناقه

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

(٣) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٧

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣

ادم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٣٥/٢٣٦

د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٣٦٠

(٥) ادم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٣٥ .

التى ترد إليها أو تصدر منها ، فكانت المكوس تجبى فى الثغور الاسلامية ومنها تنيس ، وهى تشتمل على عدة معاملات مثل الزكاة والجوالى[1] ودار الضرب[2] وواجب أهل الذمة والمواريث الخشرية[3][4] .

ويروى ناصر خسرو أنه سمع من الثقات أنه يصل من مدينة تنيس لخزانة سلطان مصر يوميا ألف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحمله شخص واحدة يسلمه أهل المدينة إليه فى وقت معين وهو يسلم للخزانه فلا يتأخر منه شىء[5] .

وفى الحق أن ثروة مصر الضخمه مكنت الفاطميين من بسط سلطانهم على الشام وفلسطين والحجاز ، يضاف إلى ذلك أن نظام الضرائب الذى وضعه يعقوب بن كلس وعلوج بن الحسن كانت نتيجته أن زاد خراج مصر بمقدار كبير ، وقد أسهمت تنيس بشكل واضح فى تلك الزيادة . فصار خراج مدن تنيس ودمياط والأشمونين يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ مائتين ألف دينار وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل[6] .

(١) الجوالى : المقصود بها ما جبته الدولة من أهل الذمه من اليهود والنصارى الذين دون النساء والصبيان والرهبان والأرقاء والعابدين ، فضلاً عن الشيوخ والفقراء فى بعض الأحيان
د/ حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٤٥ .

(٢) دار الضرب : هو مبلغ فرضته الدولة على أصحاب الأموال من الذهب والفضة لقاء قيام الدولة بسك تلك الأموال لهم بسكها الرسمى وخضعت تلك الضريبة لنسبة مئوية معينة .
د/ حسنين ربيع . النظم المالية فى مصر ص ٤٩ .

(٣) المواريث الخشريه : كانت تركة المتوفى تقسم حسب الشرع الشريف ، بعد تأدية نفقات الدفن والديون والأموال الموصى بها إن كانت هناك وصيه ، فإن انعدم الوريث صارت أموال المتوفى من المواريث الخشرية بعد هذه الاستقطاعات ، وكذلك كان الحال إذا ترك المتوفى وارثا لا يستحق الميراث حسب الشرع فيأخذ مستحقه فحسب ويذهب الباقى للدولة .
د/ حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٤٧ .

(٤) ابن ممانى : قوانين الدواوين ص ٣٢٥
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧
مصر فى عصر الولاه ص ٤٠

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠

(٦) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٣٣

أما الأيوبيين فقد فرضوا ضريبة الخمس والمتجر على المشتغلين بالتجارة في موانىء تنيس ودمياط والاسكندرية على ساحل البحر المتوسط . أما ضريبة الخمس فكان يدفعها التجار البيزنطيون أو الروم وغيرهم من التجار الأجانب غير المسلمين على متاجرهم التي يصلون بها إلى تلك الموانىء . على أن هذه الضريبة تراوحت من الناحية العملية زمن صلاح الدين بين ٢٠٪ و٣٥٪ من قيمة البضائع المجلوبه مع أولئك التجار[1] .

وهكذا يمكن القول أن عوامل كثيرة مختلفة تضافرت حتى جعلت تنيس في ذلك المركز السامي ، فبالاضافة إلى ما سبق أن ذكرناه عن بيئة تنيس وصلاحية تلك البيئة لزراعة الكتان ، وموقعها الفذ الذى مكنها من الأتصال التجارى مع الداخل والخارج ، يمكن أن نضيف إلى كل ذلك مهارة أهلها من الأقباط .

(١) د/ حسنين ربيع : النظم المالية في مصر ص ٥١ .

الأحوال الاجتماعية
والنشاط الفكرى

لا أدل على أهمية تنيس الأقتصادية من أنه منذ العصر الفاطمى صار لها - ولعيذاب أيضا - وال يحكمها ويشرف على شئونها[1] . وكان يخلع على هؤلاء الولاه من خزانة الكسوة[2] « بالبدنه » وهو نوع الثياب الذى يلبسه الخليفه الفاطمى فى يوم فتح الخليج[3] .

ويصف ناصر خسرو مدينة تنيس بعد رحلته إليها فيقول « أنها جزيرة ومدينة جميلة بعيده عن الساحل بحيث لا يرى من أسطحها ، والمدينة مزدحمة وبها أسواق فخمة ، وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف منها مائة دكان عطار ، وطول المدينة من الجنوب إلى الشمال ثلاث آلاف ومائتى ذراع ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ثلاثة آلاف وخمسة وثمانين ذراعاً . وكان لها تسعة عشر بوابه مصفحه بالحديد ، كما كان بها ستة وثلاثون حماما ومائة معصرة للزيت والسمرج والقصب ، ومائة وستون طاحونا . ومن الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت برسم البضائع . وبها نحو مائة وستين مسجداً ، ولكل مسجد منارة[4] . وبها جامع طوله مائة ذراع وعرضه إحدى وسبعون ذراعاً يوقد فيه كل ليلة ألف وثمانمائة قنديل ، وبها إثنتان وسبعون كنيسه ومخبزاً ، وقد هدم الحاكم كنائسها وبنى محلها مساجد[5] .

وعن سور المدينة يذكر ياقوت الحموى أن سور تنيس أبتدىء فى بنيانه فى شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م وكان وال مصر يومئذ عيسى بن

(١) د/ عصمت جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٤٤

(٢) خزانة الكسوه : كانت دار الكسوه عبارة عن خزانتين الأولى الخزانة الظاهرة ويتولاها أستاذ أو غيره من خواص الخليفه وهى ملأى بأنواع الأقمشة وملابس النساء والرجال من الديباج الملون على اختلاف أنواعه ، وكان يحمل اليها ما يعمل بدار الطراز بتنيس وغيرها .
د/ عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ص ١٠٠

(٣) د/ عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ص ١٤٦

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٥) على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

منصور بن عيسى الخراساني من قبل إيتاخ التركي في أيام الواثق بن المعتصم وأنتهى منه سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م في ولاية عنبسه بن إسحق في عهد المتوكل[١] .

أما عن صفات وأخلاق أهلها فسهله منقاده ، وطبائعهم مائلة إلى اللين والأنوثة ، قال أبو السرى الطبيب أنه كان يولد بها في كل سنة مائتا مخنث ، وهم يحبون النظافة والغناء والمتعة وأكثرهم يبتون سكارى حيث يشربون الكشكاب[٢] . وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وأبدانهم ممتلئة الأخلاط ، وتكثر الأمراض والأوبئة بالمدينة لحرارة الجو ، ومن هذه الأمراض إصابة النساء بالصرع فيصحن مرتين أو ثلاثا ثم يعدن بعد ذلك إلى صوابهن ، كما أنتشر بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة حتى لم يبق بها غير مائة من سكانها[٣] .

وإن كانت هذه الأرقام تحوى قدراً واضحاً من المبالغة ، فانما تدل على أن تنيس قامت في بيئة غير صحية مما ترك أثره في حياة سكانها .

واعتمدت المدينة في كل أقواتها على التجارة حيث لم يكن بها شيء من الزراعة[٤] . وقيل أن المسيح عليه السلام مرّ بها في سياحته فرأى أرضا سبخة ماؤه قفره والماء الملح يحيط بها ، فدعا لأهلها بأدرار الرزق[٥] .

وقد مرت مدينة تنيس بأدوار من القحط والفقر ، قبل أن تنتعش في فترات لاحقه . من ذلك أن البطريق ديونيسوس الذى زار مصر سنة

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٦ .

(٢) الكشكاب : صنفان ، صنف منعش غير مسكر يشبه ما يسمى في تركيا ايران وهو يشرب في إيران أيضا . يتكون من اللبن الزبادى المخروب به الماء ، وصنف آخر مسكر يتكون من السويق المخمر مضافا إليه بعض العناصر الأخرى ، ويسمى هذا الصنف القفاع .
ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ١ .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥ وص ٥٠

(٤) بلو : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢

٢٠٠هـ/٨١٥م يصف تنيس فيقول « ومع أن مدينة تنيس عامره بالسكان كثيرة الكنائس فأنى لم أر من البؤس فى بلد أكثر من بؤس أهلها ، وقد سألتهم عن مصدر هذا البؤس فأجابونى « إن مدينتنا محاطه بالماء فلا نستطيع زرعا ولا تربية ماشية والماء الذى نشر به يجلب لنا من بعيد ونشترى الجره منه بأربعة دراهم ولا شغل لنا سوى نسج الكتان ، فنساؤنا تغزله ونحن ننسجه ونعطى عن ذلك نصف درهم فى اليوم من تجار الأقمشة . ومع أن أجرتنا لا تكفى لا طعام كلابنا ، فإن على كل منا أن يدفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير ، ومن أجل ذلك نضرب ونسجن ونلزم باعطاء أبناءنا وبناتنا رهائن فيلزمون بالعمل كالعبيد سنتين لأجل كل دينار ، ولو ولدت عندهم إمرأة طفلا فأنهم يأخذون قسمنا بأن لا نطالب به ، وقد يحدث أن تحل ضرائب جديدة قبل إطلاق هؤلاء النساء »[1] .

وعاش المسلمون والأقباط جنبا إلى جنب فى تنيس ، وإن كان الأمر لم يخل من قيام فتن طائفية بين الطرفين فى بعض الأحيان . من ذلك أنه حدث سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ثار المسلمون فهدموا كنيسة بناها النصارى فى تنيس ، فاعان والى مصر النصارى حتى بنوا الكنيسة[2] .

وفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م مات أسقف تنيس وكان بينه وبين البطريق وحشه ، وولى الأخير على تنيس أسقفا من أنصاره من أهل تنيس ، فانقسم هؤلاء والأقباط حزبين أحدهما مع البطريق والآخر ضده « وقام لكل حزب من الحزبين غرض فى نصرة هواه ، حتى كان الأب لا يكلم إبنه ولا المرأة تخاطب بعلها » . وانتشرت المحرمات بينهم وصارت القرابين تنتقل من هيكل إلى هيكل وتكسر على المذابح ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان ، حتى خرج جماعة من المناوئين للبطريرك وذهبوا إلى الأمير أبو بكر محمد بن طغج الأخشيد ، فوجه معهم قائداً فى طائفة من الجند ، فاغلق الكنيسة الجامعة ومنع الصلاة فيها وقبض على الأسقف والبطريرك ، وأحضر محتويات الكنيسة إلى الفسطاط .

(١) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٩٧

(٢) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٩١ .

وفى تاريخ بطارقة الاسكندرية قبل أنه كان بتنيس مجموعه من شباب المسلمين خارجين عن طاعة الأمير يجبون من الأهالى جبايات وينهبون البيوت ويفعلون أفعالا قبيحة ، فأرسل المعز عسكراً لقتال المدينة بناء على شكوى النصارى فقاوم العصاة العسكر ، ثم التجأوا للدخول تحت الطاعة بسبب قلة المياه العذبة ، فدعا أمير الجيوش العصاة واستضافهم لمدة ثلاثة أيام وأهدى لكل واحد منهم خلعة وعشرة دنانير ، وكان عددهم مائة . ثم أمر بشنقهم جميعاً على أسوار المدينة[1] .

ومن تلك الثورات أن السودانيين ثاروا بمدينة تنيس على عهد الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله . (٤١١/٤٢٧هـ) - (١٠٢٠/١٠٣٥م) وطالبوا بأرزاقهم وعاثوا وأفسدوا فى المدينة واعتدوا على الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع[2] ألف وخمسمائة دينار . فبعث إليهم الوزير الفاطمى نجيب الدولة على بن أحمد الجرجانى على رأس خمسين فارساً للقبض على الجناه وإخضاع ثورتهم[3] .

وبالرغم من ظروف الحياة الاجتماعية التى عاشتها تنيس بما فيها من مساوىء واضطراب ، نجدها من جهة أخرى شاركت فى الحياة العلمية والدينية وأفرزت شخصيات كثيرة من أهل العلم . حكى عن يوسف بن صبيح أنه رأى بها خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث[4] .

وينسب إليها محمد بن على بن الحسين بن أحمد أبو بكر التنيسى المعروف

---

(١) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٩٤/٩٥
آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٩٠
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

(٢) المودع : صندوق لحفظ مال مخصص لغرض معين ، ومودع الحكم صندوق يوضع فى عهدة قاضى القضاة لحفظ أموال الايتامى القصر وأموال الغائبين .
المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٨٦٤

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
Stanley, Lane-poole: A History of Egypt in the middle Ages, p. 132-133.

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤ .

بالنقاش ، مولده فى رمضان سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م قال أبو القاسم الدمشقى عنه « سمع بدمشق محمد بن حريم ومحمد بن عقاب وأحمد بن عمير وحمامه بن محمد وسعيد بن عبد العزيز والسلام بن معاذ التميمى وأبا بكر الباغندى وأبا ليلى الموصلى وغيرهم من العلماء ، وروى عنه من العلماء الدارقطنى وغيره . ومات سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م[1] .

ومن هؤلاء أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقه بن زياد الضبى المعروف بابن وكيع التنيسى الشاعر المشهور أصله من بغداد ومولده بتنيس ، ذكره أبو منصور الثعالبى فى « يتيمة الدهر » وقال فيه « شاعر بارع وعالم جليل جامع ، برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد فى أوانه وله كل بديعه تسحر الأوهام وتستعيد الأفهام . وذكر مزدوجته المربعه وهى من جيد النظم وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبى الطيب المتنبى سماه « المنصف » ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء ... وقد يسلى عن الولد العقوق[1]

وكانت وفاته سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م بمدينة تنيس ودفن بالمقبره الكبرى فى القبه التى بنيت له[2] .

ومن الشخصيات العلمية والدينية التى أقامت بتنيس أبو زكريا يحيى بن أبى حسان التنيسى الشامى أصله من دمشق وقدم تنيس مقيما بها ، وروى عن الليث بن سعد وسمع الكثير من أبى بكر الخطيب وعبد العزيز الكتانى وأبى الحسن بن أبى الحديد وغيرهم ، ثم تحدث بها وببيت المقدس ، وأخذ عنه الفقيه المقدسى وأبو محمد بن الأكفانى ، ومات بتنيس سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[3] .

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٤ ص ١٣٧ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٠٤
(٣) الكتبى : فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٩٣
(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤

ومن هؤلاء أيضا معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تُولُوا الفهرى ، ولد بتنيس سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، سمع الحديث وتفقه وكان له معرفة بالأدب وله يد طولى فى النظم . وشعره فى غاية الجوده ، ومنه وقد أمر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحسين الجزار ، فقال :

تقدم القاضى لنوابه ... بقطع رزق البر والفاجر
ووفر الجزار من بينهم ... فاعجب للطف التيس بالجازر[1]

وعاش بمدينة تنيس وعمل بها الأسقف ساويرس المعروف بابن المقفع والذى توفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وكان كاتبا فى دواوين الفاطميين ، وتميز بتآليفه العديدة التى بلغت عشرين كتابا عن الكنيسة المصرية القبطية وأحوالها منها « تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية » . وقد استكمل هذا الكتاب بكتاب آخر باسم « ذيل سير الأباء البطارقة » مؤلفون قبط مثل الآنبا ميخائيل الذى تناول تاريخهم فى عهدى الحاكم والظاهر[2] .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن مدينة تنيس كانت مقراً وولاية للقضاء ، وممن تولى القضاء بها عبد الله محمد بن النعمان بن الأمام أبى حنيفه نائبا عن أخيه قاضى القضاة أبا الحسن على بن النعمان ، وفوض الحكم إليه على مذهب الأسماعيلية[3] . ويفهم من هذه الأشارة أن جماعة من الأسماعيلية وجدوا لأنفسهم مأوى ومقراً فى تنيس .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٩

(٢) د/ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٩

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص ٥٩٠

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٤١٧

أهم الآثار

ولأهمية مدينة تنيس التاريخية ، فقد حفظت لنا مصادر التاريخ بأسماء بعض ما كان فيها من آثار تدل على قدمها وعراقتها ، من ذلك ما يذكره ابن حوقل أنه يوجد بها ثلاثة عظيمان من جنس الأموات منضدين[1] بعضها فوق بعض يسمونها بطون ، قيل أنها من أيام موسى عليه السلام لأن أهل مصر أيام موسى كان في شريعتهم الدفن ، وهكذا جرت عادة النصارى من بعده ، ثم صارت للأسلام . وعليهم أكفان من خشن الخيش وعظامهم وجماجمهم على غاية من الحفظ إلى يومنا هذا[2] .

وكان أهل القرى في الجزائر الأخرى في البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق الآخر ، وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى أبو الكوم[3] .

ولعل هذا يدعونا إلى الأعتقاد بأن أهل المدينة عرفوا كيفية تحنيط جثث الموتى والأدوات المستعملة لذلك ومارسوه على موتاهم .

ووجد بتنيس بعض آثار الحمامات وبواقي عقود مطليه بطلاء صلب في غاية الحفظ ، وكذلك تلال من الطوب وشقاف من الصيني والفخار والزجاج الملون بكل لون ، ويشاهد فيها أثر خليج قديم كان يمر في وسطها[4] .

ويحدثنا المقريزي عند الكلام على قرية سمنای من قرى تنيس أن قوما أكتشفوا في شهر ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ حجاره وآجر فإذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها إسم الأمام المعز لدين الله الفاطمي ، وعلى بعضها إسم الأمام العزيز بالله نزار ، ومنها ما عليه إسم الإمام الحاكم بأمر الله ، ومنها ما

---

(١) منضدين : مرتبة ترتيبا منظما .

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٦٠

(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص ٣٠٣

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

عليه إسم الإمام الظاهر لاعزاز دين الله ، ومنها ما عليه إسم المستنصر وهو أكثرها[1] .

على أنه يلاحظ أن هدم مدينة تنيس كما سبق أن ذكرنا كان له أثره فى ضياع واندثار ما كان بها من منشآت دينيه واجتماعيه واقتصاديه ، وربما ساعد على ذلك الأندثار بيئة المدينة فى جزيرة صغيرة يحيط بها الماء ، مما أدى بدوره إلى تآكل ما بقى فيها من أثار بحيث لم يبق إلا أوصاف بعضها فى كتب التاريخ وكتابات الرحاله المعاصرين .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٨٠

الملاحـــق
خريطتين

نقلا عن كتاب الأمير عمر طوسون

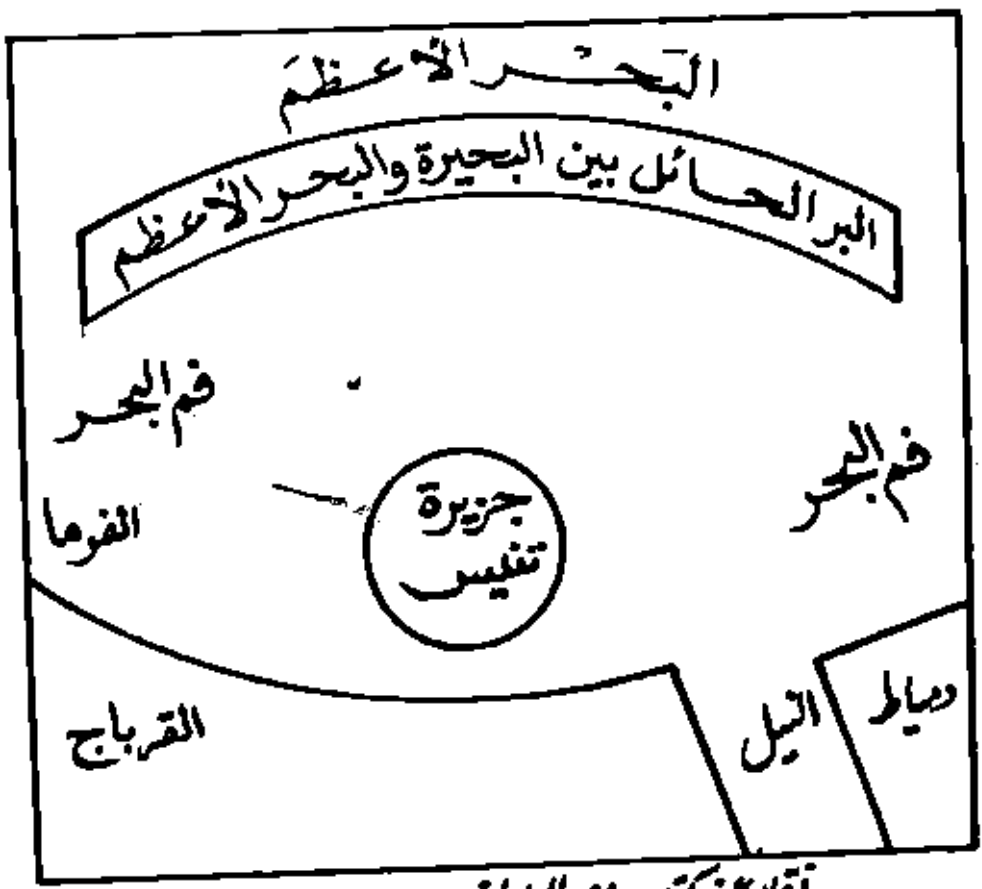

نقلا عن كتاب معجم البلدان حـ ، ص ٥٣

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أبى الكرم)
الكامل فى التاريخ
طبعة بيروت ١٩٦٦م

الأدريسى : (محمد بن عبد العزيز الشريف)
نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق
طبعة ليدن ١٨٦٤/١٨٦٦م

ابن اسحق الأموى : (الشيخ الأمام)
كتاب فتوح مصر وأعمالها

الأصطخرى : (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارس المعروف بالكرخى)
المسالك والممالك
طبعة ليدن ١٩٣٧م

إلياس الأيوبى
تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى الفتح الاسلامى
القاهرة ١٩٣٢م

ابن إياس : (أبو البركات محمد بن أحمد)
تاريخ مصر المعروف باسم بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٣ أجزاء طبعة بولاق
١٣١١ - ١٣١٢هـ/١٨٩٤م

بتلر : (الفريد)
فتح العرب لمصر
عربة محمد فريد أبو حديد
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٥١هـ /١٩٣٣م

البلاذرى : (أحمد بن يحيى بن جابر)
فتوح البلدان
نشرة ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد
٣ أجزاء مكتبة النهضة المصرية

ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبى المحاسن يوسف)
النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة
١٢ جزء الطبعة الأولى
١٣٥١هـ /١٩٣٢م

حسن ابراهيم حسن : (دكتور)
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
٤ أجزاء
١٩٣٥/١٩٤٦م

حسنين محمد ربيع : (دكتور)
النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين
مطبعة جامعة القاهرة
١٩٦٤م

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى)
كتاب صورة الأرض
جزءان / القسم الأول طبعة ليدن ١٩٣٨م
المسالك والممالك
طبعة ليدن ١٨٧٣م

ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
دار الثقافة ببيروت

راشد البراوى : (دكتور)
حالة مصر الاقتصادية فى عهد ...
الطبعة الأولى
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة
١٣٦٨هـ/١٩٤٨م

زكى محمد حسن : (دكتور)
الفن الاسلامى فى مصر
الجزء الأول
القاهرة ١٩٣٥م
كنوز الفاطميين
طبعة دار الكتب الملكية

سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتو
الحركة الصليبيه
جزءان - مكتبة الأنجلو المص

سيد محمود خليفه
تاريخ المنسوجات
مطبعة نهضة مصر بالقاهرة
١٩٦١م

سيده اسماعيل كاشف : (دكتور)
مصر فى فجر الاسلام من الفتح ...
دار الفكر العربى
القاهرة ١٩٤٧م
مصر فى عصر الولاه من الفتح ...
مكتبة النهضة المصرية ... الفجاله
مصر فى عصر الأخشيديين
الطبعة الثانية

دار النهضة المصرية ١٩٧٠م

عبد الله خورشيد البرى (دكتور)
القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
١٩٦٧م

عبد المنعم ماجد : (دكتور)
ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر
دار المعارف بمصر

عطيه مصطفى مشرفه : (دكتور)
نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين
٣٥٨/٥٦٧هـ
الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى بالقاهرة
١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

على باشا مبارك
الخطط التوفيقيه
الطبعة الأولى ٢٠ جزء
طبعة بولاق ١٣٠٥هـ

القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على)
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب
طبعة الرياض – بغداد

صبح الأعشى فى صناعة الأنشا
الجزء الثالث -- المطبعة الأميريه بالقاهرة
١٩١٣/١٩١٩م

الكتبى : (محمد بن شاكر بن أحمد)
فوات الوفيات

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

الكندى : (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب)
كتاب الولاه وكتاب القضاه
بيروت ١٩٠٨م

محمد جمال الدين سرور : (دكتور)
الدولة الفاطمية فى مصر
دار الفكر العربى بالقاهرة
١٩٦٥/١٩٦٦م

المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
٤ مجلدات
دار الكتاب اللبنانى

المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله بن محمد المعروف بالبشارى)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
الطبعة الثانية
طبعة ليدن ١٩٠٦م

المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على)
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط الجزء الأول
طبعة الأوفست - بغداد
والطبعة الأهلية فى ٤ أجزاء مطبعة النيل بالقاهرة
١٣٢٤ - ١٣٢٤هـ

السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول فى ٣ مجلدات تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة .
القاهرة ١٩٣٤م

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تحقيق دكتور جمال الدين الشيال
القاهرة ١٩٥٥م

ابن مماتى (أبو المكارم أسعد)
كتاب قوانين الدواوين
تحقيق دكتور عزيز سوريال عطيه
مطبعة مصر ١٩٤٣م

ابن منظور : (جمال الدين أبو الفضل محمد)
لسان العرب ٢٠ جزء فى ١٠ مجلدات
الطبعة الأولى القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٨هـ

ميتز : (أدم)
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده
جزءان طبعة بيروت

ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب)
المنتقى من أخبار مصر
تحقيق أيمن فؤاد سعد
المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

ناصر خسرو على
سفر نامه
نقله من الفارسيه إلى اللغة العربية وقدم له وعلق عليه دكتور يحيى الخشاب
الطبعة الأولى – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٤هـ/١٩٤٥م

النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)
نهاية الأرب فى فنون الأدب

الجزء الأول
دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٣م

ياقوت : (شهاب الدين أبى عبد الله الحموى)
معجم البلدان
المجلد الثانى بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م

يحيى بن سعيد الأنطاكى
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق
جزءان بيروت ١٩٠٩م

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)
كتاب البلدان
طبعة ليدن ١٨٩٢م

المراجع الأوربية

Grousset (R) Hist. des Croisades et du

Royaume Francede jerusalem (Vol) I.

Heyed (W) Histoire de commerce du levant au moyen Age (2 Vols)

(Leipzig 1885)

Lane - Poole. (Stanley): A History of Egypt in the middle Ages.

London 1914

Quatremère (et): Memoires

Geogra phiques et historiques

(Tome 1)

Paris 1811

دراسة تاريخية للهجرة اليمنية الى شرق أفريقيا
فى النصف الأول من القرن العشرين

للدكتور
فاروق عثمان أباظه
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

محتوى البحث

– مقدمة
أولا : التعريف العلمى للهجرة وتطبيقه على الهجرة اليمنية الى شرق أفريقيا .
ثانياً : حركة الهجرة اليمنية الى شرق أفريقيا فى النصف الأول من القرن العشرين .
– ثالثاً : تجنيد المهاجرين اليمنيين فى الجيش الايطالى بالصومال .
– رابعاً : مجالات انفاق اليمنيين لواردات المهجر فى بلادهم .
– خامساً : مدى نجاح اليمنيين بمهجرهم فى شرق افريقيا .
– سادساً : تحول الهجرة اليمنية الى البلاد العربية النفطية .
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية واللغات الاجنبية .

مقدمة

يهدف هذا البحث الى دراسة تاريخ الهجرة اليمنية الى شرق أفريقيا فى النصف الأول من القرن العشرين ، باعتبار أن هذا التاريخ يشكل صفحة من صفحات تاريخ العرب فى شرق افريقيا ، الذى يعد من الصفحات المجيدة فى التاريخ الأفريقى .

وهذه الدراسة لها جذورها التاريخية العميقة التى تتصل بكافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وليس بالنسبة لليمن فحسب ، وانما بالنسبة لشرق أفريقيا أيضاً . كما أن هذه الدراسة تتصل كذلك بعوامل جغرافية متعددة الجوانب ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة التاريخ العربى والافريقى الحديث والمعاصر .

وان ما نعنيه باليمن فى هذا البحث ، هو اليمن بشطريه الشمالى والجنوبى من جهة ، وما نعنيه بشرق أفريقيا فيتمثل فى النطاق الجغرافى الممتد من الحدود الشمالية للصومال – المطل على مضيق باب المندب وخليج عدن شمالا ويصل جنوباً الى كينيا ، وتنجانيقا ، وزنجبار وموزنبيق ، المطلة على المحيط الهندى ، من جهة أخرى . وان اختيارنا لفترة البحث فى النصف الأول من القرن العشرين ، إنما يعود لما تميز به هذا النطاق الجغرافى فى الفترة المشار اليها من أهمية ، حيث انعكست عليه كل التأثيرات التاريخية السابقة ، بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . كما تعرضت هذه المنطقة لتغيرات عديدة فى تلك المجالات وخاصة أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ، بكل ما نتج عنهما من نتائج عديدة كان لها أعمق الاثر على حركة الهجرة اليمنية الى شرق افريقيا من جهة ، بل وحركة الهجرة الافريقية إلى جنوب اليمن آنذاك ، من جهة أخرى .

وسوف نعالج هذا البحث من الناحية المنهجية بدراسة التعريف العلمى للهجرة وتطبيقه على الهجرة اليمنية الى شرق افريقيا ، التى سنتبع حركتها فى النصف الأول من القرن العشرين ، باعتبارها إمتداداً طبيعياً لحركتها الدائمة فى العصور السابقة ، وسوف نتطرق بعد ذلك الى ظاهرة تجنيد المهاجرين اليمنيين فى الجيش الايطالى بالصومال ثم نتعقب مجالات انفاق اليمنيين لواردات المهجر

فى بلادهم ، وأخيراً نتتبع مدى نجاح اليمنيين بمهجرهم فى شرق أفريقيا فى فترة الدراسة ، وكيف تحولت الهجرة بعد ذلك الى البلاد العربية النفطية .

أولا : التعريف العلمي للهجرة وتطبيقه على الهجرة اليمنية الى شرق افريقيا :

يحدد التعريف العلمي للهجرة بأنها تغيير دائم أو شبه دائم لمحل الاقامة بصرف النظر عن طول مدة هذا التغيير أو قصره . وتتطلب دراسة الهجرة التعرف على الظروف المحيطة بالمهاجر فى موطنه [redacted] جهة ، ثم بمحل الاقامة الذى هاجر إليه من جهة أخرى . هذا فضلا عن معرفة العقبات التى تحدث أو تطرأ نتيجة لعملية الهجرة ، والتى قد تكون طفيفة فى بعض الحالات ، وجسيمة فى حالات أخرى . كما أن هذه العقبات تتأثر بالعوامل الشخصية المحركة للهجرة وما يتصل بها من مقارنة بين عوامل متعلقة بمكان المنشأ واخرى متعلقة بمكان الوصول . بالاضافة إلى ما يمكن أن تحدثه قوانين الهجرة من تأثير فى حركة المهاجر من موطنه الأصلى إلى مكان الوصول ، ومدى الاتصالات أو العلاقات الشخصية التى تمهد سبيل الهجرة ، فضلا عن المسافة بين الوطن الأصلى والمهجر ، وان كانت المسافة على الرغم من أهميتها المطلقة ليست هى العامل الأهم فى معظم الحالات .

ويراعى الباحث دائما فى تفسير حركة الهجرة فى عصر من العصر عملية إتخاذ القرار لدى الفرد أو الجماعات ، إذ نجد فى الدراسات الخاصة بالهجرة أن عوامل الطرد والجذب عادة ما يشار إليه لكى تساعد على فهم آلية الهجرة وتحديد مدى حيويتها . وفى رأى بعض العلماء أن الهجرة كعملية تحدث بعد اتخاذ الفرد أو الجماعات لقرار من القرارات ينجم عن تقييم لكافة النواحى والبدائل فى الموطن الأصلى من جهة ، والمهجر من جهة أخرى ، « فكل شخص معرض دائما لعوامل فى محل اقامته ، بعضها يمثل قيدا على حركته أو هجرته ، والبعض الآخر يشجعه عليها . كما يؤخذ فى الحسبان أن هناك عديد من العوامل السلبية والايجابية تأتى من الاماكن المختلفة المحتمل الوصول إليها . والقرار الخاص بالتحرك أو عدم التحرك يكون قائما على أساس كل هذه العوامل »[1] .

---

(١) Kosinski, L. A., & Prothero R.: People on the Move, p.5.

وتعتبر الهجرة من أهم مجالات البحث ليس بالنسبة للمؤرخين فحسب ، بل بالنسبة للمتخصصين فى مجالات العلوم الأخرى كالجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والأنثروبولوجيا . وتعتبر المساهمات التى تقدمها فروع الدراسات المختلفة عن الهجرة مكملة ومتصلة ببعضها البعض . ويشكل النقص فى البيانات الاحصائية واحدا من أهم المعوقات فى دراسة الهجرة . وتزيد هذه الصعوبة بالنسبة للهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا وغيرها إذا ما علمنا أن أول تعداد لسكان الشطر الشمالى من اليمن قد اجرى عام ١٩٧٤ ، وأن هذا الشطر الشمالى من اليمن ظل فى النصف الأول من القرن العشرين -- وهى الفترة التى نعنى بدراستها فى هذا البحث – تحت حكم الامامة الزيدية معزولا سياسيا وحضاريا عن العالم الخارجى ، منذ جلاء العثمانيين عنه فى مطلع عام ١٩١٩[٢] ، وحتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ واعلان الجمهورية .

أما بالنسبة للشطر الجنوبى من اليمن فقد ظل طوال تلك الفترة تحت سيطرة بريطانيا منذ احتلالها لعدن فى التاسع عشر من يناير عام ١٨٣٩[٣] وحتى جلائها عنها فى الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٦٧[٤] . ولم تعن الادارة البريطانية فى عهد تبعية عدن لشركة الهند الشرقية "East India Company" أى منذ احتلالها وحتى انتقال تبعيتها إلى وزارة الهند "India office" فى عام ١٨٥٨[٥] – الا باحصاء عدد سكان عدن نفسها عدة مرات كان آخرها فى عهد الشركة المذكورة الاحصاء الذى اجرى فى عام ١٨٥٦ وقدر سكان عدن بعشرين ألف وستمائة وأربع وخمسين نسمة . وعندما تحولت عدن من تبعيتها لوزارة الهند ، وصارت مستعمرة تابعة « لوزارة المستعمرات البريطانية Colonial Office" فقد اجرى إحصاء رسمى لسكان عدن فى عام ١٩٤٦ كان

(٢) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ – ١٩١٨ ص ٤٣٢ .

(٣) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ – ١٩١٨ ، ص ١٩٥ .

(٤) Gavin, R.J.: Aden Under British Rule, 1839 – 1967, p. 350.

(٥) Marston, T.E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800 - 1978, p. XII.

تانى احصاء يجرى منذ تحولها إلى مستعمرة . واقتصر هذا الاحصاء على عدن فقط دون غيرها من النواحى التسع فى جنوب اليمن . وقد أظهر هذا الاحصاء أن سكان عدن كانوا قد بلغوا ٨٠,٥١٦ نسمة ، بينما قدر عددهم فى الاحصاء التالى الذى اجرى عام ١٩٥٥ بزيادة واضحة إذ بلغوا ١٣٨,٤٤١ نسمة[٦] . واشتمل هذا الاحصاء على تحديد الجنسيات المقيمة فى عدن آنذاك على النحو التالى : اليمنيون ٤٨,٠٨٨ نسمة ، والعدنيون العرب ٢٦,٩١٠ نسمة ، وعرب الشرق الأوسط ٢,٦٠٨ نسمة ، وعرب المحميات ١٨,٨٨١ نسمة ، واليهود ٨٣١ نسمة ، والأوربيون ٧٢١ نسمة ، والهنود المسلمون ١٠,٤٣٥ نسمة ، والهنود البانيات ٤,٧٨٥ نسمة ، والهنود الفرس ٥٩٦ نسمة ، بينما بلغ الصوماليون ١٠,١١ نسمة[٧] . وبهمنا فى بحثنا هذا الاشارة إلى زيادة عدد الصوماليين المهاجرين إلى عدن آنذاك حيث سنتناول هذه الظاهرة بالدراسة عند الاشارة إلى هجرة الافارقة إلى اليمن فى ظروف تاريخية معينة .

على أن ثمة دراسات حول الهجرة فى اطارة الوطن العربى قد اجريت ونشرت فى بضع نشرات ودوريات ، وحوت إشارات مختلفة عن الهجرة اليمنية ، مما يتيح الفرصة للاستفادة منها فى دراستنا هذه . ومن هذه الدراسات ذلك البحث الذى قام باعداده « هاليداى Halliday » فى عام ١٩٧٨ عن الهجرة إلى الدول المنتجة للنفط والذى اهتم فيه بوجه خاص بدور اليمنيين[٨] . وكذلك البحث الذى قام باعداده « سوانسون Swanson » فى نفس السنة والذى إهتم بتحليل النتائج الاقتصادية للهجرة فى الجمهورية العربية اليمنية[٩] .

(٦) The Colonial Office List, 1960, Her Majesty's Stationery Office 1960., p. 56.

(٧) حمزة على ابراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٨) Halliday, F.:
"Migration and the Labor Force in the Oil" Producing States of the Middle East, Kuwait University, Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies, Vol. 13. January 1978, p. 65.

(٩) Swanson, J.C.:
The Consequences of Emigration for Economic Development in the Yemen Arab Rupublic, (Ph. D. Dissertation) Detroit, Michigan: Wayne State University 1978., p. 17.

هذا فضلا عن الدراسة التى قام باعدادها شكيب الخامرى حول الهجرة اليمنية إلى الولايات المتحدة الامريكية ، والتى قدم فيها « نموذجا من ديترويت بالولايات المتحدة الامريكية » فى عام ١٩٧٩[١٠] .

ووفقا لتعداد سكان الجمهورية العربية اليمنية الذى أجرى فى عام ١٩٧٤ والذى أشرنا إليه ، تم تقدير عدد المهاجرين اليمنيين بحوالى ٢٣٤,٠٠٠ و١ مهاجر . وقد أشارت احدى الدراسات الخاصة بأشكال الهجرة فى الشرق الأوسط إلى أن اليمن تعد واحدة من الدول الأكثر تصديرا للأيدى العاملة فى العالم إذا ما قيست الهجرة منها بالنسبة لعدد سكانها الذى يبلغ تعدادهم ٦,٥ مليون نسمة ، كما أن اكثر من نصف الأيدى العاملة فى اليمن قد هاجرت أساسا إلى الدول النفطية فى الشرق الأوسط[١١] . وطبقا لعدد الأسر فى الجمهورية العربية اليمنية والبالغ عددها ٩٠٦,١٨٥ أسرة ، يوجد ١,٣٦ مهاجر لكل أسرة[١٢] ، وهذا الرقم يشير إلى المدى الذى أصبحت تساهم به الأسرة اليمنية فى سوق العمالة الدوليه ، كما تبين أيضا مدى أهمية الهجرة للمجتمع اليمنى .

وبينما تعتمد اقتصاديات بعض الدول العربية المنتجة للنفط بدرجة كبيرة على الأيدى العاملة اليمنية التى تقدر بمئات الالآف ، نجد أن اليمن ذاتها قد شهدت فى الآونة الأخيرة نقصا خطيرا فى الايدى العاملة . وبالنسبة لتنمية الاقتصاد اليمنى ، فان النقص فى الايدى العاملة يعتبر من أهم المشكلات التى تواجه اليمن فى الوقت الحاضر . وقد أوضح تقرير البنك الدولى فى عام ١٩٧٨ عن مشكلة نقص الايدى العاملة فى اليمن « أن هذا النقص فى الايدى العاملة نشأ عن هجرة الايدى العاملة على نطاق واسع إلى الدول العربية المنتجة للنفط ، التى يوجد بها ما يقدر بنحو ٣٠٪ من الأيدى العاملة من الذكور (اليمنيين) »[١٣] هذا فى الوقت الذى ازداد فيه الطلب على الأيدى العاملة فى

---

(١٠) شكيب الخامرى : الهجرة اليمنية الى أمريكا ، نموذج من ديترويت بالولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبى ، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت ، والجمعية الجغرافية الكويتية ، فبراير ١٩٨٢ ، ص ٥ .

(١١) Halliday, F.: Op. Cit., pp. 65 - 66.

(١٢) الجمهورية العربية اليمنية ، الكتاب السنوى للاحصاء ، ١٩٧٧/٧٦ ، ص ٥٥ .

(١٣) نشرة البنك الدولى لعام ١٩٧٨ (١/١ - ١١) .

اليمن بدرجة شديدة نتيجة للنمو السريع لبرامج التنمية المختلفة التى تقرها الحكومة اليمنية ، وكنتيجة للتوسع المتزايد فى النشاط التجارى الخاص . وهذا النقص فى القوى البشرية يعد بدرجة خطيرة من فاعلية إدارة الأعمال العامة فى اليمن فى الوقت الحاضر . وتكمن المشكلة فى استحالة تعويض هذا الفاقد البشرى من الأيدى العاملة الناتج عن الهجرة اليمنية ، حيث لا يوجد إقبال على الهجرة إلى اليمن فى المقابل على نحو ما حدث فى عدن فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، مما اضطر الحكومة اليمنية لكى تواجه أهداف التطور الاقتصادى السريع لخطة السنوات الخمس أن تقرر جلب ١٠٢,٠٠٠ عامل إلى اليمن من الهند وباكستان وشرق افريقيا وخاصة من الحبشة والصومال[٤] . واصبحت هذه القضية موضع مناقشات ومفاوضات على المستوى الدولى فى السنوات العشر الأخيرة ، فقد سافر وفد يمنى مؤلف من موظفين مدنيين ورجال أعمال برئاسة وزير التخطيط إلى باكستان فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ ، وكان الهدف الأساسى لسفر هذا الوفد هو التوصل إلى اتفاق مع الحكومة الباكستانية لارسال عمال إلى اليمن . وبدأت حكومة الجمهورية العربية اليمنية فى نفس الوقت فى البحث عن حلول لمشكلة الهجرة اليمنية - التى يصعب السيطرة عليها - إلى خارج البلاد . فلأول مرة تصدر حكومة صنعاء قوانين فى عام ١٩٧٥ تمنع هجرة الأيدى العاملة اليمنية ، كما قررت الحكومة الامتناع عن إصدار جوازات سفر جديدة كخطوة أولى للحد من آثار تلك المشكلة[١٥] .

ومن جهة أخرى فقد كان للهجرة اليمنية تأثيرا إيجابيا على الدخل القومى

---

(١٤) Gubari, M.A. :
"An Interview with Minister of Economy in the Yemen Arab Republic, on A Number of Internal Issues"
Kuwait University, Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies, Vol. 13, January 1978, pp. 126 – 127.

(١٥) Sieffen, H.:
Yemen Arab Republic, Final Report: Sana'a, Y.A.R. and Zurich, Switzerland, Central Planning Organization and Dept. of Geography, University of Zurich, 1978, p. 93.

فى شطرى اليمن . فعلى الرغم من أن الجمهورية العربية اليمنية تعتبر دولة زراعية ، إلا أن دخلها من العملات الصعبة كبيرا . وقد جاء هذا الدخل من مدخرات المهاجرين العاملين فى الخارج بصفة أساسية طبقا لبيانات البنك المركزى فى صنعاء . فقد ازداد حجم التحويلات المالية الخاصة بدرجة هائلة خلال الخمسة عشر عاما التى أعقبت قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ حتى بلغت قيمة هذه التحويلات فى عام ١٩٧٦/١٩٧٧ كما تشير البيانات المذكورة ٤٥١١ مليون ريال يمنى ، أى اكثر من بليون دولار امريكى . ويشمل هذا الرقم إجمالى التحويلات الخاصة من العملات الأجنبية إلى الريالات اليمنية . ويأتى القدر الاكبر من هذه التحويلات من المهاجرين لفترة قصيرة الذين يرسلون مدخراتهم إلى أسرهم فى اليمن[١٦] . وقد أعلن محمد عبد الوهاب غوبارى الذى كان وزيرا للاقتصاد فى الجمهورية العربية اليمنية آنذاك أن الاقتصاد اليمنى أصبح يعانى من أكبر عجز فى الميزان التجارى فى العالم (٩٥٪) . وعلى النقيض من ذلك فان لدى اليمن فائضاً فى ميزان المدفوعات ، وتنجم المسألة كنتيجة طبيعية للتحويلات المالية التى يقوم بها المهاجرون اليمنيون إلى وطنهم الأم[١٧] .

وتجدر الاشارة إلى أن الواردات غير المنظورة من النقود إلى اليمنيين فى وطنهم الأم من أقاربهم فى المهجر بشرق افريقيا وغيرها كانت ضخمة بالنسبة لحجم تجارة بلدهم ، ولهذا أثرت هجرة اليمنيين على أحوالهم الاجتماعية فى وطنهم من حيث خلق رخاء مستعار مزيف ومعتمد على مصادر غير موثوق بها . وكان هذا الحال شغل المفكرين الشاغل فى اليمن الذين كانوا يرون أن الهجرة المستمرة أضرت باليمنيين أكثر مما نفعتهم . كما أن مستوى المعيشة العالى نسبيا الذى تعود عليه المهاجرون فى خارج اليمن والسهولة التى ألفوها لدى كسبهم العيش فى المهاجر لا تستطيع أن تقدم لهم مثله البيئة اليمنية ذاتها إلا بالعمل الشاق والصبر المضنى الطويل . لذلك فان اكثر الناس تعاسة فى اليمن

(١٦) Steffen, H.: Op. Cit., pp. 93, 94.

(١٧) شكيب الخامرى : المرجع السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

وخاصة فى المناطق الصحراوية قليلة الوديان كحضرموت هم الذين يحملون عقليات المهاجر ، ولا يطيقون الملاءمة بين طاقاتهم المختملة التى يتطلبها كسب العيش من التربة الحضرمية .

وقد حال توفر العيش باليمن عامة وبحضرموت خاصة على حساب المهاجر ، دون تفكير اليمنى فى مستقبله ، ومرت القرون وهو سادر فى غيه ، مطمئن إلى ما تدره عليه المهاجر من أموال تكفيه مشقة عنت العيش . لذلك نظر اليمنى إلى وطنه وكأنه منزل ذكريات مؤلمة ومضحكة فى آن واحد ، لأنه وطن فى نظره يعيد إلى ذاكرته أيام الفاقة والحرمان والعيش النكد المحدود أيام الصبا . وطفق المهاجر اليمنى فى غدوه ورواحه بين وطنه والمهجر يرفع تدريجيا من مستوى معيشته ويعقد أكثر فأكثر ، بفضل مكاسبه الخارجية المستعارة ، استهلاكاته المنزلية ، ولكنه لم يحاول إلا فى حدود ضيقة لا تكاد تذكر تعمير أرضه ليجعل منها فى وقته مصدر رزق أوفر مما كان على عهد آبائه وأجداده . والذى استطاع عمله فى أحسن حالاته ، هوُ أنه جعل بلاده – وخاصة فى منطقة حضرموت التى تعاظمت نسبة المهاجرين منها - تنطق بخيرات المهاجر فى الأجور والسكن والمطعم والملبس ، فخلق بقصد أو بدون قصد ، هوة سحيقة بين حضرموت الحقيقية وحضرموت الاصطناعية . وعلى مر السنين ظلت جذوة القلق من طغيان الرخاء المستعار الذى تتيحه الهجرة والمهاجر لليمنيين – وخاصة الحضارمة – حية فى نفوس بعض مفكريهم تواكب روح الارتياح الذى غمر آخرين من عيشة المهاجر ومعطياتها . وقد صور الأدب اليمنى تلك الهواجس المفرحة والمحزنة شعرا أبلغ مما صورها أى شىء آخر . وسوف نورد فيما يلى مقتطفات شعرية من الأدب الحضرمى لمجرد الدلالة على ما شغل أذهان الحضارمة عبر القرون الطويلة فى مجال الهجرة التى جعلتهم يأكلون لقمتهم مع غصة التخوف من فقدانها ، بين محبذ للهجرة ، ومنفّر لها ، كما يصور ذلك أحمد عبد الله السقاف الشحرى بقوله :

هاهم الآن فرقة تقحم البحر وأخرى تراقب الأخبارا
ذى أقامت بالربع تحمل أسفارا وهذى تكابد الأسفارا

هوذا العار ما أتوه ولكن جلهم لا يرون ذا العار عارا

وعندما اختلت موازين العيش السهل الرتيب لأهالى حضرموت المعتمدين على أقاربهم فى المهجر – على سبيل المثال – من جراء أهوال الحرب العالمية الثانية ، وانقطع وارد الأموال من بلاد المهجر ، فقد أسقط فى يد أثرياء المهجر المقيمين بحضرموت ، وزادت هجرة الكثيرين منهم إلى عدن[١٨] . وبرزت لهم بلادهم ساخرة شامتة ما يعانون ، فكانت مجاعة عام ١٩٤٣ المروعة التى أودت بحياة خمسة عشر ألف شخص معظمهم من العمال الذين كانوا يدورون فى فلك الأثرياء ، الذين باعوا أحجارهم الكريمة وأثاثهم وملابس نسائهم وفرشهم وأوانيهم ، ومنهم من عاش على الديون الجائرة والهبات الحكومية إلى أن انقشعت غاشية المجاعة ، وأما اليمنيين الذين ظلوا ملتصقين بالأرض ، فلم تصبهم المجاعة بأذى . فعاش المزارعون والصيادون ، وذووا الحرف الأساسية الصغيرة ، وأرباب المواشى والدواجن ، بعيدين عن التيارات الخارجية وما جرته من بلوى على بلادهم .

ثانيا : حركة الهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا فى النصف الأول من القرن العشرين :

تعتبر المنطقة الممتدة من مسقط الواقعة على الساحل الجنوبى الشرق للجزيرة العربية ، من جهة أولى ، وإلى موزمبيق على الساحل الشرق لافريقيا ، من جهة ثانية ، والتى تشكل قاعدة لمثلث تتمثل قمته فى برزخ السويس فى أقصى الشمال ، من جهة ثالثة ، فيضم فى داخله جزءا من المحيط الهندى وبحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر بساحليه الآسيوى والافريقى ، إنما تمثل هذه المنطقة الكبرى فى مجموعها نطاقا جغرافيا وحضاريا متكاملا فى مختلف النواحى

(١٨) حمزة على ابراهيم لقمان : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

وقد أشار الى أن أغلب العمال اليمنيين وعرب الحميات يأتون الى عدن للبحث عن أعمال فيها ، ويتركون عائلاتهم فى بلادهم ، وأغلبهم وخصوصاً اليمنيون ، يعيشون حياة بسيطة بالنسبة لعرب عدن وبقية الأجناس ، وكثيرون لا يسكنون فى بيوت ، بل يستظلون جو عدن المناسب الذى لا تهبط حرارته الى أقل من ٧٠ درجة فاهرنهيتية فى الليل فيفرشون سررهم على الأرصفة وفى الميادين وحتى فى سفوح الجبال .

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوجه عام . إذ نشطت حركة الهجرة بين سكان هذا النطاق من مكان إلى آخر ، وخاصة هجرة العرب واليمنيين بوجه عام ، والحضارمة بوجه خاص ، إلى مناطق شرق افريقيا ، وهجرة عناصر افريقية إلى اليمن بصفة خاصة وإلى الجزيرة العربية بصفة عامة ، نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية متنوعة عبر عصور التاريخ[١٩] . وقد ساعدت على ذلك سهولة الاتصال البحرى بين سواحل الجزيرة العربية الغربية والجنوبية والشرقية من جهة ، والسواحل الافريقية الشرقية الممثلة فى السودان والحبشة والصومال وكينيا وتنجانيقا وزنجبار وموزمبيق من جهة أخرى[٢٠] ، والتى أطلق العرب على الجزء الجنوبى من تلك السواحل « بر الزنج »[٢١] . ويرجع تحقيق ذلك إلى عامل مناخى جغرافى هام يتصل بحركة الرياح التجارية ، التى تهب من الشمال والشمال الشرق فى الشتاء ابتداء من شهر ديسمبر ، ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية شهر فبراير ، كما تعكس هذه الرياح اتجاهها مع أوائل الربيع وأثناء الصيف ابتداء من شهر أبريل حتى أواخر شهر سبتمبر ، ويتفق ذلك ايضا مع اتجاه الساحل الغربى للمحيط الهندى ، الذى يتبع خطا مستقيما تقريبا متجها من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرق ، من موزمبيق وتنجانيقا وزنجبار ، إلى مدخل خليج عدن وموانى جنوب الجزيرة العربية على الساحل اليمنى ، ثم إلى خليج عمان فى أقصى الشمال الشرق[٢٢] .

وقد استفاد البحارة والتجار العرب عامة ، واليمنيون بوجه خاص ، من هذه الظاهرة عبر عصور التاريخ ، وساعدتهم على ذلك معرفتهم بعلم الفلك

---

(١٩) Ingrames, William H.:
A Report on the Social, Economic, and Political Condition of the Hadramawt, London, Colonial Office, 1936, pp. 141, 144.

(٢٠) Leubuscher, C.:
Tanganika Territory, p. 15.

(٢١) جمال زكريا قاسم (دكتور) : المصادر العربية لتاريخ شرق افريقيا ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية بالقاهرة ، المجلد ١٤ ، لسنة ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ١٦٩ .

(٢٢) Hollingsworth, L. W.:
Zanzibar under the Foreign Office, pp. 1, 10.

وتحديد الاتجاهات الجغرافية بالشمس والكواكب . وترتب على ذلك استقرار جاليات عربية بوجه عام ، ويمنية بوجه خاص ، على سواحل البحار الشرقية وخاصة سواحل افريقيا الشرقية لخدمة الأغراض التجارية[٢٣] . بل أن موقع اليمن الفريد فى الركن الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية جعلها أكثر قربا من الساحل الشرقى لافريقيا من جهة ، كما جعلها تتحكم فى حركة المرور من البحر الاحمر واليه من جهة أخرى . كما أدى هذا الموقع إلى مساعدة اليمن على القيام بدور بارز فى تاريخ التجارة الدولية منذ أقدم العصور ، وعلى اقامة علاقات واسعة مع العالم الخارجى . فقد كان اليمنيون منذ العصور القديمة يقومون بتنظيم التجارة التى كانت تصل إلى مصر وبلاد الرافدين وبلاد المشرق العربى عامة ، ومنها تنقل إلى أوربا بعد ذلك ، سواء أكانت هذه التجارة من بلادهم أو من افريقيا أو الشرق الأقصى . وكان لليمنيين تاريخ بارز فى التجارة العالمية ، كما كانت لديهم خبرة كبيرة بالأسواق ، حتى أنهم احتكروا جزءا كبيرا من التجارة الدولية بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة حتى أصبحت التجارة أسلوبهم التقليدى فى الحياة ، هذا الأسلوب الذى دفع اليمنيين إلى جعل المحيط الهندى بجانبيه الآسيوى والافريقى ميدانا لنشاطهم ، وأسسوا هناك العديد من المراكز التجارية الهامة ، وحققوا فيها ثروات طائلة . وبعد انتشار الاسلام فى القرن السابع الميلادى وفى أعقابه زادت الهجرات إلى [illegible] ، واندمج العرب مع أهالى تلك البلاد ، ونتج عن ذلك أجناس ولغات و[illegible] جمعت كثيرا من الصفات المشتركة بين العرب وأهالى البلاد الأصليين[٢٤] . وقد حدث ذلك الاندماج بطريقة طبيعية سلمية دون اللجوء إلى أساليب القوة

---

(٢٣) Drewes, A. J.:
Sabaean Inscription for Ethinpia; p. 3.

ألقى هذا البحث فى ندوة الحضارة اليمنية فى عدن (٢٢ - ٢٧ فبراير ١٩٧٥) بعنوان « [illegible] سبئية من الحبشة » وقد أورد « دريفر » وثائق تؤكد إقامة أعداد كبيرة من السبئيين [illegible] فيما بين عامى ٤٥٠ - ٣٠٠ ق.م. وأن اللغة السبئية قد تركت آثاراً واضحة فى لغة الحبشة القديمة آنذاك مما يؤكد أن الهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا قديمة العهد .

(٢٤) Coupland, R.:
East Africa and Its Invaders, p. 21.

والقمع والاضطهاد . وقد نجح العرب فى تكوين إمارات عربية الاسلامية فى تلك الجهات ، ثم تقلصت إلى الامارات تحت السيطرة الأوربية ، وخلفت جاليات عربية إسلامية لها مكانتها هناك[٢٥] . وكان لليمنيين بصفة عامة ، وللحضارمة بصفة خاصة ، دور كبير فى هذا المجال[٢٦] .

وكان اليمنيون يقومون بتصريف منتجاتهم من النسيج ، وصناعة الحلى ، والأوانى المزخرفة ، ومركبات الروائح العطرية ، ومستحضرات البخور والصمغ ، والسمك المجفف ، والملح ، والتبغ الخمعى ، والاعشاب الطبية ، واعشاب الصباغة ، وكان اليمنيون يستوردون من شرق افريقيا اخشاب بناء السفن ، والحديد ، والقصدير ، والنحاس ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، والقطن ، والتوابل ، والسمسم ، والأرز ، وغيره من المواد الغذائية . وكان الكثيرون من اليمنيين يستقرون فى تلك المناطق ليقوموا بدور الوسيط فى العمليات التجارية . كما كانت السفن اليمنية المنطلقة من موانى اليمن الجنوبية كالشحر والمكلا وعدن ، والغربية كموانى مخا والحديدة ، فضلا عن موانى عسير كاللحية وميدى وجيزان – التى إنضمت إلى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٣٤ – كانت تلك السفن اليمنية تنقل البضائع من اليمن إلى شرق افريقيا . ورغم تدخل السفن الأوربية فى هذا المجال منذ مطلع العصور الحديثة ، فقد ظل اليمنيون يمارسون ذلك العمل الملاحى البحرى والتجارى فى وجه الأخطار المحدقة والمنافسة الضارية ، فى تحرك موسمى منتظم على سفنهم الشراعية . وقد بلغ اليمنيون – والحضارمة على وجه الخصوص – إلى جانب العمانيين ذروة المجد فى مجال الملاحة البحرية بين سواحل العربية وشرق افريقيا حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين بدأت مراكبهم فى التدهور بسبب منافسة السفن البخارية الأوربية لهم فى هذا المجال .

فمن الموانى اليمنية ، مثل ميناءى مخا والحديدة على الساحل الشرقى للبحر

---

(٢٥) جمال زكريا قاسم (دكتور) : استقرار العرب فى ساحل شرق افريقيا ، مجلة كلية الآداب – جامعة عين شمس ، العدد (١٠) مايو ١٩٦٧ ، ص ٢٧٧ – ٢٣٠ .

(٢٦) محمد عبد القادر بامطرف : الهجرة اليمنية ، مجلة الثقافة الجديدة ، عدن ، العدد ٦ – ٧ ، السنة الأولى ١٩٧١ ، ص ٥٢ – ٥٣ .

الاحمر ، وعدن والمكلا والشحر المطلة على بحر العرب ، وهى موانى ترتبط بالمرتفعات والسهول اليمنية الداخلية المكتظة بالسكان عن طريق القوافل ، انطلقت موجات الهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا حيث استقبلتهم موانى الصومال وكينيا وتنجانيقا وزنجبار وموزمبيق وهناك عملوا كمزارعين وتجار وحرفيين ، فضلا عن اشتغالهم بأوجه التعليم الدينى ، وأخيرا اشتغل بعضهم بأعمال الجندية[٢٧] . وقد زادت هجرة اليمنيين إلى شرق افريقيا اثناء العصر الاسلامى ، واستمرت حتى مجيء البرتغاليين فى مطلع العصور الحديثة ، وظلت حتى العصر العمانى ، وحتى خضوع المنطقة للسيطرة الاستعمارية الأوربية من جديد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وبقيت حتى النصف الأول من القرن العشرين[٢٨] موضع دراستنا فى هذا البحث .

وتجدر الاشارة إلى أن الاسلام قد انتشر فى شرق افريقيا عن طريق التجارة وما صاحبها من هجرة للعناصر العربية بصفة عامة ، واليمنية والعمانية بصفة خاصة ، فى اعقاب ظهوره فى القرن السابع الميلادى ، ولهذا فان نسبة المسلمين تزداد على السواحل ، وتنقص بالاتجاه نحو الداخل[٢٩] . ويصدق هذا فى المناطق التى تقع فى جنوبى خط الاستواء ، أما المناطق الواقعة إلى الشمال منه فان الاسلام يعم حتى يصبح الديانة الوحيدة فى الصومال ، وذلك لقرب تلك البقاع من شبه الجزيرة العربية وسهولة الاتصال بين سواحلها والساحل الشرق لافريقيا . ومع نهاية العصور الوسطى كانت المدن الاسلامية تنتشر على طول هذا الساحل من سواكن بالسودان شمالا إلى موزمبيق جنوبا ، وكانت بمثابة مراكز تجارية نشطة ومجتمعات إسلامية مؤثرة[٣٠] .

وعندما جاء البرتغاليون إلى المحيط الهندى فى نهاية القرن الخامس عشر

---

(٢٧) Tarcici, A.:
The Queen of Shebes Land, Yemen, (Arabia Felix), p. 129.

(٢٨) محمد السيد غلاب وآخرون : البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، دراسة بمناسبة المؤتمر الجغرافى الاسلامى الأول ، بجامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض (صفر ١٣٩٩ هـ / يناير ١٩٧٩ م) ، ص ٦٥٧ - ٦٦١ .

(٢٩) حسن أحمد محمود (دكتور) : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ج ١ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٩ .

(٣٠) حسن ابراهيم حسن (دكتور) : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ص ١٢٦ - ١٢٧ .

بدءوا فى احتلال زنجبار فى سنة ١٥٠٣ ، واستولوا على مدينة كلوة فى سنة ١٥٠٥ ، وانتشروا فى مياه المحيط الهندى ، حتى دخلت مناطق النفوذ البرتغالى تحت السيطرة الاسبانية ١٥٨٠ - ١٦٤٠ ثم بدأ النفوذ البرتغالى ينحسر عن شرق افريقيا حتى بدأت مدها تستعيد قوتها ومجدها . اذ تمكن العمانيون من بسط نفوذهم على الساحل الشرقى لافريقيا وتمكن اليعاربة (أسرة بنى يعرب) الذين حكموا عمان أن يقضوا على ما بقى للبرتغاليين من نفوذ فى مدينة « ممبسة » فى كينيا بل تعقبهم حتى موزمبيق ، واصبحت السلطة فى ساحل افريقيا الشرقية مرتبطة بعمان حتى انتهت سلطة اليعاربة فى عمان فى عام ١٧٤١ وجاء سلطان السعيديين . وفى عام ١٨٣٢ نقل سلطان عمان سعيد بن سلطان عاصمته من مدينة مسقط إلى زنجبار ، وهكذا ارتبط القسم الشرقى من كينيا بزنجبار .

وفى عام ١٨٥٦ توفى سلطان عمان سعيد بن سلطان فقسمت مملكته بين ولديه ، فحكم ابنه ثوينى عمان ، وحكم ابنه الآخر ماجد زنجبار . ثم قام سلطان زنجبار ماجد بنقل عاصمته من زنجبار إلى دار الاسلام على ساحل القر الافريقى . وبعد وفاة ماجد خلفه أخوه الصغير برغش ، وضعفت السلطة العمانية فى شرق افريقيا تدريجيا ، وتعرضت المنطقة لهجمة استعمارية جديدة ، تواطأت عليها الدول الأوروبية واقتسمت سلطنة زنجبار فيما بينها ، فكان نصيب انجلترا القسم الأوسط من الساحل الذى عرف باسم كينيا . وقد تنازل سلطان زنجبار عنها وهو يومذاك السلطان سيد خليفة الذى أعقب برغش اثر وفاته عام ١٨٨٨ . واصبحت المنطقة قسمين : المحمية وهى المنطقة الساحلية التى تتبع اسميا سلطان زنجبار ، والمنطقة الداخلية التى غدت مستعمرة بريطانية . ثم تنازل سلطان زنجبار بعد ذلك عن ممتلكاته تحت الضغط البريطانى فى عام ١٩٦٣ ، وتوحد الجزءان باسم كينيا ، التى نالت استقلالها فى عام ١٩٦٤ . وقد ارتفع عدد سكان عاصمتها نيروبى من ٥٣ ألفا فى سنة ١٩٤٥ إلى ٩٥ ألف فى سنة ١٩٥٢ ، ويوشك المجتمع هناك أن يتخطى الحدود من اقتصاد ريفى إلى اقتصاد قوامه الصناعة والمال الحضرى مما يوحى بظهور طبقة عمالية عريضة[٣١] .

(٣١) بازيل دافيدسون : صحوة افريقيا ، ترجمة عبد القادر حمزة ، ص ١١٩ .

ويقدر عدد سكان كينيا بأحد عشر مليونا ، ولا تقل نسبة المسلمين بينهم عن ٣٥٪ فيكون عددهم زهاء ٣,٨٥٠,٠٠٠ نسمة ، وتوجد بينهم نسبة كبيرة من الحضارمة اليمنيين وخاصة فى ميناء ماليندى[٣٢] .

أما بالنسبة لموزمبيق فيبلغ عدد سكانها سبعة ملايين نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ ، وتعيش على الساحل جماعات من الهنود معظمهم من الاسماعيلية . وقد حكمت البرتغال موزمبيق من مستعمرتها « جوا » فى الهند ، ثم أصبحت موزمبيق مستعمرة مفردة ، وحصلت على استقلالها بعد حدوث اضطرابات عنيفة . ويقدر عدد الأوربيين فى موزمبيق بتسعين ألفا ، ومعظمهم من البرتغاليين ، وهم يتمتعون بامتيازات واسعة ويوجد إلى جانبهم خمسة وعشرون ألفا من المولدين نتيجة التزاوج العرق المختلط ، ويحظون هناك ببعض الامتيازات ، كما يوجد بالبلاد خمسة عشر ألفا من الآسيويين بين عرب وهنود[٣٣] .

أما بالنسبة لتنجانيقا فيبلغ تعداد سكانها الأفارقة ٧,٤٠٠,٠٠٠ نسمة ، والعرب ١٣,٠٠٠ نسمة ، والهنود ٤٥,٠٠٠ نسمة ، والأوربيون ١٦,٠٠٠ نسمة . وكان بين العرب هناك نسبة كبيرة من المهاجرين اليمنيين[٣٤] .

وكانت هجرة اليمنيين إلى شرق افريقيا تزداد مع تعرض بلادهم عبر العصور المختلفة لألوان من الصراع المذهبى ، والظلم السياسى ، والضرائب الباهظة ، ومعاناة الجفاف ، والأوضاع الاقتصادية الصعبة ، ومن ثم أصبحت الهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا ومناطق المحيط الهندى تقليدا منظما لدى اليمنيين يتوارثونه جيلا بعد جيل[٣٥] . كما كانت هجرة الأفارقة إلى اليمن فى بعض فترات التاريخ ناتجة عن نفس الظروف ، وتأكيدا للامتداد الطبيعى بين اليمن وشرق افريقيا وتقاربهما ، وحاجة كل من المنطقتين لكى تكمل كل منهما

(٣٢) محمد السيد غلاب وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٦٣ .

(٣٣) محمد السيد غلاب وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٦٧ .

(٣٤) بازيل دافيدسون : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(٣٥) Stookey, R.W.: Yemen, The Politics of the Yemen Arab Republic, p. 9.

الأخرى[٣٦] ، إذا ما اقتضت المتغيرات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ذلك بين آونة وأخرى[٣٧] ، الأمر الذى سنلاحظه بوضوح على مدار هذا البحث .

وقد ساعد على تنشيط الهجرة من الجزيرة العربية بصفة عامة ، ومن اليمن بصفة خاصة ، إلى الساحل الشرقى لافريقيا ، تميز هذا الساحل الممتد من مضيق باب المندب شمالا إلى « سوفالا » جنوبا بثروته السمكية ، وبخيراته الشاطئية التى يتوافر فيها الملح ، فضلا عما تميزت به المنطقة الداخلية من خيرات مالحة ، وينابيع للمياه العذبة ، ورواسب معدنية منها الحديد والذهب والنحاس . وقد أدى الافتقار إلى الوثائق التاريخية إلى الاعتقاد بأن الاتصال ما بين الداخل والمرافىء المتناثرة على الساحل الشرقى لافريقيا كان معدوما خلال القرون التى سبقت مجىء البرتغاليين إلى المحيط الهندى فى نهاية القرن الخامس عشر . غير أنه ظهرت أدلة جديدة تثبت أنه لم يكن من الممكن فرض التجارة بعيدة المدى فجأة على مجتمعات الداخل ، وانها جاءت بالاحرى لتنضم إلى شبكات من علاقات التبادل المحلية والاقليمية فى المنتجات الغذائية والماشية بشكل خاص فى الملح والأدوات الحديدية والعاج . ومنذ مطلع القرن التاسع عشر كانت طرق القوافل بين الساحل الشرقى لافريقيا والمناطق الداخلية قد استقرت تمام بهدف مواجهة الطلب المتزايد على إنتاج تلك المناطق واستجابة لحركة التجارة العالمية فى المحيط الهندى والتى كانت للعمانيين دور ملحوظ فيها صاحبه هجرة كثير من اليمنيين إلى الساحل الشرقى لافريقيا[٣٨] .

وإذا كانت العلاقات التجارية بين الساحل الشرقى لافريقيا والمناطق الداخلية التى شاركت فيها العناصر اليمنية المهاجرة ، قد نهضت على بنى أساسية اقتصادية محلية سابقة عليها ، وساعدت على قيامها فى بعض الحالات ، فانها قد

(٣٦) Guillain: Documents sur l'Historiques et le Commerce de l'Afrique Oriental, Tome 1, p. 22.

(٣٧) جلال يحيى (دكتور) : العرب فى شرق افريقية ، مجلة بهضة افريقية ، السنة الثانية ، العدد (٢٢) سبتمبر ١٩٥٩ ، ص ٩ .

(٣٨) جوزيف فريدريك مريليزا : طرق القوافل بشرق افريقيا ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد (٢٧٧) يونيه ١٩٨٤ ، ص ٢٧ .

تركت فيها مع ذلك آثارا عميقة . فهى لم تؤد إلى تعزيز استغلال ثروات افريقيا الشرقية الطبيعية والبشرية فحسب ، وانما أفضت كذلك إلى حدوث تحولات اجتماعية وسياسية فيها . بل ان هذه العلاقات التجارية بين ساحل شرق افريقيا والمناطق الداخلية قد يسرت اندماج افريقيا الشرقية فى الاقتصاد العالمى على أسس غير متكافئة ، من حيث انها كانت تتمثل فى معظمها فى تصدير المواد الأولية الأفريقية واستيراد مواد استهلاكية مصنعة ، الأمر الذى أدى إلى اختلال البنى الانتاجية والاستهلاكية واضطراب نظم لانتاج والتبادل القائمة . وفى إطار هذا الاقتصاد العالمى كان المشتغلون بصيد الفيلة وحشد الرقيق ، وكذلك الجمالون ، وبشكل غير مباشر منتجو المواد الغذائية ، هم الذين مهدوا السبيل فى منتصف القرن التاسع عشر وفى أعقابه لقيام حركة العمال الصناعيين والزراعيين ، الذى أصبحوا يشكلون القوى العاملة فى خدمة أغراض الاستعمار الأوربى لشرق افريقيا حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين[٣٩] . على أنه تجدر الاشارة كذلك إلى أن تجارة القوافل بين الساحل الشرق لافريقيا والمناطق الداخلية ، والتى شارك اليمنيون فيها ، قد ساعدت على انتشار اللغة السواحلية من الساحل إلى الداخل ، مما أدى إلى وحدة ثقافية واحدة منطقة تضم زامبيا ، ومالاوى ، وشرق زائير ، وشمال موزمبيق . كذلك كان من آثار توسع الحركة التجارية نحو الداخل انتشار الدين الاسلامى فى هذه المنطقة من القارة دون حاجة إلى جهاد أو حروب ، وذلك من خلال العناصر اليمنية المشاركة فى هذه الحركة ، وخاصة الحضارمة[٤٠] .

وإذا كان التجار والمهاجرون اليمنيون بصفة خاصة ، والعرب بصفة عامة ، قد اكتفوا قبل ثمانينات القرن الماضى وتسعيناته بالعمل فى المناطق الساحلية بشرق افريقيا ، فان ذلك كان عائدا لجهود البريطانيين والألمان التى بدأت تتغلغل إلى المنطقة باطراد[٤١] ، وتشهد مصالح العرب فى المناطق الداخلية

---

(٣٩) على ابراهيم عبده (دكتور) : مصر وافريقية فى العصر الحديث ، ص ٢٢٧ .

(٤٠) جوزيف فريدريك موبليزا : المرجع السابق ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤١) Davidson, A.B. and others: A History of Africa 1981 - 1967, p. 348.

من شرق افريقيا ، وازاء هذا الوضع الاخير حاول العرب فرض سيطرتهم السياسية على بعض المناطق بغية حماية مصالحهم التجارية . وكان الأوربيون الموجودون فى المناطق الداخلية من شرق افريقيا يشتغلون بالتجارة أو يعملون كأعضاء فى بعثات تبشيرية ، وكانوا جميعا يرغبون فى أن تحتل حكومات بلادهم هذه المناطق لكى ينعموا بالحماية والأمن ويطلقوا ايديهم فى تحقيق أهدافهم دون عائق . وكانت الأساليب التى تبعها الأوربيون للتغلغل فى المنطقة تختلف من مكان لآخر ، لكنها كانت تشترك فى مجموعها فى اللجوء إلى القوة والعمل حيثما أمكن على عقد الاحلاف الدبلوماسية مع جماعة ضد جماعة أخرى . وكان رد الأفريقيين على ذلك عسكريا أو دبلوماسيا ، وان تمثل أحيانا فى الانسحاب أو الامتناع عن التعاون أو اتخاذ موقف سلبى . وفى أثناء القرن التاسع عشر زاد العرب بوجه عام ، واليمنيون بوجه خاص ، ممن كانوا قد هاجروا إلى شرق افريقية ، من أنشطتهم فى المناطق الداخلية حرصا على تلبية الطلب المتزايد على العاج ، والرقيق ، وترتب على ذلك ازدهار تلك التجارة التى صاحبها نشوء مدن كثيرة على امتداد الساحل . ومع مجىء الألمان أصبحت هذه التجارة فى خطر بسبب سعيهم إلى إحلال تجارتهم الالمانية محل التجارة العربية[٤٢] . وقد ساء ذلك السكان المحليين وأثار امتياء العرب واليمنيين بشكل خاص ، مما جعلهم يعمدون إلى المقاومة . وكان الالمان فى تنجانيقا شأنهم فى ذلك شأن الانجليز فى كينيا ، فى نهاية القرن الماضى ، متحمسين فى تطبيق سياسة « فرق تسد » عن طريق التحالف مع فريق ضد آخر ، وكانت هناك أحلاف كثيرة من هذا النوع . غير ان عرب الساحل وخاصة من حديثى العهد بالهجرة ومنهم عناصر يمنية هم الذين وضعوا انفسهم بعد ذلك فى خدمة الالمان ، كما وضعوها فى خدمة الانجليز والايطاليين ، فكانوا بذلك أول من استخدمتهم القوى الاستعمارية من المحليين لتحقيق أهدافها[٤٣] .

وتجدر الاشارة إلى أن الصراع الانجليزى الفرنسى – بعد أفول نجم

---

(٤٢) Davidson, A.B. and others: Op. Cit., p. 349.

(٤٣) هنرى موانزى : شرق افريقيا ، الدبلوماسية والتحدى ، مجلة رسالة اليونسكو العدد ٢٧٦ مايو ١٩٨٤ ، ص ٣٠ - ٣١ .

البرتغاليين فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى وانحسار النفوذ الهولندى فى الجانب الشرقى من المحيط الهندى -- قد انتهى بشكل خرجت منه بريطانيا ولها تفوق ملحوظ فى سواحل شرق افريقيا ، وخاصة فى أعقاب احتلالها لعدن فى ١٩ يناير عام ١٨٣٩[٤٤] . هذا فضلا عن ظهور طلائع الايطاليين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى هذه السواحل وظهور الالمان هناك فى نهاية القرن المذكور . فقد أثر ذلك فى مستقبل العرب بوجه عام ، واليمنيين بوجه خاص ، فى شرق افريقيا ، مع تفوق بريطانيا الملحوظ بامكاناتها الضخمة سياسيا واقتصاديا وعسكريا وتبشيريا على امكاناتهم[٤٥] ، مما سمح لها بفرض سيطرتها بالقوة دون أن ينازعها فى ذلك منازع ، بحيث تحقق لها خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية فى النصف الأول من القرن العشرين المركز الأول فى تحريك دفة السياسة والاقتصاد فى الجانب الشرقى من القارة الافريقية[٤٦] . ومكنها من وضع حد للقوى المنافسة هناك فرنسية وايطالية وألمانية إلى جانب القوى العربية . وكان قد سجل لنا أحد الرحالة المصريين ويدعى توفيق ميخائيل أوضاع سلطنة زنجبار فى ظل السيطرة البريطانية فى كتاب نشر فى القاهرة فى عام ١٩٠١ بعنوان « غرائب الاخبار عن شرق افريقية وزنجبار » . وتعرض المؤلف فيه إلى وصف رحلته التى قام بها فى عام ١٨٩٩ ، فوصف سكان زنجبار وغيرهم من سكان مقاطعات شرق افريقيا ، ولاحظ بصفة خاصة سيطرة الهنود « البانيان » على المعاملات التجارية هناك ، كما أورد فى كتابه ملاحظته بأن سلطنة زنجبار ترتبط بشعور الولاء الروحى للخليفة العثمانى ، وكان ذلك صدى لحركة الجامعة الاسلامية التى شملت أقطار العالم الاسلامى فى هذه الفترة والتى روج لها الحضارمة اليمنيون فى تلك المناطق ، وان كان ذلك لا يعنى ارتباط سلطنة زنجبار سياسيا آنذاك بالدولة العثمانية[٤٧] .

---

(٤٤) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٤٥) Davidson, A.B. and others: Op. Cit., pp. 349; 350.

(٤٦) سافليف.ى. و فاسيليف ، ج : موجز تاريخ افريقيا ، تعريب أمين الشريف ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٤٧) توفيق ميخائيل : غرائب الأخبار عن شرق افريقية وزنجبار ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

وتجدر الاشارة إلى أن قرابة نصف سكان اقليم حضرموت بالشطر الجنوبى من اليمن قد هاجروا إلى مناطق عديدة معظمها فى أرجاء المحيط الهندى ومنها الساحل الشرقى لافريقيا . وفى احصاء تقريبى لعدد المهاجرين اليمنيين فى عام ١٩٣٥ ، ورد أنهم بلغوا ٩٩,١٠٣ مهاجرا ، كان منهم ٧١,٣٣٥ فى اندونيسيا ، و١٠,٠٠٠ فى الهند ، و٣,٠٠٠ فى الملايو وسنغافورة ، بينما كان نصيب شرق افريقيا من المهاجرين اليمنيين ١٤,٧٥٠ مهاجرا ، موزعين بين الحبشة والصومال وكينيا وتنجانيقا وموزمبيق وزنجبار[٤٨] . وقد عمل هؤلاء المهاجرين اليمنيين فى مجال الصناعة ، والأراضى العقارية والزراعة ، والسمسرة ، والوظائف الكتابية والتعليم ، والتوكيلات التجارية ، والخدمات المنزلية ، وأعمال البناء ، والتجارة الصغيرة ، والمطاعم ، واعمال الشحن والتفريغ ، والجندية .

ومن جهة أخرى فقد كان للهجرة اليمنية تأثيرا ايجابيا كبيرا على الدخل القومى فى شطرى اليمن فى القرنين الأخيرين على وجه الخصوص . فقد جلب « آل الكثيرى » فى عام ١٨٤٥ أموالا طائلة من اقطاعياتهم فى « حيدر آباد » التى كانت تدر عليهم إيراداً سنويا بلغ ٢٥٠ ألف روبية هندية ، مما ساعد الكثيريين على استعادة سلطنتهم من يافع عام ١٨٤٨ ، بعد أن كانت قد اندثرت قبل ذلك بقرابة قرن من الزمان ، كما جلب « آل القعيطى » فى حضرموت مليونا ونصف من الروبيات الهندية ، كانت تمثل حصيلة تسوية لعام واحد من اقاعياتهم فى « حيدر اباد » ، مما ساعد القعيطين على اقامة سلطنتهم فى حضرموت عام ١٨٦٦ . وكان محسن بن عبد الله العولقى يزود الكسادى أمير المكلا السابق بمبلغ ستين ألف روبية هندية كل عام لمقاومة التوسع القعيطى . وقد قدرت بشكل تقريبى عوائد المهجر من تحاويل المهاجرين اليمنيين السنوية من النقود فى عام ١٩٣٠ بحوالى ثمانمائة ألف جنيه ، منها سبعمائة ألف جنيه ترد من اندونيسيا والملايو وسنغافورة ، ففى تلك السنة

---

(٤٨) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٦٠ .
وقد أشار الى أنه حصل على المعلومات الأحصائية من الادارات المختصة بشئون الهجرة فى وزارة الداخلية بعدن .

كانت توجد فى سنغافورة ١٣ أسرة يمنية تمتلك من العقارات ما قيمته ٢,٥٤٤,٠٠٠ جنيه ، ومن هذا المبلغ بلغت عقارات أسرة واحدة ١,١٧٠,٠٠٠ جنيه آنذاك . وفى الهند حيث كان يعمل قرابة ٦,٠٠٠ شخص فى جيش « حيدر آباد » ، استطاعت بعض الأسر اليمنية الجنوبية البلوغ إلى درجة المليونيرات . أما صغار التجار والعمال اليمنيين فى المهجر ، وهم يشكلون أغلبية المهاجرين ، فكانوا يرسلون عدة آلاف من الريالات التى يحصلون عليها فى المهجر ، إضافة إلى ما كانوا قد حولوه من نفقات لذويهم ، عندما كانوا يحضرون إلى الوطن ويقضون فترات سعيدة بين أسرهم ، ثم يعودون إلى المهجر من حيث أتوا ليجددوا العمل المضمون والأجر الكافى . ويرجع ضمان المهاجرين الصغار لأعمالهم وأجورهم لقيامهم بتقسيم المهاجر إلى مناطق إعاشة فيما بينهم بالرضا والاتفاق : فمثلا كان سكان المنطقة الواقعة بين شبام ، وتريم ، وأهالى حوره ، والسيطان ، بجنوب اليمن يهاجرون إلى جنوب شرق آسيا . بينما كان سكان تاربة ، ووادى عدم ، وعينات ، وقسم يهاجرون إلى ممبسه ، ودار السلام ، فى شرق افريقيا . وكان سكان القطن ، والكسر ، ووادى عمد ، والأودية ، يهاجرون إلى الهند . وكان الدواعن يهاجرون إلى مصر ، والسودان ، والحبشة ، وكان أهالى الشحر ، وحجر ، يهاجرون إلى الصومال ، وزنجبار ، ولاعبرة بحالات قليلة شاذة عن هذه القاعدة التقليدية العامة[٤٩] . فمثلا حدث أثناء الحرب العالمية الأولى أن تداخلت الهجرة بعض الشىء ، فكان الهدى مثلا يهاجر إلى ممبسه ، واصبح الشحرى يهاجر إلى الحبشة ، اذا استطاع كل منهم تكوين زمالات وصداقات تسهل له العيش فى مهاجر جديدة . أما المهرة فكانوا منذ القدم أقل اليمنيين هجرة ، وظلوا محتفظين بحرفة الملاحة البحرية ، وتجارة الاسماك ، بين اقليمهم وشرق افريقيا والهند ، والخليج العربى . ولذلك لم يتعرضوا لما يغرس فيهم روح الاتكالية على موارد الخارج فى رفع مستوى معيشتهم ، الذى كانت تهدده التيارات العالمية بين يوم وآخر[٥٠] .

(٤٩) سعيد بن على المغيرى : جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ص ٢٥٨ .
(٥٠) سعيد بن على المغيرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

ثالثا : تجنيد المهاجرين اليمنيين فى الجيش الايطالى بالصومال :

وكما كان يعمل قرابة ٦,٠٠٠ شخص من المهاجرين اليمنيين فى جيش « حيدر أباد » فى القرن التاسع عشر ، فقد كانت الجندية واحدة من الأعمال التى اشتغل بها اليمنيون فى شرق افريقيا . فقد التحق الكثيرون من المهاجرين اليمنيين فى شرق افريقيا بسلك الجندية فى الجيش الايطالى بالصومال ، وخاصة قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى ، وفى أعقابها ، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ويؤكد ذلك الخطاب الذى أرسله إلى حكومة بومباى « ميجور جنرال سير جورج يونج هاسبند Major General Sir George J. Younghusband » المقيم السياسى البريطانى فى عدن فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩١٥[٥١] ، والذى يدور موضوعه حول « السياسة البريطانية فى اليمن » والذى أرفق به مذكرة كتبها « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن والمؤرخة فى ٨ سبتمبر ١٩١٥ ، وتدور حول قيام الايطاليين فى مقديشيو[٥٢] بتجنيد عساكر من المهاجرين اليمنيين هناك . إذا وضح « يونج هاسبند » فى هذا الخطاب انه التقى بالضابط الايطالى « الكولونيل بودريرو Colonel Bodrero » وأنه قد اهتم كثيرا بأن يتعرف منه على رأيه فى المقدرة القتالية للعرب اليمنيين الذين جندهم الايطاليون من محمية عدن والبلاد المجاورة ، مبديا إعجابه بهذا الضابط الايطالى الذى استطاع أن يدرب هؤلاء الرجال بحيث اصبحوا جنودا اكفاء . وأكد أن الضابط البريطانى يستطيع أن يحقق نتيجة أفضل بكثير فى هذا المجال ، كما رأى أن الوقت حينذاك

(٥١) Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library, London, B. 216, Judicl and Secret Memoranda, (M. 3/3528). British Policy in the Yemen, Memoranda by Major – General Sir G. J. Younghusband, Political Resident, Aden, and Lieutenant Colonel H. F. Jacob, First Assistant Resident, Aden. No. C. 695, Dated 23 rd September 1915, Enclosure No. 1. Memorandum on the employment of Italians at Mogadisco of Askaris from Arabia, by H. F. Jacob, 8th September 1915, p. 1.

(٥٢) السيد محمد رجب حوار (دكتور) : التوسع الايطالى فى شرق افريقية وتأسيس مستعمرتى إريتريا والصومال ، ص ٥٣٦

(فى سنة ١٩١٥) هو أنسب وقت لمحاولة تنفيذ تلك التجربة على نحو ما فعل الايطاليون فى الصومال .

وقال « بونج هاسبند » فى خطابه لحكومة بومباى أنه يمكن البدء فى اختيار مائتين من رجال القبائل اليمنية المقاتلة ، على أن يركبوا الجمال ويدربوا للعمل كشافين مقاتلين . ونوقع أن يكون لهذه التجربة تأثير سياسى ممتاز . كما قال أيضا أن « الكولونيل بودريرو » قد أكد له أن هذا الفيلق ستكون له مقدرة قتالية لاشك فيها . واقترح « بونج هاسبند » على حكومة « مومباى » تكليف « الميجور جنرال أوتلى . Major W.J. otlly » من طلاع فرقة « السيخ » الثالثة والعشرين البريطانية لتشكيل هذا الفيلق وتدريبه ، باعتباره من أنسب الضباط الذين يمكنهم القيام بهذا العمل بكفاءة فائقة[٥٣] .

وقد أشار « الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن فى مذكرته المؤرخة فى ٨ سبتمبر ١٩١٥ والتى دارت حول قيام الايطاليين فى مقديشيو بتجنيد عساكر من اليمنيين ، بأنه قابل « الكولونيل بودريرو » فى اليوم الرابع من سبتمبر ١٩١٥ وهو ضابط ايطالى يعمل فى مكتب المستعمرات الايطالى ويقوم بتدريب المجندين من المهاجرين اليمنيين الذين هاجروا من عدن والمناطق اليمنية التى كان يحتلها الاتراك العثمانيون آنذاك للعمل فى الصومال ، كجنود فى الجيش الايطالى .

وكان الايطاليون يقبلون على تجنيد رجال القبائل اليمنية من المناطق التى كان يمثلها الأتراك العثمانيون فى شمال اليمن منذ مطلع القرن العشرين ، وان كانت تلك العملية قد توقفت مؤقتا أثناء الحرب الايطالية مع العثمانيين فى طرابلس الغرب عام ١٩١١ ، ورغم أن الايطاليين كلفوا هؤلاء الرجال بالعمل فى مستعمرة إريتريا فى سنة ١٨٩٠ ، وفى الصومال الايطالى ، غير أنهم أرسلوهم أيضا إلى طرابلس الغرب حيث قاتلوا بكفاءة ضد الاتراك والسنوسيين أثناء الحرب المذكورة[٥٤] وقد أكد « بودريرو » « لجاكوب » أن المقاتلين اليمنيين

(٥٣) J.O.L.B. 216., OP. Cit. p. 2.

(٥٤) عثمان صالح سبى . تاريخ اريتريا ، ص ١٨١ .

الذين قام بتجنيدهم من المهاجرين إلى الصومال كانوا يفوقون فى كفائتهم القتالية زملاؤهم من الأحباش الذين اختارهم « بودريرو » من أسمره وجندهم رغما من الزمن . وقد قام الايطاليون بتجنيد ٦٠٠٠ ستة آلاف مقاتل يمنى على نحو ما أوضحه « بوديرو » الذى أبدى دهشته وتعجبه من عدم قياس البريطانيين بتجنيد مقاتلين محليين من عدن والمناطق اليمنية الأخرى آنذاك[٥٥] .

وأشار « جاكوب » كذلك فى مذكرته إلى أن الايطاليين كانوا يمنحون المجندين اليمنيين رواتب شهرية ليشتروا منها ملابسهم ، ولا يحصلون على وجبات غذائية إلا إذا توغلوا فى داخل أراضى الصومال ، للقيام بأعمال عسكرية ، أو لازالة الغابات وشق الطرق . وكان يسمح لهؤلاء المهاجرين اليمنيين بزيارة أوطانهم بعد عامين من الخدمة العسكرية المتصلة . أما من كانوا يؤثرون منهم البقاء فى مواقعهم فقد كان يسمح لهم بالاشتغال بالتجارة ، وان كانوا معرضين للاستدعاء دائما للالتحاق بالقوات الاحتياطية الايطالية ، على أن يمنح كل منهم فى تلك الحالة نصف راتبه . وكان المجندون من المهاجرين اليمنيين يتزوجون من نساء من القبائل الصومالية ، نظرا لأن الكثيرين منهم لم يصطحبوا زوجاتهم معهم فى الهجرة ، أو لم يسبق لهم الزواج من قبل .

كما أن « جاكوب » قد أشار كذلك إلى أن « الكولونيل بودريرو » القائد الايطالى فى الصومال ، كان يهتم برجاله من اليمنيين إهتماما شخصيا ، ويختلط بهم دون قيود لأنه كان يدرج أهمية الاتصالات الشخصية فى تنمية ولائهم ، حتى أنه كان يفصل من يستبد من ضباطه فى معاملتهم حتى لا يتعرض نظام إشرافه « الأبوى » للانهيار . كما أنه كان يتبع نظاما معتدلا فى التأديب ، ولهذا فان الجلد كان محرما على حد قوله « فنحن لا نستعمله كما تفعلون أنتم (يقصد البريطانيين) »[٥٦] .

وقد استفسر « جاكوب » من الكثيرين من المجندين اليمنيين عن كيفية معاملة الطليان لهم فوجدهم راضين عن طريقة المعاملة لديهم . فالضابط

(٥٥) I.O.L.B. 216., Op. Cit., p. 3.

(٥٦) I.O.L., B. 216., Ibid., p. 4.

الايطالى كان اكثر اتصالا برجاله من الضباط البريطانيين . وقال « جاكوب » أيضا أنه رأى ضابطا ايطاليا فى الحبشة يبادل جنديا قبعته عندما تبين أن غطاء رأس الجندى لا يقيه من حرارة الشمس المحرقة .

وقد حاول « بوذريرو » أن يعلم المجندين اليمنيين فى الصومال اللغة الايطالية بما يعمق ولاءهم لايطاليا ، ويسهل التعامل معهم . كما أنه لم يكن يضيع أى وقت للاستعراضات العسكرية الرسمية . وكان تدريبهم على الأسلحة الصغيرة يتم فى حرص بالغ ، كما كان معظمهم مسلحين بالبنادق .

واختتم « جاكوب » مذكرته بالاشارة إلى أنه قد أورد تلك المقتطفات من حديثه مع الضباط الايطالى « بوذريرو » ليؤكد ما أوضحته التقارير السابقة عن الطريقة « الماكرة » التى كانت تتبعها ايطاليا فى نشر نفوذها فى شرق افريقيا عن طريق استقطاب العناصر اليمنية المهاجرة إلى الصومال . وكان أسلوب الايطاليين يتركز فى العمل على « طلينة Italization » المهاجرين اليمنيين تدريجيا فى تلك المناطق(٥٧) .

وتجدر الاشارة إلى أن ظاهرة اشتغال المهاجرين اليمنيين بالجندية لم يقتصر على شرق افريقيا انما تشكل ظاهرة عامة فى المناطق التى هاجر اليها اليمنيون فى القارة الاسيوية كذلك وخاصة فى الهند . إذ كانت هجرة اليمنيين وخاصة الحضارمة إلى سواحل « كوجرات » و« كونكان » و« مالابار » فى أواخر القرن الثامن عشر وأثناء القرن التاسع عشر الميلاديين ، بغرض الاشتغال فى جيوش الدويلات المسلحة فى اقليم « ماراثا » وفى وسط وجنوب وغرب بلاد الهند . وقد تكونت هذه الدويلات عقب تفكك الامبراذورية المغولية فى عام ١٧٠٧(٥٨) . وعلى الرغم من صعوبة تاريخ بداية اشتغال المهاجرين اليمنيين فى دويلات « الماراثا »(٥٩) تاريخا دقيقا ، إلا أنه يمكن القول ان استخدامهم قد

(٥٧) I.O.L., B. 216., Op. Cit., p. 4.

(٥٨) The Gazetteer of India, Bombay Presidency Kulaba and Janjira, Bombay 1883, p. 38.

(٥٩) The Relations Between South Arabia and the Deccan from the 17th till the 20th Century, (Osmania University, Hyderabad, 1971). p. 43.

بدأ فى عام ١٧٤٢ على وجه التحديد . وقد قدر عدد اليمنيين هناك عام ١٨٠٠ بحوالى خمسة آلاف شخص ، وقد أقام أحد « الجمعدارات » العرب إمارة صغيرة مستقلة « مانقرول » استمرت ما بين ١٧٤٧ - ١٩٤٧م[٦٠] . وفى عام ١٧٩٣م عرف الوجود العربى اليمنى فى دولة « البرنسال » فى « تاجبور » وقد أثار ازدياد نفوذهم فى اقليم « كاثيافار » انتباه الجندى البريطانى « جيمس ماكموردو » الذى زار « كوجرات » فى عام ١٨٠٩ . وكغيرهم من زعماء العشائر استخدموا العرب اليمنيين كجنود للحراسة[٦١] .

على أن أكثر هؤلاء اليمنيين كانوا من الحضارمة الذين نزحوا إلى الهند وقد كان الحراس اليمنيون فى طليعة قوات الحراسة فى قلاع « بارودا » و« برساد » و« ساخيدا » وغيرها من القلاع الحصينة . وكانوا يدينون بالولاء والطاعة لمن يده مخصصاتهم المالية ، وكان وجود العرب اليمنيين فى خدمة أحد الحكام دليلا على ان فى استطاعة ذلك الحاكم القيام بواجباته وتنفيذ التزاماته ، الأمر الذى شجع أولئك القادة العرب اليمنيين على التدخل فى الشؤون الداخلية لتلك الدويلات[٦٢] ومع ازدياد الوجود البريطانى فى الهند وتغلبه على هذه الدويلات منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر ، فقد حاول الانجليز إرجاع عدد من الحضارمة إلى بلادهم ، بينما أبقوا على المولدين منهم للعمل بالجيش البريطانى فى « حيدر أباد » فى يناير ١٨١٨ . كما كون بعض هؤلاء المولدين ثروة طائلة مثل « عمر بن عوض » الذى أصبحت اسرته من القيعطيين فى « حيدر أباد » مصدر الالهام والقوة والدعم المادى « لسلطنة القعيطيين » فى حضرموت فيما قبل استقلال جنوب

---

(٦٠) Menon, V.P.: Story of the integration of Indian States, (Bombay, Orient Lingmans 1961) pp. 128 – 135.

(٦١) Macmurdo, James: Journal of a Route through the Peninsula of Gazeraut in 1809 and 1810, edited by Suresh Ghandra Chosh as the Peninsula Gujarat in the early 19th Century, (New Delhy: Sterling 1977) pp. 64, 65.

(٦٢) Majumdar, R.C. and Dighe V.G.: The History and Culture of the Indian People, Vol. 8. Bombay, Bhratiya Vidya Bhavan, à. 512.

اليمن فى نهاية نوفمبر عام ١٩٦٧[٦٣] وهكذا لم يقتصر اشتغال المهاجرين اليمنيين بالجندية فى الصومال فحسب بل ان تجربتهم فى الهند كانت أسبق فى هذا المجال[٦٤] .

رابعا : مجالات انفاق اليمنيين لواردات المهجر :

ولتتبع مجالات انفاق اليمنيين لواردات المهجر من شرق افريقا أو غيره من المناطق ، فانه يمكن أن نتخذ من واقع حضرموت نموذجا لما كان يحدث فى بقية المناطق اليمنية . فلقد كانت إحدى الأسر المعروفة فى حضرموت وهى أسرة « آل الكاف » بالمهجر تمتلك اكبر ثروة يمنية ، وكانت مضرب المثل بين اليمنيين فى السعة واليسر . ومن تلك الثروة الطائلة كان « آل الكاف » هم الذين أسهموا بقسم لايستهان به من إيراداتهم من المهجر فى التعليم ، والخدمة الطبية ، والادارة العامة ، وتعبيد الطرق فى وادى حضرموت ، وكان « آل الكاف » يدفعون للسلطان الكثيرى » كل عام ٦,٠٠٠ ريال فى ميزانية « السلطنة الكثيرية » ، مساهمة منهم فى ادارة شئون مدينة سيئون وقريتى تريس ومريمة . ويدفعون كل عام ما معدله ٤,٠٠٠ ريال لحفظ الأمن فى منطقة تريم . وفى عام ١٩٣٤ أنفق السيد أبو بكر بن شيخ الكاف ١٢,٠٠٠ ريال لايجاد حل لقضية خلاف بين قبائل آل تريم وسكان مدينة تريم . كما أنفق « آل الكاف » على مستوصف صغير فى تريم ٢٤,٠٠٠ ريالا سنويا لطبيب مؤهل وأدوية ولوازم ، إضافة إلى ٢٤,٠٠٠ ريال كانوا ينفقونها سنويا فى أوجه البر والاحسان الأخرى وفى تعبيد الطرقات . وكان « آل الكاف » هم الذين أنشأوا جميع سواقى الشرب الواقعة على طرق القوافل بين ساحل

---

(٦٣) Bhavan, p. 512.
The Indian History Congress, 40 Session, Andhra University (Visakhopatnam 1979). Britihs Attitude towards the Arab Mercenaries of the Nizam" p. 1, 5.

(٦٤) عمر الخالدى : عرب حضرموت فى حيدرابادد ، ترجمة جمال محمود حامد ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد الخامس والأربعون ، السنة الثانية عشرة يناير ١٩٨٦ م ربيع الثانى ١٤٠٦ هـ ص ١٤١ .

حضرموت والمنطقة الداخلية ، وكلفهم اصلاح « عقبة العرشة » ٧,٠٠٠ ريال . كما أنهم هم الذين شقوا طريق السيارات بين الساحل والداخل لمسافة ٢٠٠ ميل ، وكلفهم ذلك ١٨٠ ألف ريال . وقد افتتحت تلك الطريق المعروفة بالطريق الشرقية في عام ١٩٣٧ ، وكانت تسمى طريق الكاف حتى وقت قريب . وأنفق « آل الكاف » ١٥٠ ألف ريال على ترتيبات الأمن الذى تعمت به حضرموت ثلاث سنوات ، فيما بين عامى ١٩٣٧ و١٩٣٩[٦٥] .

بل إن جميع المدارس فيما كان يسمى قبل استقلال جنوب اليمن عام ١٩٦٧ يسمى « بالدولة الكثيرية » كان يتولى الصرف عليها أثرياء « آل الكاف » من أموال رصدوها خاصة لهذا ولغيره من الأغراض الانسانية النبيلة . فكان آل السقاف يديرون مدرسة النهضة بسيئون وكانت تضم ٥٠٠ طالبا وسبعة مدرسين ، كما كانوا يديرون مدرسة أخرى تضم ١٠٠ طالب ، هذا فيما عدا معونات مالية كانوا يدفعونها لمدارس قرآنية للبنين والبنات في سيئون وتريم . كما كان « آل الكاف » يتولون الانفاق على مدرستين بتريم هما مدرسة الأخوة والمعاونة التى كانت تضم ٤٠٠ طالبا ، ومدرسة آل الكاف التى كانت تضم بين ٣٠٠ - ٤٠٠ طالبا . وكانوا ينفقون على مدرستين في مدينة الخريبة بوادى « دوعن » ، ويسهمون في نفقات مدرستى المكلا والشحر قبل الاستقلال . فإذا إستثنينا أسرة « آل السقاف » التى تنفق على جانب من التعليم بسيئون وتريم ، فان أسرة « آل الكاف » كانت الأسرة الوحيدة بحضرموت التى كانت تنفق على نشر التعليم في المنطقة على نطاق واسع وكانت كل هذه الاموال ترد « لآل الكاف » و« آل السقاف » من المهجر بصفة منتظمة حتى قبيل الاستقلال[٦٦] .

وفى مدن وقرى عديدة بمنطقة حضرموت الساحلية والداخلية كان ينفق بعض موسرى المهاجر أموالا كثيرة على موارد ماء الشرب ، وأعمال الرى ،

---

(٦٥) Her Majesty's Stationery Office, London, The Colonial Office List, 1960, p. 59.

(٦٦) صلاح البكرى : في جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢٥٠ .

وعلى دور العبادة ، وعلى المطابخ العامة ، وعلى الصدقات والاصلاح بين الناس . وغنى عن القول أن روح المنفعة العامة التى تجلت فى البعض من أثرياء المهجر قد رفعت عن كاهل السلطات اليمنية ثقل القيام ببعض الخدمات العامة .

وإلى جانب أوجه الانفاق المحمودة لايرادات المهجر فى جزئها الاكبر ، فقد كان الجزء الأصغر من هذه الايرادات - بعد الانفاق العادى على الأسر وعلى شراء الاسلحة واقتناء الأثاث الفاخر والفراش الوثير فقد كان يصرف فى إذكاء الفتن ، وإثارة النعرات العشائرية البدائية ، وفى تعدد الزوجات ، واقامة الولائم، والحفلات ، وشراء المستلكات الزراعية الباهظة الثمن ، القليلة الانتاج ، للترفيه والمباهاة ، وفى شراء السيارات ، وتزيين ديار السكن بالنقوش والألوان ، ولاقتناء الديار الكبيرة التى يصعب الاعتناء بها ، إلى آخر سلسلة مظاهر الثروات العارمة التى يولدها الثراء السهل ، كشراء الملابس العديدة والحلى الذهبية وغيرها . وللأسف الشديد فان أثرياء المهجر لم يستثمروا شيئا يذكر من ثرواتهم الطائلة فى وطنهم يدعمون به عودتهم ، بل ظلموا كمن يعيش فى واحة نائية يجلب ماءها من بقاع بعيدة محفوفة طريقها بكل المخاطر . بينما كان فى استطاعة اليمنيين المهاجرين الموسرين أن ينشئوا فى بلادهم السدود ، ويرفعوا من مستويات مياههم الجوفية ، فيوسعوا رقعة الزراعة للحبوب والخضروات ، ويغرسوا ملايين النخيل ، مما يقيهم غائلة الجوع على أقل تقدير ، إذا انقطعت صلتهم بالمهجر لأى سبب من الأسباب . وهذا ما كان يفعله صغار المزارعين فى اليمن ، دون أن يتشدقوا برعاية أقاربهم فى المهجر ، فيضيفون إلى مئات نخيلهم عشرات النخيل المثمرة ، ويزيدون إلى رقعة أرضهم المزروعة أشجارا صالحة للزراعة ، ولهذا فهؤلاء طاب لهم العيش فى البلاد . وكانت محاصيل التمر بحضرموت على سبيل المثال ، كالعملة الدارجة للمقايضة والتعامل بالنسبة لليمنيين ، كما كانت الأبقار بالنسبة لأهالى شرق افريقيا تعتبر عملتهم الرئيسية فى التعامل التجارى والاجتماعى ، فكان كثيرون من أهالى حضرموت ليس لهم حيلة ولا حرفة ولا كسب غير ثمرة النخل ، فلا يأتى وقت الرطب إلا وقد اشتدت حاجتهم إليه ، يبيعون بعضه ليشتروا بثمنه

حاجتهم من الحبوب والكساء ، ويدخرون النقية يأكلونه تمرا فى بقية شهور السنة .

ولهذا فقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ان اهتز الكيان الهش الذى إبتناه المهاجرون باليمن ، ومزقهم الجوع شر ممزق ، فافتقرت عائلات باكملها كان البنان يشير إليها فى وفرة المال والضياع ، وظلت المجاعة تهدد حضرموت حتى عام ١٩٥٠[٦٧] . ولقد ثبت لليمنيين أن الكسب السهل يولد الغفلة والفساد فى التدبير ، بعد أن افتقرت عائلات موسرة فى المهاجر لأن أفرادها ، كملاك متغيبين ، عاشوا عيشة رخاء وسعة فى حضرموت ، وكأن دخولهم من المهجر سوف تبقى ثابتة إلى الأبد . فكان عميد العائلة الذى كون الثروة ينفق عن سعة ، وربما جاز له ذلك ، وجاء أبناءه من بعده فكان ينفق كل واحد منهم ما كان ينفقه أبوه ، مع أنهم ورثة كسالى لا أقل ولا أكثر ، ثم جاء ابناءهم من بعدهم وكانوا أكثر عددا وأشرس ضراوة فى تبديد المال فكان كل واحد منهم يتطلع إلى أن يعيش فى المستوى الذى كان يعيش فيه جده ويوسع من ملذاته ومباذله ، فتبددت الثروة رغم ما كان قد أصابها من ضائقات ضرائبية فى المهجر .

ومهما كانت طبيعة تصرف الأثرياء المهجرين فى ثرواتهم فى بلادهم ، فان تلك الثروات كانت تعود بالنفع العميم ، بصورة غير مباشرة على اليمن بوجه عام . فكان منها ما يذهب إلى خزينة الجهاز الحاكم فى شبه رسوم وضرائب ، ومنها ما كان يذهب عطاءات لاشخاص معينين ، ومنها ما كان يذهب أجور العمال فى خدمة الأثرياء ، ومنها ما كان يذهب إلى التجار المحليين أثمانا لخدمات أو حاجيات استهلاكية ، ومنها ما يدخر للمستقبل بكل احتمالاته المفاجئة . ويدور دولاب النفع العام دورته الكاملة فتنتقل الأموال من يد إلى يد بحكم الخدمة المتبادلة بين ابناء الوطن الواحد ، ولا يختل دوران هذا الدولاب الا حينما تخرج هذه الاموال إلى الخارج لشراء الحاجيات الاستهلاكية دون وجود عوائد مقابلة . وهذا ما يؤكده الاحصاء التالى الذى نقارن فيه بين

(٦٧) Gavin, R. J.: Aden Under British Rule 1839 - 1967, p. 311.

قيمة الواردات والصادرات فى اليمن الجنوبية عبر خمس سنوات على النحو التالى[٦٨] :

السنة	قيمة الواردات بالدينار	قيمة الصادرات بالدينار
١٩٦٤	٤,١٣٢,٢٧٠	٢٧٦,٨٧٢
١٩٦٥	٣,٨٦٤,٠٤١	١٨٦,٧٧٤
١٩٦٦	٣,٠٩٧,٨٢٥	١٦٩,٠٢٨
١٩٦٧	٣,٨٠٢,٦٦٠	١٠٩,٧٤٥
١٩٦٨	٣,١٨٤,٧٨٧	٤٧,٥٢٣

ويؤكد هذا الاحصاء الفرق المتزايد بين قيمة الواردات وقيمة الصادرات ، ولكى يغطى هذا الفرق فقد كان على المهجّرين أو يوفروا كل عام مبلغا من المال للمقيمين باليمن يتراوح بين ٤ — ٣,٥ مليون دينار للحفاظ على المستوى المعيشى الذى كان اليمنيون يتمتعون به خلال عام ١٩٦٨ .

خامسا — مدى نجاح اليمنيين بمهجرهم فى شرق افريقيا :

وتجدر الاشارة إلى مدى نجاح اليمنيين بمهجرهم فى شرق افريقيا الذى يعود إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية . ذلك أن اليمنيين ظلوا فى مهاجرهم بعيدين عن المشاكل المحلية وعما لا يعنيهم ، خاصة وأن همهم إنصب على جمع الأموال وتكوين الثروات وتحويل جانب منها إلى الوطن ، وهذا جعلهم ينغلقون على أنفسهم فى وسط عاداتهم وتقاليدهم . وكان العرف اليمنى يقضى بعدم لحاق الزوجات بأزواجهن فى المهاجر ، ولهذا اضطر المهاجرون إلى التزوج من فتيات السكان الأصليين ويفرضون على أبنائهم المولدين عزلتهم ،

(٦٨) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٦٤ . ولقد أشار الى أنه حصل على المعلومات الاحصائية من الادارات الحكومية المعنية فى عدن .

بل إن الكثيرين منهم أرسلوا أبناءهم إلى اليمن للتعليم ، وبناتهم للزواج والبقاء بها حتى الموت .

وكان اليمنيون يتولون الزعامات الدينية فى المهاجر ، التى كان معظم أهلها وحكامها يدينون بالإسلام ، كما كانوا يتولون وظائف التربية والتعليم ، فأكدت هذه الزعامات لليمنيين نوعا من السمو فى نفوس السكان الأصليين فيكرمونهم ، ويبالغون فى تحيتهم ويرعون مصالحهم . ومازال اليمنيون يذكرون عبارة « بانا مكوبا » أى « السيد الكبير » فى شرق افريقيا ، وهى عبارة تحية يقابل بها الأهالى هناك المهاجر اليمنى تعبيرا عن تقديرهم واحترامهم[٦٩] .

كما عرف اليمنيون فى مهاجرهم فى شرق افريقيا بالاقتصاد فى العيش والمثابرة على العمل واحترام القوانين والعادات المحلية ، وبهذا لم يجعلوا من أنفسهم مصدر قلق أو مشاكل للسلطات القائمة فى المهاجر ، الأمر الذى سهل لهم العمل والاتجار فى مختلف المجالات . وكان تعاون اليمنيين الوثيق وتآزرهم وعطفهم على بعضهم البعض مضرب المثل بين الجاليات الأخرى فى مجالات الارتزاق والتسهيل المالى والكفالات . وكانوا يقفون إلى جانب أبناء جاليتهم الذين يلاقون صعوبات معينة فى معاملاتهم مع المهاجرين من الجنسيات الأخرى . على أن ثمة حوادث بلغت إلى درجة الفتنة ، إما فيما بين اليمنيين أنفسهم فى المهجر ، أو بينهم وبين مهاجرين آخرين . ففى عام ١٩١١ حدثت فتنة الاشاديين والعلويين (وجميعهم من اليمنيين) فى اندونيسيا . وفى عام ١٩١٦ ، حدثت فتنة اليمنيين « بحيدر آباد » . وفى عام ١٩٢٨ ، حدثت فتنة اليمنيين وآل عمان بجزيرة زنجبار كما حدثت فتنة أخرى عام ١٩٦١[٧٠] . وقد

(٦٩) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٧٠) سعيد على على المفتى : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

وقد أشار الى أنه « فى يوم أول يونيه ١٩٦١ دخلت زنجبار فى تاريخ جديد فى هذا اليوم ، يوم الانتخابات فى زنجبار والجزيرة الخضراء ، ففى هذا اليوم شبت نار الفتنة بين الحزب المسمى أفروشيرازى ، وبين حزب الوطن ، ووقع القتال فى نفس بلدة زنجبار ، ثم توسعت هذه الفتنة فى داخلية الأرياف فقتل الأطفال والنساء ، وفر السكان من الأرياف الى داخلية بلدة زنجبار ، فامتلأت بلدة زنجبار من اللاجئين فى المدارس والمستشفيات والبيوت من رجال ونساء وأطفال ، وأسفرت هذه الحادثة المؤلمة عن مقتل سبعين نفراً بموجب تقرير الحكومة ، وأكثرهم من العرب العمانيين والحضارمة ، وعن الخبر أن القتلى أكثر من ذلك .

سالب الدماء فى هذه الفتن إلا أنها حققت بعد حين وئصافى القوم . ورغم ضعف الأسباب التى أدت إلى حدوث تلك المشاحنات وخاصة ما كان منها بين اليمنيين أنفسهم ، فانها أثرت فى وحدة الصف الأخوى اليمنى ، وامتدت مضاعفاتها إلى اليمن ذاته لمدى بعيد .

كما وجدت عوامل أخرى موضوعية أدت إلى نجاح اليمنيين فى مهجرهم بشرق افريقيا ، إلى جانب العوامل الذاتية التى أشرنا إليها . ومن أهم هذه العوامل الموضوعية أن اليمنيين المهاجرين وخاصة الحضارمة هاجروا إلى أقطار كان أهلها الأصليون بالنسبة لهم أقل تعليما وحضارة ومعرفة بأساليب العيش وأقل تضامنا ومسئولية . بل ان المهاجر التى هاجر اليها اليمنيون فى شرق افريقيا كانت ترسف تحت أغلال الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والألمانى[٧١] ، فكان الحاكم المستعمر يقف لأسباب تخدم أهدافه إلى صف الأجانب من اليمنيين وغيرهم ، اكثر مما كان يقف إلى جانب السكان الافارقة الأصليين . بل ان اليمنيين تمتعوا منذ عام ١٨٨٨ بالحماية البريطانية فى شرق افريقيا ، وكانت المحاكم القنصلية والادارة الاستعمارية تناصرهم ، وخاصة فى مناطق الصومال البريطانى وكينيا[٧٢] ، وقد إستغل بعضهم هذه التسهيلات الاستعمارية إلى أبعد مدى .

وتجدر الاشارة كذلك إلى أن من عوامل نجاح اليمنيين فى مهجرهم بشرق افريقيا سهولة الهجرة إلى هناك ، والتى كانت لا تقيدها جوازات سفر ولا رخص دخول أو اقامة أو عمل ، فضلا عن أن التداول فى عملات المهاجر كان حرا لا قيود عليه . ولم تكن الحركة الوطنية بمعظم تلك الاقطار بشرق افريقيا قد بلغت حدا من النمو والقوة[٧٣] . بحيث تحمى العامل المحلى المهيض الجناح من المنافسة الذكية التى يلقاها من الأجانب على اختلاف جنسياتهم ،

---

(٧١) جمال زكريا قاسم (دكتور) : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٥ .

(٧٢) The Colonial Office List 1960, Her Majesty's Stationery Office, London 1960), Kenya, pp. 108, 109.

(٧٣) Davidson, A.B. and others: Op. Cit., p. 353.

على الصعيدين الاقتصادى والمهنى[٧٤] .

وعلى أية حال فان بعض الأسباب الذاتية التى كان يرى فيها المهاجرون الأوائل من اليمنيين سلما لنجاحهم فيما قبل بداية القرن العشرين ، فانها قد بدأت تزول تدريجيا منذ بداية ذلك القرن . اذ لم يعد المهاجرون اليمنيون منغلقين على أنفسهم ، أو متقوقعين داخل عاداتهم وتقاليدهم وأنظمة زواجهم وثقافتهم . ولم يعد الأبناء يرون فى مؤسسات وطنهم الثقافية ، فى اليمن وحضرموت بصفة خاصة ، ما يروى عطشهم إلى المعرفة الحديثة ، كما أنهم لم يجدوا فى أجدادهم مصادر لأى إلهام ايجابى ، بل ان فتياتهم من المهاجر وجدن فى مساقط رؤوسهن بالمهجر أزواجا أقرب إلى أحلامهن من الأزواج الذين كن يأملن فيهن فى وطنهم الأصلى فى اليمن . والواقع ان المهجرين اليمنيين – ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى كثرة المولدين بينهم رجالا ونساء – شبوا على الطوق وكبروا بمقدار ما كبرت مساقط رؤوسهم وتقدمت وازدهرت ، ففضلوا أن يكونوا من المهاجر واليها بكل ما فيها من خير وشر ، من أن يظلوا على الحائط متفرجين ومتطفلين على موائد الغير ومتكففين أياديهم .. وعلى الرغم من ذلك فقد ظل سيل المهاجرين يتدفق من اليمن إلى الخارج وخاصة شرق افريقيا ، كما أن تحاويلهم النقدية إلى ذويهم باليمن تدر المزيد بصفة مستمرة . بل إن الهجرة زاد معدلها من اليمن إلى شرق افريقيا بشكل تدريجى مع بداية القرن العشرين ، ولم يجد المهاجرون ما يغريهم على العودة إلى وطنهم اليمن نتيجة لسوء الأوضاع الداخلية هناك ، مما جعلهم يغادرونه إلى غير رجعة سيما وأنه أصبح ميسورا بشكل تدريجى اصطحاب الزوجه اليمنية لمصاحبة زوجها إلى أى مكان فى العالم ، كما أن الهجرة شملت أسرا بأكملها أيضا بعد أن كانت قاصرة على هجرة أفراد فحسب .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية فى اليوم الثالث من سبتمبر ١٩٣٩ بين المانيا النازية من جهة ، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، فان المهاجرين

(٧٤) Smirnov, S.R.: A History of Africa, 1918 – 1967, U.S.S.R. Academy of Science, Institute of Africa, "NAUKA" Publishing House, Moscow 1968, p. 351.

اليمنيين لم يشعروا بوطأتها إلا في أعقاب اعلان ايطاليا الحرب على الحلفاء في العاشر من يونيو ١٩٤٠ ودخول جنودها إلى كينيا والصومال ، مما جعلها تفرض القيود الشديدة في كل أنحاء شرق افريقيا بما فيها الصومال والحبشة على الهجرة والتجارة[٧٥] وقد حدَّ هذا من تحويل الأموال إلى اليمن وأثر تأثيرا بالغا على الأسر اليمنية التي كانت ترد إليها أموالها من تلك المناطق . وعندما أعلنت اليابان الحرب ضد الحلفاء والولايات المتحدة الامريكية في اليوم السابع من ديسمبر سنة ١٩٤١ ، فقد نزلت القوات اليابانية في اليوم التالي في الملايو ، كما نزلت قوات يابانية كذلك في سنغافورة ، وفي اليوم الأول من مارس احتلت القوات اليابانية أيضا جزيرة جاوة[٧٦] . وقد ترتب على ذلك توقف الهجرة من اليمن إلى أقطار الشرق الأقصى ، أما الهجرة إلى الهند وشرق افريقيا فقد استمرت بصورة متقطعة ، وقد أدت هذه الظروف كذلك إلى انقطاع تحويل الأموال من أقطار جنوب شرق آسيا ، وبدأ المهجرون يمدون أيديهم على مدخراتهم حتى نفذت ، وركبتهم الديون فباعوا أملاكهم الثابتة والمنقولة . وكان طبيعيا أن تظهر المجاعة في مناطق عديدة من اليمن في مطلع عام ١٩٤٣ ، ولم ينتصف هذا العام إلا وقد انتشرت على مدى أوسع في بلاد اليمن . ولقد صاحب تلك الأزمات ظهور الجفاف في معظم أرجاء اليمن ، ومرت على اليمنيين سبع سنين عجاف كانت بدايتها في عام ١٩٤١ . ومن المعروف ان للجفاف دورات خبيثة في اليمن كدورات الكساد الاقتصادي في البلاد الأخرى . وآخر مجاعة حدثت في اليمن - في فترة البحث - كانت مجاعة وادي « عمد » في سنة ١٩٤٨ .

ومن المعروف كذلك أن الجمهورية العربية اليمنية هي واحدة من بلدان العالم الثامن التي تعاني من مشكلة الغذاء . اذ تفاقمت أزمة نقصان المواد الغذائية فيها خلال سنوات القحط التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وكانت آخرها إبان المدة من ١٩٦٦ - ١٩٧٣ مع تزايد الطلب على هذه المواد الغذائية

(٧٥) Davidson, A. B. and others: Op. Cit., pp. 354, 355.

(٧٦) هربرت فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩ - ١٩٥٠ ، ص ٦٧٧

... إنتاجها[٧٧] ومع انفتاح اليمن على العالم الخارجي في السنوات التي ... قيام الثورة اليمنية في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، ثم ازدياد ... الشرائية وخاصة لدى سكان المدن ، أصبح القطاع الزراعي عاجزا عن ... احتياجات السكان المتزايدة من السلع الزراعية[٧٨] ، وأصبحت ... الواردات من هذه السلع تشكل في عام ١٩٨١ نحوا من ٣٧٪ من قيمة إجمالي الواردات . وتعادل قيمتها أيضا حوالي ٦٩ ضعفا من مجموع صادراتها الزراعية ، إرتفعت في عام ١٩٨٢ إلى ٢٢٠ ضعفا[٧٩] بسبب تدني الصادرات الزراعية إلى أقل من ثلث قيمة تلك الصادرات في عام ١٩٨١[٨٠] .

على أنه قد خففت من وطأة هذه المجاعات أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها دلتا الرخاء الذي ساد ساحل الشطر الجنوبي من اليمن وخاصة في قاعدة عدن العسكرية البريطانية . اذ أفرز ذلك الرخاء نوعا من التعادل المعقول بين ما فقدته اليمن من واردات المهجر ، وما حصلت عليه من مكاسب الحرب[٨١] ، حيث ظهر بالساحل اليمني في الجنوب نوع من الازدهار المؤقت ، مما حدا بكثير من الأسر اليمنية إلى التحول من المناطق الداخلية إلى الساحل للعمل في مختلف الخدمات البدنية[٨٢] .

ويوضح إحصاء نشرته الامم المتحدة عام ١٩٥٥ أن مساحة عدن والمحميات تبلغ ١١٢ ألف ميل مربع ، وأن عدد السكان يبلغ نحو ٦٥٠ ألف

(٧٧) U.N., F A O., Production, Yearbook 1982, Vol. 36., FAO. Statestics Series, No. 47., Rome 1983, Table 3., p. 68.

(٧٨) U.N., FAO., Trade, Yearbook 1982, Vol. 36, FAO. Statestics Series,. No. 49, Rome 1983, Table 6, p. 43.

(٧٩) عادل أحمد محمد . القطاع الزراعي : « أهدافه واستثماراته » مجلة الوعي الزراعي التي تصدرها وزارة الزراعة بالجمهورية العربية اليمنية ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، أغسطس ١٩٧٨ ، ص ١٢ .

(٨٠) علي فاضل السعدي (دكتور) : التحليل الجغرافي لمشكلة الغذاء في اليمن بحث نشرته مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الصادرة عن جامعة الكويت ، العدد الثالث والأربعون ، السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥ هـ / يوليو ١٩٨٥ ص ١٥٦ .

(٨١) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٨٢) Gavin, R. J.: Op. Cit., p. 380.

نسمة منهم ١٥٠ ألفا في عدن . وتدخل ميناء عدن مائة باخرة في الأسبوع على مدار السنة وأنها من أهم الثغور في العالم ، وبلغ دخل البريطانيين منها سنويا آنذاك نحو ١٥٠٠ مليون دولار[٨٣] .

ورغم نمو طبقة من محدثي الثراء في عدن نتيجة للازدهار المؤقت أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها ، فقد أدت الهجرة من مناطق اليمن الداخلية إلى عدن إلى وجود نسبة كبيرة من السكان الذين لا منازل لهم حتى بلغت نسبتهم ٩٪ من العدد الكلي للسكان في عام ١٩٥٥ ، إذ كان عدد هؤلاء في تلك السنة قد بلغ ١٥,٢٨٧ نسمة . بل إن هجرة الكثيرين من شرق افريقيا وخاصة من الصومال وكينيا إلى عدن آنذاك[٨٤] . نتيجة لسوء معاملة الحكومات الاستعمارية ، قد جعلت أفراد الجالية الصومالية في عدن تقدر في نفس السنة بعشرة آلاف نسمة ، عمل معظمهم في شراء وبيع الموانى المستوردة أصلا من الصومال إلى عدن ، وفي الأعمال الأخرى كالتجارة والوظائف الادارية والشركات[٨٥] .

ونظرا لازدياد هجرة اليمنيين والأفارقة إلى عدن أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها فقد إرتفع عدد المساكن حتى بلغ ٢١٥٥ مسكنا في « وادي الميدروس » « ووادي الطويلة » و« الشيخ اسحق » و« وادي المحراق » بالمعلاو « وادي المحراق » بالتواهي . أما « بستان مهدي » و« السيبان » فقد بلغ عدد المساكن فيهما ٦٠٠ مسكن وبالمدارة ٣٠٠ مسكن ، وبالمحوا ٢٠٠ مسكن ، و« بالشيخ الدويل » ١٠٠ مسكن ، وبالمسبح ٧٦٢ مسكن ، وبعشش الحكومة ٩٢ مسكن . وبذلك يبلغ مجموع هذه المساكن المؤقتة ٤٢١٢ مسكنا مبنية من خشب الصناديق وسعف النخل وصفائح البترول والبراميل والورق المقوى وبعضها بالحجارة والطين والأسمنت . وبالاضافة إلى هذه المساكن المؤقتة فقد بنت حكومة عدن مساكن شعبية في « حجيف » تعرف باسم « الروضة » في سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ لاسكان

(٨٣) أمين سعيد : اليمن تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري ص ١٧٧ .

(٨٤) بازيل دافيدسون : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٨٥) قحطان محمد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن ص ١٠٩ - ١١٠ .

العمال وعائلاتهم ، ويسميها الصوماليون « بالقلوعة » وهى كلمة صومالية الأصل . ويبلغ عدد المساكن أو البلوكات ٢٥٠ ، كل بلوك يضم ست شقق ، وإذا قدرنا سكان كل شقة بستة أنفس فان سكان الروضة يبلغون تسعة آلاف نسمة أغلبهم من مهاجرى الصومال إلى اليمن . وكل شقة مؤجرة بخمسة وعشرين شلنا ، ومعنى هذا أن الحكومة تحصل على ايجارى شهرى مقداره سبعة وثلاثون ألف شلن فى الشهر . وفى منطقة صحراوية فى « الشيخ عثمان » ظهرت قرية جديدة نتيجة لزيادة عدد المهاجرين عرفت باسم « القاهرة » ، وبالرغم من أن بيوتها قد أقيمت تحت اشراف ادارة الأشغال العمومية فان بيوتها ضيقة للغاية وعددها ١١٣٠ بيتا . وإذا قدرنا سكان كل بيت بستة أنفس فان مجموع سكان « القاهرة » تلك يبلغ ستة آلاف وسبعمائة وثمانين نسمة . وفى « الشيخ عثمان » أيضا نجد ٨٧٦ بيتا عماليا ، وستين بيتا لعمال النظافة ، وإذا قدرنا سكان كل بيت بستة أنفس فان المجموع الكلى يكون ٥٦١٦ نسمة . وبهذا نجد أن عدد سكان البيوت المؤقتة التى عاش فيها المهاجرون فى عدن والشيخ عثمان والمعلا والتواهى وعدد سكان « الروضة » و« القاهرة » من ضواحى عدن يبلغ اثنين وأربعين الفا وخمسمائة وواحدا وستين نسمة ، ونظرا لازدياد عدد المهاجرين فلاشك أن عدد الساكنين قد زاد كثيرا حتى بلغ فى عام ١٩٥٦ قرابة خمسين ألف نسمة ، بينما بلغ سكان عدن نفسها فى تلك السنة قرابة مائتى ألف نسمة[٨٦] ، أى أن المهاجرين من اليمنيين والصوماليين والأحباش قد بلغوا قرابة ربع سكان عدن آنذاك ، مما يؤكد ظاهرة الهجرة من الساحل الافريقى إلى الساحل اليمنى ، سعيا وراء العيش والازدهار المؤقت أثناء الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها[٨٧] .

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها مع مطلع شهر سبتمبر عام ١٩٤٥[٨٨] . كان الموقف بالنسبة للهجرة اليمنية يختلف من منطقة إلى

(٨٦) Her Majesty's Stationery Office, London, The Colonial Office List, 1960, p. 56.

(٨٧) حمزة على ابراهيم لقمان : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٨٨) هربرت فيشر : المرجع السابق ، ص ٧١٣ .

أخرى من مناطق [illegible] وكان وارد الأموال المحولة من جاوه مقطوعا [illegible] أما من الملايو فقد كانت الأموال ترد بشكل محدود ومنقطع بينما كانت الهجرة من الهند مستمرة ، كما أن وارد الأموال منها منقطع ، وكان سبب استمرار الهجرة إلى الهند أن نظام « حيدر أباد » كان يعد المحسن فور وصولهم إلى ميناء « بومباى » ليقوم بهم محاولة الهند ضمه بالقوة إلى الاتحاد الهندى . أما الهجرة إلى شرق افريقيا وهو ما يعنينا فى هذه الدراسة فى المقام الأول ، فقد كانت تتم بعد الحصول على ترخيص دخول مسبق من هناك ، أو من دار المقيم السياسى البريطانى فى عدن أو بالمكلا ، وذلك بالنسبة لاقطار شرق افريقيا الأربعة حينذاك وهى زنجبار ، واغندا ، وكينيا ، وتنجانيقا ، ولمدة ثلاثة أشهر فقط آنذاك ، وقد لعب الاقليم المهرى فى جنوب شرق اليمن دورا هاما فى تهجير اليمنيين إلى شرق افريقيا . وكانت السلطات فى تلك الاقطار الأربعة الافريقية تحترم وثائق السفر المعطاة من « السلطان بن عفرير » لليمنيين وتسمح لهم بالدخول باعتبار أنهم رعايا السلطان المهرى . وقد خففت هذه الطريقة عن المئات من اليمنيين الضائقة التى كانوا يعانونها من انقطاع واردات المهجر ، وخاصة سكان المناطق القيمية والشنفرية الذين كانوا يعتمدون على تحاويل أبنائهم المقيمين فى شرق افريقيا . على أن الأموال الواردة آنذاك من منطقة شرق افريقيا بما فيها الصومال والحبشة لم يعد ما يصل منها أكثر مما يسد رمق أفراد الأسر المعتمدين عليها باليمن . ولا يتم ذلك إلا بموجب إجراءات مكتبية مطولة يستصدر بموجبها أولو الشأن شهادات من السلطات المحلية باليمن بعدد أفراد كل أسرة ومقدار حاجتها الضرورية من النقد . وكان يهدف البريطانيون باعتبارهم الحكام الفعليين لمنطقة شرق افريقيا ، بما فيها الحبشة والصومال ، بعد طرد إيطاليا من تلك المناطق ، إلى الحد من تحويل الأموال خارج منطقة شرق افريقيا . غير أنهم بحكم شعورهم بمسئوليتهم الأدبية إزاء السكان اليمنيين فى نفس الوقت ، بحكم وضعهم فى جنوب اليمن ومركزهم فى عدن ، فقد وافقوا على هذه الاجراءات المؤدية إلى تحويل أموال من المهاجرين اليمنيين بشرق افريقيا إلى ذويهم بالأراضى اليمنية .

بل أن فرنسا أعلنت أن جيبوتى وساحل الصومال الفرنسى منطقة حرة من أول يناير سنة ١٩٤٩ . وكان هذا القرار يتمشى مع النظام الموجود منذ سنة ١٩٠٦ والذى يسمح بمرور تجارة « الترانزيت » من والى الحبشة دون فرض أية رسوم عليها . ثم جاءت فرنسا وعوّمت العملة الموجودة فى جيبوتى وفى ساحل الصومال الفرنسى فى ١٧ مارس ١٩٤٩ ، وأصبح هناك ما يسمى « فرنك جيبوتى » وهو « فرنك » مستقل كل « غطائه » من الذهب ، ويشرف على إصداره اتحاد المصارف الفرنسى الأمريكى الموجود فى نيويورك . وألغيت بذلك كل سلطات مكاتب العملة ، وأصبح من حق من يحمل هذه الفرنكات الجديدة أن يحولها أو يحول أية كمية منها إلى الدولارات ، دون أى قيد أو أية اجراءات أخرى ، وساعد ذلك على اتساع العمليات التجارية ، كما شجع على الاتجار مع الحبشة عن طريق جيبوتى وجود خط للسكة الحديد يربط بينهما . وقد لعب المهاجرون اليمنيون دورا ملحوظا فى الحركة التجارية فى جيبوتى والحبشة آنذاك[٨٩] . ولكن السلطات الفرنسية كانت تحد من تحويل أموال المهاجرين اليمنيين إلى ذويهم بالأراضى اليمنية . وقد نتج عن كل هذا تقليص فى الخدمات التى كان ينفق عليها فى اليمن الموسرون من اليمنيين المهاجرين بشرق افريقيا ، وأصبح أقاربهم باليمن بحاجة إلى ما يسد عوزهم . أما أعداد المهاجرين اليمنيين فى تلك الأقطار فقد ظلت ثابتة تقريبا على ما كانت عليه منذ عام ١٩٣٥ .

كذلك حدث فى أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة أن أغلقت أعداد من المؤسسات الحربية البريطانية فى جنوب اليمن أبوابها ، فوجد كثير من اليمنيين أنفسهم بدون عمل ، فحاولوا الهجرة إلى مهاجرهم التقليدية . غير أنهم ارتطموا بسدود منيعة منها إزدياد القيود الخارجية على الهجرة ، وشددت اجراءات الأمن بالمهاجر ، واستحدثت قواعد أشد على سيولة العملة وتحويلها من بلد إلى آخر وخاصة فى أقطار شرق افريقيا .

بل وأعقب ذلك من ناحية اخرى إشتداد أوار الحركات الوطنية

(٨٩) حلال حبى (دكتور) : جيبوتى من موانى افريقية ، مجلة بعثة افريقية ، القاهرة العدد ٢٣ ، شهر اكتوبر ١٩٥٩ ، ص ٧ .

الاستقلالية فى هذه المهاجر بشرق افريقيا وغيرها وصاحب ذلك استقلال مجموعة منها ما بين عامى ١٩٤٥ و١٩٦٧ . إذ نالت اندونيسيا استقلالها فى عام ١٩٤٥ وملكت زمام امرها فى عام ١٩٤٩ . كما نالت الهند والباكستان استقلالها فى عام ١٩٤٧ .وفى عام ١٩٦٠ نالت الصومال استقلالها كذلك ، وأعقبتها تنجانيقا بنيل استقلالها عام ١٩٦١ . بينما استقلت أوغندا عام ١٩٦٢ ، وحصلت جزيرة زنجبار على استقلالها كذلك فى ٩ نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم نالت كينيا استقلالها فى نفس السنة[٩٠] ، وتم جلاء الانجليز عن الشطر الجنوبى من اليمن فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧[٩١] ، وقد قامت فى كل هذه الاقطار الآسيوية والافريقية حكومات وطنية ذات سيادة ، وأصبح من الأمور البديهية أن توجه كل حكومة من هذه الحكومات همها نحو حل مشكلات مواطنيها والمشكلات التى خلفها الاستعمار فى كل منها .

وفى مقدمة المشاكل التى خلفها الاستعمار فى هذه المناطق مشكلة المهاجرين بها ، الذين ظلوا سنين عديدة مسيطرين على جانب كبير من اقتصاد البلاد ، وخاصة بلدان شرق افريقيا ، ومتحكمين فى أرزاق قطاعات كبيرة من شعوبها بامتلاكهم زمام المهن كبيرها وصغيرها ، وهى مشكلات لازالت تقاسى بلدان شرق افريقيا منها الامرين . ولهذا اختطت تلك الأقطار لنفسها سبل الخلاص من السيطرة الاجنبية الداخلية ، باصدار سلسلة من التشريعات بين عامى ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، كان من نصيب اليمنيين من بينها فى مناطق الهجرة بالمحيط الهندى بوجه عام ، وشرق افريقيا بوجه خاص ، ما يلى :

أولا - أوقفت اندونيسيا تحويل أية أموال إلى حضرموت وعموم اليمن الا بمبادلة تجارية ، كما أوقفت هجرة اليمنيين اليها الا بسابق ترخيص دخول .

ثانيا - فرضت سنغافورة - عقب نيل استقلالها الداخلى فى عام ١٩٥٩ - نفس القيود على اليمنيين ، بيد أنهم تمكنوا بوسيلة أو بأخرى من بيع الجزء الأكبر من ممتلكاتهم بها ، وامتلكوا بأثمانها عقارات فى

(٩٠) Smirnov, S.R.: Op. Cit., p. 363.

(٩١) Trevelyan, H.: The Middle East in Revolution, Aden 1967, p. 266.

عدن وبيروت والقاهرة ، أما ممتلكاتهم فى اندونيسيا فتركوها لمن بقى منهم هناك .

ثالثا - أوقفت الهند وباكستان تحويل أية أموال إلى اليمن ومنعتا الهجرة اليها إلا باذن دخول مسبق . كما أن الهند صادرت الاقطاعيات الزراعية التى كان يمتلكها أغنياء الحضارمة اليمنيين « بحيدر أباد » ، وسرحت جنود نظام « حيدر أباد » بعد أن قضت على حكم النظام نفسه هناك ، وسوّت معاشات جنود النظام اليمنيين ، ورحلتهم هم وعوائلهم إلى حضرموت .

رابعا - أوقفت أقطار شرق افريقيا هجرة اليمنيين إليها إلا باذن مسبق ومنعت تحويل الأموال إلا فى حدود ضيقة جدا .

وفى الوقت الذى تلاشت فيه هجرة اليمنيين إلى مناطق جنوب شرق آسيا وانقطعت عنهم مواردها ، أخذت الهجرة إلى شرق افريقيا تتضاءل تدريجيا، إلا أن وارد الأموال منها ما فتىء يرد إلى اليمن ، ولكن فى أضيق الحدود ، على نحو ما تشير إليه الاحصائية التالية[٩٢] .

سنة	المهاجـــرون		العائـــدون	
	شرق افريقيا	الصومال	شرق افريقيا	الصومال
١٩٦٣	٧٨٧	٣٣	٨٤٦	٢٧
١٩٦٤	٤٧٩	١	٩١٦	٢٧
١٩٦٥	٢٩٦	٢٩	١٠٣٥	٣٣
١٩٦٦	١٨٧		٥٥٥	٣٢٠
١٩٦٧	٤٣٧	٢٣	٩٢٣	٣٤٣
١٩٦٨	٤٢٤	١٢٩	٣٤٠	٢٠٣
١٩٦٩	٢٣٩	٣٩	٣٥٢	١٠٣
المجموع	٢٨٤٩	٣٤٢	٤٩٦٧	١٠٥٦

(٩٢) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

وعلى أثر مثل هذا التفتيش الد... هجرة إلى مناطق شرق افريقيا من قبل القوى الأوربية المسيطرة عليها ، خاصة بريطانيا وفرنسا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وبسبب الاجراءات التي يعاني منها اليمنيون داخل مهاجرهم للحد من نشاطهم ، وايصاد أبواب العيش في وجوههم تحت مختلف المعاذير ، فقد ضاق معظم المهاجرين اليمنيين إلا من إستوطن المنطقة التي هاجر إليها وأصبحوا جزءا من أهلها ، وتوافدوا إلى بلادهم في جماميع كبيرة في حالات من البؤس والفاقة ، وكانت قد شاعت في المهاجر أثناء محاولة التنقيب عن البترول في اليمن[٩٣] . غير أن آمال اليمنيين خابت ولو مؤقتا في إمكانيات بلادهم الاقتصادية ، وبدأوا يفكرون في طريق الخلاص .

سادسا : تحول الهجرة اليمنية إلى البلاد العربية النفطية :

بعد أن قيدت حركة الهجرة اليمنية إلى شرق افريقيا نسبيا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ، فقد اتجهت الهجرة اليمنية إلى البلاد العربية النفطية في الخليج العربي والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص ، وجاء هذا التوجه بغريزة الطيور المهاجرة التي لاتخذلها حاسة التوجيه والارشاد التي تأصلت عند اليمنيين عبر القرون . اذ طرأ على هذه البلاد تحول كبير إلى الثراء الذي ارتبط بانتاج البترول والذي أشار إلى أرقامه المعتمدة ملحق دائرة المعارف البريطانية الصادر في عام ١٩٦٣[٩٤] . وقد تبين أن انتاج البترول السعودي قد زاد من حوالي (٢٠٠) مليون برميل في عام ١٩٥٠ قيمتها حوالي ٥٠٠ مليون دولار ، إلى حوالي ٣٦٠ مليون برميل في عام ١٩٥٩ قيمتها حوالي ١٠٠٠ مليون دولار . بينما زاد انتاج البترول في الكويت في عام ١٩٦٠ إلى حوالي ٦٠٠ مليون برميل قيمتها ١٧٠٠ مليون دولار بعد ان كان الانتاج في عام ١٩٥٠ حوالي ١٢٥ مليون برميل قيمتها حوالي ٣١٦ مليون دولار . في حين ظل عدد سكان المملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٥٠

= وقد أشار الى أن هذه الاحصائيات قد حصل عليها من الادارات المختصة بشؤون الهجرة في وزارة الداخلية بعدن .

(٩٣) Le Monde, Paris, 13 eme Novembre 1977.

(٩٤) The Encyclopaedia Britanica, 1963.

و١٩٥٩ فى حدود السنة ملايين ، بينما تراوح عدد سكان الكويت - بما فيهم الاجانب من مختلف الجنسيات - بين ١٧٠ ألف و٣٢٠ ألف نسمة . وقد ذاعت أثناء هذه الثروة البترولية الطائلة فى جميع أرجاء العالم العربى ، مما شجع اليمنيين وخاصة الحضارمة على الهجرة إلى هذين القطرين العربيين ، بل ان بعض الحضارمة فى المهاجر الأخرى قد انتقلوا اليهما ايضا . وقد بلغ عدد الحضارمة الذين يعملون فى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٦٩ ما يتراوح بين ١٥٠ و١٨٠ ألف شخص ، بينما بلغ من يعملون من الحضارمة فى الخليج العربى فى نفس السنة ما يتراوح بين ٣٥ و٤٠ ألف حضرمى . ويشير الاحصاء التالى إلى أعداد المهاجرين من اليمنيين إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى والعائدين منهم إلى اليمن فى الأعوام السبعة المنتهية بعام ١٩٦٩ على النحو التالى[٩٥] :

السنة	المملكة العربية السعودية		دول الخليج العربى	
	المهاجرون	العائدون	المهاجرون	العائدون
١٩٦٣	١٨٠٩	٧٠١	١٠٠٨	٧٧٥
١٩٦٤	١٧٠٦	٥٥٩	١١٠٠٠	١٣٦٦
١٩٦٥	٢٥٩١	١٨٠٨	١٩١٧	١٤٠٠
١٩٦٦	١١٤٧	٦٧٤	١١٩١	٢٠٢٩
١٩٦٧	٤٨٨٧	١٩٦٤	١٤٩٧	٢٨٦٤
١٩٦٨	١٢٩٨	١٨٥١	١٣٣٢	١٣٤٣
١٩٦٩	٢٥١٦	١٩٩٩	٣٠٨٣	٣٦٨٣
	١٥٩٥٤	٩٥٥٣	١١١٢٩	١٢٤٦٠

(٩٥) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق ، ص ٧١ .
وقد أشار الى أن هذه الاحصائيات قد حصل عليها من الادارات المختصة بشئون الهجرة فى وزارة الداخلية بعدن .

على أنه ينبغي الاشارة إلى أن عدد المهاجرين اليمنيين إلى المملكة العربية السعودية وإلى دول الخليج العربي في الاحصاء المشار إليه لا يشمل عدد المهاجرين الذين هاجروا إلى تلك الدول خلال هذه السنوات السبع بطريق البر ، والذين كان يبلغ معدلهم السنوي قرابة ألف وخمسمائة نسمة ، والتي أخذت هجرتهم شكل التسلل في مواقف كثيرة ، بعد أن أصبحت أبواب مهاجرهم التقليدية إلى شرق افريقيا وغيرها تكاد تكون موصدة . ونظر لأن معظم اليمنيين المهاجرين كانوا يقصدون المهاجر المختلفة وهم أشبه بالمفلسين مما كان يعوق دخولهم إلى تلك المهاجر فان الكثيرين منهم كانوا يتمكنون من الحصول على أعمال هناك بمساعدة المهاجرين الذين سبقوهم من إخوانهم ومواطنيهم . على أن تعرض بعض اليمنيين في مهاجرهم للضغوط المختلفة ، جعل الاقامة لا تطيب لهم هناك ، وكان ذلك من دواعي عودتهم إلى وطنهم ، بعد أن علموا بتغير الأوضاع فيه بما يتيح لهم فرص ايجاد العمل والكسب المناسب[٩٦] وذلك في أعقاب ثورة اليمن الوطنية في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، واستقلال جنوب اليمن في الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٦٧ .

---

(٩٦) عبد الرحمن سلطان : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، ص ٩١ .

ثبت المصادر والمراجع

أولا باللغة العربية

ا وثائق منشورة :

الجمهورية العربية اليمنية ، الكتاب السنوى للاحصاء ، ١٩٧٧/٧٦ .

- جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ، نقله إلى العربية يوسف كمال ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٧ .

شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٩ .

- نشرة البنك الدولى ١٩٧٨ ، (١/١ - ١١) عن الجمهورية العربية اليمنية .

ب الكتب :

السيد محمد رجب حراز (دكتور) : التوسع الايطالى فى شرق افريقية وتأسيس مستعمرتى ارتيريا والصومال ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٠ .

- أمين سعيد : اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٩٥٩ .

بازيل دافيدسون : صحوة افريقيا ، ترجمة عبد القادر حمزة ، راجعه أحمد قاسم جوده ،(مجموعه الألف كتاب)(٧٦) ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٦ .

توفيق ميخائيل : غرائب الأخبار عن شرق افريقية وزنجبار ، القاهرة ١٩٠١ .

- جمال زكريا قاسم (دكتور) : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠ ١٩١٤) ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٦ .

حسن ابراهيم حسن (دكتور) : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ .

- حمزة علي ابراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٦٠ .
ساغليف . ى . وفاسيليف ، ح : موجز تاريخ افريقيا ، تعريب امين الشريف ، مؤسسة العصر الحديث بالقاهرة ومؤسسة ميجدونا رودنايا كنيجا بموسكو .
سعيد بن علي المغيري : جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وزارة التراث القومي بسلطنة عمان ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- صلاح البكري : في جنوب الجزيرة العربية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩ .
عبد الرحمن سلطان : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، دار مرجان للطباعة بالقاهرة ، ١٩٧٩ .
- عثمان صالح سبي : تاريخ اريتريا ، الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٤ .
علي ابراهيم عبده (دكتور) : مصر وافريقية في العصر الحديث ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٢ .
فاروق عثمان أباظة (دكتور) :
- الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ .
- عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .
- قحطان محمد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن ، عدن والامارات ، دار النصر للطباعة والنشر والاعلان بالقاهرة ، ١٩٦٢ .
- محمد السيد غلاب وآخرون : البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر ، دراسة أعدت بمناسبة المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول ، بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، (صفر ١٣٩٩هـ/ يناير ١٩٧٩م) .

جـ - ابحاث بالدوريات :

جلال يحيى (دكتور) : « جيبوتى من موانىء افريقية » ، مجلة نهضة افريقية ، السنة الثانية العدد ٢٣ ، اكتوبر ١٩٥٩ .

جمال زكريا قاسم (دكتور) :

« المصادر العربية لتاريخ شرق افريقيا » مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، العدد (١٤) القاهرة ١٩٦٦/١٩٦٧ .

« استقرار العرب فى ساحل شرق افريقيا » مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس ، العدد (١٠) مايو ١٩٦٧ .

- جوزيف فريدريك موبيليزا : « طرف القوافل بشرق افريقيا » ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد ٢٧٧ يونيه ١٩٨٤ .

- شكيب الخامرى : « الهجرة اليمنية إلى امريكا ، نموذج من ديترويت بالولايات المتحدة الأمريكية » ، ترجمة الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبى ، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية - فبراير ١٩٨٢ .

- عباس فاضل السعدى (دكتور) : « التحليل الجغرافى لمشكلة الغذاء فى اليمن » ، بحث نشرته مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، الصادرة عن جامعة الكويت ، العدد الثالث والأربعون ، السنة الحادية عشر يوليو ١٩٨٥ .

- عمر الخالدى : « عرب حضرموت فى حيدر اباد » ، ترجمة جمال محمود حامد ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت ، العدد الخامس والأربعون ، السنة الثانية عشرة ، ربيع الثانى ١٤٠٦ ، يناير ١٩٨٦ .

- محمد عبد القادر بامطرف : « الهجرة اليمنية » ، مجلة الثقافة الجديدة ، تصدرها وزارة الثقافة فى عدن ، العدد ٦ - ٧ ، السنة الأولى ، ١٩٧١ .

- مقبل احمد مقبل : « القطاع الزراعى أهدافه واستثماراته » مجلة الوعى الزراعى التى تصدرها وزارة الزراعة بالجمهورية العربية اليمنية ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، أغسطس ١٩٧٨ .

هنري موانزي : « شرف [illegible] » ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد ٢٧٦ مايو ١٩٨٤

Documents

Foreign and Commonwealth Office, India Office. Political and Secret Library, London B. 216. Judical and Secret Memoranda, (M. 3/3528). British Policy in the Yemen, Memoranda by Major - General Sir C J. Younghusband, Political Resident, Aden, and Lieutenant Colonel H. F. Jacob, First Assistant Resident, Aden No. C. 695, Dated 23rd September 1915. Enclosure No. 1: Memorandum on the employment by Italians at Mogadiscio of Askaris from Arabia, by H. F. Jacob, 8th Siptember 1915.

Gullain: Documents sur l'Historiques et le Commerce de l'Afrique Oriental, Paris 1956. Tome 1. Expose Critiques de diverses Nations acquises sur l'Afrique Orintale depuis les temps le Plus Jours jusqu'a nos Jours.

- Her Majesty's Stationery Office, London, The Colonial Office List. 1960.

Ingrams, W. H.:
A Report on the Social, Economic, and Political Condition of the Hadramawt, London, Colonial Office, 1936.

- Steffen, H.:
Yemen Arab Republic, Final Report, Sana'a, Y.A.R. and Zurich, Switzerland, Central Planning Organization and Dept. of Geography University of Zuriech, 1978.

- U.N. FAO, FAO. Production, Yearbook 1982, Vol. 36., FAO. Statistics Series No. 47. Rome 1983. Table 3.

- U.N. FAO., FAO. Trade, Yearbook 1982. Vol. 36. Statistics Series, No. 49., Rome 1983, Table 6.

Texts

- Davidson, A. B. and others:
A History of Africa 1918 – 1967, U. S. S. R. Academy of Sciences, Institute of Africa, Nauka Publishing House, Central Department of Oriental Literature, Moscow 1968.

بنو رزين

ودورهم السياسى والحضارى فى شنتمرية الشرق

للدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية التربية – جامعة الإسكندرية

التعريف بشنتمرية الشرق (السهلة) :

تقع مدينة شنتمرية الشرق أو السهلة[1] فى اقليم شرق الأندلس ، يحدها من الشمال مدينة سالم[2] ومن الجنوب ألبونت[3] .

(١) شنتمرية الشرق أو السهلة : تقع الآن فى شرق محافظة تيروال "Teruel" ، وقد حملت هذه المنطقة اسم أسرة بنى رزين التى حكمتها فترة طويلة من الزمن منذ عصر الدولة الأموية حتى استيلاء المرابطين على الاندلس وخلع ملوك الطوائف ، ولذا سميت باسم شنتمرية (شنت مارية) بنو رزين ، وأحيانا سهلة بنى رزين ، وأحيانا سهلة بنى رزين ، ومنها جاء اسمها اليوم "Santa Naria de Albarracin" .

أنظر (الأدريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق طبعة ليدن ، ١٨٩٤ م ، ص ١٨٩ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ١٠٩ هـ ٢ ، شكيب أرسلان الحلل السندسية ، ج ٢ ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٠٠ ،

Boch vila, historia de albarracin y su. sierra, t, II, teruel, 1959, PP. 34\ 55).

(٢) مدينة سالم (بالاسبانية Medinaceli) : تقع فى الطرق بين مدريد وسرقسطة إلى الشمال الشرق من مدريد وتبعد عنها بمسافة ١٣٥ كيلو مترا ، وهى الآن من أعمال مدينة سرية "Soria" ، ويذكر الادريسى أنها على مسافة ٥٠ ميلا من مدينة وادى الحجارة ويصفها بأنها مدينة جليلة عامرة فى منطقة سهلية وتكثر بها البساتين والجنات . ويرجع الفضل فى انشاء هذه المدينة إلى سالم بن ورعمال الحسودى وكان من كبار القادة البربر ، ويبدو أنه دخل الاندلس فى فترة مبكرة ، وقد تكون مع الفتح الاسلامى لتلك البلاد . وحكم بنو سالم خلال العصر الاموى منطقة الثغر الاوسط الواقعة بين سرقسطة (قاعدة الثغر الاعلى) وطليطلة (قاعدة الثغر الأدنى) وكانت مدينة سالم قاعدة هذا الثغر الاوسط . والمرجح انها تعرضت للتخريب فى عهد الامير الأموى عبد الله بن محمد بسبب الغش التى بدأت فى الاندلس آنذاك مما دفع الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى اعادة بنائها وتحصينها فى سنه ٣٢٥ هـ ، وجعلها ثغرا حربيا لمواجهة إمارة قشتالة النصرانية ويلاحظ أن مدينة سالم مازالت تحتفظ باسمها العربى (Medinaceli) – انظر (ابن حيان ، المقتبس من أبناء اهل الاندلس ، تحقيق محمود مكى ، طبعة بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٥١٤ - هـ ٢٨٦ ، الادريس ، نفسه ، ص ١٨٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال ، طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ٢١٩٧٥ ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣

Bosch vila, op. cit, p.55.

(٣) ألبونت (Alpuente) : تقع فى شرق الأندلس جنوب شنتمرية الشرق وشمال غرب بلنسية ، ويذكر ابن سعيد انها من المعاقل الرفيعة ، ويصفها الادريسى ، بأنها مدينة عامرة بها أسواق ،

ومن الشرق تيروال[1] ومن الغرب مدينة شنتمرية[2] . أما من ناحية التقسيم الادارى للاندلس فكانت تعتبر من أعمال شنتمرية ، وهى كورة واسعة تمتد من حدود كورة سرقسطة الجنوبية الغربية إلى كورة طليطلة ، وكانت تعتبر فى عصر الدولة الاموية منطقة عسكرية تمثل الثغر الأوسط للأندلس وقاعدته مدينة سالم ، وهذا الثغر كان فى مواجهة أراضى إمارة قشتالة المسيحية[3] .

ويجرى بأراضى السهلة بعض الأنهار مثل نهر طورية "Turia" (أو الوادى الأبيض Guadalaviar) الذى ينبع من جبالها ويصب فى البحر الأبيض المتوسط ، ونهر جابر (El Gallo) أحد روافد نهر تاجة ، ولذا سميت تلك المنطقة بالسهلة لكثرة أنهارها ، ووفرة مياهها ، وخصوبة أرضها ، إذ تشير المصادر إلى أنه ليس فى بلد الثغر أخصب بقعة من سهلة بنى رزين[4] .

وكانت تعتبر من أعمال كورة بلنسية وقد استقل بها بنو هاشم فى عصر دويلات الطوائف . انظر (الادريسى ، نفسه ص ١٨٩ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، تحقيق شوقى ضيف دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٩٥ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥٦ ، Bosch vila, op. cit, p. 64.

(١) تيروال أو تيرول (Teruel) : كانت فى العصر الاسلامى بلدة صغيرة تقع إلى الشرق من السهلة ، وقد استقل بها فى عصر الطوائف بنو غرلون البربر . وهى الآن قاعدة محافظة كبيرة فى شرق إسبانيا تحمل نفس الاسم الذى كان معروفا عند المسلمين (تيروال) . انظر (ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، Bosch vila, op. cit, p. 61.

(٢) شنتمرية أو شنت برية (Santaver) : مدينة قديمة البنيان ، كانت فى العصر الاسلامى حاضرة الكورة التى تسمى بنفس الاسم ، وتقع على مسافة ٧٠ ميلا شمال شرق طليطلة ، ويصفها ياقوت بأنها « مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، بها حصون كثيرة » . أنظر (معجم البلدان ، مجلد ٣ ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، ص ٣٦٦ ، ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق مختار العبادى نشر معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٦٥ م ، ص ٨٠ ، هـ ٣ ، مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، جـ ١ ، نشر لويس مولينا مدريد ١٩٨٣ ، ص ٥٨) .

(٣) انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مجلد ٣ ، ص ٣٦٧ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ١٠٩ هـ ٢ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، جـ ٥ ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١١٠ - ١١١ ، ابن الأبار ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٢ ، تحقيق ليفى بروفنسال ، =

وكانت السهلة أول أمرها (عند قيام الدولة الاموية) مجرد حصن أو قرية صغيرة بمنطقة الثغر الأوسط بكورة شنتمرية[1] ، ثم مصرت بعد ذلك وأصبحت مدينة عامرة لها أعمال تتبعها ، وخاصة عند قيام دويلات الطوائف فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وتأسيس مملكة مستقلة بها ، فالادريسى يذكر أن شنتمرية الشرق (السهلة) مدينة عامر بها أسواق وعمارات متصلة[2] ، ويضيف ابن حيان -- نقلا عن عيسى الرازى -- أن من حصون السهلة : حصن للموشة وحصن الرياحين ، ومن أعمالها أيضا : أمتار العسكر ومحلة لنقة ومحلة شالش[3] .

أما بنو رزين أصحاب السهلة المنسوبة إليهم فينتسبون إلى قبيلة هوارة البربرية[4].

الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٢٣٧ . Bosch vila, Historia de albarracin, t. II, P. 34.

(١) مجهول ، أخبار مجموعة فى فتح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى والبنان ، ١٩٨١ ، ص ١٠٣ ، الضبى ، بغية الملتمس ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٣ ، ترجمة رقم ٢٥٦ .

(٢) انظر : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨٩ .

(٣) المقتبس ، نشر بدور شالميتا "P. chalemta" ، ج ٥ مدريد ١٩٧٩ ، ص ٣٥٩ .

(٤) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، عبد الله عنان ، دول الطوائف القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٢ Bosch vila, op. Cite, P.76 & Culchard Al - Andalis, Barcelone, 1976, P. 397.

وتجدر الاشارة إلى أن قبيلة هوارة كانت لها مواطن عديدة ببلاد المغرب خاصة الغرب تاهرت بالمغرب الأوسط وكذلك قرب فاس وأغمات بالمغرب الأقصى . وتنتسب قبيلة هوارة إلى هوار بن أوربغ بن برنس . وقد دخلت هوارة إلى الاندلس منذ الفتح الاسلامى مع القبائل البربرية الأخرى التى اشتركت فى جيش طارق بن زياد ، واستقروا خاصة فى كورة شنتمرية وبعض مواضع بكورة بلنسية . انظر (الاصطخرى ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٦ ، الطبرى ، ترصيع الاخبار ، تحقيق عبد العزيز الاهوانى ، نشر معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٦٥ ، ص ١٤ ، ٢١ ، ابن حزم ، نفسه ، ص ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور انطونية ، باريس ، ١٩٣٧ ، ص ١٧ ، ١٨ ، البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص ٥٩ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، جد ٢ ، ص ٥٤ ، ابن خلدون العبر ، ج ٦ ، طبعة بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٨٢ ، مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ ،

وهى إحدى بطون البرانس[1] ، ويذكر ابن حيان أن بنى البربر دخلوا فى ولاء قبيلة ثقيف العربية[2] ، كما هى العادة عند كثير من القبائل البربرية التى هاجرت إلى الأندلس والتصت بالولاء أو الحلف لإحدى القبائل العربية المعروفة[3] .

وسمى بنو رزين باسم جدهم الأعلى رزين البرنسى (أو البرانسى) وهو أحد قادة البربر الذين دخلوا الاندلس فى جيش طارق بن زياد[4] . وقد استوطن رزين البرنس مدينة قرطبة عقب الفتح الإسلامى ، وله فيها آثار عديدة منها اختطاطه منية الرصافة[5] ، وبناء مسجد عرف باسمه (مسجد رزين)

٦٤ ، لطفى عبد البديع ، الاسلام فى إسبانيا ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣٢ ، خايمى أوليفر آسين ، ملاحظات حول أسماء المواضع فى اقليم بلنسية ، تقرير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٠ ، ص ٥ - ٦ ، Levi-provencal, L'Espagne musulmane au eme siecle, paris, 1932, p.25, N.2.

(١) أنظر : ابن حزم ، نفسه ، ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ابن خلدون ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ ، مجهول مفاخر البربر ، ص ٦٤ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ١٦٤ .

(٣) انظر . ابن حزم ، نفسه ، ص ٥٠١ ، حتان ، هول الطوائف ، ص ٨١ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٣٤ ، Bosch Vila, Op.Cit, P.68, N.L.

ويصف ابن بسام جد بنى رزين الأعلى أى رزين البرنس ، بأنه « من كبار الجند وأعلام الوفد ومشهور أهل الحل والعقد ... » أنظر (الذخيرة ، ج ٥ ، تحقيق احسان عباس ، ص ١٠٩) .

(٥) كانت منكبة الرصافة تقع إلى الشمال الغربى من قرطبة ، وقد اندثرت الآن ولم يبق شىء من أطلالها ، وهذه المنية عبارة عن قصر تحيط به الجنان والبساتين . وقد ذكر ابن حيان - نقلا عن احمد الرازى - أخبارا جديدة حول مدينة الرصافة ويتضح منها أن أول من اختطها لم يكن الأمير عبد الرحمن الداخل كما هو متعارف ، وإنما هو القائد البربرى رزين البرنس ، ثم اشتراها الأمير عبد الرحمن الداخل من ورثتها وحول رصافة قرطبة . أنظر : (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٣٤ ، ص ٥٦٤ ، ٤٠٧ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، تحقيق احسان عباس ، ص ٤٦٦، ٤٦٧ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٤٨ - ٤٩ حمدى عبد المنعم ، مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٣٩ - ٣٧٠ ، Levi-provencal, Histoire, de, L'Espagne musulmane, t. III, Paris, 1967, P.374, N.2).

بالربض الغربى[1] ، كما تنتسب إليه الجنان المجاورة لعين قبش بالربض الغربى أيضا[2] .

بنو رزين ودورهم فى عصر الدولة الاموية :

لم تزودنا المصادر العربية بأخبار حول دور بنى رزين فى عصر الامارة الأموية (١٣٨ – ٣١٦ هـ) فيما عدا إشارة موجزة أوردها ابن حيان أوضح فيها ان بعض أفراد أسرة بنى رزين كانوا يحترفون تجارة الأقمشة بقرطبة فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ)[3] .

والغالب أن أسرة بنى رزين نزحت من قرطبة إلى كورة شنتبرية – معقل البربر – حيث مناطق الثغر الأوسط فى أوائل عصر الخلافة الأموية (أى حوالى أوائل القرن ٤ هـ/١٠ م) واستقر بهم المقام بمنطقة شنتمرية الشرق تولوا حكمها بجوار أقربائهم البربر من هوارة ومصمودة ونفزة ، أمثال بنى سالم بمدينة سالم وبنى ذى النون[4] .

١) أنظر . ابن حيان ، نفسه ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٣٤ ؛ Levi-provencal, op.cit, T.III, P.374, N.2.

٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٣٤ . أما عين قبش المذكورة بالمتن : فهذا الموضع مركب من كلمة عربية وأخرى لاتينية الأصل وهى الكلمة القشتالية القديمة "Covas" ومعناها الكهف . وقد ذكرت الرواية أن عين قبش تقع بالربض الغربى من قرطبة أنظر (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٥٦٤ هـ ٤٠٨) .

٣) يقول ابن حيان – نقلا عن ابن الفرضى – فى سياق ترجمته لاحد أدباء قرطبة « وفرج بن سلام هذا أحد أكابر العلماء بقرطبة وكان مولى لبنى رزين البزازين » انظر . (المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ١٦٤) .

٤) ينتمى بنو ذى النون إلى قبيلة هوارة البربرية ، وأصل لقبهم رنون فصحف بطول المدة وصار ذا النون ، واسم رنون شائع فى قبائل البربر ، وقد ظهروا منذ أيام الدولة الأموية حيث كان جدهم الأعلى ذو النون بن سليمان حاكما لحصن أقليش بكورة شنتبرية منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط أما فى عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر فقد ظهر عبد الرحمن بن ذى النون وابن اسماعيل . وخدم بنو ذى النون فى ظل المنصور فلما سقطت الدولة العامرية نزحوا إلى منطقة الثغر الأوسط بكورة شنتبرية حيث تولوا حكم وبلة وأقليش ومعظم شنتبرية ثم بسطوا سلطانهم بعد ذلك على طليطلة ، أنظر (مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٤٣ ، القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٥ ، القاهرة ١٣٣١هـ ، ص ٢٥٢ ، عنان دول الطوائف ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، لبنى =

بوبلة[1] وبنى غزلون بتيزوال وغيرهم من الأسر البربرية المشهورة التى حكمت مناطق الثغر الأوسط فى عصر الخلافة الأموية ، ولعبت دورا هاما فى الدفاع عن الثغور الاسلامية وغزو أراضى الممالك الاسبانية المسيحية[2] .

فتذكر الرواية أنه فى شوال سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥ - ٩٣٦ م - أى فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر نشبت معركة داخل الحدود النصرانية المواجهة للثغر الاوسط بين المسلمين من أهل هذا الثغر بقيادة بنى رزين وبنى ذى النون وبين النصارى الإسبان من أهل ألبة "Alva" والقلاع أى قشتالة "Castilla" ، وانتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ، ومقتل العديد من النصارى ومنهم قائدهم ويعرف فى المصادر الاسلامية باسم رذمير القومس (بالإسبانية Ramiro)[3] .

ويذكر ابن حيان أن معركة الخندق (معركة شمنقة "Semancas" التى هزم فيها المسلمون ونجا منها الخليفة الناصر من الموت بأعجوبة (سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م) قد أحدثت تغييرا كبيرا فى سياسته ، إذ أن الخليفة الناصر لم يعد بعدها يغزو بنفسه ، وأوكل مهمة غزو أراضى الممالك الاسبانية المسيحية لكبار قواده من حكام مناطق الثغور مثل بنى رزين حكام شتمرية الشرق ، وبنى ذى النون حكام وبلة وبنى تجيب حكام منطقة الثغر الأعلى[4] .

= بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمى ، ص ٢٢ ، Rachel Arie, Apercus sur les royaumes, berberes d, al-andalus au ve/Xie siecle, le caire, 1985, p.2.).

(١) وبلة أو بذى (Huete) : كانت من أعمال كورة شنتبرية ، وهى مدينة متوسطة لها مزارع عامرة وتبعد عن أقليش بمسافة ٢٨ ميلا . انظر (الادريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٥ ، مجهول ذكر بلاد الاندلس ، ص ٥٨) .

(٢) انظر ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٩ ، ابن حيان ، نفسه ، ج ٥ ، نشر بلخو شالميتا ، ص ٤٣٨ ، Bosch Vila, Historia de Albarracin, P. 72 & Guichard Al-Andalus, p.39.

(٣) انظر . ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٣٨١ .

(٤) ابن حيان ، نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ . أما منطقة الثغر الأعلى =

ويبدو أن خلافات نشبت بين حكام المنطقة الثغور استلزمت أن يتدخل الخليفة الناصر ، فأرسل قاضيه محمد بن عبد الله بن أبي عيسى إلى هناك ، لوضع حد لتلك الخلافات والمنازعات ، حيث أحضر إلى العاصمة قرطبة بعض ولاة الثغور ومنهم بنو رزين وحكم بن منذر التجيبي[1] . وتمكن الخليفة من اصلاح الامور بين الأسرتين وتصفية المنازعات بينهما[2] ، مما يوضح مدى أهمية منطقة الثغور بالنسبة لأمن الدولة وسلامتها ، وحرص الخلفاء الأمويين على استقرار الأمور بها وتحصينها وتقويتها في مواجهة خطر الممالك الاسبانية المسيحية .

وتشير الرواية إلى اشتراك بني رزين بقيادة زعيمهم – وقتذاك – مروان بن هذيل بن رزين وأمراء الثغر الأوسط في المعركة التي نشبت ضد نصارى قشتالة (ربيع الأول سنة ٣٤٤هـ/يوليو ٩٥٥/ م) وفيها دخل المسلمون أراضي مملكة قشتالة ، واتجهوا إلى أحد الحصون المسيحية الواقعة على الحدود وتغلبوا على أرباضه ، وقتلوا العديد من سكانه ، وأثناء انسحابهم هاجمهم الجيش القشتالي ، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين . وعقب ذلك أرسل حكام منطقة الثغر الأوسط بخبر هذا الانتصار إلى الخليفة الناصر حيث قرىء كتابهم بهذا الفتح الجليل بحاضرة الخلافة قرطبة[3] .

وجرت العادة أن يقوم أمراء الثغور الأندلسية بزيارة الخليفة الناصر

= المذكورة بالمتن – فيقصد بها المنطقة الشمالية الشرقية للأندلس حتى جبال البرنات ، وكانت مرتبطة قاعدة هذا الثغر المواجه لمملكة البشكنس أو مملكة نبره "Navarra" المسيحية . انظر (ابن حماك العامل) الزهرات المنثورة لمحقيق محمود مكي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ٢١ . سنة ٨١ - ١٩٨٢ ، ص ٥٦ ، ١٤ ، ص ٥٦ ،

Afif turk' el reino de zaragoza, madrid, 1978, P.8).

(١) هو حكم بن منذر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي ، من بني لجيب زعماء منطقة الثغر الأعلى في عصر الخلافة الاموية ، وكان حكم هذا قد تولى حكم دروقة وقلعة أيوب « من أعمال منطقة الثغر الأعلى » سنة ٣٢٨ هـ أبي في عهد الخليفة الناصر . وتولى حكم بن المنذر في سنة ٣٣٨ هـ . انظر (العذري ، ترصيع الاخبار) ص ٤٩ – ٥٢ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ج ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٤٦٨ .

(٣) انظر . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ ، Bosch vila, op.cit, T. II, p.64, N.4.

بقرطبة ، حيث كانوا يستقبلون بالحفاوة والتكريم ، ويصلهم الخليفة ببعض الهدايا من منسوجات دار الطراز بقرطبة من دراريع الديباج والخز وعمائم الشرب المذهبة وغيرهم من فاخر الكسوة[1] ، فابن عذارى يذكر أنه فى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م قدم إلى الخليفة الناصر بقرطبة أمراء بنى رزين ومن التف بهم ، فوصل إلى الناس كبيرهم مروان بن هذيل بن رزين الثائر بالسهلة اليهم فأدنوا وأكرموا . ويتضح من رواية ابن عذارى أن مروان بن رزين كان قد أعلن التمرد والعصيان فيما بين عامى ٣٤٤ و٣٤٦هـ ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى الطاعة وأعطاه الخليفة الأمان وأكرمه وأحسن استقباله فى قصره بالحاضرة قرطبة[2] .

وواصل الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/٩٦١ - ٩٧٦ م) سياسة أبيه ، فأسند ولاية الثغر الأوسط لأمراء البربر من الأسر القوية ذات العصبية والنفوذ ويشير ابن حيان إلى أنه فى جمادى الأولى سنة ٣٦١هـ/٩٧١ - ٩٧٢م قدم على الخليفة الحكم المستنصر بقرطبة وفد من بنى رزين على رأسه زعيمهم - وقتذاك - يحيى بن هذيل بن رزين وبنوه وبنو أخيه المتوفى مروان ، فأكرمهم الخليفة الحكم ، وقسم بينهم حصون منطقة السهلة وقراها وأعطاهم سجلات بذلك كما وصلهم بالخلع الفاخرة بمحضر الوزراء وكبار رجال الدولة ، ثم عادوا إلى بلدهم عقب ذلك[3] .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٤٣٨ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٥٥ . والدراريع - المذكورة بالمتن (جمع دراعة) وهى أقمصة تصنع من الحرير أو القطن ، وكان ينتشر لباسها فى المناطق الريفية . أنظر Dozy, noms de vetements, amsterdam, 1843, pp.176-177 Levi-provencal, histoire de L'espagne musulman, t. III, P.424.

أما الديباج فمن المنسوجات الحريرية السميكة التى تزدان بالتنسيقات الرائعة ، وكانت تتسم بالمتانة والجودة ، واشتهرت بها قرطبة والمرية ومرسية . انظر (الادريسى) نفسه ، ١٩٧ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٧ ، Levi-provencal, op.Cit, T.III, P. 427,

(٢) أنظر . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢١ ، Guichard, op. Cit, p. 387.

(٣) المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٧٢ ، Guichard, op.Cit, p. 398.

فى سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م تم تجديد سجلات الولاية لقواد منطقة الثغر الأوسط حيث يذكر ابن حيان ، أنه فى ربيع الأول سنة ٣٦٤هـ « عقدت السجلات لقواد الثغر الأوسط من أهلها بولاية أوطانهم بالمواضع المذكورة فيها على جارى عادتهم وعلى ما نظر به الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن[١] زعيمهم وسماهم وسمى حصونهم وقراهم » ، حيث سجل « لبنى يحيى بن هذيل بن رزين على الحصون الواقعة فى سجل أبيهم يحيى بن هذيل صدر خلافة المستنصر بالله »[٢] .

وهكذا يتضح لنا أن خلفاء بنى أمية فى الأندلس اتبعوا نظام الاقطاع العسكرى ، بمعنى إقطاع الأراضى أو المناطق لكبار القادة مقابل خدماتهم العسكرية وحماية الثغور الاسلامية فى الاندلس ، فكانت منطقة شنتمرية الشرق (السهلة) أشبه باقطاعيات صغيرة موزعة بين أفراد أسرة بنى رزين ، وكان يتم توارثها وفق نظام تقسيم المواريث المعروف ، واستمر الحال هكذا إلى أن انهارت الخلافة الأموية وقامت دويلات الطوائف فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، حيث انتهى نظام تقسيم المنطقة بين الورثة ، وتمكن أحد أفراد أسرة بنى رزين ويدعى هذيل بن خلف من ان يرث منطقة السهلة بأكملها دون مشاركة أو منافسة من أحد[٣] .

بنو رزين ودورهم فى عصر دويلات الطوائف :

بمقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبى عامر وسقوط الدولة

(١) هو الوزير القائد أبو تمام غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر والقائد الأعلى لمنطقة الثغور الاندلسية ، وأحد القادة البارزين فى عصر الخلافة الأموية ، وكان يقيم بمدينة سالم – قاعدة الثغر الأوسط – حيث مقر ولايته . وقد قتل غالب أثناء معركة بينه وبين منافسه الحاجب المنصور بن أبى عامر سنة ٣٧١ هـ . أنظر (ابن عذارى) نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٣٣ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٢) .

(٢) انظر . القنبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٠٣ .

(٣) Bosch vila, hist., de albarracin, t. III, pp. 118-120 & Guihard, Al-Andalus, p.398.

العامرية فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م بدأت الخلافة الأموية فى الانهيار ، ونشبت الفتنة القرطبية التى طحنت الأندلس وحملت الخراب والدمار إلى معظم جنوب الاندلس والحاضرة قرطبة ، وكان ذلك ايذانا ببداية عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف ، حيث استبد كل وال بمنطقته ، وتوالب الزعماء الطامحون إلى اقتسام ممتلكات الخلافة الأموية . واستطاع زعماء البربر أن يظفروا بنصيب وافر من ذلك ، حيث أقاموا عدة دويلات لهم فى الأندلس مثل بنى ذى النون فى طليطلة وبنى رزين فى شنتمرية الشرق وبنى الافطس فى بطليوس وبنى زيرى فى غرناطة[1] . وقد صور المراكشى الحالة فى الأندلس - وقتذاك - بقوله « وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أمية فان أهلها تفرقوا فرقا وتغلب فى كل جهة منها متغلب .... »[2] .

على أية حال استقل بنو رزين بحكم إمارة شنتمرية الشرق فى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[3] وأول من تولى حكمها فى عصر دويلات الطوائف زعيمهم هذيل بن خلف[4] ، الذى تلقب بالحاجب ذى المجدين عز الدولة[1] ،

(١) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥ ؛ مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٤٣ - ٣٤٧ ؛ مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ؛ حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، دار النسفيل ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ؛ Afife turk, op.cit, pp. 38, 39, & Rachel arie, apercus sur les royaumes berberes d'al-Andalus, P.2.

(٢) أنظر . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ترجمة رقم ١٢٩ .

(٤) هو أبو محمد هذيل بن خلف بن لب بن مروان بن هذيل بن رزين المعروف بابن الأصلع . انظر . (ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٦ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨١) ونلاحظ أن كلا من المؤرخ ابن الابار (الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠٨) والباحث عبد الله عنان (دول الطوائف ، ص ٢٤٢) قد التبس عليه الأمر حول نسب هذيل حيث ذكرا انه هذيل بن عبد الملك بن خلف بن لب بن رزين ، والصحيح ما ذكره المؤرخ المعاصر لامراء بنى رزين . أنظر أيضا . Dosch Vila, op.Cit, PP. 113-115.

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

ويصفه ابن حيان بأنه « كان من أكابر براير الثغر ، ورث ذلك عن سلفه ثم سما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله والامارة لجماعته »[1] وهكذا استقل هذيل بحكم امارة شنتمرية الشرق ، وتشبه في ذلك بما فعله جيرانه البربر أمثال اسماعيل بن ذيالنون الذى استقل بحكم معظم كورة سنتبرية ثم طليطلة عقب نشوب الفتنة القرطبية أو انهيار الخلافة الأموية[2]

وفى بداية عهد الأمير هذيل بن خلف وبالتحديد منذ سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م حتى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م ظل يدين بالطاعة للخليفة المخلوع هشام المؤيد رغم استقلاله ، بحكم امارة شنتمرية الشرق[3] .

وعندما تمكن سليمان المستعين بالله من دخول قرطبة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م ، واعلان خلافته بمساعدة البربر ، اضطر هذيل بن رزين إلى الاعتراف بالطاعة الاسمية لخليفة قرطبة الجديد ، ويذكر ابن بسام – نقلا عن ابن حيان – ان الخليفة سليمان المستعين رضى منه بذلك « وعقد له على ما في يده هنالك (يقصد شنتمرية الشرق) لعجزه عنه ... »[4].

وتشير الروايات إلى اضطراب العلاقات بين الحاجب منذر التجيبى[5]

(١) انظر . ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٥ ، ص:١٠٩ ، ابن الأبار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨١ ، عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، Prieto y vives, los reyes de taifas, madrid, 1926, P. 63. & Guichard, op. Cit, P.398, N. 445.

(٢) انظر . ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، نفسه ج ٣ ، ص ١٨١ .

(٤) انظر الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٣ ، ١٨١ ، ابن الخطيب ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٣٤٢ ، عنان نفسه ، ص ٢٤٣

(٥) هو الحاجب منذر بن يحيى التجيبى ، كان جنديا بسيطا في جيش المنصور بن أبى عامر ، ثم ترقى إلى القيادة في أواخر دولة المنصور حيث تولى حكم مدينة تطيلة بالثغر الأعلى سنة ٣٩٦ هـ ، ثم ولى مدينة سرقسطة في عهد الخليفة سليمان المستعين واستقل بحكمها بعد ذلك في عصر الطوائف . وكان الحاجب منذر التجيبى يعتبر من أقوى امراء منطقة الثغور ، وقد توفى سنة ٤١٢ هـ وولى بعده ابنه يحيى ، انظر (العذرى ، توضيح الأخبار ، ص ٤٨ ، ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٠ ، Afif turk, El reino de Zaragoza, p. 40.

صاحب الثغر الأعلى (وقاعدته سرقسطة) وبين هذيل بن رزين ، منذ أن حاول الحاجب منذر اخضاع ابن رزين لنفوذه أسوة بما فعل مع جيرانه من أصاغر امراء منطقة الثغر ، إلا أنه لم ينجح فى ذلك بسبب قوة جيش ابن رزين ومناعة بلده شنتمرية الشرق[1] .

ونتيجة لنشوب العداء بين منذر التجيبى وابن رزين ، قام الأخير بالتحالف مع الموالى أو الفتيان العامرية - أعداء منذر التجيبى - الذين التجأوا إلى منطقة شرق الأندلس ، وأسسوا عدة دويلات لهم هناك عقب نشوب الفتنة القرطبية واستيلاء البربر على قرطبة حاضرة الخلافة[2] . ومن المؤكد أن هذا التحالف قد دعم موقف ابن رزين وزاد من قوته وأجبر الحاجب منذرا التجيبى على عدم التدخل فى شئون شنتمرية الشرق والتخلى عن أطماعه فيها .

ولم يلبث ابن رزين ان دخل مع الموالى العامرية فى طاعة الخليفة المخلوع هشام المؤيد للمرة الثانية ، وقطع دعوة سليمان المستعين بالله[3] . ويشيد ابن حيان - المؤرخ المعاصر لتلك الحوادث - بموقف هذيل بن رزين فيذكر ان أمراء الفتنة لم يحظوا منه « بسوى إقامة الدعوة فقط دون بذل درهم معونة أو إمداد بفارس نصرة .. »[4] ، وهكذا استطاع الحاجب هذيل بن رزين بفضل حسن رأيه ويقظته وفطنته وحصانة بلده شنتمرية الشرق وموقعها البعيد عن مركز الفتنة ، أن يجنب إمارته ورعيته التعرض للدمار الذى سببته الفتنة وشمل مناطق عديدة من الأندلس .

وعلى الرغم من اشتراك الحاجب هذيل بن رزين مع حلفائه الموالى

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١١ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ؛ عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٤٣ .

العامريين بشرق الاندلس فى مبايعة المرتضى[1] بالخلافة فى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م ، نكاية فى سليمان المستعين بالله خليفة قرطبة فانه لم يشترك معهم بقواته فى الجيش الذى صحب المرتضى للاستيلاء على قرطبة فى سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م ، مما يدل على حسن سياسة ابن رزين وحرصه على عدم الزج بقواته فى رحى تلك الفتنة[2] .

وقد أجمعت المصادر الإسلامية على ان ابن رزين اتبع اثناء حكمه سياسة حكيمة تقوم على الحياد وعدم التدخل فى شئون جيرانه ، فيقول ابن حيان : « .... وصفا عيشه (أى هذيل بن رزين) واقتصر مع ذلك على ضبط بلده الموسوم بولاية والده ، وترك التجاوز لحده والامتداد إلى شيء من أعمال غيره فاستقام أمره وعمر بلده ... »[3] ، ويضيف ان خصب أراضى منطقة السهلة واتصال عمارتها واستتاب الامن والنظام فيها وتمتعها بالاستقرار الداخلى وتجنبها للفتنة ، قد ساعد إلى حد كبير على ازدهار احوالها وكثرة مواردها وجبايتها ، حيث نعم هذيل بن رزين بالثراء الفاحش وأصبح ينافس فى ذلك جاره اسماعيل بن ذى النون ، وتضيف الرواية انه كان يشبهه فى شدة البخل والقسوة والصرامة[4] .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، أحد أعقاب بنى أمية وكان قد لجأ إلى شرق الأندلس عند نشوب الفتنة البربرية فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . انظر (ابن حزم ، طوق الحمامة ، تحقيق حسن الصيرفى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١١٨ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٣) .

(٢) انظر . عبد الله الزيرى ، مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٢٢ ٢٣ ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى اخبار غرناطة ، تحقيق عبد الله عنان ، مجلد ٣ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٩٧ ، H.Miranda, historia mus. 'mana de valencia su region, valencia, 1967, t. 1, p. 241, & Afif tur., op. cit, pp. 46-47

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٤) انظر . ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١١ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٧ .

والملاحظ أن ابن رزين قد اهتم بتحصين بلده وتدعيم وسائلها الدفاعية كالأسوار والأبراج والقصاب بحيث أصبح في مأمن من أي هجوم خارجي ، ولذلك لم يتبع سياسة معظم امراء الطوائف في دفع الجزيات أو الاتاوات لشراء ود ملوك إسبانيا المسيحية ومحالفتهم ، حيث يذكر ابن حيان أنه (أي هذيل بن رزين) لم يحالف أحدا من الأمراء على أداء إتاوة .. »[1] .

ويورد المؤرخ ابن الكردبوس رواية – نستبعد صحتها – يذكر فيها أن فرديلند[2] ملك قشتالة قام عقب اعتلائه العرش بمهاجمة الثغور الاسلامية في الاندلس ، وانه استولى على شنتمرية ابن رزين وذلك في أواخر عهد هيذيل بن رزين أو أوائل عهد ابنه عبد الملك[3] . غير اننا لا نتفق مع فيما ذكره ابن الكردبوس خاصة وأن المصادر الاسلامية والمسيحية قد أجمعت على أن بني رزين استمروا في حكم إمارة شنتمرية الشرق حتى استيلاء المرابطين عليها في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م .

وعلى الرغم من أن المصادر العربية وصفت الأمير هذيلا بالجهل والقسوة فانها أشادت بجميل عشرته ومروءته وطلاقة لسانه[4] . ولاشك أن عهده كان يمثل مرحلة ازدهار للفنون في إمارة شنتمرية الشرق ، فقد ساعد ثراء تلك الامارة على تمتع أميرها هذيل بالحياة المترفة ، وارتبط بذلك بتشجيعه لفن الغناء والموسيقى ، فكان بلاطه محط أنظار المغنين والموسيقيين ، وحظيت شنتمرية الشرق في عهده بشهرة كبيرة في مجال فن الغناء والموسيقى . ومن ناحية أخرى عرف هذيل بن رزين بين ملوك الطوائف باتفاق المبالغ الباهظة في

(١) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١١ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

(٢) هو فرناندو الأول (Fernando I) ويعرف في المصادر العربية باسم فرديلند الابن الأكبر لسانشو العظيم (Sancho III) وقد حكم مملكة قشتالة (١٠٣٥ – ١٠٦٥ م/٤٢٧ – ٤٥٨ م) . انظر (ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، تحقيق مختار العبادي ، ص ٧٥ هـ ٢ ، Aguado Bleye, Manual de historia de espana, t. I.Madrid, 1947, P.594)

(٣) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٣ مجهول ، ذيل البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

اقتناء القيان والجوارى ، وفى ذلك يقول ابن حيان : « انه أول من بالغ الثمن بالاندلس فى شراء القينات ، اشترى جارية لأبى عبد الله المطيبَ بن الكتانى بثلاثة آلاف دينار ، فملكها وكانت واحدة القيان فى وقتها لا نظير لها فى معناها ... »[1] .

وقد اجتذب استقرار الأحوال الداخلية فى إمارة السهلة الفنانين والأدباء إلى تلك المنطقة الآمنة بعيدا عن أجواء الفتنة القرطبية مما يساعد على إثراء الحركة الفنية والأدبية فيها وتشير المصادر العربية إلى أن ستارة[2] هذيل بن رزين كانت أرفع ستارات الملوك بالأندلس »[3] ، ولعل اهتمامه بذلك يرجع إلى ما كان ما يشيعه هؤلاء المغنون فى مجالس الأمراء من المرح ، هذا بالاضافة إلى لهفة هؤلاء الأمراء على اقتناء أكبر عدد من هؤلاء الفنانين بهدف الشهرة وحتى تذاع فى سائر أنحاء الاندلس أنباء المجالس الفنية التى كانوا يعقدونها فى قصورهم . ويضيف ابن حيان أن بلاط ابن رزين كان يزخر بالمحظيات والجوارى والخدم والوصفاء الصقالبة مما لم يجتمع عند أحد من نظرائه[4] .

ويرجع الفضل إلى الأمير هذيل بن رزين فى تعمير مدينة شنتمرية الشرق وتصميمها بعد أن استبد بحكمها عند قيام دويلات الطوائف فى الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . وكانت قبل ذلك مجرد حصن بالثغر الأوسط ، ويؤكد ذلك قول الضبى انه « فى سنة أربع وأربعمائة بنيت شنتمرية ، بناها الأصلع بن رزين (يقصد هذيل بن رزين

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٢ ، ابن عذارى ، نفسه ج ٣ ، ص ١٨٣ ، كلبليا سارنللى بجاهد العامرى ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ص ٤٨ .

(٢) الستارة : كان هذا اللفظ يطلق على المكان الذى تستتر فيه الجوارى والقيان فى انفسهن ، كما يطلق على المكان المنصوب لقضاء حفلة سمر وغناء . أنظر (المغنى ، تحقيق د . محمود مكى ، ص ٥٠٠ ، ٥٠٣) .

(٣) انظر : ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ٢ ص ٢٣٧ ، عنان نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ، ابن الخطيب ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٣٧ .

المعروف بابن الأصلع)[1] .

وقبل ان نختتم عهد الأمير هذيل بن رزين تجدر الاشارة إلى أنه سك العملات باسمه ، ونستدل على ذلك من عملة وصلت إلينا تحمل اسمه ونقش على أحد الوجهين (ابن خلف ، الدرهم بالاندلس سنة خمس وأربعمائة) ، وعلى الوجه الآخر : « الامام سليمان ، أمير المؤمنين المستعين بالله » . كذلك عثر على عملة أخرى نقش على أحد الوجهين فيها : « ولى العهد محمد[2] ، الدرهم بالأندلس سنة خمس وأربعمائة ، وعلى الوجه الآخر : « الامام سليمان أمير المؤمنين المستعين بالله ، الظاهر هو الله ، ابن خلف »[3] .

وعقب وفاة هذيل بن رزين فى سنة ٤٣٦ هـ/١٩٤٥ م ، تولى الحكم ابنه أبو مروان عبد الملك[4] ، وكان يلقب فى حياة ابيه بحسام الدولة ، ثم تلقب

---

(١) انظر . بغية الملتمس ، ص ٦٢٣ ترجمة رقم ٢٥٦ .

(٢) هو محمد بن سليمان المستعين بالله ، وكان ولى عهد ابيه . انظر (عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٥٥)
Prieto Y vives, Los reyes de taifas, p.107 158.

(٣) اختلفت المصادر الاسلامية حول سلسلة الأمراء من أسرة بنى رزين التى تعاقبت على حكم إمارة شنتمرية الشرق فى عصر الطوائف . فالملاحظ أن جميع الروايات اتفقت على أن أول من تولى حكم شنتمرية فى عصر الطوائف هو هذيل بن خلف ، غير أنه بعد وفاة هذيل تضاربت الروايات حول من خلفه ، فقد ذكر ابن الابار أنه تعاقب بعده على الحكم أربعة هم على الترتيب : أبو مروان هذيل ، وهذيل هذا هو ابن اخى هذيل الأول ، ثم أبو مروان عبد الملك بن خلف ويعرف بعبود (وهو أخو هذيل الأول ثم هذيل بن عبد الملك بن خلف وأخيرا يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن خلف . أما ابن الخطيب فيورد ثلاثة تولوا حكم شنتمرية الشرق فى عصر الطوائف وهم : هذيل بن خلف ثم حسام الدولة بن هذيل ثم أبو مروان عبد الملك بن حسام الدولة ، غير أن ابن عذارى اشار إلى أنه بعد وفاة هذيل (أول من استبد بحكم شنتمرية فى عصر الطوائف) تعاقب على حكمها أربعة أمراء من بنى رزين هم : عبد الملك بن خلف ومن بعده هذيل بن عبد الملك ثم حسام الدولة بن هذيل واخيرا يحيى بن حسام الدولة . أنظر (ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن عذارى نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧) واعتقد استنادا مع ما ذكره د . حسين مؤنس وبوسك بيلا وبريتو إلى ليس من أن معظم المصادر العربية قد خلطت وأخطأت فى سياق نسب بنى رزين ومن تعاقب منهم على حكم إمارة شنتمرية ، فالغالب انه لم يحكم منهم فى عصر الطوائف إلا ثلاثة فقط وهم : أبو محمد هذيل بن خلف ثم ابنه حسام الدولة عبد الملك بن هذيل

عند توليه الامارة بالحاجب ذى الرياستين جبر الدولة[1]

وقد اختلفت الروايات الاسلامية حول تصوير شخصية عبد الملك ابن رزين ، فبينما يحمل عليه معاصرة ابن حيان ويصفه بأنه كان سيئة الدهر وعار العصر ، جاهلا لا متجاهلا وخاملا لا متحاملا قليل الباهة شديد الاعجاب بنفسه[2] ، نجد أن أبن بسام يمدحه بقوله « وأما ذو الرياستين فكان له طبع يدعوه فيجيبه ويرمى ثغره الصواب عن قوسه فيصيبه[3] ... ويشاركه ابن خاقان هذا المديح فيذكر ان عبد الملك بن رزين « ورث الرياسة من ملوك عضدوا مؤازرهم ... وركبوا الصعاب فذللوها .. وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم وقطب مدارهم[4] ..

وكان عبد الملك بن رزين من شعراء الأندلس البارزين فى عصر دويلات الطوائف ، وفيه يقول ابن دحية « وذو الرياستين زاد عليهم (يقصد بنى رزين) بأدب أبهى من الروض الأريض ومنظوم بديع من

= وأخيرا حسام الدولة يحيى بن عبد الملك بن عذيل . انظر (ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ص ١٠٩ ، ١١٩ ، رواية صاحب الذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ - ٣١٢ ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١١٠ ، ١٥٠ & Prieto Y Vives, op.cit., p. 63 & Bosch vila, hist., de albarrocin, t. II. pp. (13-117).

(١) انظر . ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، رواية صاحب الذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ ، أما لقب ذى الرياستين فيقصد به رياسة الحرب ورياسة التدبير ، وهو لقب عباس تلقب به لأول مرة الفضل بن سهل وزير المأمون ، وتلقب عبد الملك بن رزين به يدل على تأثير الخلافة العباسية على الأندلس . انظر (الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٣٠٥ ، عبد العزيز سالم ، العصر العباسى ، الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٣٥٦ هـ ١) .

(٢) ذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٠٩

(٣) انظر . الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٤) تلائد العقيان ، نسخة مصورة عن طبعة باريس ، تونس ١٩٦٦ ، ص ٥٨ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن دحية ، المطرب من اشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى وآخرين ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٩ .

القريض ... »[1] ، ومن هنا فقد كان له العديد من الأشعار فى جميع الأغراض ، فمن شعره فى الفخر :

أنا ملك لجمعت فى خمس كلها للأنسام حى نميت
هى : ذهن وحكمة ومضاء وكلام فى وقته وسكوت[2]

وله أيضا :

شأوت أهل رزين غير محتفل وهم على ما علمتم أفضل الأمم
قوم إذا حوربوا أفنوا وإن سئلوا اعنوا وإن سوبقوا حازوا مدى الكرم[3]

وكان عبد الملك بن رزين ميالا إلى اللهو والملذات واقامة مجالس الأنس والشراب التى يحضرها ندماؤه من كبار رجال الدولة والشعراء والمغنون ، فتذكر الرواية انه كان يعقد مجالس انسه فى روضاته المنتشرة فى جميع أنحاء بلده شنتمرية ، حيث كان يجالس الشعراء ويدفعهم إلى التنافس فى قرض الشعر ، ومن ذلك وصف ابن رزين لاحدى روضاته بقوله :

وروض كساه الطل وشيا مجددا فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
إذا صافحته الريح ظلت غصونه رواقص فى خضر من العصب ميدا[4]

وكذلك أشار ابن خاقان إلى مجالس الأنس التى كان يعقدها عبد الملك ابن رزين فى منيته المسماه بمنية العيون[5] ، التى اتخذها مقرا لراحته ونزهته ولهوه . ورغم شغف ابن رزين باللهو والترف وحبه للشعر فانه كان متعسفا

---

(١) انظر . المطرب من أشعار اهل المغرب ، ص ٣٩ .
(٢) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٥ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
(٣) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٥ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١١ .
(٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦٠ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١١ .
(٥) ابن خاقان ، نفسه ، ص ٦٣ ، المقرى ، نفح الطيب ، مجلد ١ ، تحقيق احسان عباس ص ٦٦٩ ، ٦٧٠ .

مع الشعراء ومتعسرا بمطلوبهم من ميسور بعطاء ، حيث كان يتصف بالبخل الشديد وسرعة الغضب ، ويؤكد ذلك قول ابن خاقان انه : أبى عبد الملك بن رزين « كان يتشطط على ندامه ولا يرتبط فى مجلس مدامه ، فربما عند انعامه بؤسا وانقلب ابتسامه عبوسا ... »[1] ، وعلاوة على مجالس الأنس واللهو كان عبد الملك يقضى بعض أوقاته فى القيام برحلات الصيد ولعب الشطرنج[2] .

وعلى أية حال يعتبر عبد الملك بن رزين أطول امراء الطوائف عهدا ، حيث حكم مدة ستين عاما (٤٣٦ ٤٩٦ هـ) ، ويرجع طول مدة حكمة إلى مناعة إمارته شنتمرية الشرق وحب الجند له والتفافهم من حوله[3] ، بالاضافة إلى تجنبه دائرة الصراعات والفتن التى عمت معظم جهات الأندلس وقتذاك ، فقد كان عبد الملك يعيش فى عصر ملىء بالحروب والمنازعات بين أمراء الطوائف بعضهم وبعض من ناحية ، وبينهم وبين ملوك إسبانيا المسيحية من ناحية أخرى .

وقد حرص عبد الملك على إقامة علاقات ودية مع امراء الطوائف الآخرين ، ومن أمثلة ذلك صداقته لابن عمار[4] صاحب مرسية ، إذ كان عبد الملك يستضيفه فى حاضرته شنتمرية ، ويستقبله بالحفاوة والتكريم ويتردد إليه[5] ، ويبدو ان دافعه لانتهاج هذه السياسة هو محاولة تجنب الأذى والمكائد

---

(١) انظر : ابن خاقان ، نفسه ، ص ٥٨ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٩ ، ابن خاقان ، نفسه ، ص ٦٠ .

(٣) ابن الأبار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٤) هو ذو الوزارتين الشاعر المغامر أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار الشلبى ، وزير المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية . وكان ابن عمار قد انتزع مرسية من صاحبها ابى عبد الرحمن محمد بن طاهر وسجنه ، ثم تولى إمارتها نيابة عن المعتمد بن عباد سنة ٤٧١ هـ ، غير أنه لم يلبث أن أغرته الامارة بالسيطرة على مرسية والاستبداد بحكمها والخروج عن طاعة سيده المعتمد . انظر (ابن الابار نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣١ - ١٦٥ ترجمة رقم ١٣٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان تحقيق احسان عباس ، مجلد ٤ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٤٢٥ ٤٣٩ ، ترجمة رقم ٦٦٩) .

(٥) من أمثلة تودد عبد الملك بن رزين لابن عمار وهو ضيفه قوله :

صمان على الأيام أن أبلغ المنى إذا كنت فى ودى وسرا ومعلنا

فلوتسال الأيام : من هو مفرد بود ابن عمار؟ لقلت لها : أنا

أنظر (ابن خاقان ، نفسه ، ص ٥٨ ، ابن دحية ، نفسه ، ص ٣٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .

من ابن عمار الذى عرف عنه الدهاء والغدر[1] والمرجح ان علاقتهما فترت بعد ذلك لأن ابن عمار ادعى على ابن رزين بعض المآخذ ، أو نتيجة لاحدى الوشايات[2] . ولعل هذا قد دفع ابن عمار إلى تحريض الفونسو السادس ملك قشتالة على الاستيلاء على شنتمرية الشرق وذلك عندما لجأ إليه ابن عمار عقب استحواذ ابن رشيق[3] على مرسية ، غير أن هذا المشروع لم يحظ بالموافقة من جانب الفونسو السادس[4] .

كذلك كانت علاقة ابن رزين بابن طاهر[5] صاحب مرسية يسودها الود والصداقة ، حيث عرض عليه ابن رزين بعد خلعه من امارة مرسيه ان ينتقل إلى شنتمرية الشرق ويقيم فى كنفه كى يستعين بمشورته ، فيذكر ابن بسام ان عبد الملك بن رزين بعث برسالة إلى ابن طاهر يقول له فى فصل منها : « وانا (أى ابن رزين) اعرض عليك - اعزك الله - ما هو الأوفق لى والأحق

(١) ابن الأبار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) انظر . ابن خاقان ، نفسه ، ص ٦٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن رشيق ، كان حاكما لحصن بلج قرب جيان ، وامتاز بالدهاء والمكر والمقدرة الحربية ولذا ندبه ابن عمار لقيادة جيش المعتمد بن عباد للاستيلاء على مرسية واستطاع ابن رشيق ان يستولى على مرسية بعد حصارها فترة قصيرة بمساعدة بعض الخونة من أولياته الذين فتحوا له بعض أبواب المدينة وذلك فى سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م ودخل ابن رشيق مرسية وقبض على صاحبها أبى عبد الرحمن طاهر وأعلن بيعة المعتمد وكتب إلى ابن عمار - وكان باشبيلية - بالفتح ، فسار ابن عمار إلى مرسية وتولى حكمها ثم استبد بها ، إلا أن تمكن ابن رشيق من طرده منها والاستيلاء عليها باسم المعتمد غير أنه أيضا لم يلبث أن استبد بحكم مرسية وأعلن خلع طاعة المعتمد ، واستمر يحكمها عدة سنوات إلى أن عبر المرابطون إلى الأندلس وخلعوا أمراء الطوائف ومن بينهم ابن رشيق ، وكان استيلاء المرابطين على مرسية سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م . انظر : (ابن الأبار ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٤٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق ١ ، ص ٢٠١ ، عنان ، دول الطوائف ، ص ١٧٧ - ١٨٠) .

(٤) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ٨٠ ، دوزى ، ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلانى ص ٢٥٧ ٢٥٨ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن اسحاق بن زياد بن طاهر القيسى ، ممن تولوا حكم مرسية فى عصر الطوائف . وآل طاهر من الأسر العربية الشهيرة فى الأندلس ، وهم ينتسبون إلى قيس عيلان وقد تولى ابو عبد الرحمن محمد بن طاهر سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ هـ فى بلنسية انظر (ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٩ ٥٠) ابن الأبار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٠) .

لى عن عزيمة مكينة ورغبة وكيدة من التنقل إلى جهتى والاختلاط لى وبلحمتى فأستوفى فى الحظ من مؤانستك واستنفد الوسع فى تكرمتك وأقاسمك خاص ضياعى ومعلوم أملاكى ... »[1] . ومن ناحية أخرى قام ابن رزين بالتوسط لابن طاهر لدى القائد المرابطى ابن عائشة[2] كى يرد له ما أخذه المرابطون من أملاكه وضياعه بمنطقة مرسية غير ان ابن عائشة رد عليه بما يشير إلى ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين رفض الموافقة على هذا المطلب[3] .

وعندما ساءت الأوضاع فى منطقة شرق الأندلس نتيجة لغارات القنبيطور[4] عليها ونشره الدمار فى ربوعها ثم استيلائه على بلنسية واحراقه

---

(١) انظر . الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١١٣ - ١١٤ . والغالب ان ابن رزين لم يكن جادا فى عرضه هذا لأن المصادر الاسلامية أجمعت على اتصافه بالبخل الشديد ، ولذا فقد اعتبر ابن طاهر عن نية هذه الدعوة . انظر (ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ؛ ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٠ ، ذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣١٠ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة ، كان من كبار قواد المرابطين ، نصبه أبوه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائدا على منطقة شرق الاندلس بعد ان عاث فيها السيد القنبيطور فسادا . انظر (ابن الكردبوس) تاريخ الاندلس ، ص ١٠١ ، هـ ٤ ، ابن القطان ، نظم الجمان لى اخبار الزمان ، تحقيق محمود مكى ، الرباط ١٩٦٤ ، ص ٨ هـ ١) .

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٥ ، ص ٤٨ هـ ٥ ، ١١٣ - ١١٤ .

(٤) هو رود ريجو دياث "Redrigo Diaz" ولد بقرية بيبار "Vivar" قرب مدينة برغش عاصمة مملكة قشتالة ، ويعرف فى المصادر الاسلامية بالقنبيطور أو وذريق الكنبيطور أو الطاغية لذريق الملقب بالكنبيطور . ولقد لقب بهذا اللقب (أى القنبيطور أو الكنبيطور) لأنه كان مبارزا قديرا تغلب على خصومه وتلقب به منذ انتصاره على فارس نبرى فى مبارزة عنيفة . واللقب معرب من الكلمة الاسبانية "Campeador" التى يفسرها البعض بمعنى البطل ، والأرجح أن هذا اللقب حسبما يفسره ابن عذارى يعنى صاحب الفحص ، وواضح فى هذا التفسير انه يجعل اللقب مشتقا من كلمة "Campus" التى تعنى الفحص ، وتقابل كلمة "Campeador" فى اللاتينية كلمة "Campidoctus" وتعنى قائد الغارات فى بلاد الأعداء أو الخبير بالغزوات فى أرض الأعداء ، وكان القنبيطور قائدا لفرقة من الجند المرتزقة ويعمل فى خدمة الفونسو السادس ملك قشتالة احيانا ، كما كان يعمل لحسابه الخاص أحيانا أخرى . وتمكن من إقامة إمارة له ببلنسية فى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م استمرت عدة سنوات . ولقد لعب القنبيطور دورا بارزا فى احداث شرق الاندلس فى عصر الطوائف وتوفى ببلنسية فى سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٩ م . انظر (ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ترجمة رقم ١٣٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ج ٤ ، ص ١٤٧ ، ابن الخطيب ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢١٣ ، حسين مؤنس ، السيد القنبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢ ، ماجر

لصاحبها ابن جحاف[1] أضطر أبو عيسى بن لبون[2] صاحب حصن مربيطر[3] إلى التخلي عنه لابن رزين سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٣ م ، ليضمه إلى امارته بشنتمرية الشرق ، مقابل ان يعوضه عنه مالا جزيلا ويوفر له حياة آمنة مترفة في مدينة شنتمرية[4] . والحقيقة ان عبد الملك بن رزين لم يف بتعهده ، وكان شحيحا مقترا مع ابن لبون الذي استقل ما كان يجري عليه وندم على تخليه عن بلده مربيطر وعبر عن ذلك في العديد من أشعاره[5] .

١٩٥٠ م ، ص ٧١ ، ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٧٦ ، كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية حتى سقوطها في أيدي المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، موقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٨٠ ٢٨٤ ، Menendez pidal, la espana del cid, vol, II, madrid, 1947. p.577).

(١) هو جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري ، يكنى أبا أحمد وأبا المطرف ، من أهل بلنسية وقاضيها في عصر الطوائف ثم تولى حكمها عقب مقتل القادر بن ذي النون في سنة ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م وقد انتهت حياة ابن جحاف بمأساة أمر الفنشطور بحرقة سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٤م انظر . (الضبي ، بغية الملتمس ص ٢٥٧ ، ترجمة رقم ٦١٥ ، ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٩٦ — ٩٧ ، ابن الخطيب نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٠٣) .

(٢) هو أبو عيسى بن عبد العزيز بن لبون ، ينتمي إلى أسرة بني لبون الشهيرة ، وهي اسرة من المولدين ، كما هو واضح من اسمهم لبون ، وهو صيغة التكبير من الاسم المعروف لب وهو اسبال معرب من "Lobo" أي ذئب . وكان ابن لبون من وزراء المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ثم تولى حكم مربيطر من أعمال كورة بلنسية . انظر (ابن الأبار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٧ — ١٦٩ ، ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٢ هـ ١) .

(٣) مربيطر (Murviedri) : كانت تسمى في العصر الروماني ساجنتوم (Saguntum) وتقع شرق الاندلس على البحر المتوسط في شمال بلنسية إلى الجنوب من طرطوشة وكانت تعتبر من أعمال كورة بلنسية ، ويصفها الادريسي بقوله : « وهي قرى عامرة وأشجار ومستغلات ومياه متدفقة » « انظر صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس » ، ص ١٩١ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٠) .

(٤) أنظر : ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ، ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٧ — ١٦٨ ، ابن سعيد ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ ، Priemera cronica general, p.568, prieto Y vives, op. cit, p. 63 & H.miranda, hist., musulmana de valencia, t.I.p.263, N.4.

(٥) من ذلك قوله :

دعوني اجب شرق البلاد وغربها لاشفي نفسي أو أموت بداني

والمرجح ان عبد الملك بن رزين كان يدفع الجزية - مثل غيره من ملوك الطوائف لألفونسو السادس ملك قشتالة عقب سقوط طليطلة فى يده سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م[1] ، غير أنه نتج عن هزيمة الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة امام جيوش المرابطين (سنه ٤٧٩ هـ ١٠٨٦ م) أن تحرر ملوك الطوائف ومنهم ابن رزين من دفع الجزية . ولكن منطقة شرق الأندلس لم تلبث أن أصبحت مسرحا لغارات القنبيطور الذى عاث فيها سبا وفسادا ، وفرض نفوذه عليها ومن بينها إمارة شنتمرية الشرق .

فتذكر المصادر الإسبانية المسيحية أن القنبيطور عبر نهر دويره ، ثم زحف بقواته نحو منطقة شرق الأندلس ، حيث عسكر عند بلدة قلموشة (Calamocha) - من أعمال شنتمرية الشرق - مدة ثلاثة شهور ، هاجم خلالها الأراضى الواقعة بين دروقة (قرب سرقسطة) وموزيال دى كامبو Monreal" "de Campo قرب قلموشة شمال شنتمرية) ، وأمام هذا الخطر الجاثم اضطر بن رزين إلى موادعته وعقد معه معاهدة أقر فيها بدفع جزية مقدارها عشرة آلاف دينار سنويا مقابل ان يتركه القنبيطور فى سلام ، كما اجبر امراء بلنسية والبونت

فلست ككلب السوء يرضه مربض وعظم ولكنى عقاب سماء

ومن شعره أيضا بعد ما أخذ منه بلده مربيطر :

بالبت شعرى وهل فى ليت من أدب هيهات لا تقضى من ليت آرب
ابن الشموس التى كانت تطالعنا والجو من حوله ليل جلباب
وابن تلك الليالى اذ نلم بنا فيها وقد نام حراس وحجاب

وأنظر (ابن بسام) الذخيرة ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

(١) انظر . ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٧٧ .

والمنارة[1] وشارقة[2] على دفع الجزية له[3] .

والملاحظ أن ضم ابن رزين حصن مربيطر إلى املاكه شجعه على ضم المناطق المجاورة لأمارته ، حيث أراد أن يستغل اضطراب الأحوال فى بلنسية وسوء أوضاعها خلال عهد ابن جحاف وأن يضمها إلى إمارته بمساعدة بدور الأول "Pedro I" (بطره فى الروايات العربية) ملك أرغون "Aragon" ، فامتنع ابن رزين عن أداء الجزية المتفق عليها للقنبيطور ، وبدأ يفاوض ملك أرغون فى معاونته على تحقيق أطماعه التوسعية فى بلنسية مقابل مبلغ كبير من المال . واستاء القنبيطور عندما بلغته هذه الأنباء ، وبادربشن غارة تأديبية على أراضى شنتمرية الشرق (سنة ٤٨٦ هـ/١٠٩٣ م) ، وعاث فيها فسادا وأحرق المحاصيل ونهب الماشية . وإزاء ذلك اضطر عبد الملك بن رزين إلى الخضوع للقنبيطور مرة أخرى تجنبا لهذا التخريب والنهب الذى تعرضت لهما أراضيه[4] .

وفى تلك الأثناء عمد القنبيطور إلى محاصرة حصن جبالة (شمال بلنسية) سن ٤٨٦ هـ/١٠٩٣ م فور سماعه بخبر مقتل حليفه القادر بن ذى النون[5] صاحب بلنسية واستيلاء ابن جحاف على السلطة فيها ، كما احكم

---

(١) المنارة (Almanara) . تقع إلى الشمال من بلنسية قرب مربيطر ، وكانت بها قلعة حصينة لازالت أطلالها قائمة حتى الآن . انظر (العذرى) ترصيع الأخبار ، ص ١٩ ، ارسلان ، الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٣٥ ، محمد الفاسى ، تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، العدد الثالث ، الرباط ، يوليو ١٩٦٢ ، ص ٣١ .

(٢) شارقة (Jerica) : تقع شمال بلنسية وكان يقال لها أيضا قلعة الأشراف ، ويذكر ياقوت انها حصن بالأندلس من أعمال كورة بلنسية . انظر (معجم البلدان مجلد ٣ ، طبعته بيروت ، ص ٣٠٧ ، ارسلان ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٣) Primera cronica general, t.II,p.556, ch ronicle of the cid, by robert southey, london, 1883, p. 131, m. pridal, la espana del cid, vol, I, madrid, 1947, p. 389.

(٤) انظر . عنان ، نفسه ، ص ٢٤٧ ، M.Pidal, op. cit, vol. I. pp. 453-455.

(٥) هو القادر يحيى بن ذى النون ، خلف جده المأمون من ذى النون فى حكم طليطلة سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م ، وكان فتى حدثا لا خبرة له يميل إلى اللهو والترف والملذات مما ساعد على انتهاء حكمه سريعا بطليطلة حيث سلمها لالفونسو السادس ملك قشتالة فى سنة =

الحصار في نفس الوقت حول مدينة بلنسية وكان ابن رزين خلال هذه الأحداث موالياً للقنبيطور[1] ، ولهذا السبب كان يرسل إليه المؤن والأقوات أثناء حصاره لحصن جبالة وبلنسية ، ويؤكد ذلك قول ابن علقمة المعاصر للأحداث : « ان القنبيطور انفذ إلى الحصون المجاورة يستمد الأقوات فامده بما من التقى شره وأقبلت الميرة إلى محلته .. »[2] .

ومن المرجح ان عبد الملك بن رزين دخل في طاعة المرابطين بعد ان خلعوا معظم ملوك الطوائف بالاندلس من عروشهم ، ويستدل على ذلك من قول : « ابن عذارى أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعث سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٤ م برسائل إلى والي غرناطة المرابطي واصحاب شنترية الشرق والبونت ولاردة [3] وطرطوشة[4] بأمرهم فيها بجمع قواتهم واللحاق

٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، مقابل ان يساعده القونسو في الاستيلاء على بلنسية وقد تم له ذلك في نفس السنة (٤٧٨ هـ اوائل ١٠٨٦م) ، ودخل بلنسية بمساعدة فرقة من الجند القشتاليين . وانتهى حكم القادر بقتله بأمر القاضي ابن جحاف في رمضان ٤٧٥هـ/ أكتوبر ١٠٩١م . (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ ، ص ٢٩١ ، ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٤ ، ابن عذارى نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٢ ، ١٤٩ ، عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٧٠٨) .

(١) Primera cronica General, t. II, p. 586 & pidal, op.cit, vol. I, pp. 439-440

(٢) أنظر . ابن عذارى ، البيان ، المغرب ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(٣) لاردة (Ierida) . مدينة قديمة حصينة تقع على وادي شيقر (Segre) RSVE (Segre) شرق سرقسطة ، وفي منتصف الطريق بينها وبين برشلونة ، وكانت في العصر الاسلامي من القواعد القامة في منطقة الثغر الأعلى . وقد استقل المنذر بن هود بحكم لاردة وطرطوشة في عصر ملوك الطوائف . انظر (ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٩٨ هـ ١) .

(٤) طرطوشة (Tortosa) : تقع شرق الاندلس وفي الشمال من بلنسية على ساحل البحر المتوسط ، وكانت من القواعد البحرية الهامة في العصر الاسلامي واشتهرت بصناعة السفن لوفرة أخشاب الصنوبر بها . أنظر (الادريسي) نفسه ، ص ١٩٠ ، ابن غالب ، قطعة من رحلة الأنيس ، نشر وتحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ١ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٨٥ ، القزويني ، آثار البلاد ، وأخبار العباد ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥٤٤

جيش المرابطين لمنازلة بلنسية واستردادها من يد القنبيطور[1] .

وقد ترتب على انضمام ابن رزين إلى المرابطين توقفه عن اداء الجزية للقنبيطور ، ولم ينس القنبيطور فعلته هذه ونكث بعهده معه ، فعندما فشل المرابطون في استرداد بلنسية من يد القنبيطور وتلقوا على يديه هزيمة نكراء في موقعة كوارت "Cuart" (غرب بلنسية في شوال ٤٨٨ هـ/ اكتوبر ١٠٩٤ ، لم يتردد القنبيطور في الانتقام من ابن رزين ، فبادر بالاغارة على أرضية وعاث فيها سهبا وتخريبا وارغم ابن رزين على دفع الجزية مرة اخرى[2] .

والحقيقة ان وطاة القنبيطور لم تخف عن عبد الملك بن رزين إلا بوفاة الأولى في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٩م . حيث بدأت دويلات الطوائف المتبقية بالاندلس وهي دولة بني هود اصحاب سرقسطة ودولة بني رزين بالسهلة تتنفس الصعداء برحيل هذا الطاغية[3] .

وفي صفر سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠ تعرض عبد الملك بن رزين لحادث اغتيال كاد يودي بحياته ذلك أن صهره (زوج اخته) ويدعى عبيد الله حاكم أذكون[4] كان يسعى للتخلص منه مستهدفا الاستيلاء على إمارة شنتمرية الشرق ، فدعاه ذات يوم إلى حفل تناهى في ترتيبه واعداده ، وحضره أيضا أبو عيسى برلون ، وانتهز عبيد الله فرصة بتمكن الشراب من ابن رزين وهجم عليه بمساعدة بعض اعوانه واثخنوه طعنا بسيوفهم . وكانت اخت ابن رزين – التي هي زوج عبيد الله – تشهد أحداث هذه المؤامرة ، فأسرعت إلى أعلى موقع بالقصر وصرخت واقتيلاه ، فهرع الناس إلى مكان الجريمة لمعرفة ما

---

(١) ابن علقمي ، نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤ – ٣٥ ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين نشر وتحقيق محمود مكي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مجلد ٧ – ٨ مدريد ٥٩ ١٩٦٠ ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) H-Miranda, hist., musulmana de valencia, t, II, P. 70

(٣) M. pidal, op. cit, vol., t. II, P.577;

(٤) أذكون أو أدكون (بفتح الدالة أو الذال أو تسكينها) : يرى دوزي أن المراد بهذا الموضع بلدة صغيرة تسمى (Alacon) تقع شمال شرق شنتمرية الشرق ، وتقع الآن في محافظة تيروال (Teruel) : انظر (الحلة السيراء ، ج ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، ص ١١٤ هـ ١)

حدث ، فوجدوا عبد الملك بن رزين مثخنا بالجراح ، فارادوا قتل المتامرين ، إلا ان ابن رزين امرهم بالقبض على صهره وابنه ، حيث اصطحبهما معه إلى حاضرته شنتمرية ، وهناك أمر بصهره فقطعت يداه ورجلاه وسملت عيناه ثم صلب ، كما قطعت رجل ابنه ثم اطلق سراحه . اما ابن رزين فلم يزل يعالج من جراحه إلى ان برا ، إلا أن هذا الحادث ترك اثاره على وجهه ، فقد غير من ملامحه وشوه صورته[1] .

وفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م تمكن القائد المرابطى مزدلى[2] من استرداد بلنسية من أيدى النصارى ، وهنا خشى عبد الملك بن رزين على إمارته ، فجدد الولاء والطاعة للمرابطين . ولم يلبث أن توفى بعد ذلك بقليل فى التاسع من شعبان سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣ م[3] .

وقد خلف عبد الملك فى حكم امارته شنتمرية الشرق ابنه يحيى الملقب بحسام الدول . وكان اميرا ضعيف العقل مدمنا للخمر ، حرص على التقرب إلى الفونسو السادس ملك قشتالة ، فكان يهاديه بنفيس التحف ، وتشير المصادر العربية إلى أن يحيى بن رزين اهدى الفونسو السادس هدية جليلة من الحلى والخيل والبغال مما يعجز عنه الوصف فاعجب الفونسو بهديته وكافأه عليها بقرد ، وبلغ من ضعف عقل يحيى بن رزين انه اخذ يفخر بذلك القرد على سائر أمراء الأندلس[4] .

---

(١) انظر . ابن الابار ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٤ ١١٥ ، عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٤٧ ، Pricto Y vives, los reyes de taifas, p.59.

(٢) هو أبو محمد مزدلى بن يتولتكان (أوسلتكان) بن حمتى بن محمد بن ترقوت بن ورباطى بن فضالة بن امية بن واباتن الصنهاجى اللمتونى ، وهو ابن عم امير المسلمين يوسف بن تاشفين واحد كبار قواده ، توفى فى سنة ٥٠٨هـ/١١١٥ م . انظر (ابن الخطيب ، الاحاطة ، تحقيق عبد الله عنان ، مجلد ٣ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق محمود مكى ، ص ١٩ هـ ١) .

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦٥ ، ابن عذارى ، نفسه ، ص ٤١ .

(٤) انظر . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٨ ، ذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣١٠ - ٣١١

وفى غضون ذلك كان المرابطون قد بسطوا سلطانهم على معظم إسبانيا الإسلامية ولم يبق خارجا عن نفوذهم سوى مملكة سرقسطة وإمارة شنتمرية الشرق . وانتهز المرابطون فرصة سوء الأوضاع فى شنتمرية وعجز أميرها يحيى بن عبد الملك بن رزين وضعفه وقرروا خلعه عن ملكه ، فخرج جيش مرابطى بقيادة ابن فاطمة[1] إلى شنتمرية الشرق واستولى عليها دون مقاومة ، وتم خلع أميرها يحيى فى الثامن من رجب سنة ٤٩٧ هـ/ ابريل ١١٠٤ م ، بعد أن حكم مدة سنة واحدة . وبذلك تنتهى إمارة بنى رزين فى شنتمرية الشرق بعد أن أستمرت ما يقرب من ستة وتسعين عاما[2] .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن فاطمة ، أحد مشاهير القواد المرابطين فى عهد يوسف بن تاشفين وابنه على . اشترك فى الحملة التى استرد فيها المرابطون بلنسية من ايدى النصارى سنة ٤٩٥ هـ ، كما تولى حكم بلنسية فى سنة ٤٩٧ هـ ، وهى نفس السنة التى استولى فيها على إمارة شنتمرية الشرق . وقد توفى ابن فاطمة فى سنة ٥١١ هـ . انظر (ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١١٢ ، ج ٢ ، ابن القطان نفسه ، ص ٨ هـ ٢ ، وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، نشر محمود مكى ص ١٥١ ، ١٥٥ H.Miranda, op.Cit, t, III, p.17.

(٢) انظر ابن سماك ، نفسه ، ج ٥ ، ص ٥١ ، ابن خاقان ، نفسه ، ص ٦٥ ، ذيل على البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣١١ ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ص ١٥٣ ، عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٤٨ ، Prieto Y vives, op.cit, p.63 & H.Miranda, op. cit, p.III p.11

جدول بأنساب من عثرنا عليهم من أفراد أسرة بني رزين

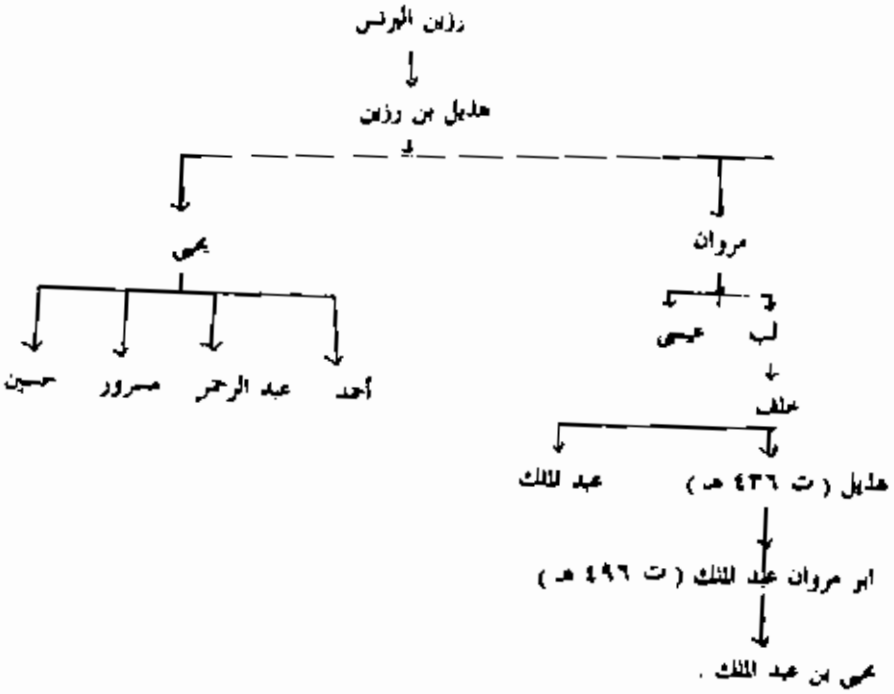

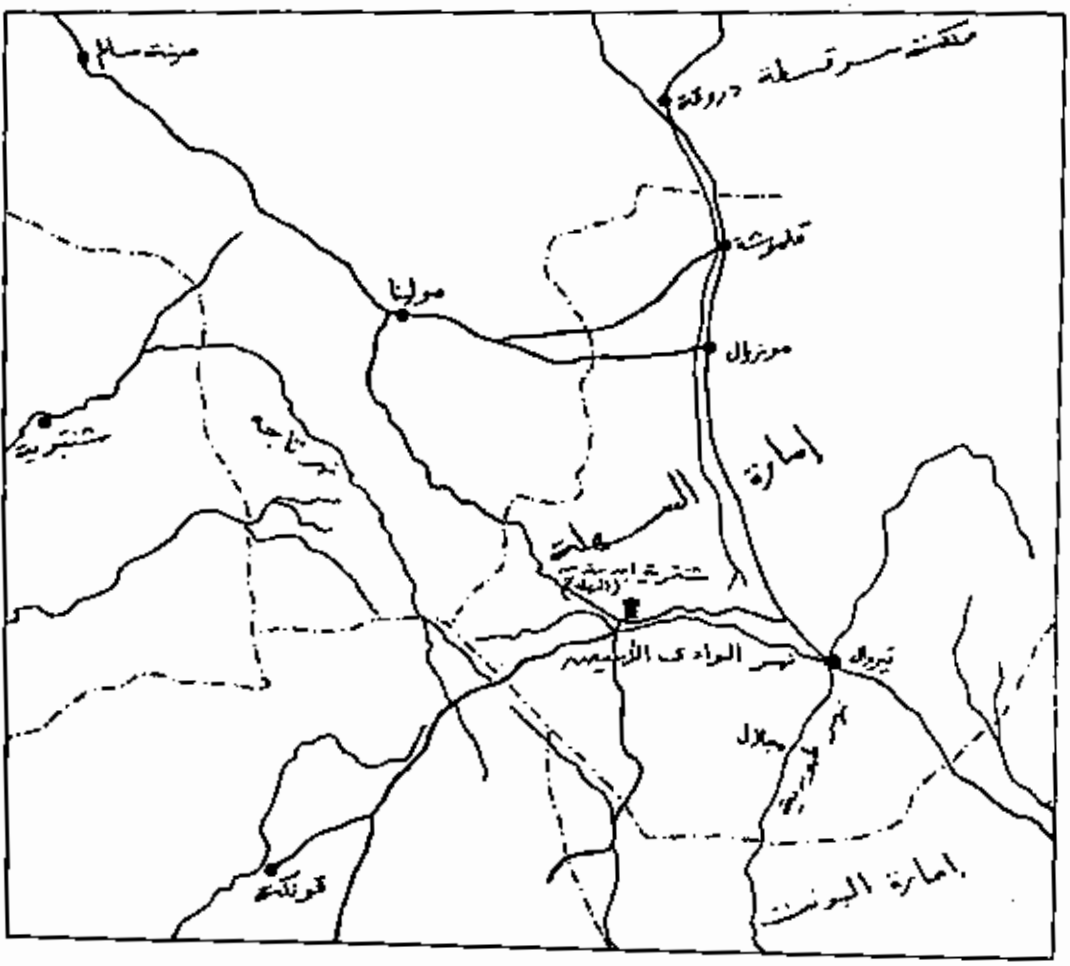

خريطة إمارة السهلة فى عصر بنى رزين
عن « بوسك بيلا »

مصادر ومراجع البحث

أولا : مصادر عربية قديمة :

ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر) ت ٦٥٨/١٢٦٠م
– الحلة السيراء ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣ .

ابن الاثير (أبو الحسن على بن محمد الجزرى) ت ٦٣٠هـ/١١٣٣ م
– الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

الادريسى (أبو عبد الله محمد) ت حوالى ٥٤٨ هـ/١١٥٤ م .
– صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق ، نشره دوزى ودى خويه ، ليدن ، ١٨٩٤ م .

الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد) ت فى المصنف الأول – من القرن الرابع الهجرى .
– المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة ١٩٦١ م .

ابن بسام (أبو الحسن على) ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م .
– الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس – الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ .

البكرى (أبو عبيد عبد الله الملك بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .
– المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م
– جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

– طوق الحمامة ، تحقيق حسين الصيرفى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

الحميرى (أبو عبد الله محمد عبد المنعم) ت فى اواخر القرن التاسع الهجرى .

– الروض المعطار فى خبر الاقطار ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ .

ابن حيان (أبو مروان) ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٩ م

– قطعة من المقتبس من ابناء اهل الاندلس نشر ملشو انطوية ١٩٣٧ .

– قطعة من المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ .

– قطعة من المقتبس ، نشر وتحقيق د . محمود مكى ، بيروت ١٩٧٣ .

– قطعة من المقتبس ، نشر بدرو شالميتا ، مد ريد ١٩٧٩ .

ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد) ت حوالى ٥٢٩ هـ

– قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، تونس ١٩٦٦م .

ابن الخطيب (لسان الدين) ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤ م .

أعمال الاعلام فيمن بويع قبلا احتلام من ملوك الاسلام ، ق ١ ، نشر ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦ م .

– الاحاطة فى اخبار غرناطة ، مجلد ٣ ، تحقيق عبد الملك عنان ، القاهرة ١٩٧٥ .

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م .

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ١٩٦٨م .

ابن سعيد المغربى (على بن موسى) ت حوالى ٦٨٥ هـ .

– المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .

ابن دحية (أبو الخطاب) ت ٦٣٣ هـ/١١٣٥ م .

- المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى واخرون ، القاهرة ١٩٥٤ م .

الضبى (أحمد بن يحيى) ت ٥٩٩ هـ/١١٠٣ م

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ١٩٦٧ م .

عبد الله الزيرى مذكرات الامير عبد الله الزيرى المعروفة كتاب التبيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد) كان حيا عام ٧١١ هـ/١٣١١ م

البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال ، بيروت ، بدون تاريخ .

— البيان المغرب ، ج ٣ ، تحقيق ليفى برونفسال ، بيروت ، بدون تاريخ .

العذرى (أحمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائى) ت ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م .

- ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان ، تحقيق عبد العزيز الاهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٥ م .

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) عاش فى القرن السادس الهجرى .

– قطعة من فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ١ ، نوفمبر ١٩٥٥ م .

القزوينى (زكريا بن محمد) ت ٦٨١ هـ/١٢٨٣ م .

– اثار البلاد واخبار العباد ، طبعة بيروت ، ١٩٦٠ م .

القلقشندى (أبو العباس أحمد) ت ٨١١ هـ/١٤١٨ م .

— صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ج ٥ ، القاهرة ١٣٣١ هـ .

بن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) عاش فى القرن السادس الهجرى .

- تاريخ الاندلس المعروف بكتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق مختار العبادي ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٥ .

المراكشي (عبد الواحد بن علي) ت ٦٦٩ هـ/١٢٧٠ م .
المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ م .

المقري (شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمساني) ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .

مؤلف مجهول (اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، ١٩٨١ م .

مؤلف مجهول ذكر بلاد الاندلس ، نشر لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ م .

مؤلف مجهول مفاخر البربر ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ م .

ياقوت الحموي(شهاب الدين ابى عبد الله) ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م
- معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ١٩٥٧ م .

ثانيا : مراجع عربية حديثة ومعربة :

أحمد مختار العبادى (دكتور) : فى تاريخ المغرب والاندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

حسين مؤنس (دكتور) : معالم تاريخ المغرب والاندلس دار المستقبل ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

حسين مؤنس (دكتور) : السيد القسيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢ ، مايو ١٩٥٠ م .

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة ، بيروت ١٩٧١ .

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، الاسكندرية بدون تاريخ .

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) تاريخ مدينة المرية الاسلامية الاسكندرية ١٩٨٤ م .

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :المغرب الكبير ، الاسكندرية ١٩٦٦ م .

- شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ .

- كليليا سارنللى تشركوا : مجاهد العامرى ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

- لطفى عبد البديع (دكتور) : الاسلام فى اسبانيا ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٩ م .

- ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٦ م .

محمد الفاسي تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، العدد الثالث ، الرباط ، يونيو ١٩٦١

ثالثا : مصادر اسبانية مسيحية :

- Chronicle of the Cid, by Robert Southeg, London, 1883

- Primera cronica general de espana, t.II, publicado por menendez pidal, madrid, 1955.

رابعا : مراجع أجنبية حديثة :

Aguado Bleye (Redro):

- Manual de Historia de Espana, Madrid, 1947.

Afif Turk:

- El reino de zaragoza en el siglo XI de cristo, madrid, 1978.

Bosch vila (jacinto):

- Historia de alarracin y su sierra, t.II, teruel, 1959.

Dozy (R):

-Noms de vetements, Amsterdam, 1843.

Cuichard:

-Al-Andalus, Barcelona, 1976.

Huici Miranda (Ambrosio):

- Historia musulamana de valencia y su region, valencia, 1967.

- Levi-Provencal: Histaire de L'espagne musulmane, t. III, paris, 1967

Menedez pidal (Romaon):

- La Espana, del cid, madrid, 1947.

Prieto y vives, los reyes de taifas, Madrid, 1926.

Rachel Arie:

- Aperçus sur les royaumes berberes d (aly Andalus au Ve/Xie Siecle, Le caire, 1958.

بسم الله الرحمن الرحيم

« دراسة تطبيقية لصور الاقمار الصناعية الأرضية »[1]

"The Application Study of Landsatimagery"

دكتور عبد القادر عبد العزيز على
أستاذ مساعد – كلية الآداب – جامعة طنطا

---

(١) تم الاعتماد فى هذا البحث على النتائج التى توصلت اليها منظمة الزراعة والاغذية العالمية (FAO) فى برنامجها الخاص بعمل خريطة ١ : ٥ مليون لنعرية التربة على مستوى العالم بصورة عامة ، والبحث بايران بصورة خاصة تحت عنوان :

Mitchell, C.W. and Gborashian, k., 1978; the application of landsatimagery to soil degradation mapping of Iran at 1:5000.000FAO, Rome هذا بالاضافة إلى عمل الباحث فى مجال تفسير الصور الجوية عامة ، وتفسير الاقمار الصناعية خاصة فى شرح وتحليل الظاهرات الجيومورفولوجية التى تشملها هذه الصور الجوية .

ملخص

الهدف من هذه الدراسة هو تطوير القواعد ، واستخراج أساليب التقنية الحديث فى تفسير صور الأقمار الصناعية الأرضية . والتفاؤل قائم فى المرحلة الأولى للخرائط ١ : ٥ مليون (مشروع منظم الزراعة والأغذية العالمية FAO لتعرية التربة Soil Degradation على مستوى العالم) . ثم استكمال مفتاح يمكن تطبيقه على مستوى العالم . إذ إنه باستخدام صورة الأقمار الصناعية الأرضية لايران (شكل ١) تم استخراج نوعين من الخرائط :

الأولى خاصة بالمعالم البارزة والعمليات الجيومورفولوجية ، والتى اطلق عليها مصطلح « الوحدات المورفوديناميكية » "Morphodynamic Units" بحيث تظهر الخصائص المتعلقة بتعرية التربة .

والنوع الثانى من الخرائط خاص بالغطاء النباتى واستخدام الأرض .

ومن هنا أظهرت هذه الدراسة أن صور الأقمار الصناعية الأرضية تعتبر ذات قيمة بالغة فى مراحل عمل الخرائط الخاصة بتعرية التربة ، إذ إنه أمكن معرفة الحدود الفعلية للظاهرات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية ، والمظاهر الحيوية الأخرى ، بالاضافة إلى معرفة خط الثلج ، ونمط التصريف المائى ، وأطوال الانحدارات ، ونوع الصخور ، والأراضى الملحية ، والظاهرات الجيومورفولجية الناجمة عن فعل الرياح ، وكثافة المزروعات ، وأنماط استخدام الأرض .

* * *

مقدمـــة :

أخذت أقل صورة جوية فى الستينيات من القرن الماضى والتى لم تستخدم بصورة واسعة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت معروفة كأداة حيوية فى العمليات الحربية .

وانتشارها الواسع فى التطبيق على تقييم وتحليل الموارد الأرضية بدأ فى نهاية الأربعينات من القرن الحالى فى استراليا (christian and stewart, 1947) ثم استمرت فى افريقية بعد ذلك فى الخمسينيات (Howard, 1965) . وتم انتشارها منذ ذلك الوقت فى أرجاء المعمورة . ولكن فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة ظهرت ثورة فى استخدام هذه الصور التى أمكن الحصول عليها من العديد من الأقمار الصناعية الأرضية التى انطلقت إلى الفضاء ، ومن هنا ظهرت ثوره كبيرة فى استخدام هذه الصورة التى ظهرت بطريقة جديدة ومختلفة تماما ، ليس فقط فى نوع الصورة والحساسية الخاصة بالفيلم ، بل اصبحت الصورة ذات قيمة نادرة وذلك بالتحسين الذى حدث فى الأفلام والكاميرات المستخدمة ، والتطور الأكثر أهمية المتمثل فى قدرة الحصول على اللون الحقيقى للظاهرة ، واستخدام الافلام ذات الحساسية العالية جدا ، واستخدام الصفوف من الكاميرات التى تتابع من الصور الجوية لأجزاء متعددة وزوايا مختلفة من الكرة الأرضية .

هذا التغير جعل من السهولة بمكان استخدام هذه الصورة فى المجالات التطبيقية والعلمية المتقدمة ، والتى أصبحت ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لتحليل وتفسير أى ظاهرة على سطح الأرض . كما أن صور الأقمار الصناعية الأرضية بالأشعة تحت الحمراء (I.R.) تعتبر ذات فائدة كبيرة جدا فى المسح القومى (Howard and Schwarr, 1968) هذا فضلا عن استخدام الأشعة الضوئية Visible Light أو موجات بخار الماء Water Vapour بطول موجات ما بين ٣ - ٥ ، ٨ - ١٤ ميكرون على التوالى (Mitchell and Howard, 1978) .

* * *

تحليل صور اللاندسات لايران

لقد تم استخدام صورة القمر الصناعى الأرضى (Landsat imagery) الخاصة بايران (شكل ١) كمثال تطبيقى لاظهار كيفية الاستفادة من صور الأقمار الصناعية الأرضية لتفسير الظاهرات الأرضية التى تتضمنها هذه الصورة . إذ انه يمكن استخراج نوعين من الخرائط من هذه الصورة هما :

١ - خريطة الوحدات المورفوديناميكية Morphodynamic Units (شكل ٢) .

٢ خريطة الغطاء النباتى واستخدام الأرض : [illegible] (شكل ٣) .

وسوف نعرض لكل منها بالتفصيل فى الصفحات التالية :

أولا : خريطة الوحدات المورفوديناميكية :

يمكن تقسيم مفتاح هذه الخريطة إلى قسمين كبيرين هما :

ا - التعرية Degradation

ب الردم والارساب Aggradation

القسم الخاص بالتعرية يشتمل على الأجزاء من سطح الأرض التى تم تفككها وتحللها بواسطة التجوية الميكانيكية والكيميائية ، والانهيارات الأرضية على سفح المناطق المرتفعة ، ثم تأتى بعد ذلك عوامل النحت erosion التى يقصد بها مجموعة العوامل التى يرتبط بعملها التحرك والانتقال ، والتى تعمل أثناء تحركها على إزالة المواد الصخرية المفتتة ، ونقلها بواسطة المياه الجارية والرياح والجليد التى تعتبر أهم عوامل النحت .

أما القسم الثانى الخاص بالردم والارساب فالمعروف أن عمليات الردم والارساب تلازم وتصاحب عمليات النحت ملازمة لا مفر منها ، بحيث تساهم فى ملء المنخفضات ، مما يؤدى فى النهاية إلى تسوية سطح الأرض ، وازالة ما به من تضاريس سالبة ، فهى تعمل إذاً على القاء الرواسب فى المناطق

شكل (١)
صورة لاندسات
لإيران

الهامشية من البحار والأحواض المحيطية ، وفى شتى أنواع المنخفضات التى توجد دون مستوى القاعدة ، وبذلك ترتفع هذه المظاهر التضاريسية السالبة إلى هذا المستوى .

وسوف نعرض للأقسام الصغرى المتصلة بهذه الفئات الكبرى فى الصفحات التالية :

(١) تعرية الأشكال الأرضية Degradtion Land Forms

يمكن تقسيم هذه الفئة الرئيسية إلى ثلاث فئات فرعية أساسية ، وهى : التضاريس المرتفعة ، والتضاريس المتوسطة ، والتضاريس المنخفضة .

والتضاريس المرتفعة تعنى ان الانحدار يظهر بطول كاف ، وقد يظهر فى بعض الأحيان بصورة متقطعة ، كما أنه يظهر بشكل واضح على خرائط ١ : ٥ مليون .

وإذا وجد هذا النوع من التضاريس (التضاريس المرتفعة) يظهر على الخريطة خط لا يقل طوله عن ٢ مم على مقياس ١ : ٥ مليون .

أما القسم الفرعى الثانى ، وهو التضاريس المتوسطة ، ففيه يظهر الانحدار بوضوح ، ولكنه ليس بطول كاف ، ولا يظهر على انه علامة منفصلة . وبصورة عامة يظهر على الخريطة ١ : ٥ مليون بمسافة تتراوح ما بين ٠,٢ مم - ٢ مم .

أما القسم الثالث الذى يتضمن التضاريس المنخفضة فليس له انحدار ظاهر من الصورة . ومن الصعوبة بمكان تمييزه بسهولة .

وسوف نعرض لكل نوع من هذه الأنواع الفرعية الأساسية بالتفصيل على النحو التالى :

(١ -- ١) التضاريس المرتفعة مع انحدار منتظم طويل (متعدد التحدب) : (Poly Convex)

هذه الفئة تظهر الأرض المرتفعة لكل الأنواع ، والاصطلاح الفرنسي لها ، وهو (متعدد التحدب Poly Convex) يشير إلى الاختلافات الجيومترية في المناطق الهضبية Plateau areas المقطعة بواسطة الأودية المقعرة ، والتي يطلق عليها متعددة التقعر (Poly Concave) .

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى أربعة أقسام فرعية هي :

(١ - ١٠١) مرتفعا مع قمم وحافات : Mountains With Peaks and Ridges

وتظهر هذه الفئة الفرعية على شكل انحدار طويل ، والانحدار متدرج إلى أعلى نحو القمم العديدة والمعقدة ، والتي ليس لها اتجاه محدد ، بالإضافة إلى حافات طويلة . يتضح من العلاقة بين الاختلاف في القمم والحافات من ناحية ، وبين الاتجاه الطولي للحافات من ناحية أخرى ، انها ذات دلالة واضحة لتعرية التربة على أساس هذا المقياس ، ولذلك تم تقسيمها إلى قسمين فرعيين هما :

(١ - ١٠١٠١) قمم مغطاة بالثلج .

(١ - ١٠١٠٢) قمم بدون غطاء ثلج .

وترجع أهمية هذا التقسيم الأخير إلى الاشارة إلى أن المناطق الأكثر ارتفاعا تكون مغطاة بالثلج معظم الوقت خلال العام ، وبصفة خاصة في المناطق المعتدلة (Mitchell and Howard, 1978) . وأهمية هذه الغطاءات الثلجية انها عندما تتعرض للذوبان تنساب المياه على سفوح الجبال ، وتؤدي إلى تعرية المرتفعات عن طريق التجوية الميكانيكية والتجوية الكيميائية ، وتحدث هذه الظاهرة في جبال ديماند Demavend mountains في ايران حيث القمم المغطاة بالثلج (النوع الأول) ، وحافة زاجروس في غرب ايران تظهر النوع الثاني (شكل ٢) .

(١ - ٢٠١) كتل جبلية مع منحدرات منظمة : Mountain With Smooth Slopes

يحدث هذا عندما يكون المناخ رطبا Humid والصخر أما أن يكون لينا Sofd أو منفذا Permeable هذا يجعل المنحدرات الجبلية تظهر منتظمة وأقل تنوءا Lee Jagged بالمقارنة بالأقاليم الجافة Arid Regions .

(١ - ٣٠١) الهضاب والوديان المرتفعة والمقعرات المتعددة : High Plateaux, Tabular and Poly Concave

هذه الفئة تضم السهول المرتفعة ، والتى يتخللها أودية عميقة تظهر على شكل خوانق Gorges . كما تشتمل على مناطق منخفضة مقعرة تدل على الأودية الجافة .

(١ - ١٠٤) المسيلات الرئيسية : Major Ravines

استخدمت هذه الفئة لتظهر الخوانق العميقة . مثال ذلك حوض وادى سافيد Safid الذى يمتد من جبال البرز Elburz Mountains فى شمال ايران حتى بحر قزوين .

(١ - ٢) التضاريس المتوسطة : The Medium Relief

هذه الفئة تشتمل على المناطق ذات الانحدار الواضح ، ولكنه ليس متسعا بصورة كافية ، كما أنه لا يظهر كعلامة منفصلة ، وبصورة عامة طول الانحدار بها أكبر من ٠,٠٥ سم ، ولكنه أقل من ٢ سم على الخرائط ذات مقياس ١ : ٥ مليون . وذلك لأنها تلال أكثر منها جبالا ، كما أن الانحدار أقل من ناحية الدرجة بالمقارنة بالفئة السابقة (١ - ١) .

وتتضمن هذه الفئة خمس فئات فرعية هى :

(١ - ١٠٢) تلال خشنة التقطيع (متعددة التحدب) : Coarsely dissected hills (Poly Conve)

يصبح نسيج Texture التقطيع الخاص بسطح الأرض بصورة عامة

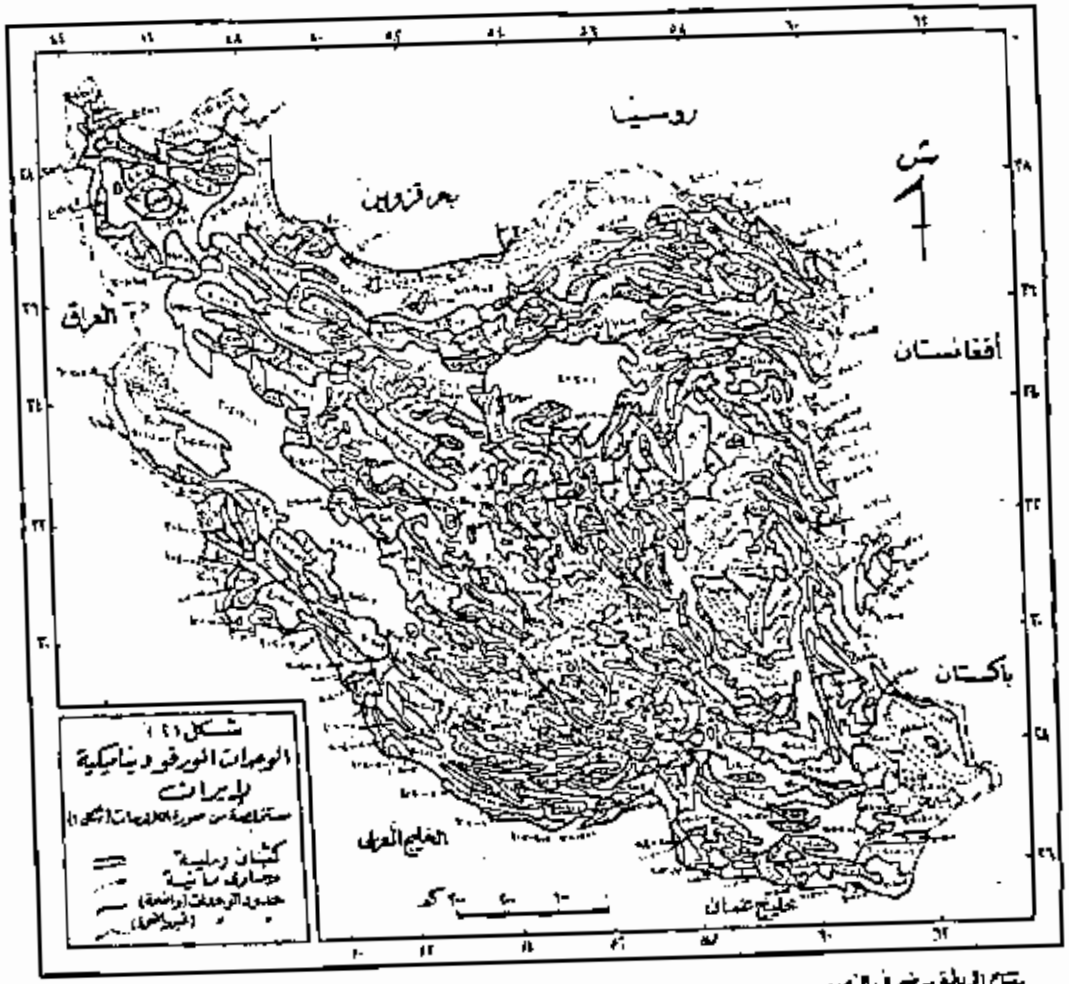

شكل (٢)
الوحدات المورفو ديناميكية لإيران
مستخلصة من صورة الاندسات (شكل ١)

مفتاح الرابطة موضح في النص

أقل ، مع زيادة السمومة وعدم التعاذية للصخر . هذه الفئة تشتمل على التلال الصلبة والصخور غير المنفذة ، وغالبا ما تكون صخوراً متحولة ونارية ، أو صخوراً صلبة رسوبية . وتنتشر هذه الفئة على نطاق واسع ، بحيث تشتمل على الصخور الجيرية والصخور البلورية فى الجزء الواقع بين جبال زاجروس فى الغرب وبين طهران وشيراز فى الشرق (شكل ٢) .

(١ - ٢٠٢) التلال الناعمة (الدقيقة) التقطيع Finely dissected hills

بالمقارنة بالفئة السابقة (١ - ١٠٢) تظهر هذه الفئة التلال الناعمة والصخور غير المنفذة ، وغالبا ما تحتوى على صفائح طينية أو حجر جيرى ناعم . ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى قسمين فرعيين هما :

(١ - ١٠٢٠٢) تلال صخورها غير ملحية .

(١ - ٢٠٢٠٢) تلال صخورها ملحية .

هذا الاختلاف ذو أهمية كبيرة عند تحليل صور اللاندسات ، وذلك لأنه يظهر فى الصورة أن الصخور غير المنحية تظهر اكثر مكانة بالمقارنة بالصخور الملحية . والصخور الملحية وجدت إلى الشمال من بندر عباس Bander Abbas فى ايران . ولكن المناطق غير الملحية ، والتى تدخل ضمن هذه الفئة (١ - ٢٠٢) منتشرة فى نطاق واسع فى الجوانب الجنوبية من سلاسل جبال البرز Elburz Range بالقرب من قمة ديمافند Demavend فى ايران (شكل ٢) .

(١ - ٣٠٢) أسافل منحدرات الجبال المرتفعة : Footslopes of Higher Mountains

هذه الفئة تظهر الجزء السفلى للمنحدر الظاهر من الجبال المرتفعة . ومثال هذه الفئة الجبال الكبيرة البركانية فى أذربيجان Azerbaijan فى ايران (شكل ٢) .

(١ - ٤٠٢) الهضاب المتعددة التقعر : Plateaux (Poly Concave)

هذه الفئة قريبة الشبه بالفئة السابقة (١ - ٣٠٢) غير أنها أقل

ارتفاعا ، أى أنها تشتمل على المنحدرات السفلية للأوديه ، كما أنها تظهر صغيرة جدا على المقياس ١ : ٥ مليون ويمكن تقسيمها إلى قسمين فرعين هما :

(١ - ١٠٤٠٢) تقطيع قليل .

(١ - ٢٠٤٠٢) أنواع أكثر تقطعا .

والأخير يظهر الجزء الخارجى المكشوف من سطح الصخر

(١ - ٥٠٢) الأودية المتعمقة : In Cised Valleys

هذه الفئة تشتمل على مجارى Courses أهم الانهار التى تعتبر مناطق حاجزة للمناطق التضاريسية المتوسطة والمنخفضة فى الأدوية المتعمقة . وهى تظهر على شكل سهول فيضية فى سطح الوادى .

وعلى النقيض من فئة التعرية الأصلية لجوانب الوادى ، تكون هذه الفئة بناءة ، وإذا ما صحّ وازدادت أهميتها ، فإنها تنضم إلى الفئة الخاصة بالإرساب والبناء Aggradational .

(١ - ٣) التضاريس المنخفضة : Low Relief

هذه الفئة الرئيسية تشتمل على الأراضى التى لا يمكن التعرف على تضاريسها بسهولة ، أو لا يمكن ادراكها Imperceptible على المقياس ١ : ٥ مليون . وهى تشتمل على الأجزاء الباقية من السهول والأسطح المنخفضة والحمادات Hamadas .

والفئات الفرعية من هذه الفئة وضعت على أساس الكمية المتطورة من أسطح الأخاديد والمناطق المعزولة من الأراضى البركانية .

(١ - ١٠٣) المناطق غير الأخدودية : Unchannelled

تتضمن هذه الفئة الفرعية ما تبقى من الأجزاء المتخلفة من الحمادات فى المناطق الصحراوية ، مع عدم رؤية سطح مناطق أو سهول التصريف فى أى مكان ، حيث أن الأمطار قليلة جدا ، وتبعا لذلك فإن أسطح القنوات غير

(١ - ٢٠٣) القنوات غير المتصلة : Discontinuous Channels

هذه الفئة تختلف عن الفئة السابقة (١ - ١٠٣) اذ انه يوجد بها بحار نهرية أو قنوات . وتظهر هذه القنوات "Channels" على المقياس ١ : ٥ مليون (شكل ٢) . وهى مع ذلك قليلة ، أو غير مستمرة ، أو كلاهما معا . كما أنها تظهر على شكل مجموعة من الاتجاهات العديدة ، وغالبا ما تحتوى على أحواض للتصريف الداخلى .

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى ثلاثة أقسام هى :
(١ - ١٠٢٠٣) بدون صخر مكشوف أو ظاهر .
(١ - ٢٠٢٠٣) مع صخور مكشوفة وواضحة .
(١ - ٣٠٢٠٣) رواسب رملية .

(١ - ٣٠٣) شقوق على شكل قنوات : Channelled

هذه الفئة تختلف عن الفئات السابقة (١ - ١٠٣) ، (١ - ٢٠٣) وذلك لأن بها مجموعة من القنوات التى سببتها الأمطار الغزيرة ، وسهولا كثيرة الانحدار . وهذه القنوات بها انثناءات Meanders كما تظهر فى كثير من الأحيان أنماط من التصريف الاشعاعى أو المتوازى .

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى فئات فرعية وهى :
(١ - ١٠٣٠٣) بدون صخور ظاهرة على السطح .
(١ - ٢٠٣٠٣) مع وجود صخور ظاهرة على السطح .

(١ - ٤٠٣) الفعل الهوائى الواضح والكثبان الرملية : With consapicuous eotion action and dunes

هذه الفئة توجد عندما يتم تخفيض السهل التحاتى بسرعة بواسطة الرياح التى تعتبر هنا أقوى عامل تعرية بالمقارنة بالمياه . والقنوات والعلامات الأخرى لعمل المياه ربما تظهر أيضاً .

(١ - ٥٠٣) التدفقات البركانيه : Volcanic Flows

يمكن التعرف على هذه الفئة بسهولة من صور الأقمار الصناعية الأرضية (شكل ١) وذلك من اللون الداكن ، وأنماط التدفق ، وفوهة البركان Craters وجيوب من الضوء الأبيض الذى يحتوى على الأبخرة ، وبخار الماء الذى يصاحب خروج البركان .

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى ثلاث فئات فرعية هى :

(١ - ١٠٥٠٣) تظهر الملامح الخشنة للتدفق الأصلى .

(١ - ٢٠٥٠٣) عمليات التجوية تبدأ عملها فى تحليل وتفكك الصخر .

(١ - ٣٠٥٠٣) الملامح الخاصة بخروج اللافا البركانية كما أن عنق البركان مازال ظاهرا على السطح وبقايا التدفقات مازالت ظاهرة على السطح أيضا .

(٢) الأشكال الأرضية الناشئة عن الإرساب : Aggradational Land Forms

تضم هذه الفئة الرئيسية أشكال سطح الأرض التى نشأت عن الإرساب .

توجد ستة أقسام رئيسية تظهر عملية التشكيل والأصل فى هذا القسم الكبير ، وسوف نعرض لكل منها بشىء من التفصيل على النحو التالى :

(٢ - ١) سهول الأنهار الرئيسية Plains of Major Rivers

تحتوى هذه الفئة على المناطق الفيضية Alluvial areas على طول الأنهار الرئيسية التى ترسبت بواسطتها ، وتظهر متدرجة Scroll كما يظهر نمط مجارى الانشاءات المهجورة ، والانشاءات المقتطعة . ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى أربعة أقسام فرعية هى :

(٢ - ١٠١) السهل الفيضى الناشىء عن الانشاءات النهرية :

Flood PLain Meander

هذا القسم هو فصل فى المناطق المعمورة in-Undated area بالقرب من النهر الذى يظهر مدرجات حديثة من الانشاءات المهجورة . وهذه المناطق تروى فى الأقاليم الجافة عادة .

(٢ - ٢٠١) السهل الفيضى المغطى : Cover Flood Plain

هذه المناطق تبعد عن الأنهار والتى نادرا ما تغمر بالمياه اثناء الفيضان حيث المدرجات المرتبطة بالانشاءات القديمة والمهجورة للأنهار . غطاء السهل الفيضى عادة ما يكون ذا تربة خصبة ، وغالبا ما يروى فى الأقاليم الجافة ، ويمكن أن ترتفع بها نسبة الملوحة .

(٢ - ٣٠١) الأراضى الملحية : Salinized areas

هذه الفئة عبارة عن البقع tracts من السهول الفيضية للانهار الرئيسية التى تبقى بدون استخدام بسبب الملوحة Salinity . وهذه تتركز فى الأقاليم الجافة وشبه الجافة . ويمكن التعرف عليها من الموقع الخاص بها ، وعلاقتها بالمصادر التى تمدها بالمياه التى تحدد نسبتها من حجم الروافد ، وتوزيع قنوات الرى ، والمياه الخارجة ، خاصة عندما تكون مرتبطة بأراضى المستنقعات المغلقة .

(٢ - ٤٠١) الدالات : Deltas

إذا وصل النهر إلى شقة بحرية فانه يلقى معظم ما يحمله من رواسب ، وذلك لأن تياره يبطؤ ، ولأن مياه البحار المالحة تعمل على تعقيد واندماج Coagulation جزئيات الطمى الناعمة التى يحملها النهر ، ولهذا نجد أن الدالات تنمو فى المياه المالحة بسرعة تفوق نموها وتقدمها فى مياه البحيرات العذبة . وتظهر على انها تضاريس منخفضة فى شكل مروحي يتخلله انشاءات القنوات المدفونة ، ومؤشرات متكررة تبين سطح المياه ، وتصريف غير جيد . وفى أقصى الحدود الشاطئية عادة تتقطع بواسطة الساحل الطويل عن طريق التيارات البحرية ، والتى تحدث عادة مستنقعات وبحيرات ساحلية . مثال ذلك دلتا النيل

رود Sfid Rud فى بحر قزوين ، وقارون Karun فى الخليج العربى بايران (شكل ٢) .

(٢ ٢) سهول الأنهار الثانوية أو الفصلية : Plains of Minor or Seasonal Rivers

هذه الفئة تختلف عن الفئة السابقة (٢ ١) حيث ان الأنهار لها أجزاء بسيطة من التصريف ، وسهول التصريف الخاصة بها محدودة ، وتأخذ شكل المدرجات ، والقوام أكثر خشونة ، ومياه جوفية قريبة من السطح . ويمكن أن تكون كثيفة جدا عندما يحدث اندماج عدد من الأنهار حول حوض تصريف داخلى واسع .

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى أربعة أقسام فرعية هى :

(٢ ٢ ١) مخاريط فيضية ، مراوح فيضية ، وبجادات : Alluvial Cones, Alluvial Fans, and Bajadas :

تتشابه الدلتات المروحية (المراوح الفيضية) ، تشابها كبيرا مع الدلتات من حيث طريق التكوين ، مع وجود فارق رئيسى بينهما ، وهو ان الدلتات المروحية (المراوح الفيضية) تتكون فوق سطح الأرض ، وليس فوق قاع بحر أو محيط ، فإذا انحدر نهر متدفق عارم على طول سفح جبلى مرتفع شديد الانحدار ، إلى أرض منخفضة واسعة ذات سطح مستو ، فلابد أن يلقى النهر بكل حمولته من الرواسب عند مخرجه من المنطقة الجبلية ، فتبدو هذه الرواسب على شكل مروحة ، بحيث تنتشر فوق الأرض المنخفضة التى توجد عند أقدام السفح الجبلى . وتظهر قمة هذه الدلتا المروحية a Pex عند النقطة التى تبدأ الرواسب فى الانتشار منها بهذا الشكل المروحي ، وقد تتكون فى بعض الأحيان مخاريط فيضية Alluvial cones عندما يشتد نسبياً انحدار سطح الأرض التى تتراكم عليها الرواسب عند اقدام المرتفعات ، نتيجة وجود عدد كبير من الأنهار القصيرة التى تنحدر من هذه المرتفعات إلى الأرض السهلية المنخفضة .

أما البجادات Bajadas فهى عبارة عن مناطق المراوح الفيضية المتحمة ، بعضها مع البعض الآخر على طول مقدمة الجبال . وتوجد أمثلة واضحة على هذه الظواهر الجيومورفولوجية فى ايران على طول المنحدرات الجنوبية لجبال البرز Eldurz Mountains بالقرب من طهران (شكل ٢) .

(٢ ٢٠٢) سهول حطامية مع قنوات متعرجة : Detrital Plains With (Sinuous) Channels :

تشتمل هذه الفئة على جميع السهول الحصوية التى تظهر بعض القنوات السطحية ولكنها متسعة بصورة واضحة بالمقارنة بالمراوح والبجادات . والملامح الخاصة بها مستقاة أساسا من مناطق الجبال المتسعة ، وتنتشر على بعد من ظاهرة المراوح ، حيث ان الظاهرة الأخيرة تتميز بأن قوام التربة بها ناعم .

(٢ – ٣٠٢) الأودية حطامية الحشو : Detrital Valleys

تختلف هذه الفئة عن الفئة السابقة (٢ – ٢٠٢) حيث تظهر هذه الفئة على أنها سهول حطامية طويلة وضيقة بين جانبين ظاهرين وواضحين تفصل بينهما قناة واضحة (شكل ٢) .

(٢ – ٤٠٢) الدالات : Deltas

هذه الدالات الخاصة بالأنهار الصغيرة بالمقارنة بالدالات التى تم تحليلها فى الفئة (٢ – ٤٠١) . كما أنها تتميز بأنها صغيرة ومتدرجة وحطامية وجافة . مثال ذلك دالات نهر تالكى Talkey إلى الجنوب من تبريز Tabriz وزارنيش Zarineh وتاتاق Tatavi إلى الجنوب من ميانداوب Miandowab قبل ان تلتقى ببحيرة ريزايه Rezaiyeh Lake (شكل ٢) .

(٢ ٣) سهول بدون قنوات سطحية : Plains Witout Surface Channels

تختلف هذه الفئة عن الفئة السابقة (١ ٣) من ناحية ، والفئات (١ – ٢) ، (٢ ٢) من ناحية أخرى ، بحيث لا يوجد قنوات سطحية يمكن رؤيتها . وهى بصفة عامة قليلة ونادرة ، وأكثر امتواء ، وتربتها ناعمة فى تركيبها ، وأكثر تعرضا للتعرية الهوائية ، كما انها ملحية (فى المناطق الجافة)

ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى :

(٢ ١٠٣) السهول الحطامية : Detrital Plains

فى هذه الفئة تظهر السهول الحطامية بحيث لا توجد نباتات طبيعية تغطى المنطقة ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين هما :

(٢ - ١٠١٠٣) سهول حصوية Gravel Plains تعرف بسهول الرق

(٢ - ٢٠١٠٣) سهول بها قليل جدا من المزروعات والنباتات الطبيعية نتيجة لسقوط بعض الأمطار .

والنوع الأول يظهر فى الجزء الجنوبى من داشات كيفر Dasht-i-Kevir على خط عرض ٣٣° شمالاً وخط طول ٥٥° شرقاً فى إيران (شكل ٢) .

(٢ - ٢٠٣) المنخفضات فصلية الفيضان (بلايا) : Seasonably Flooded Depressions (Playas)

توجد بحيرات داخلية ذات نظام تصريف داخلى . وهذه تنتشر بصورة واسعة فى الأقاليم الجافة ، ولكنها تختفى فى أى مكان آخر . والمظهر الجيومورفولوجى يظهر فى صورة بحيرات وتكون أكثر استواء وذات مستوى واحد تقريبا على سطح الأرض . مع وجود بعض البروزات التى لا تزيد على بضعة سنتيمترات ، والسطح دائما يخلو من المزروعات تقريبا ، ويخلو من الشقوق كثيرة التفرعات . وتركيبها ناعم ولكنها عادة ملحية ، ويمكن التعرف عليها بسهولة من صور اللاندسات . من أعظم الأمثلة على ذلك الغطاءات الملحية (البلايا) فى داشت كيفر Dasht-i-Kevir فى ايران (شكل ٢) .

(٢ - ٤) الأراضى الرطبة : Wet Lands

تشتمل هذه الفئة على جميع الأراضى التى غالبا ما تغطى بالمياه . ويمكن تقسيم هذه الفئة إلى أقسام أصغر وهى :

(٢ - ١٠٤) البحيرات أو المستنقعات الفصلية : Seasonal Lakes or Marshes:

هذه الفئة تختلف عن (٢ - ٢٠٣) حيث تطول فى الأنهورة فترة الغمر السنوية ، ومن (٢ ٢٠٤) حيث ان المياه التى توجد بها عذبة ، وليست مياه مالحة . ومن هنا نجد أن البحيرات والمستنقعات الفصلية ظاهرة أساسية فى الأقاليم الجافة وشبه الجافة ، إذ أنها غالبا ما تكون ملحية مع بعض النباتات الملحية التى غالبا ما تكون كثيفة .

(٢ - ٢٠٤) المد والجزر فى البحيرات أو المستنقعات Tidal Lakes of Marshes

المناطق المغمورة تعتمد أساسا على الجزر والمد ، وليس على النظام الفصلى ، وهذه ظاهرة توجد فى أى نطاق من النطاقات المناخية ، بحيث يكون نطاق الجزر والمد كبيرا ، وقوام التربة به ناعما . وتوجد هذه الظاهرة فى الساحل الايرانى مقابل جزيرة قاسم Qeshm Island (شكل ٢) .

(٢ - ٣٠٤) مستنقعات المنجروف (شجر استوائى) : Mangrove Swamps

هذه الفئة يمكن ان تعرف ايكولوجيا بأنها حالة جيومورفولوجية خاصة ، وهى شبيهة بالفئة السابقة (٢ - ٢٠٤) ولكنها تختلف عنها فى تركيب التربة المغمورة ، كما أن درجة الحرارة بها تسمح بنمو أشجار المانجروف الاستوائية الساحلية .

(٢ - ٥) حافات شاطئية والأراضى المستنقعية المنخفضة : Beach ridges and Swales

تشتمل هذه الفئة على الشواطىء المغطاة بالحصى Shingle والرمال Sand ، وغالبا ما توجد على شكل حافات أو أراض مستنقعية منخفضة موازية الشاطىء ، كما أن الرمال غالبا ما تظهر ذات الوان ناصعة البياض .

(٢ ٦) الكثبان والفرشات الرملية Dunes and Sand Sheets

توجد حيثما تغطى الرمال التى هى من نتاج الارساب الهوائى نسبة حوالى ٥٠٪ من سطح المنطقة . ويمكن تقسيمها إلى :

(٢ - ١٠٦) الكثبان الرملية Dunes

وتتكون هذه الكثبان من الرمال بأحجام مختلفة ، وتنتشر بصورة عامة فى الصحارى ، وتأخذ أشكالا مختلفة ، بعضها هلالى (برخان) أو طولية ، أو سيوف (غورد) وتتوقف هذه الأشكال على اتجاهات الرياح السائدة التى تعتبر المسئولة عن تكون هذه الكثبان الرملية بالدرجة الأولى .

(٢ - ١٠٦) الفرشات الرملية : Sand Sheets

هذه الفئة تختلف عن الفئة السابقة (٢ - ١٠٦) إذ أنها تظهر على شكل فرشات مستوية ، وليس لها أية دلالة تضاريسية . والرمال عادة ما تكون على شكل غطاء رقيق فوق الصخور الأصلية .

خريطة الوحدات المورفوديناميكية

(شكل ٢)

مفتاح الخريطة موضح في الجدول رقم (١) بالنص

مستخلصة من خريطة الاطلس بشكل (١)

(ثانياً) الدليل الخاص بخرائط الغطاء النباتى واستخدام الأرض :

The Vegetal Cover and Land Use Maping Legend

الدليل النهائى لخريطة الغطاء النباتى واستخدام الأرض موضح فى الجدول رقم (١) حيث يتضمن شرحا للوحدات التى تتضمنها الخريطة (شكل ٣) الخاصة بايران .

(انظر Mitchell and Howard, 1978)

جدول رقم (٢)

الدليل العالمى الخاص بالغطاء النباتى واستخدام الأرض للخرائط ١ : ٥ مليون العالمية لتعرية التربة

(١) الغطاء النباتى ٪	الفئة	(٢) نوع النبات	الرمز	(٣) النوع السائد لاستخدام الأرض	الفئة	(٤) النسبة المئوية لفئات استخدام الارض (٪)
				لايوجد	صفر	الرقم الذى يشير الى النسبة المئوية لاستخدام الارض ثم اضافته فى الخريطة رقم (٣) المرفقة بحيث لاتقل هذه النسبة عن ٥٠٪
٠ – ١	صفر	غابات Woody	W	ارض المراعى حشائش متروكة	١	
١ – ٢٠	١	حشائش Grassy	R	زراعة تقليدية	٢	
٢٠ – ٤٠	٢			زراعة غير تقليدية	٣	
٤٠ – ٦٠	٣			اراض مروية	٤	
٦٠ – ٨٠	٤			غابات	٥	
٨٠ – ١٠٠	٥			غابات رئيسية	OP	
				غابات ثانوية	OS	
				مانجروفا	OH	

أمثلة لشرح الرموز الموضحة فى الجدول رقم (١) السابق :

(١٠٢) = ٢٠ – ٤٠٪ للغطاء النباتى مع أراضى المراعى والحشائش المتروكة

فى الاستخدام السائد للأرض .

EW: OS (٦٠) = ٦٠ - ٨٠٪ للغطاء النباتى والغابات هى السائدة .

وتغطى منها ٦٠٪ بواسطة الغابات الثانوية .

الدلائل المناخية : Idicatfons of Climate

يمكن أيضا التعرف على بعض الأدلة المناخية من محتويات صور اللاندسات فيما يلى :

ا - **ذبذبات المطر** : يمكن التعرف من صور اللاندسات على المناطق غزيرة المطر من شكل النباتات الطبيعية ، والمناطق نادرة المطر بسيادة الجفاف بها ، كما أن الأراضى الزراعية بها تعتمد أساسا على الرى .

ب - **درجة الجفاف** : يمكن أيضا باستخدام صور اللاندسات التعرف على درجة الجفاف The Degree of Aridity ذلك عن طريق التعرف على صور الارساب الهوائى بصورة عامة ، والكثبان الرملية بصورة خاصة ، من حيث حجمها وأنواعها ، إذ أن وجودها يدل دلالة واضحة على شدة الجفاف ، وندرتها وزيادة الغطاء النباتى الطبيعى يدل على انخفاض درجة الجفاف . هذا ويمكن التعرف على درجة الجفاف من شكل النبات الطبيعي وكثافته .

الخاتمـــة :

هذا العمل أظهر بوضوح أنه يمكن عمل نوعين من الخرائط باستخدام صور اللاندسات وهما :

١ - الخرائط المورفوديناميكية .

٢ - خرائط الغطاء النباتى واستخدام الأرض .

ولقد تم تحليل جميع ما يشمله هذان النوعان من الخرائط مع التطبيق على ايران ، وذلك لأنها تمثل المرحلة الأولى لامكان تطبيق هذا العمل على حوالى ثمانية عشر قطرا ، تقع فى اقاليم مناخية متباينة ، بحيث يقع بعضها فى النطاق الصحراوى الجاف ، وبعضها فى المناطق المدارية وشبه المدارية ، وبعضها الآخر فى اقليم البحر المتوسط .

(أنظر Bleeker, 1978, FAO/UNEP, 1978

Hielkma, 1977, Mitchell and Ghorashian, 1978

ويوجد احتمال ايضا لايجاد النوعين السابقين من الخرائط اللذين تم استخلاصهما من صورة اللاندسات الخاصة بايران (شكل ١) والموضحين فى الشكلين (٢ ، ٣) بأن تظهر فى خريطة واحدة ، يطلق عليها « تصوير الأرض الديناميكى Photogeodynamic Map" ويمكن استخلاص أية ظاهرة طبيعية أو بشرية من هذه الخرائط الأخيرة . (أنظر : Riquier, 1978) .

ومهما يكن الأمر فانه تم وضع الصيغة الأخيرة للمفاتيح الخاصة بالخرائط الديناميكية من ناحية ، وخرائط استخدام الأرض والغطاء النباتى من ناحية أخرى ، لكي تظهر الخبرة المكتملة وخبرة كل المشروع ، وقد أمكن التصديق على المفتاح العالمى ، وأصبح شاملا يمكن تطبيقه على أى جزء من العالم ، إذا توفرت صورة الأقمار الصناعية الأرضية (Landsat) لهذا الجزء . ومن هنا امكن الحصول على معلومات قيمة ومفيدة من صور اللاندسات مقياس ١ : ٥ مليون ويمكن اجمال هذه المزايا فيما يلى :

(١) معلومات عن نحت / ردم وارساب سطح الأرض .

(٢) معلومات عن التضاريس من حيث أنواعها ، وارتفاعاتها ، وأحجامها ، وموقعها .

(٣) امكان تحديد الأراضى المنعزلة التى تسيطر عليها الارسابات الهوائية ، أو صور ارساب المياه الجارية أو البحيرات الملحية ... الخ .

(٤) معرفة معلومات عن الغطاء النباتى ، من حيث نوعه ، وكثافته ، وتوزيعه .

(٥) معرفة معلومات عن استخدامات الأرض الرئيسية . يمكن الحصول على هذه المعلومات السابقة من صور اللاندسات لأى اقليم فى العالم . وذلك باتباع الطريقة نفسها التى اتبعت لصور اللاندسات الخاصة بايران .

* * *

المراجـــع

- Blecker, P.,1978;

The application of landsat imagery to soil degradation mapping at 1:5 000,000 of Gambia, Guinea, Sierra Leore, and parts of senegal, Liberia and Ivory coast. remote sending unit, FAO, Rome.

- christian, C.S. and stewart, G.A., 1947;

General report on land classfication (North Australia Region Survey) C.S.I.R.O.

- FAO/UNEP, 1978;

Report on the FAO/UNEP expert Consultation on methodology for assessing soil degradation. Rome. 25-27 January, 1978. UNEP/FAO cooperative project No. 1106-75-50 entitled world assessment of soil degration.

- Hielkma, J.U., 1977;

Application og landsat data in desert locust Survey and control. Dedert locust satellite Application Project Stage II.

Report AGP: Lec 177/11, AGD
(RS) 15177, FAO, Rome.

- Howard, J.A., 1965;
Small scale photographs and land resources in nyamweziland, East Africa, Photogram Eng. Voll. 32, PP. 287-293.

Howard, I.A., and Schwarr, D.C., 1968;
Role and application of high altitude aerial Photography in the humid tropics, With secpial refernce to Sierra Leone, FAO, Rome.

- Mitchell, C.W., and Ghorashian, K., 1978;
The applicatian of landsat imagery to soil degradation mapping of iran at 1:5 000, 000, FAO, Rome.

- Mitchell, C.W., and Howard, J.A., 1978;
The application of landsat imagery to the Soil degradation mapping at 1:5 000, 000, FAO, Rome.

- Riquier, J.1978;
A methodology for assessing soil degradation. Background paper L in FAO/UNEP expert consultation on methodology for assessing

Soil degradation, Rome, 5-27 january, 1978

World Assessment of Soil Degradation

(Project No. 1106-75-05),. Rome.

PP. 35-59.

الزراعة والتنمية الاقتصادية
بالمملكة العربية السعودية

دراسة تطبيقية لمنطقة القصيم

دكتور علي أحمد هارون
كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
المملكة العربية السعودية

شعبان ١٤٠٧ هـ (أبريل ١٩٨٧ م)

مقدمة

تسعى المملكة العربية السعودية الى توسيع القاعدة الانتاجية بهدف تنويع مصادر الدخل وذلك من خلال خطط التنمية المتتابعة . وتعطى المملكة أهتماماً خاصاً للقطاع الزراعى بهدف تأمين الغذاء وعدم الاعتماد على استيراده من الخارج كما تهدف الى تنويع مصادر الانتاج ورفع المستوى المعيشى للريف ، والى زيادة الدخل القومى .

وقد بدأ هذا الاهتمام يعطى ثماره بشكل ملموس فى السنوات الأخيرة ، ويمكن ادراك ذلك بشكل واضح من خلال البحث .

والبحث يلقى الضوء على التنمية الزراعية فى المملكة بشكل عام ويركز على منطقة القصيم بشكل خاص معتمداً على المنهج الموضوعى والتحليل الاحصائى للبيانات المتاحة عن قطاع الزراعة مستهدفاً بيان أهمية القطاع الزراعى كقطاع يؤدى دوراً هاماً فى تنويع وتقوية البنيان الاقتصادى بالمملكة ، والوقوف على طبيعة النمو الحالى لهذا القطاع والعوامل المحددة لهذا النمو ، وتوضيح مدى فعالية سياسة التنمية الزراعية .

والبحث يعتمد فى مصادره على بيانات خطط التنمية والاحصاءات السنوية العامة ، والنشرات الاحصائية الزراعية والنتائج العامة للتعداد الزراعى الشامل التى تصدر عن وزارة الزراعة والمياه بالمملكة ، وعلى البحوث والدراسات الميدانية والمراجع التى تناولت الموضوع ، كما يعتمد على احصاءات الأمم المتحدة .

وقد واجهت الدراسة مشكلات عدم توفر الاحصاءات الحديثة الا إذا كانت تقديرية أو بالعينة ، وكذلك عدم اتفاق الاحصاءات فى بعض الاحيان خاصة المتصلة بالعمالة الزراعية المساحات القابلة للزراعة ، وانتاج بعض المحاصيل ، ومقدار المياه الجوفية المستغلة والمخزون منها . لكننا حاولنا الاخذ بما

نراه أقرب للواقع من وجهة نظرنا فى ضوء البيانات المتاحة خاصة الرسمية منها .
ولعلنا نكون قد حققنا بهذا الجهد الغاية من البحث .

وعلى الله قصد السبيل .

الزراعة والتنمية الاقتصادية بالمملكة العربية السعودية
دراسة تطبيقية فى منطقة القصيم

أولا : التنمية الاقتصادية بالمملكة :

١ - مفهوم التنمية الاقتصادية :

المقصود بالتنمية هو مجموعة الاعمال المترابطة فى فترة زمنية محددة بهدف إيجاد نشاط اقتصادى لتطوير العمل الاقتصادى أفقياً ورأسياً استناداً على واقع قائم وتصور للمستقبل ضمن إطار إستراتيجى عام[١] .

وتعد التنمية الوسيلة الحقيقية لمكافحة التخلف فى المجتمع ، وهى الأداة التى يستطيع المجتمع أن يحقق بها أهدافه ، وهى العملية الشاملة لتطوير الاقتصاد الوطنى وتحقيق الاستقلال الاقتصادى للوطن عن طريق اكتشاف موارده واستثمارها وزيادة الانتاج وتعديل الاقتصاد الوطنى وتغيير التوازن المختل فى التجارة الخارجية وبالتالى تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية والتخلف والارتباط بالاسواق الاجنبية[٢] .

والتنمية عملية مستمرة وليست متوقفة لأن طموحات ومتطلبات الشعوب لا تتوقف عند حد ، واجراءات التنمية تأتى لمواجهة تطور الشعوب فى المأكل والملبس والمسكن .

فالتنمية مزيج من المعايير الموضوعية التى تسهم فى تحديد اتجاهات العمل[٣] ، والسياسات الناظمة له ، والتنظيمات والاجراءات التى يمكن العمل بموجبها للوصول الى أهداف محددة فى ضوء القيم والغايات التى يرتضيها المجتمع ويتقبلها عن طيب خاطر . ولذلك فإن أختيار المجتمع لاستراتيجية معينة يجب أن يكون نابعاً من قيمه وأهدافه وفى ضوء موارده وامكاناته .

والتاريخ الاقتصادى الحديث للمملكة[٤] يعود الى ٢٦ من جمادى الأولى عام ١٣٥١ هـ عندما أعلن قيام المملكة العربية السعودية . وقد كان اقتصاد المملكة حتى ذلك الحين وحتى اكتشاف البترول يتركز فى الاقتصاد المعيشى

المتمثل فى الزراعة والرعى والتجارة بهدف الاكتفاء الذاتى ، ولذلك كان طبيعياً أن تسلك المملكة طريق التنمية خاصة بعد أن تضخم حجم الأعمال وازداد عدد السكان وفاق الطلب العرض ، مما استوجب مواجهة هذا الموقف بخطط تنموية تهدف الى مايلى : —

- زيادة الناتج القومى .
- زيادة الدخل الفردى السنوى والارتقاء به سنة بعد أخرى .
- تأمين حاجات السكان ومتطلباتهم .
- زيادة الايرادات عن المصروفات لزيادة نسبة الادخار القومى .
- زيادة الخدمات الصحية والتعليمية تبعاً لتزايد السكان .
- زيادة حجم العمالة ورفع مستوى أدائها باعتبارها هدفاً فى حد ذاته وأداة انمائية فى نفس الوقت .
- تحسين نمط وتوزيع الثروة والدخل القومى .
- استغلال الموارد الطبيعية وربطها بالمصالح الوطنية .
- تدعيم البحث العلمى والتكنولوجيا الملائمة .
- العمل على التخلص من التبعية الاقتصادية .

ولتحقيق تلك الأهداف يجب توفر الوسائل الكفيلة ببلوغها فى حدود الموارد الممكنة ، والخبرة المتوفرة ، والسيولة اللازمة لذلك ، وتحديد برامج التنفيذ ، لأن ربط أهداف التنمية بالوسائل الفعالة لبلوغها يعد من أهم المشكلات التى تواجه خطط التنمية .

وتختلف التنمية من بلد لآخر ، ففى البلدان المتقدمة تكون التنمية فى العادة شاملة ومتوازنة تعمل على تحقيق التكامل بينها وبين القطاعات التى تؤدى تنميتها الى تنشيط القطاعات الأخرى . أما فى البلدان النامية فتبدأ التنمية غالباً فى بعض القطاعات القائدة ، ثم تتبعها بالتنمية الشاملة المتوازنة فيما بعد وذلك لأن برامج التنمية للقطاعات المختلفة لا تتحقق لها الوسائل الكفيلة ببلوغها فى كثير من الأحيان ، فقد لا تتوفر لها الوفورات المادية أو الخبرة الفنية أو السوق الواسعة .

وعمليات التنمية التى تمت فى المملكة العربية السعودية حققت نجاحاً كبيراً (جدول ١) ، واستطاعت تفادى الجوانب السلبية للتنمية التى عانت منها كثير من الدول النامية ، فلم تقتصر التنمية على قطاع واحد بل شملت كل القطاعات (جدول ٢) فى جميع مناطق المملكة متضمنة ثلاثة أبعاد : البعد الاقتصادى ، والبعد الاجتماعى ، والبعد التنظيمى .

ومن أبرز اهتمامات البعد الاقتصادى لخطط التنمية القطاع الزراعى .

٢ - التنمية الزراعية بالمملكة :

المقصود بالتنمية الزراعية هو تلك الجهود وبرامج التنمية التى تهدف الى تحقيق الرخاء الاقتصادى والاجتماعى للسكان عن طريق تحقيق أقصى انتاج ودخل ممكن للزروع النباتية والحيوانية من خلال أفضل استغلال ممكن للموارد الأرضية والبشرية والرأسمالية والتكنولوجية المتاحة .

وبذلك يمكن القول بأن التنمية الزراعية تضم جميع العمليات التى ترتبط بالقطاع الزراعى وتنمية موارده رأسياً وأفقياً ، وذلك لأن أهمية القطاع الزراعى بالمملكة لا تقتصر على أهميته الاستراتيجية التى تهدف الى زيادة الانتاج المحلى من الغذاء فحسب وانما تمتد الى ابعد من ذلك ، فهى تعد قاعدة الانتاج التقليدية بالمملكة ، وهى تستوعب جزءاً كبيراً من السكان فى المناطق الريفية التى يقطنها نحو نصف سكان المملكة ، كما أن الزراعة من شأنها تأمين الغذاء للتحرر من التبعية ولمواجهة نقص الغذاء فى العالم الذى ترتب عليه ارتفاع أسعار الموارد الغذائية ارتفاعاً كبيراً فى السنوات الأخيرة .

وتقوم الزراعة بامداد الصناعة بعدد من العمالة التى تفيض عن حاجتها ، وهى تعد مصدراً من مصادر المواد الخام الزراعية اللازمة للصناعة ، وسوقاً لتصريف المنتجات الصناعية سواء المنتجات الاستهلاكية أو مستلزمات ووسائل الانتاج الزراعية ، كما تساعد الزراعة على التخفيف من الضغوط التضخمية المترتبة على تحويل العمالة من الزراعة الى الصناعة وما يترتب على ذلك من زيادة فى الدخول تؤدى الى زيادة فى الطلب على الغذاء وبالتالى يؤدى الى ضغوط

جدول (١)

الناتج المحلي الاجمالي ومعدل النمو السنوي للمملكة العربية السعودية

(١٣٩٠ / ١٣٩١ - ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ) (بالأسعار الجارية)

السنوات	القطاع البترولي		القطاع غير البترولي		اجمالي الناتج
	بليون ريال	الاجمالي ٪	بليون ريال	الاجمالي ٪	بليون ريال
١٣٩١/١٣٩٠	١٤ر١	٦٢ر٤	٨ر٥	٣٧ر٦	٢٢ر٦
١٣٩٢/١٣٩١	١٨ر٤	٦٦ر٢	٩ر٤	٣٣ر٨	٢٧ر٨
١٣٩٣/١٣٩٢	٢٨ر١	٧٠ر٣	١١ر٩	٢٩ر٧	٤٠ر٠
١٣٩٤/١٣٩٣	٧٩ر٨	٨٤ر٠	١٥ر٢	١٦ر٠	٩٥ر٠
١٣٩٥/١٣٩٤	١١١ر١	٧٩ر٨	٢٨ر١	٢٠ر٢	١٣٩ر٢
١٣٩٦/١٣٩٥	١١٦ر٦	٧١ر١	٤٧ر٣	٢٨ر٩	١٦٣ر٩
١٣٩٧/١٣٩٦	١٣٦ر٢	٦٦ر٨	٦٧ر٧	٣٣ر٢	٢٠٣ر٩
١٣٩٨/١٣٩٧	١٣٢ر٩	٥٩ر٨	٨٩ر٩	٤٠ر٢	٢٢٣ر٨
١٣٩٩/١٣٩٨	١٤٠ر٤	٥٦ر٧	١٠٧ر٢	٤٣ر٣	٢٤٧ر٦
١٤٠٠/١٣٩٩	٢٥٠ر٠	٦٥ر٢	١٣٣ر٥	٣٤ر٨	٣٨٣ر٥
١٤٠١/١٤٠٠	٣٥٩ر٠	٦٩ر٣	١٥٩ر٠	٣٠ر٧	٥١٨ر٠
١٤٠٢/١٤٠١	٣٣٦ر٦	٦٤ر٥	١٨٥ر٦	٣٥ر٥	٥٢٢ر٢
١٤٠٣/١٤٠٢	٢٠٦ر٢	٥٠ر١	٢٠٥ر٦	٤٩ر٩	٤١١ر٨
١٤٠٤/١٤٠٣	١٦٦ر٢	٤٣ر٧	٢١٤ر٢	٥٦ر٣	٣٨٠ر٤
١٤٠٥/١٤٠٤	١٤٢ر٥	٣٩ر٨	٢١٥ر٦	٦٠ر٢	٣٥٨ر١

- الجدول من اعداد الباحث .

المصدر :

(١) بيانات خطة التنمية الثانية والثالثة والرابعة للمملكة العربية السعودية .

(٢) وزارة التخطيط بالمملكة ، منجزات خطط التنمية ١٣٩٠/ ١٤٠٥ هـ .

(٣) مؤسسة النقد السعودي - التقرير السنوي لعام ١٤٠٤ هـ .

جدول ٢

الناتج المحلي الاجمالي حسب النشاط الأقتصادي بالمملكة العربية السعودية

(١٣٨٩ / ١٣٩٠ - ١٤٠٩ / ١٤١٠ هـ)

القطاع	١٣٨٩-١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩٦-١٣٩٥هـ ١٩٧٥م	الناتج المحلي الاجمالي بالمليون ريال (بالاسعار الجارية) ١٣٩٦-١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٤٠٤-١٤٠٥هـ ١٩٨٥م	١٤٠٩-١٤١٠هـ ١٩٩٠م
القطاعات الانتاجية					
الزراعة	٩٨٤ر١	١٤٠٩ر-	٤٦٤٨ر٣	١٠٠٧٥ر٣	٩٤٤٢ر٩
القطاعات التعدينية والمحاجر	٤٦ر٧	١٧٥ر٣	١٣٦٠ر٧	١٥٩٤ر٥	٢٠٨١ر-
الصناعات التحويلية	١٦٧٢ر١	٨٣٩٦ر٥	٦٤٦٦ر٥	١٣٥٣٣ر٦	٢٠٦١٢ر-
البتروكيماويات	-	-	-	-	٥١٤٩ر٢
الكهرباء والغاز والماء	٢٧٣ر١	٣٣٣ر٣	٣٧٠ر٨	١٤٨٦ر٩	١٠١٤ر٣
البناء والتشييد	٩٣٣ر١	٤٣٦٦	٤٢١٠٧ر٦	٤٥٥٤١ر(	٣٤٨٥٢ر٦
قطاعات الخدمات :					
التجارة والمطاعم والفنادق	١٠٠٧ر٥	٢٥٨٠	١٧٧٥٩ر٧	٢٧٥١١	٣٠٦٢٦ر٢
النقل والتخزين والمواصلات	١٢٤٤ر٥	٣٦٣٧ر٨	١٠٧٤٨ر٦	٢٣٤٣٠ر٦	٢٨٣٠٤ر-
ملكية دور السكن	٦٦٤	١٦٣٦ر٧	١٠٩٦٢ر٣	١٢٣٩٤ر٩	١٢٩٧١ر-
المالية والتأمين وخدمات الاعمال	٣٥٤ر٧	٨٩٥ر٢	٤٥٧٤ر٥	١٦٦٩٥ر٦	١٣٠١٧ر٢
الخدمات الاخرى	٢٣٨ر٣	٥١٢ر(	٥٢٦ر(	١١٠٥٧ر١	٩١٤٠ر٢
خدمات الحكومة	١٦٥٧	٣٦٠٠	٢٣٣٨٣ر٨	٤٧٠٠ر١	-
الحكومة					
القطاعات غير البترولية	٧٨٠٢	١٩٩٩٠ر٥	١٣٣٥٤٣ر٢	٢١٥١٢٧ر٧	١٩٧٣٣٦ر١
القطاعات البترولية	٩٣٤٧ر٢	١٢٨٧٢٦ر٧	٢٥٠٠٤٦ر٤(	١٤٢٤٨٨ر٥	١٤٨٥٦٢ر٢
اجمالي الناتج المحلي	١٧٣٦٥ر٢	١٤٨٨٠٠	٢٥٠٠٤٦ر(	٣٥٨١١٦ر٢	٣٤٠٨٦٨ر٢

(١) الجدول من اعداد الباحث .

(٢) البيانات من خطط التنمية الثانية والثالثة والرابعة (وزارة التخطيط بالمملكة) .

تضخمية[٥] اذا لم يقترن ذلك بزيادة فى الانتاج الزراعى لمواجهة الزيادة فى القوة الشرائية . كما تؤدى الزراعة الى رفع مستويات الدخول وتحسين مستويات المعيشة فى المناطق الريفية مما يساعد على إيجاد التوازن السكانى ويقلل من النزوح الى المدن . كما تؤدى التنمية الزراعية الى تطور المراعى والغابات وإلى تنمية الثروة السمكية والمحافظة عليها ، وإلى تنمية الموارد المائية وحسن استغلالها وإلى أستغلال الأراضى التى لم تكن مستغلة من قبل مما يؤدى الى التوسع فى إجمالى الرقعة الزراعية .

وفى سبيل تحقيق أهداف خطط التنمية الزراعية اتخذت المملكة عدداً من الخطوات التى تساعد على ذلك من أهمها :

(أ) تقديم الحوافز (جدول رقم ٣) فى مختلف ميادين الانتاج الزراعى لتشجيع العاملين فى هذا القطاع لزيادة الانتاج .

(ب) إنشاء مراكز للبحوث الزراعية والعناية بالأرشاد الزراعى لرفع الكفاية الانتاجية للأراضى الزراعية وادخال سلالات جديدة وتطوير السلالات الحالية .

(جـ) تقديم القروض الممولة للمشاريع الزراعية (جدول ٤) .

(د) انشاء العديد من المشروعات بهدف تنمية الموارد المائية لخدمة التنمية الزراعية ومنها :

- انشاء عدد من السدود (جدول ٥) لتنمية وزيادة المصادر المائية باتباع طرق مختلفة حسب الظروف الهيدرولوجية والهيدرولوجية التى تسود المنطقة المراد تحسين مواردها المائية . وتعد إقامة السدود على الأودية والشعاب إحدى تلك الطرق . والسدود أنواع : من ناحية شكلها وارتفاعها والمواد المستخدمة فى بنائها ، والغرض من إنشائها فبعض هذه السدود تخزينية وبعضها تحويلية ، وأخرى تقلل من سرعة جريان مياه السيول والفيضانات ومنها ما ينشأ لحفظ المياه لأطول وقت ممكن مع السماح لها بغمر أرضية الوادى وضفافه وبالتالى زيادة مخزون المياه الجوفية[٦] عن طريق تغذيتها بمياه السهول والفيضانات (شكل ١) .

جدول رقم (٣)
حوافز الانتاج الزراعي بالمملكة العربية السعودية

البيـــان	مقـدار الدعـم
أسمـدة	٥٠ ٪ من التكاليـف
أعلاف الماشية	٥٠ ٪ من التكاليـف
تقاوى بطاطس	٥ طن مجانا ثم بعد ذلك ١٠٠٠ ريال للطن بحد أقصى ١٥طن .
معدات دواجن	٣٠ ٪ من التكاليـف
معدات ألبان	٣٠ ٪ من التكاليـف
آليات ومضخات	٥٠ ٪ من التكاليـف
نقل الأبقار جوا	١٠٠ ٪ من التكاليـف
القمـح	٢ ريال للكيلو جرام (وقد كانت ٣ر٥ ريال للكيلو جرام خلال الفترة من ١٣٩٩ حتى ١٤٠٤هـ .
الذرة الصفـراء	٢٥ر ريال للكيلو جرام
الشعـير	١٥ر ريال للكيلو جرام
التمـور	٢٥ر ريال للكيلو جرام
النخيـل	٥٠ ٪ ريال من زراعة كل نخلة .
توزيع الأراضـي	بدون مقابـل

المصدر وزارة التخطيط - المملكة العربية السعودية خطة التنمية الرابعة
(١٤٠٥ هـ - ١٤١٠ هـ)

جدول رقم (٤)

الحركة العامة للأقراض بالبنك الزراعي لقطاع الزراعة بالمملكة

من ١٣٨٤ / ١٣٨٥ هـ الى ٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ

القروض	القروض القصيرة الأجل		القروض المتوسطة الأجل		جملة القروض	
عام	العدد	القيمة	العدد	القيمة	العدد	القيمة
١٣٨٤/١٣٨٥	٥١	١٣١٠	٥٧٣	٤,١٥٨,٥٩٨	٦٤٥	٤,٣٨٩,٥٩٨
١٣٨٥/١٣٨٦	١٤١	٢٩١,٨٩٤	٦,٧٨١	٨,٦٣٢,٥٦١	١,٩٢٢	٨,٩٢٧,٤٢٥
١٣٨٦/١٣٨٧	٨٨٥	١,٠٨٢,٧٠٠	٢,٢٦١	١٢,٠٩٩,٩٠٠	٣,١٤٦	١٣,١٨٢,٩٠٠
١٣٨٧/١٣٨٨	١,٢٣١	٢,٥٤٢,٠٠٠	٢,٥٠٠	١٠,٤٧٧,٨٠٠	٣,٧٣٢	١٢,٠١٩,٨٠٠
١٣٨٨/١٣٨٩	١,١٢٧	١,٦٧٥,٣١١	٢,٤٤٧	١٢,٤٠٠,٧٨٤	٣,٦٧٤	١٣,٨٧٧,٠٩٥
١٣٨٩/١٣٩٠	٢,٧٩٣	٣,٠٠٨,٨٥٤	٢,٥٦٣	١٣,١٢٧,٢٧٣	٤,٣٥٦	١٦,١٣٦,١٢٧
١٣٩٠/١٣٩١	١,٧٤١	٢,٥٧٥,٢٢٢	٢,٦٤٠	١٤,٠٥٢,٤٠٩	٤,٣٨١	١٦,٦٢٧,٦٢٨
١٣٩١/١٣٩٢	٩,٢٣٤	١,٢٦٥,٦٦٥	٢,٦٢١	١٤,٢٩٢,٤٤٦	٣,٨٥٥	١٦,٥٥٨,١٠٧
١٣٩٢/١٣٩٣	١,٥٣٧	١,٩١٦,٢٩٢	٢,٩٤٠	١٦,٦٧٧,٢٣٤	٤,٤٧٧	١٩,٥٩٣,٥٢٦
١٣٩٣/١٣٩٤	١,٧٤٥	٣,٥٤٤,٧٩٠	٣,٦٧٣	٣٢,٧٥٩,٠٩٥	٥,٤١٤	٣٦,٣٠٣,٨٠٥
١٣٩٤/١٣٩٥	٣,٨٣٥	٧,٦٨١,٦٩٥	١٢,٤١٦	١٣٨,٣٢٣,٧٤٣	١٦,٢٥١	١٤٥,٥٠٥,٤٣٨
١٣٩٥/١٣٩٦	٣,٠٧٣	٨,٢٤٣,٧٧٣	١٦,٦٦٩	١٦٦,١٨٩,٣٩٣	١٩,٧٠٤	٢٦٦,٤٣٣,١٦٦
١٣٩٦/١٣٩٧	٣,٦٣٣	١٧,٢٨٨,٠٩٨	١٧,٧٤٤	٤٧٢,٥٥٠,٢٦٣	٢١,٣٧٧	٤٨٩,٨٣٨,٣٦١
١٣٩٧/١٣٩٨	٣,٥٧٤	٤٣,٧٩٣,٣٤١	١٦,٧٢٦	٥٤٩,٩٥٤,٩٢٧	٢٠,٢٩٨	٥٨٥,٦٦٨,٢٦٨
١٣٩٨/١٣٩٩	٤,٦٠٦	١٥,٢٨٥,٧٠٥	١٩,١٤٦	٦٩٣,٧٨٦,٢٥٧	٢٣,٧٥٨	٧٠٩,٠٧١,٩٦٢
١٣٩٩/١٤٠٠	٣,٥٥٧	٢٢,٧٣٤,٣٧٦	١٩,٢٢٥	١,١٠٥,٩٥٤,٧٣٦	١٩,٧٨٢	١,١٢٨,٦٨٦,١٠٧
١٤٠٠/١٤٠١	٩,٣٦٠	٣٩,١٢٦,٤٦١	٣٥,٨٦٨	٢,٤٩١,٦٤٠,٠٦٠	٤٥,٤٢٨	٢,٥٣٠,٨٦٦,٤٨١
١٤٠١/١٤٠٢	٥,٥٥٦	٢٩,٤٥٦,٣٩٨	٣٩,٨٩٠	٢,٩٠٣,٤٤٥,٦٦٣	٣٧,٤٤٦	٢,٩٣٢,٩٠٢,٠٦٩
١٤٠٢/١٤٠٣	٣,٤٥٤	٢٥,٤٧٠,٨٤١	٣٥,٤٣٢	٤,١٤٠,٧٥٧,٠٦٦	٣٨,٨٨٦	٤,١٦٦,٠٢٧,٩٣٧
١٤٠٣/١٤٠٤	١,٧٥٩	١٨,٥٦٠,٥٨٧	١٢,٠٨٥	٣,٤٧٧,٢٥٢,٦١٢	٢٣,٨٤٤	٣,٤٩٥,٧٦٣,١٩٩
١٤٠٤/١٤٠٥	١,٠٢٤	١٧,٣١٥,٩٣٠	١٢,٧٢٦	٢,٣٠٤,١٨٤,٤٤٣	١٤,٧٤٦	٢,٣٢١,٨٠٠,٣٧٣
الجملة	٥٤,٩٩٥	٣٦٣,٢٦٤,٧٨٤	٢٦٦,٨٤٥	١٨,٦٦٩,٩١٤,٢٨٠	٣١٦,٨٤٠	١٨,٩٣٣,١٧٩,٠٦٤

المصدر : التقرير السنوي لبنك الزراعي العربي السعودي لعام ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ .

جدول رقم (٥)

سدود منفذة وتحت التنفيذ بالمملكة العربية السعودية

اسم السد	المنطقة	طوله بالمتر	ارتفاعه بالمتر	نوعه	سعته التخزينية بالمليون م ٣
سدود منفذة					
حنيفة	الرياض	٣٩٠	٩٫٥	ترابي	١٫٣٠
لبن	الرياض	٥٠٠	١٢	ركامي	٢٫٠٠
نمار	الرياض	٤٠٠	٨	ركامي	١٫٥٠
العلب	الدرعية	٣٨٠	٩٫٥	خرساني	٣٫٠
الحائر	الرياض	٤٠٠	٢٤	خرساني	٣٫٨٠
صفار	الدرعية	٣٢٥	٥	ترابي	٠٫٣٠
غبيراء	الدرعية	١٧٠	٦	ترابي	٠٫٠٩
حريقة	الدرعية	١٩٠	٦	ترابي	٠٫٠٨
جلاجل	سدير	٦٣٠	١١٫٦٠	ترابي	١٫٧٥
ملهم	سدير	١٠٠	٥	ترابي	٠٫٢٠
حريملاء	سدير	١٢٥٠	٦	ترابي	١٫٥٠
المجمعة	سدير	٣٦٠	٨	ركامي	١٫٣٠
نادق	سدير	٨٥٠	٧	ترابي	٢٫٠
روضة سدير	سدير	٥٥٤	١٤	ترابي	٣٫٠
الخاط	سدير	٢٥٠	١١	ترابي	١٫٠
الغالة	الباحة	٦٠	٧	خرساني	٠٫٢٠
جيزان	جيزان	٣١٦	٣٥	خرساني	٥١٫٠٠
صعب	الطائف	٢٩٠	١٠	ترابي	٠٫٥٠
أبها	أبها	٣٥٠	٣٣	خرساني	٢٫٤٠
بطحان	المدينة	٢٦٦	١٢	خرساني	٠٫٥٠
عكرة	الطائف	٣٠٠	٨	ركامي	٠٫٤٠
شقراء	الوشم	٩٠	١٠	ركامي	٠٫٢٠
مارد	الاسياح	٥٠٠	٧	ترابي	٤٫٣
عقدة	حائل	١٠٠	٧	ترابي	٠٫١٠
الصلف	حائل	٢٢٠	٦	ترابي	٠٫١٥
رابغ	رابغ	٨٠٠	٦	ترابي	تحويلي
مرات	الوشم	١١٠	١٢	خرساني	٠٫٤٠
القرعة	المدينة	٤٥٠	١٥	ترابي	٢٫٠٠
الرمة	القصيم	٧٠٠	٧	خرساني	١٫٥٠
العاب	المدينة	٦٥٠	١١	ترابي	١٫٠٠
حمله	عسير	١١٠	١٢	ركامي	١٫٠٠
الصعرات	سدير	١٩٠	١٣	ركامي	١٫٠٠

/ يتبع /

تابع جدول رقم (٥)

سدود منفذة تحت التنفيذ بالمملكة العربية السعودية

اسم السد	المنطقة	طوله بالامتار	ارتفاعه بالامتار	نوعه	سعته التخزينية بملايين الامتار المكعبة
سروم	عسير	٧٥	١٣	خرساني	١ر٠٠
نجران	نجران	٢٥٠	٦٠	خرساني	٨٥ر٠٠
الشعراء	الدوادمي	٩٥	١١	خرساني	١ر٠٠
حنايج	الدوادمي	٧٠٠	٧	ترابي	٣ر٥٠
سدوس	سدير	٥٢٠	٧	ترابي	٠ر٧٠
العاقول	المدينة	٤٥٠	١١	خرساني	٧ر٠٠
سنان	الزلفي	١٥٠	٢١	ركامي	١ر٥٠
الشرايع	المدينة	٥٠٠	٨ر٥	ترابي	٠ر٠٨
سواة عبيدة	عسير	٢٨٠	٢٢	ركامي	١ر٥٠
سدود تحت التنفيذ					
لية	الطائف	١٩٠	٤٥	ركامي	١٠ر٠٠
تربة	الطائف	٣٨٠	٢١	خرساني	٢٠ر٠٠
الغيل	الافلاج	١٢٦	١١ر٥	خرساني	٢ر٥٠
نساء	بلقرن	١٤٥	١٥	خرساني	ر٣٢٥

- الجدول من اعداد الباحث .

- مصدر البيانات : مصطفى نوري عثمان .

الماء ومسيرة التنمية في المملكة العربية السعودية جده ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م

مشروع ترى وانصرف بالاحساء الذى يهدف الى تنظيم وترى المزارع وزيادة الرقعة الزراعية وصرف المياه الزائدة فى المصارف بدلا من ركودها على سطح التربة وإفسادها وقد بلغ طول القنوات الخرسانية التى أنشئت لهذا الغرض ١٥٠٠ كم وذلك بدلا من القنوات الترابية . كما بلغت المساحة المزروعة حالياً نحو ١٢٠٠٠ هكتار والخطة تهدف الى زيادتها الى ٢٠٠٠٠ هكتار .

مشروع حرض الذى يعد أحد المشروعات الهامة التى تهدف الى استصلاح مساحة واسعة من الأراضى البور التى تتوفر بها المياه الجوفية بكميات كبيرة فى حرض بوادى السهباء ما بين الرياض والهفوف ، حيث قدر أن ما يمكن الحصول عليه من المياه يصل الى ٢٤٠ الف متر مكعب يومياً لمدة مائة عام ، وهو يرمى الى رى مساحة ٤٠٠٠ هكتار .

مشروع تنمية وادى الدواسر الذى يقع فى جنوب المنطقة الوسطى والذى يعتمد على تكوين الوجيد الخزان الجوفى الهام فى المنطقة . ويهدف هذا المشروع الى استصلاح ٣٠ الف هكتار على مراحل .

مشروع تحسين الرى والصرف بدومة الجندل الذى يقع فى الشمال الغربى بالمملكة ، وتأتى مياهه من تكوين الجوف وتبوك . ويهدف هذا المشروع الى زراعة ١٥٠٠ هكتار والى توفير شبكة رى مغلقة توفر الماء الكافى لكل مزرعة بالاضافة الى شبكة صرف كاملة ، كما يهدف الى الغاء الآبار القديمة وحفر آبار جديدة بديلة عنها .

تنقية مياه المجارى لاعادة استخدامها للاستفادة منها فى الصناعة والزراعة[٧] بعد معالجتها ، والمتوقع أن يزداد الاهتمام بهذا المورد المالى ليرتفع انتاجه (جدول ٦) .

اتخذت خطوات للمحافظة على المياه وذلك بحظر حفر الآبار فى بعض المناطق إما لقلة مائها أو لأن كمية الماء المسحوبة من خزانات المياه الجوفية أكثر مما تستعيضه تلك الطبقات كما فى وادى فاطمة ومنطقة المدينة المنورة ، وكذلك حفر آبار عميقة فى تكوين المنجور فى منطقة الرياض وسدير والوشم ووادى سماح الا لأغراض الشرب ، وعدم الحفر فى بعض المناطق

جدول رقم (٦)
مياه الخارى المتوقع توفرها لمعاد استعمالها

المدينة	عام ١٤١٠ هـ بالألف متر مكعب		عام ١٤٢٠ هـ بالألف متر مكعب	
	يوميا	سنويا	يوميا	سنويا
الرياض	٢٩٢	١٠٤	٤٥٦	٢٣٧
جدة	٢٧١	٩٦	٤٤١	١٥٦
مكة المكرمة	١١٢	٤٠	١٨٤	٦٥
المدينة المنورة	٦١	٢١	١٠١	٣٥
الطائف	٥١	١٨	٧٥	٢٦
الدمام	٦٥	٢٣	١٢٢	٤٣
المدن الداخلية الأخرى	١٧١	٦٠	٣٣٦	١١٩
المدن الساحلية الأخرى	٨٨	٣١	١٧٣	٦١
مدن سكانها أكثر من ٥٠٠٠ نسمة	١١	٤	٧٤	٢٦
المجموع	١١٢٣	٣٩٧	١٩٦٢	٦٩٤

المصدر : مصطفى نورى عثمان

- الماء وسنوة التنمية فى المملكة العربية السعودية جده ١٤٠٤ هـ .

لانقطاع مسلوب المياه بسبب رداءة بناء الآبار المتدفقة تلقائياً التي أدت الى تكوين المستنقعات وهددت الصحة العامة وأدت الى انكماش الرقعة الزراعية في القطيف ودومة الجندل بالخوف .

- وضع برنامج لردم الآبار التالفة التي تتدفق منها المياه دون تحكم بسبب سوء تنفيذها أو رداءة المواد المستخدمة فيها ، فقد تم ردم نحو ٣٠ بئر في بريدة ونحو ٧٠ بئر في القطيف ، ويجرى العمل على ردم المزيد من الآبار في المناطق الأخرى .

وقد ترتب على الاهتمام بمشاريع التنمية الزراعية نجاح كبير يمكن ادراكه فيما يلي :

- زيادة مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الاجمالي (جدول ٢) ، اذ يلاحظ أن معدلات نمو الزراعة موجبة ولم تتعرض لمعدلات نمو سالبة كالتي يتعرض لها البترول الذي يعد من أهم القطاعات . فقد حقق القطاع الزراعي نمواً قدره ٧ر٨ في حين كان المستهدف ٤ر٥٪[٨] خلال خطة التنمية الثالثة (١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ) .

ومن الجدول نلاحظ ارتفاع الناتج المحلي الاجمالي في قطاع الزراعة من ٩٨٤ مليون ريال في عام ١٣٨٩/ ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) الى ٤٦٤٨ مليون ريال في عام ١٣٩٩/ ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ، والى نحو ١٠٥٧٥ مليون ريال في عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

- ارتفاع معدل توزيع مساحة الأراضي البور (جدول ٧) في المملكة[٩] منذ صدور نظام توزيع الأراضي ، فقد ارتفعت المساحة من ٧ر٥ الف هكتار في عام ١٤٩٥ هـ الى نحو ٢٥٣ الف هكتار الموزعة في عام ١٤٠٣ هـ . وبلغ اجمالي الأراضي الموزعة خلال الفترة من ١٣٩٥ - ١٤٠٣ هـ نحو ٤٠٦ر٥ الف هكتار .

ارتفعت المساحة المحصولية في المملكة بشكل عام من ٤٣٤٨ الف هكتار في عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) الى ٩٩٨٣[١٠] الف هكتار عام ١٤٠٤/

جدول رقم (٧)
مساحات الأراضي البور الموزعة على الأفراد والشركات بالمملكة
(١٣٩٥ هـ - ١٤٠٣ هـ)

السنة	أراضي وزعت على الافراد		أراضي وزعت على الشركات		اجمالي المساحة الموزعة بالهكتار
	عدد	المساحة بالهكتار	عدد	المساحة بالهكتار	
١٣٩٥ هـ	٧٦٧	٥٢٠٦ر٥	٣	٥٢٠	٥٧٢٦ر٥
١٣٩٦	١٨٩	١٠٩١ر٢	٣	١٢٠٠	٢٢٩١ر٢
١٣٩٧	٩٧١	٥٦٨٢ر٢	٣٠	١٠٠٦ر٩	٦٦٨٩ر١
١٣٩٨	٤١٤٠	٣٤٢٠٤ر٨	٢١	-٤٢٩ر	٣٤٦٣٣ر٨
١٣٩٩	١٥٥٩	٧٨١٢ر٧	١٧	٥٢٣ر٢	٨٣٣٥ر٩
١٤٠٠	٦٠٢٥	٢٩٠١٧ر٧	٢٩	٢٦٦١ر٦	٣١٦٧٩ر٣
١٤٠١	١٢٢٥	٦٢٨٥ر٦	٧٦	٨٩٦٧ر٩	١٥٢٥٣ر٥
١٤٠٢	٢٧٠٩	١٤٤١٢ر٦	١٢٤	٣٤٦٩٠ر٧	٤٩١٠٣ر٣
١٤٠٣	٨٤٨٠	٤٧٦٩٥ر٤	٦٤٣	٢٠٥٠٣٠ر٩	٢٥٢٧٢٦ر٣
الاجمالي	٢٦١١٥	١٥١٤١١ر٧	٩٣٦	٢٥٥٠٣٠ر٢	٤٠٦٤٤١ر٩

الجدول من إعداد الباحث

المصدر : مؤسسة النقد العربي السعودي

التقرير السنوي العام لعام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .

١٤٠٥ هـ (١٩٨٤/ ١٩٨٥م) أى بزيادة أكثر من الضعف خلال خمس سنوات (جدول ٨)

ارتفع حجم القروض الزراعية (جدول ٩) التى تدفعها البنوك من ١٢٩٨ مليون ريال فى عام ١٣٩٩/ ١٤٠٠ هـ الى ٢٣٢٢[١١] مليون ريال فى عام ١٤٠٤ هـ أى بزيادة الضعف خلال خمس سنوات مما يعكس حركة النمو فى قطاع الزراعة .

- ارتفع الانتاج الحيوانى (جدول ١٠) نظراً لارتباط سياسة التركيب المحصولى بسياسة الانتاج الحيوانى والثروة المائية ، والارتفاع بالانتاج الحيوانى والثروة السمكية الى مستويات تسمح بتغطية الاحتياجات الغذائية من البروتين ، ويسمح بتحرير جزء من المساحات الأرضية التى كانت تزرع بمحاصيل الانتاج النباتى من حبوب أو بقول . فالمعروف أن غذاء الانسان وغذاء الحيوان يتنافسان على الموارد الأرضية وأن تخصيص جزء من المساحات الأرضية لتوفير الغذاء للحيوان يترتب عليه تضيق نطاق المساحات المخصصة للانتاج النباتى ، ولذلك فان السياسة المحصولية تتطلب مراعاة تحقيق التوازن فى تخصيص الموارد الأرضية بين غذاء الانسان وغذاء الحيوان[١٢] .

- ظهرت نشاطات صناعية تعتمد على الزراعة لم تكن موجودة من قبل مثل تعبئة الخضروات والفاكهة وصناعة الألبان ومنتجاتها التى تعد من الصناعات الهامة التى اتجهت نحوها الاستثمارات ، كما برزت صناعة تعبئة التمور وصناعة العجائن الغذائية والمكرونة والبسكويت وصناعة الخبز .

- لقد أدى الاهتمام المتزايد بالانتاج الزراعى فى السنوات الأخيرة الى تطور درجة الاكتفاء الذاتى فى الموارد الغذائية حيث انخفضت الأهمية النسبية للمواد الغذائية فى مجموع الواردات بالمملكة (جدول ١٠) .

فقد حققت المملكة فائضاً فى محصول القمح (جدول ١١) وأصبحت مكتفية الى حد كبير بالخضروات والبيض والألبان[١٣] .

- على الرغم مما سجله الانتاج الزراعى من نمو مطرد خلال سنوات الخطط

جدول رقم (٨)

المساحة المحصولية لمناطق المملكة العربية السعودية

١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٠ - ١٩٨٥ م)

المنطقة	المساحة المحصولية بالدونم			
	١٤٠٠هـ (١٩٨٠)	٪	١٤٠٥هـ (١٩٨٥ م)	٪
المنطقة الشرقية	١٨٦٩٢٥	٤ر٣	٢٤٧٤٤٥	٢ر٤٨
الرياض	٦٦٣١٧٧	١٥ر٣	٣٤٨٧١٤٨	٣٤ر٩٤
القصيم	٣٨٩٣٧٩	٩ر-	٢٥١٢٠٤٣	٢٥ر١٦
حائل	٩٥٦٩٩	٢ر٢	٥٠٧٧٧٥	٥ر٠٩
المنطقة الشمالية (*)	٦٥٨٦٣	١ر٥	٤٥٢٩٢٨	٤ر٥٤
المدينة المنورة	٩٠٩٩٢	٢ر١	١٠٧٤٨٥	١ر٠٨
مكة المكرمة	٩٨٨٦٥٠	٢٢ر٧	٧٧٠٢٥٥	٧ر٧٢
عسير	٣٩٢٠١٩	٩ر-	٤٤٨٨٧٧	٤ر٥٠
الباحة	١٢٨٤٢٥	٣ر-	١٠٥٨٤٩	١ر٠٦
جيزان	١٢٣٨٨٩٣	٢٨ر٤	١٢٣٨٩٦١	١٢ر٤١
نجران	١٠٨٣٩١	٢ر٥	١٠٣٧٨٢	١ر٠٤
اجمالي المملكة	٤٣٤٨٤١٣	١٠٠	٩٩٨٣٠٤٨	١٠٠

- الجدول من إعداد الباحث .
- مصدر البيانات :
- وزارة الزراعة ، إدارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء
- النتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل لامارات المملكة ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ (١٩٨١/ ١٩٨٢م)
- النشرة السنوية للاحصاءات الزراعية ١٩٨٤ / ١٩٨٥ م
- د. عبد الرحمن الصادق الشريف ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٩٨٢ م .
- المنطقة الشمالية تشمل تبوك والجوف والقريات والحدود الشمالية

جدول رقم (٩)

حركة الاقراض والمساحات المخدومة بقروض البنك الزراعي العربي السعودي

خلال العام المالي ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤م / ١٩٨٥)

المنطقة	قيمة القرض	٪	المساحة المخدومة بالقرض بالدونم				الجملة	٪
			المستثمرة	٪	المستور	٪		
الرياض	٥٧٠ر٦٩٦ر٦٢٩	٢٤ر٦	١٣٨ر٣٢٣	٢٤ر١	١ر٤٠٣ر٣٢٣	٣٦ر٩	١ر٥٤١ر٦٤٦	٣٥ر٣
جدة	٦٠ر٠٢٦ر٤٣٢	٢ر٦	١٢ر٩٤٦	٢ر٣	٦٢ر٣٧١	١ر٦	٧٥ر٣١٧	١ر٧
بريدة	٥٦١ر٧٠٩ر٥٦٢	٢٤ر٢	١٦٨ر٤٩٠	٢٩ر٤	٩٨١ر١٥٩	٢٥ر٨	١ر١٤٩ر٦٤٩	٢٦ر٣
أبها	١٢٠ر٠٢٦ر٥٥٨	٥ر٢	٣٧ر٣١٥	٦ر٥	٧٩ر٨٦١	٢ر١	١١٧ر١٧٦	٢ر٧
الهفوف	١٤٧ر٤١٩ر٣١٢	٦ر٣	١٨ر١٣٩	٣ر٢	١٣٨ر١٤١	٣ر٦	١٥٦ر٢٨٠	٣ر٦
المدينة المنورة	١٠٦ر٢١٢ر٠٨٩	٤ر٦	٤٣ر٣٧٦	٧ر٦	٢٣٠ر٢٩٣	٦ر١	٢٧٣ر٦٦٩	٦ر٣
حائل	١١٣ر١١٦ر٩٨٤	٤ر٩	١٧ر٧٣٦	٣ر١	١٤٤ر٠٣١	٣ر٨	١٦١ر٧٦٧	٣ر٧
الجوف	٤٥ر١٩٦ر٣٣٥	١ر٩	٣٠ر٢٥٧	٥ر٣	٤٣ر٧٦٦	١ر٢	٧٤ر٠٢٣	١ر٧
جيزان	٢٦ر٣٥٨ر٣٥٩	١ر١	٨ر٧٩٥	١ر٥	٤٠ر٦٢٦	١ر١	٤٩ر٤٢١	١ر١
تبوك	٧٩ر٢٣١ر٨٩٩	٣ر٤	٦ر٢٢٧	١ر١	٣٠ر٥٢٩	٨ر—	٣٦ر٧٥٦	٨ر
الخرج	٣٧٨ر١٦٤ر٣٧٨	١٦ر٣	٧١ر١٨٦	١٢ر٤	٥٥٧ر٤٦٣	١٤ر٧	٦٢٨ر٦٤٩	١٤ر٤
الطائف	١١٣ر٥٦٣ر٨٣٤	٤ر٩	٢٠ر٣١٦	٣ر٥	٨٥ر٤٧٠	٢ر٣	١٠٥ر٧٨٦	٢ر٤
الجملة	٢ر٣٢١ر٨٠٠ر٣٧٣	١٠٠	٥٧٣ر١٠٦	١٠٠	٣ر٧٩٧ر٠٣٣	١٠٠	٤ر٣٧٠ر١٣٩	١٠٠

– الجدول من اعداد الباحث .

– البيانات : التقرير السنوي للبنك الزراعي العربي السعودي لعام ١٤٠٤ هـ / ١٤٠٥ هـ .

جدول رقم (١٠)

الانتاج المحلي والاستيراد والاستهلاك من بيض المائدة والدجاج واللحوم بالمملكة خلال الفترة ١٣٩٩ - ١٤٠٢ هـ

السنة / البيـــان	١٣٩٩هـ	١٤٠٠هـ	١٤٠١هـ	١٤٠٢هـ
دجاج بياض (مليون)	٢ر٧٥٢	٣ر٧٥٠	٥ر٠٧٦	٥ر٥٢١
بيض المائدة				
الانتاج المحلي	٥٥١ر٥	٧٥٠ر١	١٠١٢ر٠	١١٢٤ر٠
الاستيراد	٢٦٩ر٣	٢٣٢ر٣	٢٠٥ر٠	١٧٢ر١
مجموع الاستهلاك (مليون)	٨٢٠ر٨	٩٨٢ر٤	١٢١٧ر٠	١٢٩٧ر٤
نسبة الانتاج المحلي للاستهلاك ٪	٦٧ر٢	٧٦ر٤	٨٣ر٢	٨٦ر٦
دجاج لحم (طن)				
الانتاج المحلي	٣٩٦١١	٤٠٠٠٠	٦٨١٩٤	٧٩٨٨٣
الاستيراد	١٥٠٥٠٠	١٧٠٠٣١	١٧٣٥١٣	١٩٦٣٧١
مجموع الاستهلاك (طن)	٥٤٠١١١	٥١٠٠٣١	٢٤١٧٠٧	٢٧٦٢٥٤
نسبة الانتاج المحلي للاستهلاك ٪	٢٠ر٨	١٩ر١	٢٨ر٢	٢٨ر٩
أنواع اللحوم الحمراء (طن)				
انتاج محلي	١٤٦٢٨	١٢٤٦٥	٢٥٥٤٠	٢٨٢٤٦
استيراد	١٧٥٠٥٦	١٩٢١٢٠	٢٢٤٦٠٤	٢٧٠٦٥٠
المجموع	١٨٩٦٨٤	٢٠٤٥٨٥	٢٥٠١٤٤	٢٩٨٩٩٦
نسبة الانتاج المحلي الى الاستهلاك الكلي ٪	٧ر٧	٦ر١	١٠ر٢	٩ر٥
اللحوم البيضاء* (طن)				
انتاج محلي	٥٨٦١١	٩٦٠٠٠	٩٧١٩٤	١٠٨٨٨٢
استيراد	١٥٩٩٣٧	١٨٣٧٨٠	١٨٩٧٧٦	٢٢١٥١٢
المجموع	٢١٨٥٤٨	٢٧٩٧٨٠	٢٨٩٧٣	٣٣٠٣٩٤
نسبة الانتاج المحلي الى الاستهلاك الكلي ٪	٢٦ر٨	٣٤ر٣	٣٣ر٩	٣٣

- الجدول من إعداد الباحث .

- مصدر البيانات . وزارة الزراعة والمياه - ادارة الثروة الحيوانية .

جدول رقم (١١)
انتاج المحاصيل الهامة فى المملكة والقصيم والأهمية النسبية للقصيم
١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ / ١٩٨٥ م)

المحصـــول	انتاج المملكـة	انتاج القصـيم	٪
القمـــح	٢٠٤٧٦٥٣	٦٤٣٦٨١	٣١ر٤
الذرة الشامية	٣٢٠	٧١	٢٢ر٢
الطماطم (صيفي)	١٦١٠٠٢	١٦٣٦٨	١٠ر٢
السمسم	١٦٨٠	١١٢	٦ر٧
البطاطس	٨٧٦٩	١٧٦٨	٢٠ر٢
الجـزر	٢٥٤٧٦	٢٧٣٥	١٠ر٧
البصل الجاف	٥٥٥٩٨	١٢٤٥٨	٢٢ر٤
الخيـار	١٣٨٢٦	١٧٩٤	١٣ر—
الشمـام	١٩٠٩٨٣	٥٠٨٦	٢ر٧
البطيخ	١٩٣٣٥٢	٧٣٠٤٩	٣٧ر٨
البرسيم(*)	٥١٢٨٣٦	١٤٤٠٨٨	٢٨ر١
التمـور	٤٠٦٧٢٢	٤٠٥٦٦	١ر—
العنـب	٦٧١٣٤	٨٣١٠	١٢ر٤

- الجدول من اعداد الباحث .
* البرسيم بالطن ولبقية بالانتاج كما ذكر بالنسبة للمحاصيل الأخرى .
- محصول التمور بالنسبة لعام ١٤٠٢/ ١٤٠٣ هـ (١٩٨٢/١٩٨٣)
- مصدر البيانات
= ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء بوزارة الزراعة والمياه . النشرة السنوية للاحصاءات الزراعية الجارية بالعينة لعام ١٩٨٤/ ١٩٨٥م .

المتابعة متجاوزاً ما كان مقدراً وفق هذه الخطط فان نسبة القوى العاملة الزراعية فى تناقص بالمقارنة بغيرها من القطاعات (جدول ١٢) وذلك نتيجة للتحسن الذى طرأ على أستخدام وسائل الانتاج الأخرى من استخدام المعدات الحديثة والتقاوى والأسمدة مما أدى الى تزايد انتاجية الهكتار .

ثانياً : منطقة القصيم :

يطلق تعبير القصيم(*) على وحدة إدارية من الوحدات التى تضمها المملكة العربية السعودية وهى أمارة القصيم التى تضم نحو ٢٥٠ مدينة وقرية وهجرة ، تتبعث ثلاث عشرة امارة ترتبط بدورها بامارات منطقة القصيم الفرعية ومقرها جميعاً مدينة بريدة . وتبلغ مساحة القصيم نحو ٥٨ الف كم٢ ، فهى لا تتجاوز ٣٪ من مساحة المملكة .

وتقع القصيم فى موقع متوسط من شمال المملكة ، تتخذ شكلا يشبه المستطيل يمتد من الشرق الى الغرب (شكل ٢) ، ويبلغ أقصى طول له نحو ٢٥٠ كم وأقصى عرض نحو ١٠٠ كم ، وتقع مابين دائرتى عرض ٤٠ ٢٤° ، ٣٠ ٢٧° شمالا وخطى طول ٢٠ ٤١° ، ٥٠ ٤٤° شرقاً ، ويحدها من الشمال والشمال الغربى إمارة حائل ومن الغرب إمارة منطقة المدينة المنورة ومن الجنوب والجنوب الشرق إمارة منطقة الرياض .

التنمية الزراعية بالقصيم :

تعد منطقة القصيم من أهم مناطق المملكة التى تتميز باتساع مساحتها القابلة

(*) القصيم لغوياً نأتى من القصيمة وهى سهل ما من الأرض وكثر شجره وهذه هى صفة منطقة القصيم ، والقصيمة منبت الغضا والأرطى والسلم (نوع من الشجر) والجمع قصيم . ومن هنا نرى أن كلمة قصيم تعنى منطقة زراعية أو صالحة للزراعة .
(قاموس الضبط والتصحاح للجوهرى جزء / ٥ ، مادة قصم) .

للزراعة علاوة على المساحة المزروعة فعلا على الرغم من أنها من أصغر إمارات المملكة مساحة ويرجع ذلك لمجموعة من الضوابط الطبيعية التى تلعب دوراً هاماً فى التنمية الزراعية ، وتتمثل هذه الظوابط فى التضاريس والمظاهر الجيومورفولوجية وفى المناخ ومصادر المياه والتربة والنباتات الطبيعية التى سنتناولها فيما يلى :

أ - التضاريس والمظاهر الجيومورفولوجية :

يتراوح ارتفاع منطقة القصيم ما بين ٦٠٠ ، ٩٠٠ م عن سطح البحر ويحدر سطحها بشكل عام من الغرب الى الشرق (شكل ٣) . وتعد منطقة القصيم منبسطة بشكل عام خاصة فى الجزء الشرقى منها . أما الجزء الغربى فتقع فيه بعض التوءات الجبلية التى يصل ارتفاعها الى نحو ١١٠٠ متر مثل جبل قطم وجبل هدير .

ويعد الجزء الغربى من منطقة القصيم جزءاً من الدرع الغربى وهو يضم فى الغرب والجنوب الغربى جبال إبان وطميه وشعبى وطخفه وسواج والمره وكير وخزاز .

وسطح القصيم يتكون من رمال متقطعة يتناوبه مجموعة من الجبال المنتظمة الميل التى يشتد ميلها نحو المنخفضات . وتمتلىء هذه المنخفضات بالرمال المتحركة التى تكون الكثبان الرملية وتتسع لتشكل العروق الرملية (شكل ٤) التى يطلق على المجموعة منها « النفود » ، مثل نفود الشقيقة ونفود السر ونفود الثويرات ونفود المظهر .

وهذه التكوينات الرملية تتوزع فى القطاع الجنوبى الغربى من القصيم وفى تكوينات رمال عريق الدسم جنوبى البدائع وجنوب غربى عنيزة ، وتتخذ شكل سلاسل متوازية وسط المنطقة غربى بريدة ، وفى الشرق تكوينات رملية فى الطرفية وغربى الشماسية .

وتضم القصيم عدداً من السهول منها : سهل خيمة القطن وسهل سواج

جدول رقم (١٢)

توزيع العمالة حسب الانشطة المختلفة وتوقعاتها

١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) - ١٤١٠ هـ (١٩٩٠م)

النشاط الاقتصادي	١٣٨٩/١٣٩٠هـ ١٩٦٩/١٩٧٠م		١٣٩٤/١٣٩٥هـ ١٩٧٤/١٩٧٥م		١٣٩٩/١٤٠٠هـ ١٩٧٩/١٩٨٠م		١٤٠٤/١٤٠٥هـ ١٩٨٤/١٩٨٥م		١٤٠٩/١٤١٠هـ ١٩٨٩/١٩٩٠م	
	العمالة بالالف	٪	العمالة بالالف	٪	العمالة بالالف	٪	العمالة بالالف	٪	العمالة بالالف	٪
١ - القطاعات الانتاجية	٦٣٥ر٩	٥٤ر٧	٨٠٥ر٣	٥٣	١٤٤٤ر٦	٤٢	٩٠٦٧ر٢	٤٦ر٥	١٩٣٤ر٧	٤٥ر٨
الزراعة والرعي	٤٤٥ر٨	٤٠ر٤	٤٢٦ر١	٢٨	٥٤٥ر٦	١٨	٦١٧ر٤	١٣ر٩	٦٦٣ر-	١٥ر٧
الصناعات التعدينية	-		-		٦ر٣	-	٥ر١	-ر١	٥ر٢	-ر١
الصناعات التحويلية[1]	٣٩ر٢	٣ر٢	٤٩ر٥	٣	١٧٠ر٤	٥ر٦	٤١١ر٤	٩ر٣	٥٣١ر٢	١٩ر٦
البتروكيماويات	-		-		-		-		٧ر-	-ر١
المرافق العامة	١٢ر٥	١ر١	١٨ر٥	١ر٢	٦٧	١ر٢	١٤٧ر٤	٣ر٣	١٤٧ر٤	٢ر٥
البناء والتشييد	١٤١ر٥	١٩ر٨	٣١٤ر٢	١٠ر٦	٦٣٨ر٩	٢١ر١	٨٨٥ر١	١٩ر٩	٥٨٠ر٩	١٣ر٨
٢ - قطاعات الخدمات	٥٠٤ر٩	٤٣ر٥	٧٥٥ر٣	٤٩ر٦	١١٥٧ر٧	٣٨ر٣	١٨٤٤ر٩	٤١ر٥	٢٢١٩ر٨	٥٢ر٦
التجارة	١١٤ر٣	١٠ر٤	١٩١ر٧	١٢ر٦	٣٢٣ر١	١٠ر٧	٥٥٦ر١	١٢ر٥	٤٩٣ر-	١١ر٧
النقل	١٠٣ر٢	٩ر٣	١٦٢ر٥	٧ر٠	١٨٠ر-	٥ر٦	٣٠٣ر٤	٦ر٨	٣١٠ر٧	٧ر٤
ملكية دور السكن	-		-		-		١٢ر-	-ر٣	١٠ر٥	-ر٢
المالية	١٥ر٩	١ر٤	١٦ر١	١ر٣	٥١ر٨	١ر٧	١٣٦ر٣	٢ر٨	١٣٠ر٦	٣ر١
الحكومة	١١٢ر٧	١٠ر٢	١٦٨ر٨	١١ر١	٣٩٩ر٤	١٣ر٢	٤٦٩ر١	١٠ر٥	١٤٦ر٣	١٠ر٦
الخدمات الاخرى	١٣٧ر٥	١٢ر٥	١٨٨ر٤	١٢ر٤	٦٠٢ر٨	١٦ر٦	٨٤٨ر٨	١٦ر١	٨٦٩ر١	١٩ر٦
٣ - قطاع البترول	١١ر٣	١ر٨	٢٤ر٧	١ر١	٤٦ر٤	١ر٥	٦٥ر١	١ر٥	٦٦ر-	١ر٦
اجمالي النشاط الاقتصادي	١١٦٢ر١	١٠٠	١٥٢٢ر١	١٠٠	٣٠٣٩	١٠٠	٤٤٤٦	١٠٠	٤٩٢٠	١٠٠

(١) صناعات غير بتروكيماوية .

- الجدول من اعداد الباحث .

- المصادر :

(١) بيانات الخطة الثانية والثالثة والرابعة (وزارة التخطيط بالمملكة)

(٢) الكتاب الاحصائي السنوي للمملكة . العدد الثامن والتاسع لعامي ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ م .

والمره وسهل المليداء ورياض البطين والدغمانيات والسهول الواقعة على ضفاف وادى الرمة وفروعه كالخبراء ورياض الخبراء والبدائع والزعبية . كما تضم عدداً من السبخات الغنية بالاملاح ، أربع منها فى الجزء الشرقى ، ومن هذه السبخات روضة الزغيبية وقاع الظليم ومشتت وقاع الحزماء والعوشزية وسبخة ضارى عند الشقة شمال بريدة .

ويعد وادى الرمة أهم ظاهرة طبيعية فى منطقة القصيم ، فهو أهم وديان المملكة بل شبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، ذلك الوادى الذى يصل طوله الى نحو ٦٠٠ كم ابتداء من بدايته من السفوح الشرقية لجبال منطقة المدينة المنورة وسفوح الحرات المجاورة لها ويتجه نحو الشرق مستقبلا ما يزيد على ٣٠٠ رافد تغذية بالمياه بما فيها الروافد الصغيرة ، وتصرف هذه الروافد مياه مساحة واسعة من نجد تمتد بين جبل سلمى فى منطقة حائل فى الشمال الى منطقة عفيف والوشم فى الجنوب ، وينتهى شرقاً الى اقليم القصيم حيث تختفى معالمه فى شرق القصيم تحت رمال نفود الثويرات أو رمال الصفحة المتصلة حيث تختفى معالمه فى شرق القصيم تحت رمال نفود الثويرات أو رمال الصفحة المتصلة بها ، ويصل ارتفاع قاع الوادى الى ٧٢٢ متراً عن سطح البحر عند منطقة عقلة الصقور بينما ينخفض الى ٦٠٢ متراً قرب مدينة بريدة .

والملاحظ أن وادى الرمة يغير اتجاهه العام بعد مروره من جنوب بريدة الى أن ينتهى عند طرف الثويرات الى الاتجاه الشمالى الشرق ، كما يلاحظ ظهور واد آخر على بعد نحو ٨٠ كم فى الاتجاه الشمالى الشرق يقع بين طرف الثويرات حيث يتصل بنفود الدهناء وبين الطرف الجنوبى من هضبة التيسية يطلق عليه وادى الأجردى يظهر منه نحو ٤٠ كم . وتغطى الرمال طرفيه حيث يختفى تحت رمال الدهناء[١٤] . كما يوجد فى القصيم وادى الترمس فى الشمال والفويلق والباطن بالجواء والجوارم بالاسياخ .

ويعد وادى الرمة من أكثر العوامل المؤثرة فى الظروف الطبيعية ، وبالتالى أكثرها تأثيراً على حياة الانسان وعلى ظروفه الاقتصادية والاجتماعية فى القصيم .

ب - المناخ :

لقد تضافرت عوامل طبيعية مختلفة تحكمت فى مناخ منطقة الفصيم نبرزها فيما يلى :

موقع المنطقة الفلكى قرب مدار السرطان وضعها فى نطاق المناخ المدارى الحار ، الذى يضم أكبر الصحارى الجافة فى العالم ، كما جعلها فى منطقة الضغط المرتفع المدارى شتاء ، وبالتالى فهى تقع فى مهب الرياح التجارية الجافة ، كما تقع تحت سيطرة الضغط المنخفض الحار فى جنوب آسيا صيفاً ، ولهذا تتميز بالجفاف . كما أن بعدها عن المسطحات المائية جعلها تحت نطاق المناخ القارى المتطرف .

تعرض المنطقة للمنخفضات الجوية الآتية من ناحية البحر المتوسط نحو الشرق شتاء وقد تمتد الى الربيع يؤدى الى اشتداد الرياح فى هذين الفصلين مما يؤدى الى إثارة الرمال والاتربة التى تنتشر فى المنطقة .

- فى فصل الصيف يتزحزح الضغط المرتفع شمالا حيث يصبح مركزه فى البحر المتوسط ويحل محله ضغط منخفض بسبب شدة الحرارة ، وتبعاً لذلك تسود المنطقة رياح شمالية غربية شديدة الجفاف ، وتكون الرياح التى تهب من الجنوب شديدة الحرارة ومحملة أحياناً بالاتربة والرمال .

- المنخفضات الجوية من أهم العوامل المناخية المؤثرة فى مناخ المنطقة فهى المسئولة عن الاضطرابات الجوية وعن التغيرات الفجائية التى تحدث فى اتجاه الرياح وسرعتها ، وكذلك عن تكوين السحب وسقوط معظم الامطار وحدوث موجات البرد وموجات الحر وهبوب الأتربة والرمال .

يتراوح متوسط درجة الحرارة السنوى بين ٢٥° ، ٢٧° درجة مئوية ولذلك تعد المنطقة ضمن الاقاليم الحارة ، وتصل درجة الحرارة لأبرد الشهور أحياناً الى نحو ٥١ مئوية (جدول ١٣) وقد تنخفض أحياناً لدرجة الصفر المئوى ودون الصفر بدرجة أو درجتين ، وقد ترتفع الى نحو ٤٥° درجة مئوية صيفاً والمدى الحرارى كبير مما يدل على شدة تطرف المناخ .

تعد ظاهرة العواصف الرملية والترابية من الظاهرات الشائعة فى المنطقة .

تتباين كميات الأمطار تبايناً كبيراً من سنة لأخرى ، لكن الأمطار نادرة بشكل عام وتكاد تنعدم فى نحو ستة شهور من السنة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمر بعض شهور الشتاء دون سقوط أمطار ، وقد تسقط فى بعض شهور الصيف . ويصعب ربط قمة المطر بشهر واحد من السنة لأنه يتغير من سنة لأخرى .

جـ - موارد المياه فى منطقة القصيم :

تأتى المياه فى منطقة القصيم من المصادر التالية : -

المياه السطحية :

تتوفر فى منطقة القصيم بعض الوديان الهامة المتمثلة فى وادى الرمة ووادى الربشة اللذان يعتبران من الاحواض الهامة فى تصريف مياه الأمطار فى القصيم ، فقد تسقط أحياناً أمطار غزيرة (جدول ١٣) تمتلىء بها الأودية والشعاب ، وتندفع هذه الأمطار نحو هذين الواديين الكبيرين . ولذلك أقيمت السدود والخزانات على هذه الأودية .

ويوجد فى القصيم ثلاثة من السدود هى سد الرمة بوادى الرمة فى المنطقة ما بين مدينتى بريدة وعنيزة وهو سد خرسانى تبلغ طاقته التخزينية نحو ٥ر١ مليون متر مكعب (جدول ٥) ، وقد أقيم هذا السد للتحكم فى الفيضانات وإعادة خزانات المياه الجوفية ، كما أقيمت سدود مارد والرس والمطلاع للغرض نفسه .

المياه الجوفية .

تحتوى منطقة القصيم على خزانات مياه جوفية عميقة فى الصخور الرسوبية (شكل ٥) وتعد هذه الخزانات المصدر الرئيسى للمياه بالقصيم ،

جدول رقم (١٣)
درجة الحرارة والأمطار والرطوبة في منطقة القصيم عام ١٩٨٤ م

الشهر	الحرارة بالدرجة المئوية		الأمطار		الرطوبة	
	العظمى	الصغرى	عدد الأيام الممطرة	كمية الامطار	أعلى درجة	أدنى درجة
يناير	٢٥ر٦	١ر٤	٣	٣ر٠	١٠٠	١٧
فبراير	٣١ر٤	١ر٢	١	—	٨٨	٧
مارس	٣٤ر٦	٧ر٥	٦	١٥ر٩	٩٥	٥
ابريل	٣٧ر٦	١٢ر٤	٢	٧ر—	٩٢	٢
مايو	٤٢ر٢	١٥ر٣	—	—	٥١	٢
يونيه	٤١ر٧	١٩ر٢	—	—	١٨	٣
يوليه	٤٣ر٦	٢٣ر—	—	—	١٧	٤
أغسطس	٤١ر٤	٢٠ر٥	—	—	٢٤	٦
سبتمبر	٤١ر٤	٢٠ر٦	—	—	٤٨	٧
أكتوبر	٣٧ر٢	١٠ر—	—	—	٤٨	٨
نوفمبر	٣٠ر٦	١١ر٤	١٢	٤٩ر٨	٨٩	١٥
ديسمبر	٢٦ر٦	٤ر—	٤	١٢ر٥	٩٥	١٧
المتوسط	٣٦ر٢	١٢ر٢	—	—	٦٤	٨

- الجدول من اعداد الباحث .
- مصدر البيانات
- مصلحة الاحصاءات العامة بالمملكة العربية السعودية .
الكتاب الاحصائي السنوي . العدد ٢٠ ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .

وهى التى جعلت القصيم أهم وأغنى مناطق المملكة بالموارد المائية وبالتالى فى الزراعة وتوجد هذه الخزانات فى التكوينات التالية .

تكوين الساق : ويعد هذا التكوين من أقدم التكوينات فى المملكة فهو من العصر الكمبرى ويتركب من الأحجار الرملية المتجانسة ويخلو من الطفل وقاعدته تحتوى على حصى ذات أحجام كبيرة .

ويمتاز هذا التكوين بوفرة أنتاجه فبعض الآبار التى حفرت فيه فى منطقة الأسياح شمال شرق القصيم تنتج نحو ١٠٠ لتر فى الثانية بدون ضخ ، ويمكن لمياه الساق أن ترتفع وتتدفق على سطح الأرض اذا كان مستوى سطح الأرض تحت مستوى مياه الساق (شكل ٦) .

وتتراوح مستوى منسوب الماء فى منكشف الساق بين ٢٥ ، ٣٠ متراً كما هو الحال فى البدائع والخبراء ، بينما يصل الى ١٢٠ متراً فى جزئه المحصور بمنطقة القصيم .

وتتراوح أعماق الآبار فى تكوين الساق بين ١٠٠ – ١٥٠٠ متراً ، وأعمق بئر حفرت فى الساق بالشمال وصل عمقها الى ٢٤٠٠ متر . ومياه الساق هى التى تغذى وادى الرمة عند عبوره على منكشف الساق فى منطقة غربى القصيم كما يغذى شرق القصيم .

وتعد مياه الساق من النوع الجيد وتمتاز بالعذوبة ، وعادة تتراوح الأملاح الذائبة فى هذا التكوين بين ٥٠٠ ، ١٥٠٠ ملجم / لتر ، وان كانت مياهه أحياناً تقل جودة قرب وادى الرمة ، فربما يعود ذلك لعودة مياه الرى الزائدة مرة أخرى الى الخزان ، أو عندما تزيد أعماق الآبار المحفورة لتلتصق بصخور قاعدة الساق كما فى البدائع .

ومعامل تخزين الساق فى القصيم هو ٣ر١ × ١٠ $^{-٣}$ فى المناطق غير المحصورة منه والى ٥ر٢ × ١٠ $^{-٥}$ فى المناطق المحصورة . وتستخرج المياه من الساق بحفر آبار أنبوبية آلية ، تتراوح أعماقها بين ١٥٠ – ١٥٠٠ متراً ، والمتوسط بين ٤٠٠ – ٥٠٠ متراً ، ويتوقف انتاج البئر على طريقة بنائها ،

وعلى الجزء المخترق من الطبقة الحاوية للمياه ، فعندما يكون الجزء المخترق من الساق ما بين ٢٥ ـ ٥٠ متراً يكون معدل الانتاج بين ٠,٤٨ ـ ٤,٤٨ لتراً في الثانية لكل متر

وقد قدرت المياه المستخرجة من الساق في القصيم بنحو ٥٣ مليون م^3 سنوياً في عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، وقدرت بنحو ٢٩٠ مليون م^3 في عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

وتغذية تكوين الساق تتم بواسطة هطول الأمطار على جزئه الواقع شمال الدرع العربي بنحو ١٥٠ مليون م^3 سنوياً ، وعلى جزئه الشرقي بنحو ٨٠ مليون م^3 سنوياً ، أما مياه السيول فلا تساهم بجزء يذكر في التغذية ، ما عدا السيول في منطقة حائل فتساهم بنحو ٢٠ مليون م^3 سنوياً .

وقد قدر مخزون الساق في منطقة القصيم بنحو ١٢ × ١٠^{11} م^3 ، ولو استخرج من هذا المخزون ٩٥ مليون م^3 سنوياً . فان انخفاض مستوى الماء فيه سيكون معتدلا . والمخزون المؤكد في القصيم الى الغرب من خط الطول ٤١° شرقاً يقدر بنحو ٣ × ١٠^3 مليون م^3 .

تكوين تبوك : يمتد هذا التكوين من الأردن في الشمال الى جنوب بلدة العمار بجنوب القصيم وهو يشبه تكوين الساق في بعض خصائصه ، فكلاهما قديم في تكوينه ومن أصل بحري وقاري وتكوين تبوك يعلو تكوين الساق ، ويغطيه تكوين الخف في منطقة القصيم[١٦] .

ويتركب هذا التكوين من الاحجار الرملية المطعمة بالطفل والحجر الطيني مع بعض الجبس والحجر الجيري ، ولذلك فإن تكوين تبوك يتكون من ثلاث طبقات - تحتوي على الماء - من الحجر الرملي وهي : تبوك العلوي والأوسط والأسفل ويفصل بين هذه الطبقات الحاوية للماء ثلاث طبقات من الطفل هي : طفل قصيباء (بين تبوك العلوي والأوسط) ، وطفل الرعاد (بين تبوك الأوسط والأسفل) ، وطفل الحنادر (تحت تبوك الأسفل) ومنطقة القصيم تضم طبقة تبوك الأوسط والأسفل

ويختلف سمك تكوين تبوك من منطقة لأخرى ، ففى مدينة تبوك يصل سمكه الى نحو ١٠٧٠ متراً ، بينما يقل فى منطقة القصيم ، اذ يصل سمكه الى نحو ١٠٣٠ متراً فى الشمال ببئر نره (فى وسط نفود عرق الظهور) ويصل الى ٢٠٠ متراً فى بئر بقعاء ، ويقل عن ذلك فى عنيزة ، ويختفى تماماً فى جنوبها .

وانتاج تبوك الأوسط فى القصيم يصل معدله الى نحو ١١ لتر/ ثانية فى المناطق الواقعة شمال مدينة بريدة بنحو ٥٠ كم . أما تبوك الأسفل فإن انتاجه أقل من الأوسط إذ يتراوح ما بين ٦ر٥ الى ٥ر١٠ لتر / ثانية فى القصيم . وتختلف خصائص تكوين تبوك الهيدرولوجية من طبقة الى أخرى ومن موقع الى آخر ، فتبوك الأوسط وصل معامل تخزينه فى القصيم ما بين ٧ر٢ × ١٠$^{-٤}$ – ٥ر٢ × ١٠$^{-٣}$ فى عام ١٩٧٥ م ، أما تبوك الأسفل فقد وصل معامل تخزينه الى ٧ر٦ × ١٠$^{-٤}$.

ومياه تكوين تبوك تختلف من حيث النوع من مكان الى آخر ، فهى تجود فى منطقة تبوك وهى من نوع كلوريد الكالسيوم – الصوديوم ، وتتراوح نوعيتها بين ٥٠٠ – ٦٠٠ ملجم/ لتر ، أما فى القصيم فهى تتراوح بين ٦٠٠ – ٣٥٠٠ ملجم/ لتر ، وغالباً تكون مياه تبوك الأوسط أفضل من الأسفل[١٧] .

ويقدر ما يستخرج من تكوين تبوك سنوياً ما بين ٣١ – ٣٨ مليون م^{٣} ، كما يقدر مخزون المياه بالتكوين بنحو ١٣٠٠ مليون متر مكعب . ويعد هذا التكوين ثانى أهم مصادر المياه الجوفية فى القصيم .

تكوين الخف : ويرجع هذا التكوين الى العصر البرمى الأعلى ويتكون من الحجر الجيرى والرمل والطفل . ويقع هذا التكوين فى شمال منطقة القصيم حيث يغطى تكوين تبوك ، بينما يغطى تكوين السائل فى جنوب القصيم ، ويتراوح سمك هذا التكوين ما بين ٢٣٥ – ٣٠٠ متر فى الشمال والوسط ، وبينما يقل سمكه فى وادى الدواسر بالجنوب حيث يتراوح ما بين ١٩٥ – ٢٣٠ متراً .

ونوع مياه تكوين الخف يتراوح ما بين ٢٠٠٠ - ٦٠٠٠ ملجم/لتر فى القصيم ، وانتاجه يتراوح ما بين ٧ - ٢٣ لتر / ثانية . ونظراً لأن مياه تكوين الخف تحتوى على كربونات الكالسيوم والماغنسيوم المتبلورة فانها لا تناسب جميع الأغراض .

تكوين المنجور : ويظهر هذا التكوين الى الغرب من جبال طويق ، وهو يمتد من نفود المظهر فى الشمال الى الهدار بالجنوب عند خط عرض ٥٢٢ شمالا ، كما يظهر عند خط عرض ٣٠ ٥٢١ شمالا ، ويقطع استمراره وادى البرك ووادى الرمة ، وهو من العصر الترياسى . ويوجد أسفل المنجور تكوين الجلة الذى يتحول الى أحجار رملية جنوب خط عرض ٥٢٤ شمالا ، فانه يتكون من أحجار رملية وطينية وطفلية .

ويبلغ سمك هذا التكوين ٣٦٠ متراً ، على السطح فى منطقة المستوى فى الجنوب الشرقى من بريدة . وتنقسم الآبار فى المنطقة الى نوعين : آبار سطحية تحفر باليد بقطر كبير وعمق قليل ما بين ٥ - ٥٠ متراً ، وآبار ارتوازية تحفر على أعماق ما بين ١٥٠ - ١٥٠٠ متراً ، وقد تخرج مياه هذه الآبار الى مستوى أعلى من منسوب الأرض ، وبذلك تصبح فوارة أو تحتاج الى طلمبات رفع للمياه .

تكوين الجلة : وينتمى للعصر الترياسى ، ويتكون أساساً من الحجر الرملى والطفل ، ويمتد منكشفه على شكل شريط عرضه يتراوح بين ٨ - ١٢ كم من الهدار جنوباً الى الحافة الشمالية لشمرخ الأكباد عند خط عرض ١٠ ٥٢٨ ، ويظهر واضحاً ما بين وادى البرك الى نفود المظهر ، وهو يغطى المنجور ويعلوه طفل سدير . كما يظهر على السطح بمنطقة الأسياح ، ومعظم آبار الأهالى تعتمد عليه .

المياه المعالجة :

وهى المياه المعالجة بغرض إعادة الاستخدام ممثلة فى مياه المجارى

جدول رقم (١٤)

مواقع وكميات انتاج محطات التحلية بالمملكة العربية السعودية

١٣٩٠ - ١٤٠٢ هـ

نوع	١٣٩٠	١٣٩١	١٣٩٢	١٣٩٣	١٣٩٤	١٣٩٥	١٣٩٦	١٣٩٧	١٣٩٨	١٣٩٩	١٤٠٠	١٤٠١	١٤٠٢
ة	— ره	— ره	— ره	— ره	— ره	— ره	— ره	— ره	١٨ر٥	٢٨ر٥	٢٨ر٥	٣٨ر٥	٨٨ر٥
ا	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	١٨ر	١٨ر	١٨ر	١٨ر
ء	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	٠٦ر	١٨ر	١٨ر	١٨ر	١٨ر
ر	—	—	—	—	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥	٧ر٥
حى	—	—	—	—	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	٤٥ر	٤٥ر	٤٥ر	٤٥ر	٤٥ر
	—	—	—	—	—	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	٤٠ر
ن	—	—	—	—	—	—	١٣ر	—	١٣ر	١٣ر	١٣ر	١٣ر	١٣ر
	—	—	—	—	—	—	١٢ر	—	١٢ر	١٢ر	١٢ر	١٢ر	٢٣ر
	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	-ر٢٥	-ر٢٥
حل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	-ر٣٠	-ر٣٠
	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٢٤ر
مجموع	١٢ره	١٢ره	١٢ره	١٢ره	١٢ر٧٤	١٢ر٧٤	١٣ر٨٦	١٤ر٨٦	٢٦ر٩٤	٣٧ر٨٦	٤٧ر٨	٥٠٢ر١٨	٥٥٢ر٨١

الانتاج بالمليون جالون يومياً . الجالون = ٣ر٨ لتر .

الجدول من إعداد الباحث .

مصدر البيانات ، سيد عيسى ، التنمية الاقتصادية بالمملكة العربية السعودية .

الرياض ، التاريخ (بدون)

(جدول ٦) والمياه المهدرة بعد تنقيتها ومعالجتها بالمواد الكيماوية وهذه تساعد على تجنب مشكلة ندرة المياه فى المناطق القاحلة أو ذات المياه المحدودة ، ويرى العمل على الاستفادة من هذه المياه ضمن خطة التنمية الرابعة (١٤٠٥ هـ ١٤١٠) .

المياه المحلاة :

وهى التى تعتمد على تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة (جدول ١٤) ، وقد توسعت المملكة الى حد كبير فى تحلية المياه من خلال عدد من المشروعات على البحر الأحمر[٢٠] والخليج العربى بطاقة انتاجية قدرها نحو ٤٠٠ مليون متر مكعب يومياً فى عام ١٤٠٥ هـ ، كما تنتج طاقة كهربائية تقدر بنحو ٢٧٨٥ ميجاوات من الكهرباء ، ويستفيد حالياً من هذه المياه عدد من المدن ، ويجرى العمل لتوصيل هذه المياه الى منطقة القصيم ، ونتيجة لتنفيذ مشروعات مياه التحلية قدر أن ما يتوفر من المياه نحو ٥٠٪ من الطلب على المياه للاستعمال المنزلى فى عام ١٤٠٦ هـ .

د التربة :

تتكون التربة عادة نتيجة لتضافر عدد من العوامل ، ومن أهمها نوع الصخر الذى استمدت منه ، والظروف المناخية التى سادت المنطقة فى الماضى والتى تسودها فى الوقت الحاضر ، والحياة النباتية والحيوانية السائدة ، وطول المدة التى مرت على تكوينها وعمليات التجوية ، وعمليات النحت والارساب ، وتبعاً لذلك فان التربات تتباين فيما بينها (شكل ٧) من نواح عديدة سواء من ناحية حجم الحبيبات ، أو اللون ، أو المادة الصخرية التى تتكون منها ، أو ما تحتويه من مادة عضوية . وفى ضوء هذه الظروف يمكننا أن نتوقع تنوعاً فى التربة[٩] فى منطقة القصيم يختلف من مكان لآخر كما يبدو مما يلى :

وادى الرمة :هذه المنطقة هى مركز القصيم . وبها نوعان رئيسان من أنواع التربة .

- تربة رملية طينية ذات محتوى ملحى كبير ومشاكل تتعلق بالتصريف .

التكوينات الرملية التى يصعب ريها بفعل الجاذبية الأرضية .

- بريدة :تتميز التربة ببريدة بالتفاوت فى أنواعها ، ومعظم التربة توجد فى الأحواض المنغلقة ذات التكوين الذى يتراوح ما بين الطين والطين الغرينى . وتحتوى هذه التربة على أملاح بنسبة كبيرة قابلة للذوبان بسبب موقعها وتركيبها وتحيط بالاحواض تكوينات من الكثبان الرملية .

خف المذنب :تربة متفاوتة الأنواع بدرجة كبيرة وتقع بشكل عام فى المنخفضات وتعانى من مشاكل التصريف .

- الأسياح :تقع هذه المنطقة شمال شرق بريدة وتتراوح ما بين التربة الرملية والتربة الطينية . ويمثل الصرف المشكلة الرئيسية فى هذه المنطقة .

- وادى الريشة :يقع جزء منه فى منطقة القصيم وهو عبارة عن سهل غرينى منبسط تقريباً . والفيضانات قد تكون هى المشكلة أمام تحسين التربة فى المنطقة .

- مسطحات طراق الغرينية:وهى عبارة عن منطقة ذات أراضى غرينية ذات تربة من الصنف الضعيف .

- الرديضة :تمتد التربة فى أحواض مغلقة ضيقة وهى فى معظمها من النوع الترابى الطينى .

و - النباتات الطبيعية :

ترتبط كثافة النباتات الطبيعية فى القصيم بكمية المياه السطحية ومقدار

المتسرب والمتبخر منها ، وكذلك نوع التربة . ففي الأراضي الصخرية الجافة يقل وجود النبات نظراً لأن الأمطار الساقطة عادة تكون تكون رعدية فجائية ومعظمها يكون مصيره التبخر أو التسرب في باطن الأرض ، وفي مثل هذه المناطق تنمو عادة النباتات القصيرة سريعة النمو التي تعتمد عليها الحيوانات في الرعي .

أما في مناطق الأودية والشعاب كوادي الرمة الذي يشغل جزءاً كبيراً من المنطقة ، فتكثر النباتات العشبية والأشجار ، وتختلف كثافتها ونوعها من مكان لآخر (شكل ٨) حسب كمية المياه ونوع التربة التي تختلف من واد الى آخر .

وقد ساعدت التربة الغنية في بعض هذه المناطق وتسرب المياه السطحية على غنى هذه المناطق بالحياة النباتية .

وفي ضوء ما ذكرنا يمكن أن تقسم النباتات الطبيعية في منطقة القصيم الى ما يلي :

- نباتات مطرية تعيش معظم السنة معتمدة على قدرتها على العيش تحت التربة وهذه تنمو وتزدهر وتحمل الثمار بمجرد سقوط الأمطار .
- نباتات صحراوية وهي التي تستطيع البقاء طول العام رغم قلة الماء ومعظم هذه النباتات شوكية حتى لا تفقد الماء بالنتح من الأوراق .

مجالات التنمية الزراعية بالقصيم :

لقد تأثرت منطقة القصيم كغيرها من مناطق المملكة بخطط التنمية المتتابعة وحظي القطاع الزراعي باهتمام كبير نظراً لأهمية هذا القطاع من ناحية ولما تتمتع به منطقة القصيم من امكانات تساعد على ذلك من ناحية أخرى . ويمكننا ادراك ذلك مما يأتي :

- بلغت المساحة المحصولية نحو ٢٥٪ من أجمالي المساحة المحصولية (جدول ٨) في المملكة في عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤/ ١٩٨٥م) .

وتبدو أهمية القصيم بالنسبة للمساحة المخصولة بالنظر الى مساحتها الاجمالية التى تتجاوز ٣٪ من مساحة المملكة .

بلغ عدد الحيازات فى القصيم ٧٢١ر١٠[٣] حيازة تضم مساحة قدرها ٨١٥ر٢٢٦ر٤ دونم فى عام ١٤٠١ /١٤٠٢ هـ (١٩٨١/ ١٩٨٢م) وهذه تمثل نحو ٢٠٪من أجمالى حيازات المملكة البالغة نحو ٢١٣٥٠ ألف دونم .

- بلغ عدد العاملين فى الزراعة فى منطقة القصيم ١ر٩٪ من أجمالى العاملين الزراعيين الدائمين فى المملكة فى عام ١٤٠١/ ١٤٠٢ هـ (١٩٨١/١٩٨٢م) ، (جدول ١٥) ، ٢ر٦٪ من أجمالى العاملين الزراعيين المؤقتين .
- تساهم القصيم فى انتاج جزء كبير من المحاصيل الهامة ، فقد ساهمت فى عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤/ ١٩٨٥م) بانتاج قدره ٦٤٣٦٨١ طن قمح تمثل ٤ر٣١٪ من أجمالى انتاج المملكة من القمح (جدول ١١) . وبنحو ٢ر١٠٪ من الطماطم الصيفى وبنحو ٢ر٢٢٪ من الذرة الشامية ، وبنحو ٢ر٢٠٪ من البطاطس و١٠٪ من الجزر ونحو ٢٢٪ من البصل الجاف و١٣٪ من الخيار و٣٧٪ من البطيخ و٤ر١٢٪ من العنب و٢٨ ٪ من البرسيم .
- بلغ اجمالى القروض التى منحت للزراع من البنك الزراعى العربى لمنطقة القصيم فى عام ١٤٠٤ / ١٤٠٥هـ نحو ٧ر٥٦١ بليون ريال تمثل نحو ٢ر٢٤ ٪ من أجمالى القروض على مستوى المملكة (جدول ٩) وذلك لخدمة مساحة من الأراضى قدرها ٥ر١٦٨ الف دونم من الأراضى المستمرة ، تمثل نحو ٤ر٢٩٪ من أجمالى مساحة الأراضى المستمرة بالمملكة ، و٢ر٩٨١ الف دونم من الأراضى البور تمثل نحو ٨ر٢٥٪ من أجمالى الأراضى البور المخدومة بالمملكة ، وبذلك يصل أجمالى مساحة الأراضى المستمرة والمخدومة بقروض البنك الزراعى العربى الى نحو ٣ر٢٦٪ من أجمالى المساحة المخدومة بالمملكة ، ومن هنا تبرز أهمية القصيم وما تمثله بالنسبة لخطط التنمية الزراعية .

جدول رقم (١٥)
العمالة الزراعية في المملكة والقصيم
١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ (١٩٨١/ ١٩٨٢ م)

نوع العمال	اجمالي المملكة	القصيم	٪
أولا : في الموسم الشتوي			
عمال دائمون	٢٩٣٠٩٣	٢٦٦٤٥	٩٫١
عمال مؤقتون	٢٩٩٤٠	٢٤٨٤	٨٫٣
ثانيا : في الموسم الصيفي			
عمال دائمون	٢٩٣٠٩٣	٢٦٦٤٥	٩٫١
عمال مؤقتون	٥٩٨٣٧	٣٦٨٨	٦٫٢

- الجدول من اعداد الباحث .
- مصدر البيانات :
وزارة الزراعة والمياه . ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء .
النتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل لعام ١٤٠١/ ١٤٠٢ هـ .

حصلت القصيم على مبالغ من البنك الزراعي العربي السعودي لتمويل المشاريع الزراعية (جدول ١٦) بلغت ٨٢ر٦٨٠ الف ريال في عام ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ من إجمالي المبالغ التي حصلت عليها المملكة وقدرها ٤١١ر٢٢٩ ألف ريال وبذلك يصل ما حصلت عليه القصيم الى ١ر٢٠٪ من أجمالي المملكة .

بلغت الاعانات التي منحت لمنطقة القصيم في مجال التنمية الزراعية (جدول ١٧) مبلغ ٣٣٠ر٥٥٧ الف ريال من أجمالي الاعانات التي منحت للمملكة وقدرها ١٣٧٧ر٨٨٩ الف ريال أي نحو ٢٤٪ من أجمالي الاعانات التي منحت للمملكة في عام ١٤٠٤ هـ / ١٤٠٥ هـ .

- بلغت المبالغ الممولة للآليات الزراعية بالقصيم في عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ ، مبلغ ٧٧ر٢٦٢ الف ريال من اجمالي المملكة الذي بلغ ٣١٥٢٤٥ ألف ريال ، أي أن القصيم تمثل ٥ر٢٤٪ من أجمالي المملكة (جدول ١٨) .

- بلغ انتاج القصيم من الدجاج ٦٦ر٦٨٦ الف دجاجة تمثل ٥ر٣٧٪ من أجمالي انتاج المملكة من الدجاج (جدول ١٩) ، ومن البيض ٥ر١٥٪ من أجمالي انتاج المملكة .

بلغ انتاج القصيم من الأغنام ٨ر٨٦٦ الف تمثل ٥ر١١٪ من أجمالي انتاج المملكة ، ومن الأبل ٢ر٦٧ الف تمثل ٤ر١٥٪ من اجمالي المملكة ، ومن الأبقار نحو ٦٪ من أجمالي المملكة .

- بلغ أنتاج القصيم من التمور ٤٠٥٦٦ طن تمثل ١٠, من أجمالي أنتاج المملكة وهي تحتل المركز الثالث بين إمارات المملكة من حيث انتاج التمور (جدول ٢٠) .

- يتوفر بمنطقة القصيم أراضي قابلة للري وصالحة للزراعة تقدر بـ ٧٤٣٨٥ هكتار ، كما توجد أراضي قابلة للري ويمكن زراعتها على الرغم من بعض المشاكل ٢٧٠٠٠ دونم (جدول ٢١) .

- يمثل عدد العمالة في النشاط الزراعي نحو ١٠٪ من أجمالي عدد السكان

جدول رقم (١٦)

المبالغ الممولة للمشاريع الزراعية بالمملكة خلال العام المالي

١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ

المشاريع / الفروع	الدجاج اللاحم	الدجاج البياض	تربية ماشية	بيوت محمية	قمح ومحاصيل	مشروعات أخرى	الجملة
الرياض	٢٣٠٧٤٠٩١٨	٥٠٣٤٠٠٠٠	١١٠٦٩٦٠٦٨٠	٥٧٠٧٠٧٠١٣٠	١١٠٥٣٦٠١٤٦	-	١٠٩٠٣٥٦٠١٧٤
جدة	١٤٠٨٩٤٠٥٩٢	-	٣٠٧٩١٠٦٦٨	١٢٠٠١٤٠٥١٨	-	١٠٨٨٧٠٩٦٧	٤٠٠٥٨٠٧٤٥٠
بريدة	٢٠٢١٦٠١٦٠	٢٠٩٩٥٠٤٠٠	٦٠٥٦٨٠٩٨٨	١٢٠٧٦٠٠٢٨٨	٥٨٠١٣٩٠١٤٨	-	٨٢٠٦٧٩٠٧٨٤
أبها	٥٠١٢٥٠٦٣٢	-	-	-	-	-	٥٠١٢٥٠٦٣٢
الظهران	-	٦٠٢٠٣٠١٥١	٢٠٩٩٦٠٠٠٠	-	٢٢٠٨٩٥٠٥١٣	-	٣٤٠٠١٤٠٦٦٦
المدينة	٥٠١٠١٠٧٩٢	-	٢٠٢٩١٠٣٠٥	-	-	-	٧٠٣٩٣٠٠٩٧
حائل	-	-	-	-	-	-	-
الجوف	-	-	٥٠٣٠٤٠٢٨٦	-	-	-	٥٠٣٠١٠٢٨٦
جيزان	-	-	٢٠١٢٩٠١٥٤	-	-	-	٢٠١٢٩٠١٥٤
تبوك	-	-	١٠٨١٠٠٩٦١	١٤٠٠٣١٠٤٩١	٤٠٥١٧٠٣٥٨	-	٢٠٠٣٥٩٠٨١٠
الخرج	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٣٩٦٠١٦٠	٨٠٦٧٩٠٥٥١	٢٦٠٦٨٢٠٠٧٥	٥١٠٨٧٩٠٤٤٥	٥٠٨٥٩٠٣٧٨	٩٣٠١٩٧٠٦١٢
الطائف	٧٠١٣٠٠٠٠	-	٣٠٠٠٠٠٠٠	-	-	-	١٠٠١٣٠٠٠٠
الجملة	٦٠٨٤٣٠٤٩٤	١٦٠٩٣١٠٥١٠	٤٨٠٥٣٨٠٥٩٦	١١٨٠٦٩٧٠٠٠٤	١٥٠٠٩٦٨٠٤١٢	١٥٠٧١٧٠٣٤٥	١٦١٠١٢٩٠٣٩٠

المصدر : البنك الزراعي العربي السعودي

التقرير السنوي / ٢١ لعام ١٤٠٤/ ١٤٠٥ هـ.

المصدر : البنك الزراعي العربي السعودي

جدول رقم (١٧)

الاعلانات الممنوحة للقطاع الزراعي بالمملكة خلال العام المالي

١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ - موزعة على مجالاتها

الأليات / الفروع	المكائن والمضخات	الآلات الزراعية	الأعلاف	معدات تربية الدواجن	معدات انتاج الألبان	نقل الأبقار المستوردة	الجملة
الرياض	١٠١٣٨٤٧٩٢	٧١٩٢٢٧٣٨	١٠٣٦٩٧٧٥٢	٥٠٩٧٤٥٧	-	-	٢٨٢٠٩٢٧٣٩
جدة	٣٩٠٥٧٩٤	٥٩٥٥٩٤٢	٢٢٩٣٤٩٣٠	١١٢٣٨٣٠	-	-	٣٣٣١٩٧٩٦
بريدة	٨٣٤٩٨٦٣١	٨١٠٠٠٨٥٤	١٥٩٠٤٥٤٥٠	٧٠١١٦٨٩	-	-	٣٣٠٥٥٦٦٢٤
أبها	٧٨٣٠٣٩٥	١٠٠٨٨٥١٥	١٤٠٨٥٩٢٣	-	-	-	٣٢٠٠٤٨٣٢
الهفوف	٢٢٧٤٤٨٣٧	١٦٥٧٦٥٩٢	٧٦٥٤٧٧٥٤	٣٢٥٧٦	٢٦٧٢٢٧	٢٢٩٣٥٩١	١١٨٤٦٢٥٤٧
المدينة	١١٩٤٣٨٧٧	٩٠٣٢٣٨٣	٨٩٢٣٨٥٦	١٠١٥٢٦	-	-	٣٥٠٠١١٤٤
حائل	٢٦٥٤٥١٠٥	٢٤٢٩٢٧٠٩	٢١٠٩٠٧٨	٨٦٥٩٢	١١٦٠٦	١٧٥٢٦٤١	٥٥٧٦٧٧٣١
الجوف	١١٩٢٩٣٢٩	١٢٠٥٠٤٥٨	٢٠٠٠٠٢٧	-	-	-	٢٥٩٧٩٨٨٤
جيزان	٧٤٥٠٣٤٤	٧٤٥٠١٧٧	٩٥٢٣٣٤	-	-	-	١٥٨٥٢٨٣٥
تبوك	١٢٣٠٠٨٥٢	٦١٨٢٨٧٠	٨١٦١٨١٤	٥٠٤٤٠١	-	١٠٠٠٠٠	٢٧٢١٩٩٣٧
الخرج	٥٠٠١٣٥٠١	٣١٦٠٧٩٩٧	٩٣٩١١٨٠٦	٤١٤٢٦٦	٣٩٦٠٠١	٦٦١٦١٣٧	١٨٢٤٥٩٧٠٨
الطائف	١١٩٣٩١٤٨	١٥٠٢٥٢١	٢١٧٠٨٣٥٩	١١٥٤٢٧	-	-	٣٣٨١٤٠٣٨٥
الجملة	٣٥٥٨٨٩٦٢٥	٢٨٥٦٥٢٧٥٦	٧١٠١٤٤١٨٣	١٢٧٨٧٧١٤	٦٧٤٨٣٤	١٠٧٦٢٣٦٩	١٣٧٧٨٨٨٦٣١

المصادر : البنك الزراعي العربي السعودي

التقرير السنوي رقم ٢١ لعام ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ .

جدول رقم (١٨)

المبالغ الممولة للآليات الزراعية بالمملكة خلال العام المالي ١٤٠٤ / ١٤٠٥هـ

الآليات / الفروع	تراكتورات	حراثات	حصادات ودراسات	حصادات	لبانات	ملحقات وتوابع	الجملة
الرياض	٦٣١٤٢٣٤	٣٢٦٧٠٩٢٩	١٨٤٩٦٤٧٧	٢٢٧٥٢٦	٤٩٤٨٤١٧	٢٢٣٠٠٤٦١	٨٤٩٢٨٠٤٤
جدة	١٥٠٠٩٠٧	٥٤٧٧٩٠٣	-	٣٢٤١	- ٠	١٢٥٠٥٩٠	٨٣٣٣٣٤١
بريدة	٤٠٢٩٤٤٩	٣٤٤٩٩١٤٠	١٩١٨٣٩١١	١٤٠٨٥٦	٣٨٣١٧٨٩	١٨٦١٠٠٤٦	٧٧٢٥٢١٨٨
أبها	١٣٩٦٧٧	١٠١٩٠٠٠٠	-	-	١٢٧٦١	٩٤٤٠٧٤٢	١٢٧٥٣١٨٠
الطرف	٥٠٨٨٨٣	٧٤٧١٤٩٥	١٤٩٠٨٥٩	٧٣٧١٥	٢٩٢١٥٨	١٧٠٢٨٧٥	١٤٥١١٣١٥
المدينة	١٣٤٦٨٦	٦٦٠٩٢١١	١٧٠٩٦	٧١٢٠٨٤	٧٠٧٢٠	٢٢٠٣٨٨٤	١٠٧٤٧٦٩١
حائل	-	١٠٩٠٧٥٧٥	-	١٥٨٥٠٦١	١٤٤٤٦٦٥	٦٠٥٧٧٧٩	١٩٩٩٥٠٧٧٠
الجوف	٨٥٢٥٢	١٥٢٨٩٧٠	١٩١٦٣٣٤	١٢٥٢٨	١٢٩٤٩٧	٣٠٩٢٢٢١	١١٤٤٧٥٠٢
جيزان	-	٦٩٣٤٦٩٠	-	-	-	٢٥٩٦٣٨٧	٩٥٣١٠٧٧
تبوك	-	٣٩٩١٩٦٠	-	٥٨٤٤	-	١٩٣٥٢١٤	٥١٣٩٠١٨
الخرج	٢٧٥٦٩٣٠	٢٠٦٠٦٧٧٤	٨٢١٨٥٩٧	٢٤٦٠٦٠	١٩٥٩٠٠٠	٨٩٣٨٣٢٩	٢٢٧٢٥٦٨٧
الطائف	٩٩١٨٥٧	١١١١٨٧٨٣	-	٨٧٥٧٦	٤١٠٠٧	١٤١٢٤٥٣	١٧٠٧٤٦٧٦
الجملة	١٦٣٨١٨٧٥	١٥٧١٤٨١٣٠	٤٥٩٦٣٢٧٤	٣٠٩٤٥٢١	١٢٦٨٣٠٢١	٧٩٬٦٧٠٬٢٧٥	٢١٥٢١٤٧٩٦

المصدر : البنك الزراعي العربي السعودي

التقرير السنوي رقم (٢١) لعام ١٤٠٤ / ١٤٠٥هـ.

جدول رقم (١٩)
الانتاج الحيوانى بالمملكة والقصيم
١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ / ١٩٨٥ م

انتاج	المملكة			القصيم			٪
	مزارع متخصصة	مزارع تقليدية	المجموع	مزارع متخصصة	مزارع تقليدية	المجموع	
دجاج	١٧٦٫٨٠٠٫١٣٩	٩٤٩٫١٧٢	١٧٧٫٧٤٩٫٣١١	٦٦٫٥٠٠٫٥٦٥	٣٥٫٦٦٤	٦٦٫١٨٦٫٢٢٩	٣٧٫٥
بيض	٢٫٣٩٤٫٨٩٨٫٣٨٧	———		٢٧٠٫٩٤٢٫٦٠	———		١٥٫٥
أغنام	١٫١٧٠٫٩٣٩	٦٫٣٥٢٫٨٧٤	٧٫٢٢٣٫٨١٣	٩٤٫٧٨٦	٧٧١٫٩٩١	٨٦٦٫٧٧٧	١١٫٥
معز	———	٣٫٣٢٣٫٣١٩		———	٧١٫٥٠٥		٢
ماعز	———	١٨٢٫٢٦٥		———	١٠٫٦٠٥		٥٫٨
إبل	———	٤٣٦٫٧٥٤		———	٦٧٫١٥٦		١٥٫٤
ألبان	١٢٤٫٦٩٫٥١٤	———		٢٫٨٠١٫٨٥٢	———		١٫٨

- الجدول من اعداد الباحث .
- انتاج الدجاج والبيض والأغنام والماعز والأبقار والابل بالواحد.
- انتاج اللبن باللتر .

مصدر البيانات :
- ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء بوزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية
النشرة السنوية للاحصاءات الزراعية ١٩٨٤ / ١٩٨٥ م

جدول رقم (٢٠)
انتاج التمور بالمملكة العربية السعودية والأهمية النسبية لكل إمارة
عام ١٩٧٨ م

الإمارة / السنان	المساحة بالدونم	٪	الترتيب	الانتاج بالطن	٪	الترتيب
الشرقية	٧٨٧٢٨ر٦	١٦ر٦	٢	٦٣٥٧٩ر٦	٢٠ر٢	٢
الرياض	١١٩٤٥٩ر٦	٢٤ر٨	١	٨٦٩٧٦ر٨	٢٧ر٦	١
القصيم	٥٠٨٩٢ر٦	١٠ر٦	٤	٣٦٧٣٥ر١	١١ر٦	٣
حائل	٣٤٣٣٠ر٩	٧ر١	٥	٢٦٥٤٩ر٩	٨ر١	٥
المنطقة الشمالية	١٠٦٤٣ر٩	٢ر٢	٨	٣٠٤٧ر٥	١ر٠	٩
المدينة المنورة	٣٣٢٠٨ر٨	٦ر٩	٦	١٦٤٨١ر٩	٥ر٢	٦
مكة المكرمة	٧٦٦٢٩ر٨	١٥ر٩	٣	٣٣١٣٣ر١	١٠ر٥	٤
عسير	٢٧٥٩٠ر٥	٥ر٧	٧	٩٠٧٥ر٤	٢ر٧	٧
الباحة	١٥٨٤ر٦	٣ر٠	١٠	٨١١ر٦	٠ر٣	١٠
نجران	٧٧٤٢ر٣	١ر٦	٩	٤٢٥٤ر١	١ر٣	٨
المملكة	٤٨١١٥١ر٩	١٠٠	—	٣١٥٥٠٠ر١	١٠٠	—

المصدر : كلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل .
ندوة النخيل الأولى بالمملكة العربية السعودية ٢٨ - ٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ .

التقديرى بالقصيم البالغ ٢٩٦ الف نسمة (جدول ٢٢) عام ١٤٠٣هـ .

يتم اتباع طرق الرى الحديثة فى كثير من المزارع وخاصة بالنسبة لمحصول القمح الذى يعتمد على الرى المحورى .

- يتم اتباع طرق الرى الحديثة (جدول ٢٣) كالرى المحورى والمدفعى والرى الثابت ، وجميعها تساعد على زراعة مساحة كبيرة بأقل تكلفة ممكنة مع الاستفادة بأكبر قدر ممكن من المياه ، وكذلك الرى بالتنقيط الذى يستخدم فى زراعة النخيل وأشجار الفاكهة كالعنب والرمان والحمضيات والخضروات داخل البيوت المحمية .

- لقد ساعد على نجاح الزراعة بالقصيم سهولة الاتصال بينها وبين المدن الرئيسية بالمملكة (الرياض والمدينة المنورة ومكة المكرمة) ، فهى تكاد تكون فى موقع متوسط بين الرياض والمدينة المنورة ، (جدول ٢٤) .

- انشئت صوامع للغلال ومطاحن للدقيق بالقصيم قرب بريدة بدأ تشغيلها منذ عام ١٣٩٨هـ ، وبلغت طاقتها التخزينية ٢٨٥ الف طن فى موسم عام ١٤٠٤هـ ويضم هذا المشروع مطحناً للدقيق طاقته الانتاجية ٣٠٠ طن يومياً ومصنعاً للأعلاف طاقته الانتاجية ٣٠٠ طن يومياً ومصنعاً للأعلاف طاقته الانتاجية ٦٠٠ طن يومياً كما ينتج مختلف أنواع الأعلاف .

معوقات التنمية الزراعية :

رغم النجاح الذى حققته التنمية الزراعية فإن هناك بعض المعوقات ذات الأثر على برامج التنمية نذكرها فيما يلى : —

(أ) معوقات طبيعية : وتتمثل فيما يلى :

- الموارد المائية باعتبارها المحدد الأساسى للأنتاج الزراعى حيث يعتمد جزء كبير من المساحات المزروعة على الأمطار التى تتميز بالندرة وعدم الاستقرار .

جدول (٢١)
الأراضى القابلة للرى فى منطقة القصيم

القطاع	أراضى جيدة صالحة للزراعة بالهكتار	الأراضى القابلة للرى ويمكن زراعتها رغم بعض المشاكل
١ — وادى الرمه	١٤٩٦١	
٢ — بريدة	١٥٧٥٠	
٣ — الأسياح	٦٣٠٧	
٤ — خف المذنب	٢٠١٦٣	
٥ — وادى الريشه	١١٦١٧	
٦ — سطحات طرق الغربية	١٩٧٣	
٧ — الرويضه	٣٦١٤	
٨ — الرويضة	—	١٢٫٠٠٠
٩ — النبرس	—	١٥٫٠٠٠
الاجمالى	٧٤٣٨٥	٢٧٠٠٠

المصدر : الاستشارى سنة ١٣٩٩ هـ .

جدول (٢٢)
عدد السكان التقديري لمنطقة القصيم ١٣٩٤ - هـ

م	البلديات	١٣٩٤ هـ	١٣٩٩ هـ	١٤٠٣ هـ	معدل النمو السنوي المتوسط
١	بريدة	٦٩٩٢٤	١٠٠٠٠٠	١٣٧٠٠٠	٨,٣
٢	عنيزه	٣٦٩٩٠	٤٠٠٠٠	٥٦٠٠٠	٩,١
٣	الرس	١٢٣٦٦	١٥٠٠٠	١٨٠٠٠	٤,٤
٤	البكيرية	٦٤٠٠	١٠٠٠٠	١٤٠٠٠	٩,٠
٥	الدنب	٤٥٨١	٧٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠,٠
٦	البدائع	—	١١٠٠٠	١٥٠٠٠	٩,٠
٧	الأسياح	١٥٠٠	٢٥٠٠	٤٠٠٠	١١,٠
٨	رياض الخبراء	٨٢٠٠	١٤٠٠٠	١٨٠٠٠	٦,٠
٩	الخبراء/السحابين	—	٩٠٠٠	١٣٠٠٠	٩,٠
١٠	الشماسة	—	٤٥٠٠	٥٥٠٠	٥,٠
١١	عيون الجواء	١١٩٢	٢٠٠٠	٣٠٠٠	١٠,٩
١٢	البهانية	١٣٧٦	٢٠٠٠	٢٥٠٠	٨,٠
	المجموع	١٣٢,٥٢٩	٢١٧,٠٠٠	٢٩٦,٠٠٠	٨,٨

* المصدر : منطقة القصيم - مخطط التنمية الشامل المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالقصيم .

جدول رقم (٢٣)
وسائل الرى الحديثة بالقصيم
١٤٠٣ هـ / ١٤٠٤ هـ

مدن الزراعة	محورى	مدفعى	ثابت	ثنقيط
بريدة	٣٠١٦	٧٦٩	٨٩٣	—
عنيزة	٧٠٠	٣٠٠	—	١٠٠
الاجمالى القصيم	٣٧١٦	١٠٦٩	٨٩٣	١٠٠

- الجدول من اعداد الباحث
- مصدر البيانات :
الغرفة التجارية الصناعية بالقصيم – اللجنة الزراعية .
ماذا تعرف عن الزراعة بالقصيم ١٤٠٥/ ١٤٠٦ هـ .

جدول (٢٤)
المسافات بين أهم مدن القصيم ومدن المملكة الرئيسية

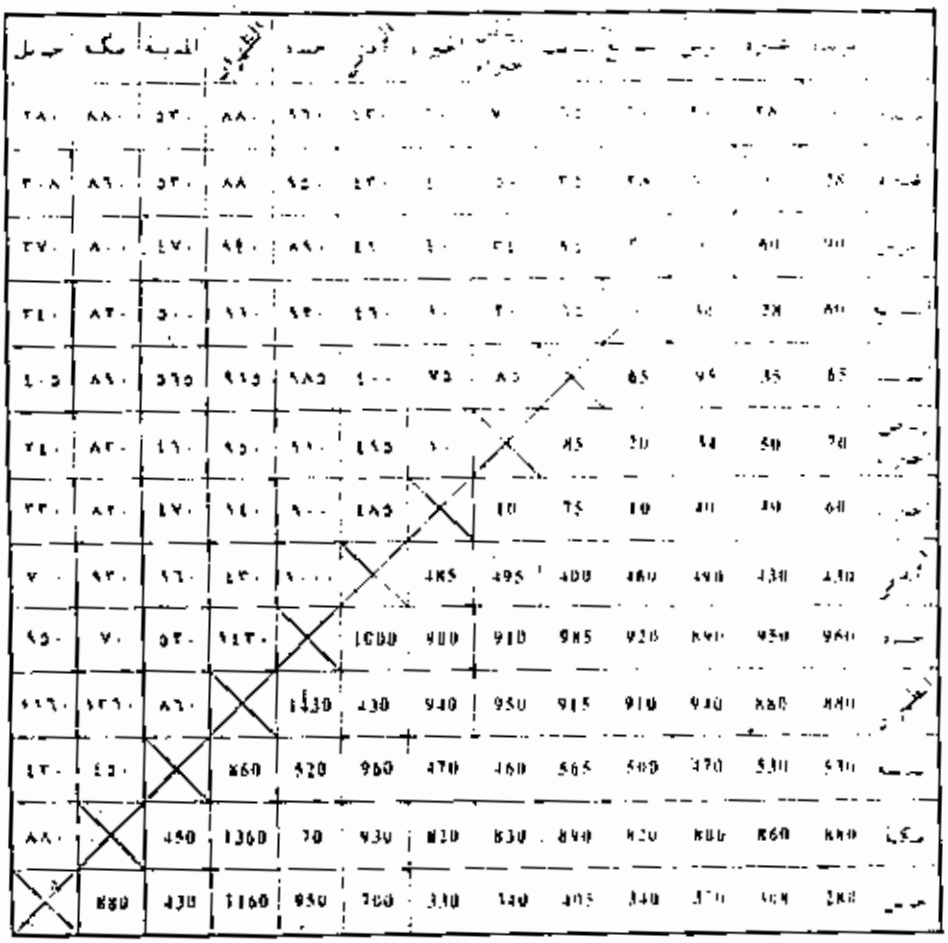

* المصدر : إدارة الطرق – القصيم – وزارة المواصلات – بريدة – المملكة العربية السعودية .

المناخ الحار الذى يؤدى إلى فقدان جزء كبير من الماء بالبخر ويزيد من ملوحة التربة ويرفع من معدل نتح النبات .

- عدم استواء الأرض يعيق استخدام الآلات الزراعية الحديثة التى تعد ضرورية لمواجهة نقص العمالة .

إن هناك حد أقصى للتوسع فى بعض المحاصيل الغذائية ذات الاحتياجات المائية فى بعض المناطق مما يجعل الاكتفاء الذاتى على المدى البعيد أمر يصعب تحقيقه فى ظل التوسع الزراعى الذى لايتفق والموارد المائية المتاحة .

- نضوب بعض الآبار عندما يكون معدل سحب الماء أكبر من طاقة الماء الجوفى فى بعض المناطق .

هبوب العواصف الرملية والترابية يؤدى إلى تلف بعض المحاصيل ويضر بالصحة .

- ظاهرة الكثبان الرملية لها آثارها الضارة على بعض المحاصيل .

- بعض التربات مثل التربات الملحية تحتاج الى معالجة للتخلص من الأملاح ، كما أن بعض التربات فقير فى المواد الغذائية اللازمة للنبات كالنيتروجين مما يتطلب تعويض ذلك باستخدام الأسمدة .

بعض المياه المتاحة كتلك التى فى تكوين الخف لاتناسب جميع النباتات ، ولذلك فهى تحتاج الى معالجة حتى يمكن الاستفادة منها أو زراعة محاصيل معينة تتناسب وهذا النوع من المياه .

- التربة الرملية التى تحتاج الى وفرة فى المياه لشدة نفاذيتها .

تعرية التربة نظرا لشدة الرياح أحيانا أو بسبب السيول .

(٢) معوقات بشرية :

وتتمثل فيما يلى :

هجرة القوى العاملة من الريف الى المدن جرياً وراء الاجور المرتفعة وسعياً وراء ارتفاع مستوى المعيشة .

- الاعتماد على العمالة الوافدة الى حد كبير لعدم وجود العمالة المحلية الكافية .

- عدم توفر العمالة الفنية الكافية لصيانة الآلات الزراعية مما يؤدى الى شراء آلات جديدة بدلا من صيانة الآلات القديمة خاصة فى ظل الدعم المقدم للآلات ، مما يؤدى الى زيادة تكلفة الانتاج .

- ارتفاع أجور العمالة الزراعية مع عدم ارتفاع معدل العائد الصافى من السلع الزراعية بنفس معدل الانشطة الأخرى مما يؤدى الى هجرة العمالة الزراعية الى الانشطة الأخرى وفى نفس الوقت يؤدى الى زيادة الانتاج الزراعى واردياد احتمالات انكماش حجمه خاصة اذا توافرت منتجات أجنبية مناسبة بأسعار أقل فى الأسواق المحلية .

انخفاض متوسط مساحة الحيازة الزراعية يقلل من الاعتماد على الآلات الحديثة فى وقت يقل فيه العرض من العمالة الزراعية .

- يتميز القطاع الخاص فى استثماراته بالسعى وراء الربح السريع المضمون ، ولذلك فان كثيراً من المستثمرين يبتعدون عن القطاع الزراعى لعدم التأكد من العائد وانخفاضه بصفة عامة بالمقارنة بغيره من القطاعات الأخرى فى المدن ، ولذلك فإن ما يقدم عليه القطاع الخاص يعتمد على الحوافز والدعم الذى تقدمه الدولة .

- ان للحوافز التى قدمت لتشجيع زراعة القمح جوانب سلبية تبرز فى استهلاك المياه بدرجة قد تؤدى الى النضوب السريع للمياه الغير قابلة للتجديد .

- ان زيادة الانتاج فى محصول معين يكون عادة على حساب محصول آخر مما يؤدى الى اختلال فى التركيب المحصولى الذى قد تنعكس آثاره على الانتاج كما ونوعاً .

- ان القوة الشرائية فى المملكة لا يواكبها زيادة متوازنة فى المساحة المنزرعة أو فى الانتاج الزراعى مما يجعل تحقيق الاكتفاء الذاتى أمراً يحتاج الى جهود كبيرة .

- تقوم الدولة عادة بتوزيع الأراضى البور مع ترك استصلاحها للزارعين فى القطاع الخاص ، ونظراً لعدم دراية بعضهم بقدرة الأرض المحدودة فى مراحلها الأولى فإن ذلك يؤدى الى ظهور الأراضى الملحية فى بعض المناطق .

عدم وجود حماية للانتاج المحلى ضد منافسة الواردات من السلع الشبيهة للانتاج المحلى .

عدم التنسيق بشكل عام بين مناطق الانتاج المختلفة ومناطق الاستهلاك .

عدم وجود تكامل بين مشروعات التخزين والتعبئة والتصنيع الزراعى .

- عدم وجود نظم تسويقى للانتاج المحلى لبعض المحاصيل كالخضروات والفاكهة والانتاج الحيوانى .

توصيات :

فى ضوء خطط التنمية وما حققته من نجاح ، وما واجه التنمية الزراعية من معوقات ، فان هناك بعض الأمور التى نرى أن توضع فى الاعتبار حتى تتحقق التنمية الزراعية بالصورة المثلى ومن أهمها :

- وضع ضوابط ومعايير لترشيد استخدام المياه .
- العمل على تطبيق التقنية الحديثة على نطاق واسع لتقليل استخدام المياه .
- معالجة المياه الجوفية المالحة للاستفادة منها فى الزراعة والشرب .

التوسع فى الاستفادة من مياه المجارى بعد معالجتها .

- مواصلة التوسع فى مشاريع تحلية مياه البحر حتى تخفف الضغط على المياه الجوفية .
- نشر الوعى الزراعى بين الجمهور لترشيد استهلاك الانتاج الزراعى .

تدخل الدولة فى استصلاح الأراضى البور على أسس علمية ، قبل تسليمها للمزارعين ، لأن ذلك فوق قدراتهم ، كما أنه يساعد على منع تدهور الأرض وفقدانها لخصوبتها .

- العمل على ادخال محاصيل قصيرة العمر مبكرة النضج مرتفعة الغلة بحيث يمكن الحصول على محاصيل لا تشغل الأرض لفترة طويلة مما يساعد على التوسع الرأسى للانتاج الزراعى .
- التركيز على الميكنة الزراعية حتى يتفادى هذا القطاع مشكلة نقص العمالة

مع العمل على تحسين مستوى استخدام الآلات .

- تحديد التركيب المحصولى للانتاج الزراعى فى ضوء الاحتياجات الفعلية للسكان والميزة النسبية لكل محصول .
- العمل على تخفيض الاعانات بشكل تدريجى وليس بشكل فجائى حتى لا يتبعه تخفيض مفاجىء فى الانتاج لا يتناسب وخطط التنمية ، كما أن استمرار تقديم الاعانات على المدى الطويل ليس فى صالح الاقتصاد بشكل عام .
- العمل على جودة الانتاج بشكل عام أى الاهتمام بالكيف وليس بالكم فقط .
- العمل على الحماية الجمركية وخاصة بالنسبة للمنتجات التى قاربت من الاكتفاء الذاتى تشجيعاً لها على الاستمرار .
- تشجيع قيام الصناعات الغذائية المعتمدة على الانتاج الزراعى القائم .
- العمل على انتاج مستلزمات الانتاج الزراعى مثل الأسمدة والبذور والأمصال البيطرية وانتاج اللقاحات ومعدات الرى ومقاومة الآفات .
- اعداد عمالة فنية متخصصة فى ميدان الزراعة .
- العمل على تنمية مهارات وادراك المشتغلين بالزراعة فى استخدام الآلات التى يتعاملون معها .
- الاستغلال الكامل لطاقات المزرعة ومواردها المتاحة بشكل اقتصادى .
- العمل على استمرار السيولة النقدية لدى المنتجين بحيث لا يتأخر صرف مستحقاتهم مما يؤثر على مستوى الانتاج .
- العمل على حفظ وتبريد وتخزين المنتجات الزراعية ..
- اعداد فنيين لصيانة الآلات حتى لا يلجأ المنتجون لشراء آلات جديدة وفى هذا زيادة لتكلفة الانتاج الزراعى .
- توجيه الدعم المالى نحو مستلزمات الانتاج .
- انشاء شركات متخصصة لتسويق المنتجات الزراعية فى ضوء الطلب المحلى والعرض العالمى من المنتجات الغذائية .

- الاهتمام باستغلال وتنمية المراعى الطبيعية وحمايتها من الرعى الجائر .
- التوسع فى تصنيع الاعلاف من المصادر غير التقليدية وذلك للاستفادة من نفايات الحيوانات ومخلفات المجارر ومصانع الاسماك حتى يمكن توفير المحبوب للاستهلاك البشرى ، كما يؤثر على تخفيض أسعار المواد الغذائية .
- التوسع فى تربية السلالات الحيوانية الممتازة التى ترفع من انتاجية الوحدة من اللحوم والألبان .
- الرعاية البيطرية وتحقيق الثروة الحيوانية ضد الأمراض والأوبئة .

خاتمـة :

لقد أعطت المملكة العربية السعودية من خلال خطط التنمية اهتماماً كبيراً للزراعة ، وذلك ضمن استراتيجية وطنية تهدف الى تنويع مصادر الدخل القومى ، كما تهدف الى تخفيض حجم الواردات من المنتجات الغذائية والى مواجهة مشكلة الغذاء ، والى توطين البدو وتخفيف نزوح السكان من الريف الى المدن ورفع مستواهم المعيشى .

وقد اتضح من البحث أن هذا الاهتمام حقق نجاحاً كبيراً يمكن ادراكه من ارتفاع مساهمة القطاع الزراعى فى الناتج المحلى الاجمالى ، كما ترتب عليه تحقيق فائض فى بعض المحاصيل الهامة كالقمح والتمور ، والى ما يقرب من الاكتفاء الذاتى فى بعض محاصيل الفاكهة والخضروات وفى انتاج الدواجن والبيض واللحوم والألبان .

ولم يكن ممكناً تحقيق هذا النجاح فى بلد صحراوى نادر المطر كالمملكة لولا الدعم الذى تقدمه الدولة كحوافز فى شكل منح أو قروض ميسرة بدون فوائد ، أو فى شكل خدمات وارشاد زراعى . كما أمكن بفضل هذا الدعم الاستفادة الى حد كبير بالمياه الجوفية التى تتوفر فى المملكة .

وللقصيم دور كبير فى نجاح القطاع الزراعى بالمملكة ، فهى تعد من أهم مناطق المملكة الزراعية ، حيث تساهم بنحو ثلث انتاج المملكة فى بعض المحاصيل كالقمح كما تساهم بجزء كبير من انتاج المملكة من الخضروات والفاكهة . وبالامكان أن تحقق القصيم نجاحاً أكبر فى المستقبل رغم أن مساحة القصيم لا تتجاوز ٣٪ من مساحة المملكة ، وذلك إذا امكن التغلب على المعوقات المشار اليها فى البحث .

ومما ساعد على نجاح الزراعة بالقصيم ما تتمتع به من مساحة واسعة صالحة للزراعة ومن مناخ يساعد على تنوع المحاصيل على مدار السنة ، ومن مياه جوفية وفيرة تمد الزراعة بحاجتها من المياه على مدار السنة .

ورغم ما تحقق من نجاح للزراعة فان هناك بعض المعوقات التى تواجه

التنمية الزراعية في المملكة بصفة عامة وفي القصيم بصفة خاصة ، وهذه المعوقات بعضها طبيعي والآخر بشري ورد ذكرها بالبحث ضمن معوقات التنمية الزراعية .

وللتغلب على هذه المعوقات ينبغي القيام ببعض الأمور التي أشرنا اليها ضمن التوصيات بالبحث التي تعد ضرورية لكي تتحقق أهداف التنمية الزراعية على المدى الطويل وحتى يكون نجاح القطاع الزراعي مسايراً لخطط التنمية .

والله ولي التوفيق .

الهوامش :

١ - حسين على الشرع

النفط والتنمية الشاملة فى الوطن العربى - الرياض ١٩٨٢م ، ص (٢٤٠) .

٢ - المرجع السابق ، ص (٢٧٩) .

٣ - د. محمود الشافعى :

التنمية والبرمجة الصناعية ، محاضرات غير منشورة .

٤ - صيد عيسى :

التنمية الاقتصادية فى المملكة العربية السعودية ، الرياض . التاريخ (بدون) ، ص (١) .

٥ - الغرفة التجارية والصناعية بالمملكة ، ادارة البحوث .

مقومات التكامل الزراعى والصناعى بالمملكة ، الرياض ١٤٠٥ هـ ، ص (٢٧) .

٦ - د. مصطفى نورى عثمان :

الماء ومسيرة التنمية فى المملكة العربية السعودية ، جدة ١٤٠٤ هـ ص (٢٥٢) .

٧ - صدرت فتوى شرعية باجازة استعمال مياه المجارى بعد تنقيتها وتصفيتها ، فقد افتت هيئة كبار العلماء بالمملكة بقرارها رقم ٦٤ بتاريخ ٢٥/١٠/١٣٩٨هـ « بأن الماء الكثير المتغير بنجاسة يطهر اذا زال تغيره بنفسه أو باضافة ماء طهور اليه أو زال تغيره بطول مكث أو تأثير الشمس ودور الرياح عليه أو نحو ذلك لزوال الحكم بزوال علته » .

٨ - وزارة التخطيط بالمملكة العربية السعودية

خطة التنمية الثالثة (١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ) ، ص (٥١) .

٩ - مؤسسة النقد السعودى :

التقرير السنوى العام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .

١٠ - وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية :
ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء ، النشرة السنوية للاحصاءات الجارية بالعينة ، ١٩٨٥ م .

١١ - البنك الزراعي العربي السعودي :
التقرير السنوي رقم ٢١ لعام ١٤٠٤/١٤٠٥هـ .
١٢ - الغرفة التجارية الصناعية بالمملكة العربية السعودية - ادارة البحوث :
مستقبل الزراعة بالمملكة ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ص (٥٦) .
١٣ - وزارة التخطيط بالمملكة العربية السعودية :
حقائق وأرقام منجزات خطط التنمية ١٣٩٠ - ١٤٠٢هـ .
١٤ - د. عبد الرحمن صادق الشريف :
جغرافية المملكة العربية السعودية - الجزء الأول ، الرياض ١٩٨٤م . ص (٨٧) .
١٥ - مصطفى نوري عثمان ، مرجع سابق ، ص (٦٧) .
١٦ - المرجع السابق ، ص (٧٤) .
١٧ - المرجع السابق ، ص (٧٥) .
١٨ - د. عبد العزيز طريح شرف :
امارة حريملاء . دراسة جغرافية ميدانية ، القسم الأول ، قسم الجغرافية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الرياض ١٤٠٦هـ ، ص (١٩٥) .
١٩ - تورکونسلت ١٤٠٣ هـ .
٢٠ - وزارة الزراعة ، المملكة العربية السعودية ، ادارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء :
النتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل ١٤٠١/١٤٠٢هـ .

المراجع :

١ د محمد عبد الغنى سعودى :
الوطن العربى ، بيروت ١٩٨٢ م .

٢ د. محمد متولى :
حوض الخليج العربى ، القاهرة ١٩٧٧م .

٣ د. محمود طه أبو العلا :
جغرافية شبه الجزيرة العربية ، الجزء الثانى ١٩٨٦م .

٤ الغرفة التجارية الصناعية بالمملكة العربية السعودية ، ادارة البحوث
مكنة القطاع الزراعى وأثرها على الانتاجية الزراعية ، الرياض ١٤٠٤ هـ .

٥ - الغرفة التجارية الصناعية بالمملكة العربية السعودية ، ادارة وثائق وانجازات المؤتمر الثانى لرجال الأعمال السعوديين ، الرياض ١٤٠٥هـ .

٦ - الغرفة التجارية الصناعية بالمملكة – ادارة البحوث
ماذا تعرف عن الزراعة بالقصيم ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ .

٧ - الاستشارى ست ١٣٩٩ هـ .

٨ - جامعة الدول العربية :
المنظمة العربية للتنمية الزراعية –
السياسة الزراعية للمملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، الخرطوم ١٩٨٩م .

٩ - كلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل
ندوة النخيل الأولى - جمادى الأولى ١٤٠٢هـ .

١٠ - كلية الاقتصاد والادارة بالقصيم :
دراسة اقتصادية واجتماعية عن القصيم ١٤٠٤هـ .

١١ مؤسسه النقد السعودى
التقرير السنوى لعام ١٤٠٤/ ١٤٠٥/ ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ

١٢ - مديرية الشئون البلدية والقروية بالقصيم .
خطط التنمية الشاملة بالقصيم .
١٣ منظمة الأغذية والزراعة (F.A.O) .
١٤ - وزارة المالية والاقتصاد الوطني بالمملكة العربية السعودية :
خطط التنمية الأولى والثانية والثالثة والرابعة (١٣٩٠ - ١٤١٠ هـ) .
١٥ - وزارة المالية والاقتصاد الوطني بالمملكة العربية السعودية - مصلحة الاحصاءات العامة :
الاحصاءات السنوية لأعوام ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ هـ .
١٦ - وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية - إدارة الدراسات الاقتصادية والاحصاء :
النشرات الاحصائية والنتائج العامة للتعداد الزراعي الشامل .
١٧ - وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية :
ادارة الثروة الحيوانية .

18 - Ali Haroun,

Agriculture and Water Resources in S.A.

Faculty of arts, Alex. Un. Rev. no 34, 1986.

19 - A.P.A.Vink,

Land use in advancing agriculture, Berlin, 1975.

20 - L.Arnon,

Crop production in Arid Regions, London 1972.

21 - Fisher W.B,

The middle East, London 1976

22 - Peter Beamont,

Water Development in S.A.,

The geographical Jounal, vol. 143, P1, March 1977-

23 - Ministry of Agriculture and water in S.A.:

Aguide to Agriculture Investment in S.A 1979.

(شكل رقم ١)
أنواع السدود بالمملكة

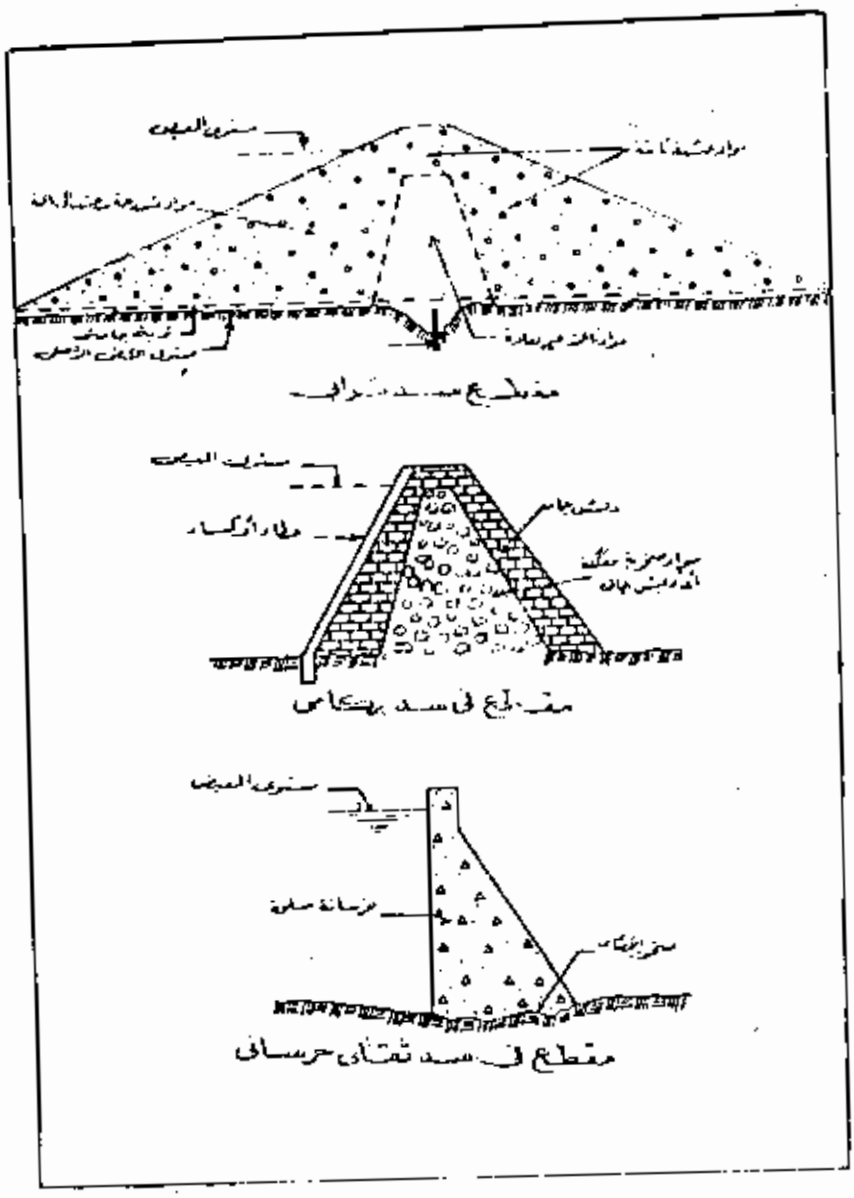

المصدر : مصطفى نورى عثمان
الماء وسبرة الشبة بالمملكة

(شكل رقم ٢)
موقع منطقة القصيم

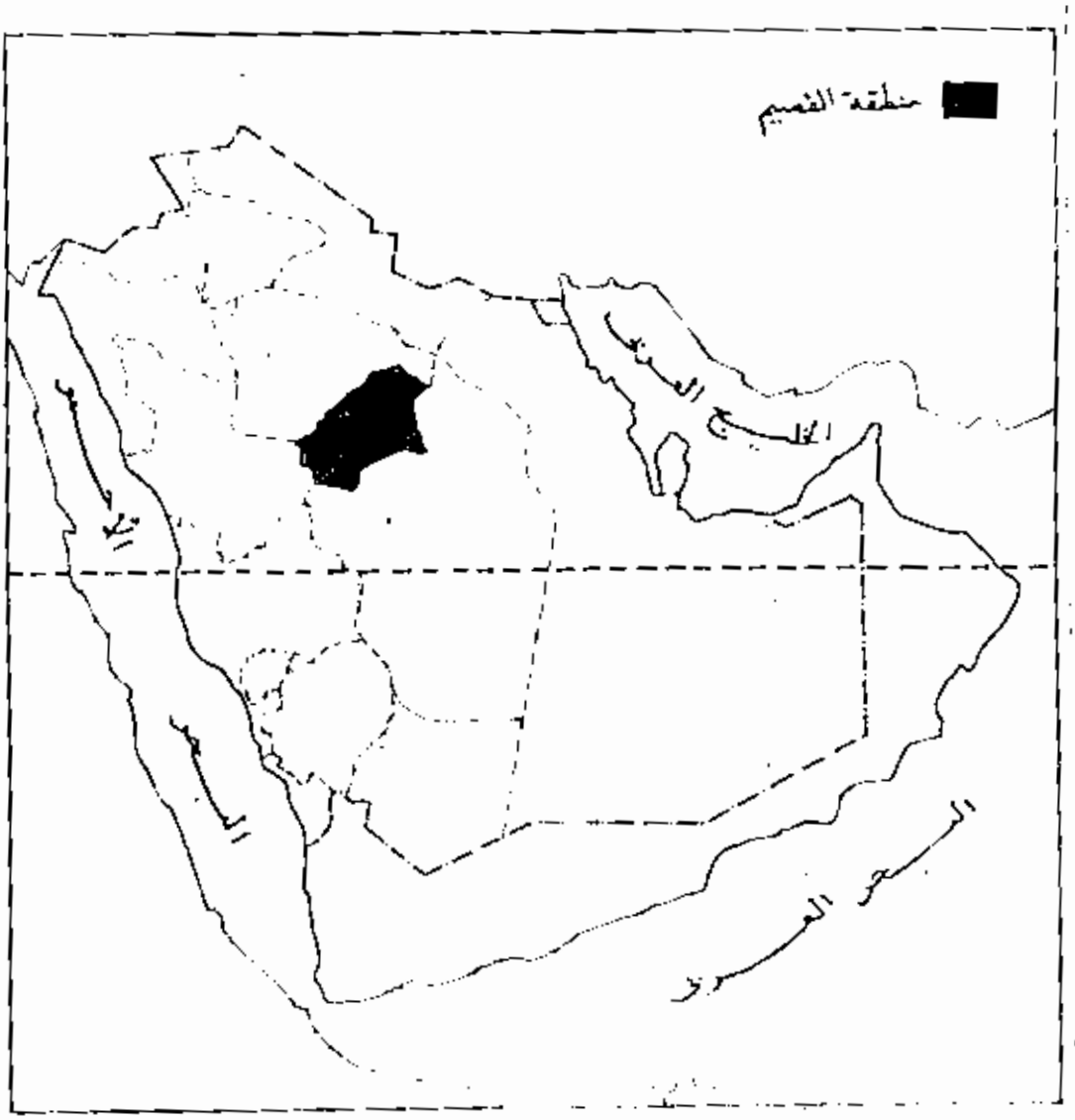

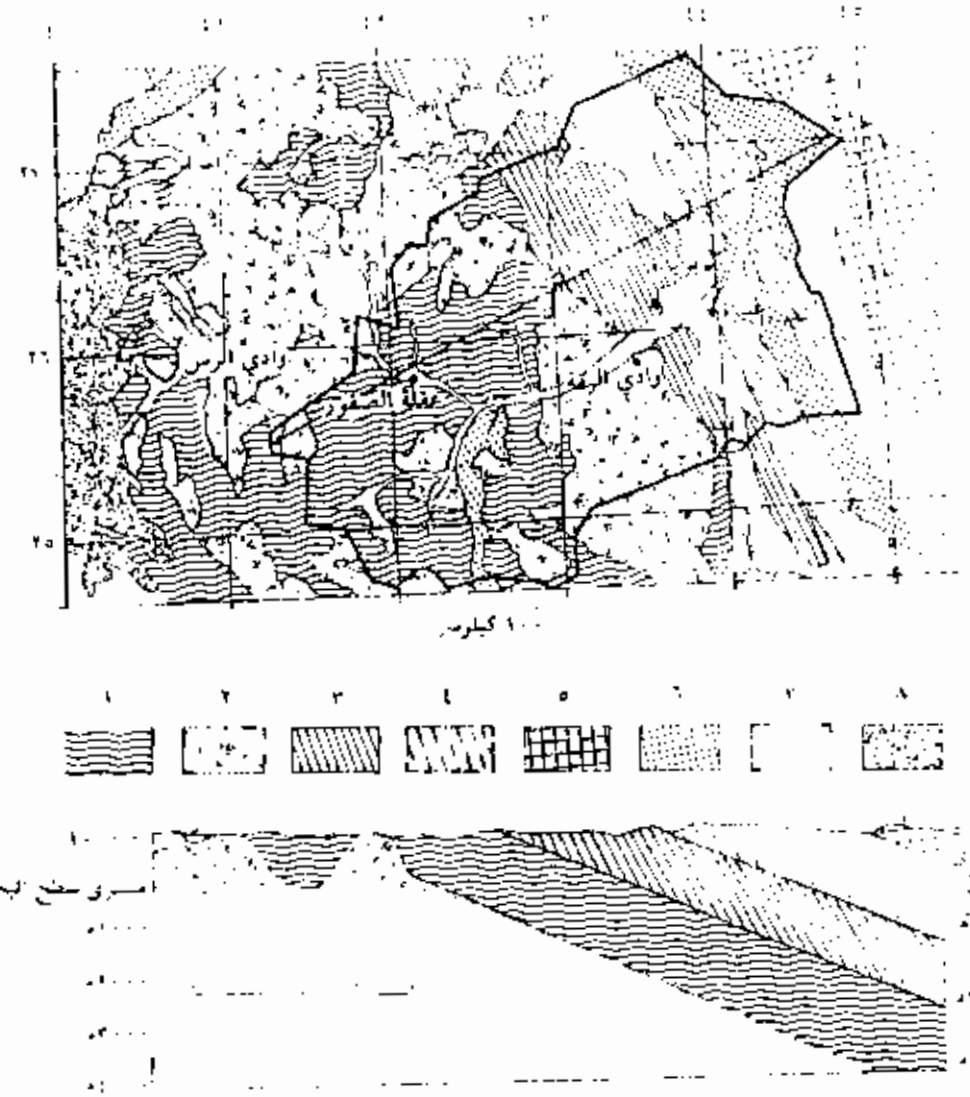

(١) صخور متحولة ترجع الى ماقبل العصر الكمبري .
(٢) جرانيت وصخور جرانيتية متحولة .
(٣) أحجار رملية ترجع الى ماقبل العصر الكمبري الديفونى
(٤) أحجار رملية ترجع الى العصر البرمي .
(٥) صخور ترجع إلى العصر الجوراسي والعصر الطباشيري .
(٦) رمال هوائية
(٧) طمي (غرين) وما يرتبط به من رواسب .
(٨) بازلت يرجع الى البرمي الثالث والرابع .

(شكل رقم ٣)
الخريطة الجيولوجية وقطاع في منطقة القصيم

- المصدر : كلية الاقتصاد والادارة بالقصيم
دراسة اقتصادية واجتماعية عن القصيم ١٤٠٤ هـ .

(شكل رقم ٤)

المظاهر التضاريسية بالقصيم

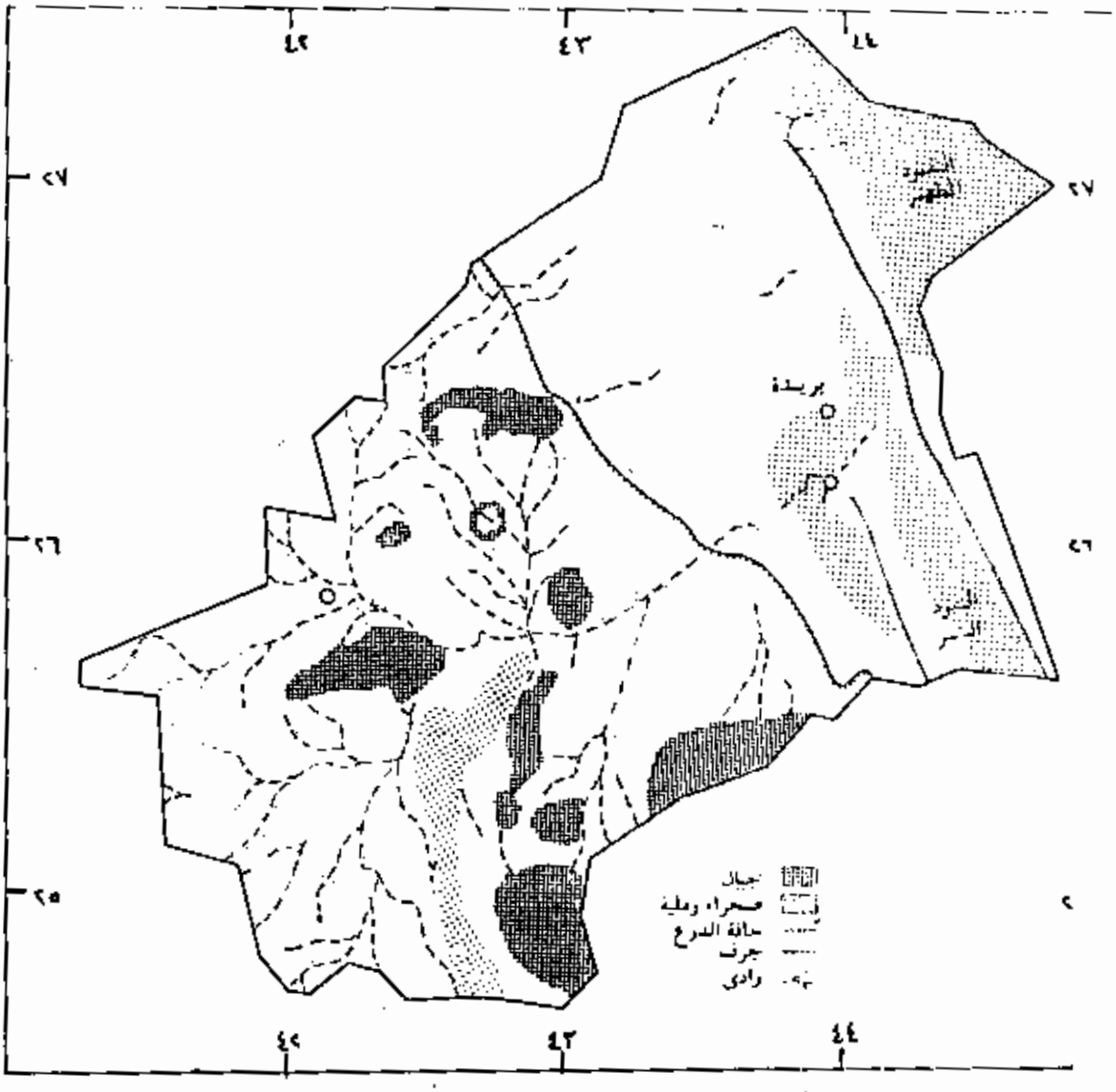

مقياس الرسم : ١ : ٢٫٠٠٠٫٠٠٠

المصدر : كلية الاقتصاد والادارة بالقصيم

دراسة اقتصادية واجتماعية للقصيم ، ١٤٠٤ هـ .

(شكل رقم ٥)

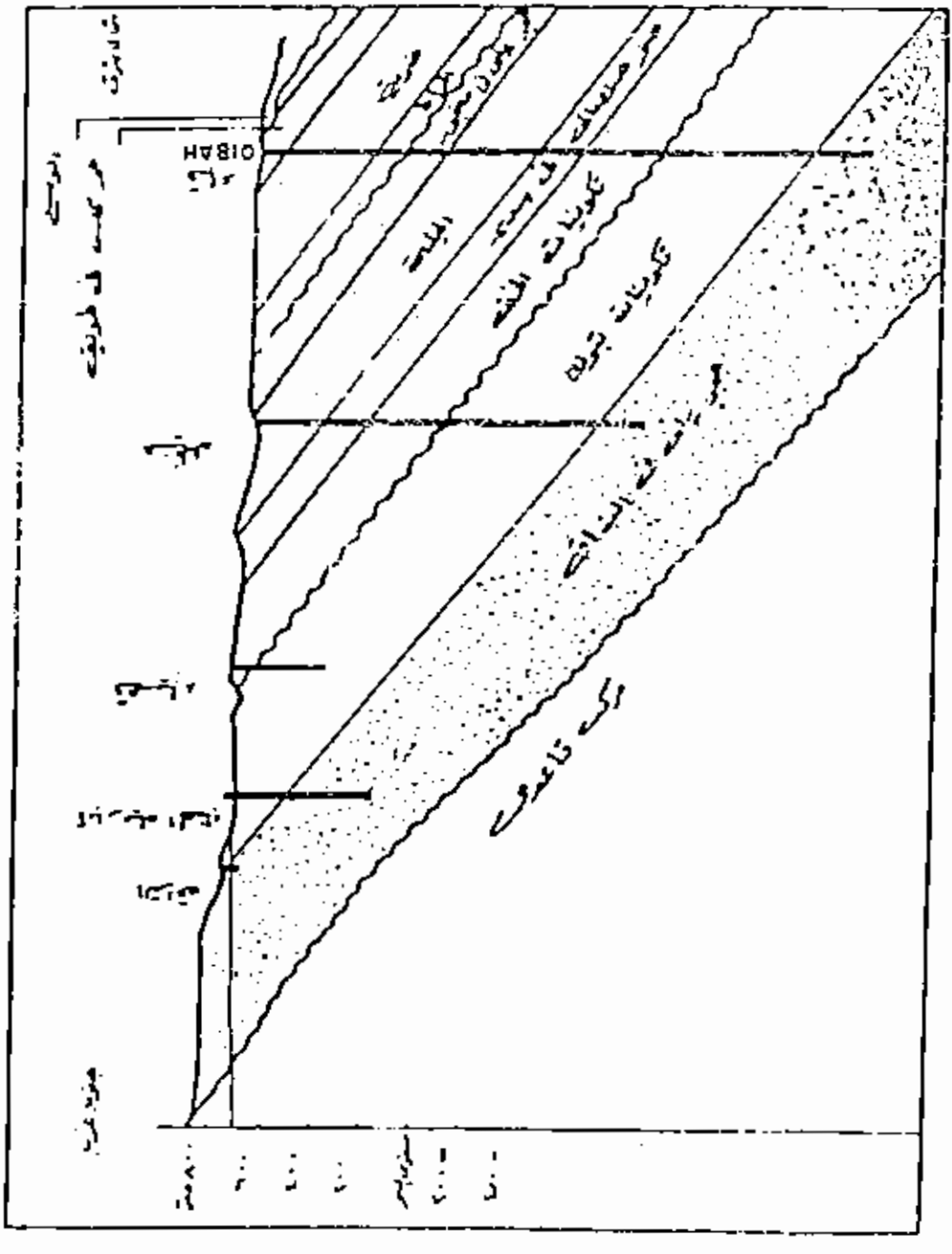

تجمعات خزانات المياه الجوفية بالقصيم

المصدر : خطط التنمية الشامل بالقصيم .

شكل رقم (٦)
خصائص الآبار المحفورة فى طبقة واحدة

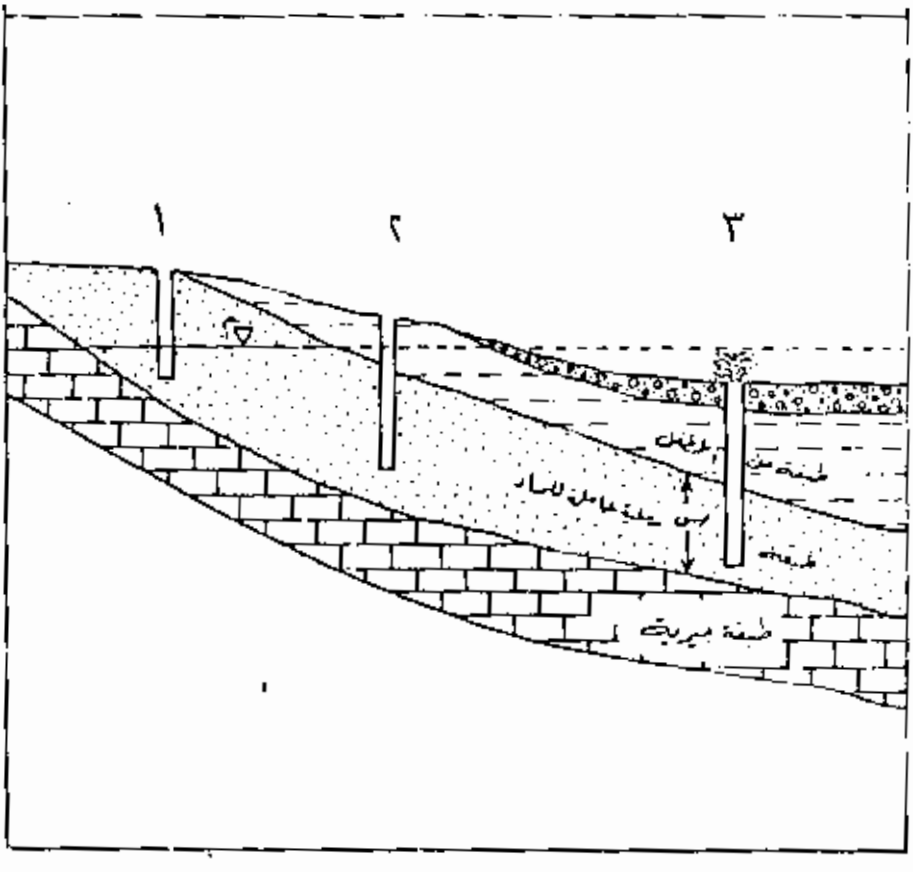

١ – بئر محفورة فى المنطقة غير المحصورة (فى منكشف الطبقة) ولا يرتفع مستوى الماء .

٢ – بئر محفورة فى المنطقة المحصورة من الطبقة ويرتفع مستوى الماء فيها .

٣ – بئر محفورة فى المنطقة المحصورة من الطبقة وينتقل مياهها على سطح الأرض بسبب ارتفاع مستوى الماء عن سطح الأرض .

– س سمك الطبقة الحاملة للماء .

– س سمك الطبقة الحاملة للماء .

– م مستوى منسوب الماء فى الطبقة الحاملة له .

المصدر : الماء ومسيرة التنمية فى المملكة العربية السعودية .

شكل رقم (٧)
توزيع التربة السائدة في منطقة القصيم

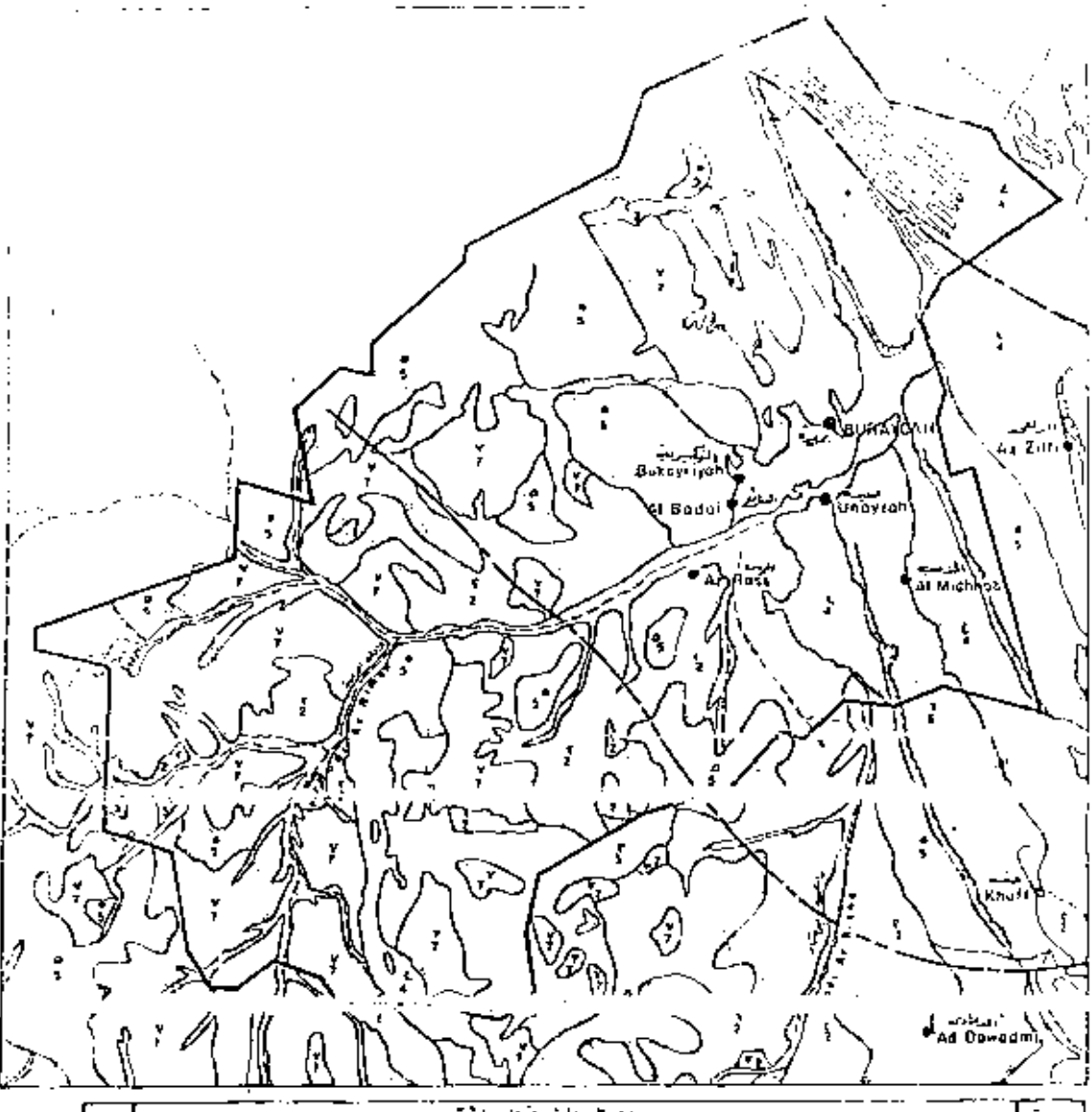

UNIT	أحوال التربة السائدة SOIL CONDITIONS	الرمز
1	ALLUVIAL WILEY DEEP LOAMY TO SANDY SOIL WITH STONY AND GRAVELLY LOCAL LOAMY DEPOSITS	
	QUATERNARY SEGMENTS AND ALLUVIAL COLLUVIAL FANS GRAVELLY SANDY SOIL	
3	GRANITE AND SHALE OUTCROPS WITH LOAMY SAND DEPOSITS SKELETAL SOILS AND DEEP SANDY SOILS	٦
4	SAND DUNES, DEEP SANDY SOILS	
5	SANDSTONE GNEISS, GRANITE AND MODERATELY ENDURE GRAVELLY SANDY SOIL	
	LIMESTONE SKELETAL SOIL AND GRAVELLY LOAMY SAND	
7	SANDSTONE GNEISS, GRANITE, SHALE, SKELETAL SOIL LOCAL GRAVELLY SANDY SOIL	

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠٠٠٠٠

المصدر : خطط التنمية الشامل بالقصيم

شكل رقم (٨)
النباتات الطبيعية فى القصيم

UNIT	النباتات المعمرة السائدة PREVAILING PERENNIAL VEGETATION	الوحدة
1	HALOPHYTIC SUCCULENT SHRUB, HALOXYLON SALICORNICUM-HALOXYLON PERSICU	١
2	ANDROPOGON EPPAPOSUM, HALOXYLON SALICORNICUM, PANICUM TURGIDUM, ARISTIDA SP, ANVILLEA GARCINI	٢
3	ANDROPOGON EPPAPOSUM, HALOXYLON SALICORNICUM, PANICUM TURGIDUM, ARISTIDA SP.	٣
4	CALLIGONUM COMMOSUM, PANICUM TURGIDUM, CYPERUS CONGLOMERATUS, ARTEMISIA MONOSPERMA (HERB)	
5	ANDROPOGON EPPAPOSUM, PANICUM TURGIDUM, LASIURUS HIRSUS, ANVILLEA GARCINI	
6	ANDROPOGON EPPAPOSUM, PANICUM TURGIDUM, ANVILLEA GARCINI, ARTEMISIA HERBA ALBA (HERB)	
7	ANDROPOGON EPPAPOSUM, PANICUM TURGIDUM, OTHNOCARPOS DECANDER	

مقياس الرسم : ١/ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣

المصدر :

خرائط التنمية الشامل بالقصيم

هجرة زراعة البطيخ البعلى من محافظة كفر الشيخ الى غربى محافظة المنيا - دراسة ميدانية

اعـداد

دكتور محمد مدحت جابر عبد الجليل

أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا

كلية الآداب - المنيا

وجامعة الامارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هجرة زراع البطيخ البعلى من منطقة البرلس الى غربى محافظة المنيا دراسة ميدانية

مقدمـة :

يهدف الباحث من دراسته الحالية الى التعريف بهجرة تكاد تكون مجهولة من ناحية ، والى تحليل الابعاد الجغرافية المتضمنة فى هذه الهجرة والتى وجد أنها تجعل منها هجرة فريدة Unique بين أنواع الحركات البشرية التى نعرفها .

وقد كان من حسن حظ الباحث ان دراسته للماجستير كانت عن مركز فوه فى محافظة كفر الشيخ التى قدم منها هؤلاء الزراع ، وان رسالته للدكتوراه كانت عن مركز امنيا فى المحافظة التى وفدوا اليها ، وقد ساعده هذا فى دراسته الحالية .

ومعظم التحليلات المتضمنة فى هذه الدراسة معتمدة على دراسة ميدانية مكثفة تمت بين شهر ديسمبر سنة ١٩٨٣ ومارس سنة ١٩٨٤ ، وذلك أثناء أشراف الباحث على الدراسة الميدانية لطلاب قسم الجغرافية بجامعة المنيا ، وهنا يشير الباحث الى فضل هؤلاء الطلاب فى معاونته وخاصة ما يتعلق بتوزيع وملء استمارات الاستبيان والتى شملت غرب محافظة المنيا وهى مسافة تقترب من ١٢٠ كيلو متراً . وقد شملت الدراسة توزيع هذه الاستمارات على عينة من هؤلاء المهاجرين بلغ عددهم ٣٦٤ شخصاً وهؤلاء يمثلون نسبة حوالى ٥ر١٢٪ من العدد التقديرى للمهاجرين الذكور فى محافظة المنيا . هذا بالاضافة الى تدوين الملاحظات والدراسات الأخرى غير القائمة على الاستبيان والتى امتدت كما سبقت الإشارة الى ٤ شهور .

دوافـــع الهجـــرة Motives

تركز معظم دراسات الهجرة على أهمية عوامل الطرد والجذب Push-Pull Factors والتى تبدوا على سبيل المثال فى عديد من المناطق الأفريقية[1] . وفى منطقة الطرد لهؤلاء المهاجرين نلاحظ أنهم جاءوا فى معظمهم من منطقة واحدة هى مركز البرلس وهى منطقة تتميز بسيادة المكونات الرملية والكثبان التى هى جزء من كثبان شمال الدلتا التى يتراوح اتساعها بين ٥٠٠ – ١٤٠٠ متراً وهى قسمين كثبان منخفضة نسبياً غرب بوغاز البرلس وكثبان مرتفعة تقع شرق بلدة البرج[2] وعلى ذلك فهؤلاء جاءوا من المنطقة المرتفعة الكثبان حيث يقع مركز البرلس ويشتد الضغط على الموارد الأرضية لاسيما والمركز محصور بين البحر المتوسط شمالا وبحيرة البرلس جنوباً ، يضاف الى ذلك انه زاد من الصعوبات الاقتصادية أمام السكان فى البرلس ، تأثر حرفة الصيد بعد استكمال بناء السد العالى وبدء حجز المياه

(١) Kosinski, L.A., & Prothero, R.M., Migrations and population pressures on re sources, in zelinski, W., & others, Geography and crowding world, oxford univ. press, london, 1970, pp. 251-8.

(٢) محمد صفى الدين ابو العز مورفولوجية الأراضى المصرية دار النهضة العربية – الطبعة الأولى القاهرة ، ص ٢٨٣ .

أمامه ، فقل الناتج السمكي وتدهورت الحرفة ، ولذلك ليس من قبيل المصادفة أن يكون بدء هجرتهم متزامن مع اتمام بناء السد في أواخر الستينات .

أما عن خصائص البيئة التي هاجروا اليها غربي محافظة المنيا والتي مثلت دافعاً للهجرة ، فاننا نجد تشابهاً هنا مع بيئتهم الأصلية في كفر الشيخ ، ففي غرب محافظة المنيا يتسع الوادي على عكس الجانب الشرقي فيبلغ متوسط عرضه في الجانب الغربي ١٥ كم ، بينما لا يزيد عن نصف كيلو متر في الشرق وقد ينعدم وجود السهل الفيضي ويظهر صورة متقطعة[٢] ، وفي هذه الحافة الغربية من المحافظة تطغى تكوينات الرمال والتي تسود معظم الهضبة الغربية والتي تصل مساحتها الى أكثر من ثلثي مساحة مصر وهي هضبة صحراوية من خصائصها وجود خطوط الكثبان الرملية الطولية[٣] .

وهنا نلاحظ التشابه الواضح بين بيئتي الطرد والجذب من حيث فقرهما ، وهو أمر غريب ، اذ يلاحظ في دراسات الهجرة ان الاختلاف بين البيئتين هو الذي يحرك تيار الهجرة Migration Flow من منطقة فقيرة الى أخرى غنية .

وتوضيح ذلك – كما سنرى بعد قليل – انه برغم قسوة البيئة في الموطن الاصلي وسيادة مكونات الرمال الا ان هؤلاء السكان طوروا أسلوباً فريداً في الزراعة وخاصة للبطيخ وبعض المقات والطماطم ، يعتمد على زراعة هذه الأصناف دون الاعتماد على الري أو الماء السطحي عموماً . وكان شيوع هذا الأسلوب Technique الفريد سبباً في الضغط على الأرض المتاحة هناك مع نمو السكان – رغم انها ليست ارضاً زراعية تقليدية – فعمد هؤلاء الى الهجرة الى بعض مناطق في مصر لها نفس الخصائص الطبيعية وأهمها مناطق الرمال التي تمد المعمور الزراعي ، وكان منها الجزء الغربي من محافظة المنيا حيث أكثر مناطق هجرتهم أهمية .

(٢) محمد صفي الدين ابو العز – مرجع سابق – ص ١٥٠ – ١٥٤ .

(٣) Said, R., the Geology of egypt, elsevier publ. comp. amsterdam, netherland, 1962, pp. 150-187.

أوجه الشبه والاختلاف بين هجرة زراع البطيخ البعلى وغيرها على المستويين القومى والدولى :

تتباين حركات الانتقال البشرى على مستوى العالم اجمع ، كما توجد فى نفس القطر انواع عديدة من الهجرات والمقارنة هنا توضح التشابه ، وبالتالى فنجد بالمقارنة انه فى مصر توجد هجرة ريفية - حضرية ، وهجرات موسمية لعمال التراحيل ، وهجرة دولية الى خارج البلاد ، ولكن هذه الهجرة موضوع الدراسة تختلف عنها جميعاً مع التسليم بان الدافع الاقتصادى له أهميته وذلك لان هجرة زراع البطيخ ليست قصيرة المدى مثل هجرة عمال التراحيل ، وليست طويلة المدى مثل الهجرة الدولية ، وربما كانت متوسطة المدى مثل الهجرة الريفية - الحضرية . إلا أن أوجه الاختلاف عن معظم الهجرات وخاصة الهجرة الريفية الحضرية فى مصر Rural-urban انها هجرة ريفية ريفية بحكم النشاط الممارس ، كذلك تختلف هذه الهجرة عن الهجرة الى خارج البلاد فى ان للأخيرة ايجابياتها وسلبياتها بالنسبة لمصر[1] ولكن هجرة زراع البطيخ البعلى لا شك ان ايجابياتها أكثر من سلبياتا ، لا سيما وانها هجرة من مناطق مخلخلة سكانياً الى أخرى مخلخلة سكانياً ايضاً فلا تضيف عبئاً مثل الهجرة الريفية الحضرية على المدن .

وحتى تتضح الصورة أثناء المقارنات فإننا نذكر ان هؤلاء المهاجرين يفدون الى غربى المنيا من كفر الشيخ وبيقون فى غربى المحافظة لمدة ٩ أشهر عموماً ، وبعدها يعودون الى مواطنهم فى البرلس لمدة ٣ شهور بصفة عامة بعد انتهاء موسم زراعة البطيخ . وعلى ذلك فالهجرة تدخل ضمن حركات الهجرة الداخلية الشائعة فى مصر ، ويقدر « ناصف » أن حوالى ٣٫٥٥ مليون شخصاً سنة ٧٦ أو ٩٫٤٪ من جملة السكان فى مصر آنذاك قد صنفوا على أساس انهم مهاجرين[2] .

(١) Hansen, B., & radwan, employment opportunities and equity in egypt, LLO, Genevo, 1982, pp. 233-38.

(٢) Nassef, A., Demographic development in egypt, 1960-1976, in LLO, UNDP, employment opportunities and equity in egypt, No. 2, 1983.

وتتضح اوجه الشبه والاختلاف بين هؤلاء وحركات الهجرة فى العالم العربى فنجد مثلا أن للقبائل السودانية هجرات معروفة كما هو الحال عند « الكبابيش » التى تقسم السنة عندهم الى موسم رحلة وموسم استقرار ، ومع أن دافعهم اقتصادى فالعامل المناخى يحركهم بداية من منتصف مايو ، بعد ذلك يعودون لموطن استقرارهم الشتوى ، وقد تطول رحلتهم الى ٨٠٠ كم ، وفى حالة « الهدندوة » فى شرق السودان ينتقل الرعاة بين ثلاثة أماكن دلتا القاش ونهر عطبرة ، والأرض المرتفعة نسبياً بينهما ويحكم حركتهم هذه عوامل بيئية مثل تواجدهم بقطعانهم فى الأرض المرتفعة بين القاش والعطبرة بعيداً عن خطر المرض وآثار المطر ، بينما يعود الرعاة فى الخريف الى القاش ، وبعد ذلك يزرع القطن فى الدلتا فيمنع تواجدهم بها فيرحلون الى أطرافه مكونين اطاراً يحيط بها ، وفى الصيف يتجه البعض الى عطبرة[٢] .

وفى المثال السابق تتشابه هجرة زراع البطيخ مع الكبابيش فى طول مسافة الهجرة اذ تصل فى المنيا الى حوالى ٥٠٠ كم ، وبينما موطن الاستقرار « شتوية » عند الكبابيش نجدها صيفية عند زراع البطيخ . ويقصد بموطن الاستقرار ساكن المهاجرين فى مواطنهم الأصلية .

ومثل تلك الهجرات تمارسها أيضاً قبائل سودانية اخرى هى « الرزيقات » فى منطقة بحر العرب وتتواجد هناك فى موسم الجفاف ، بينما تبعد عنه فى موسم المطر الذى يولد الذباب فى المنطقة فتؤذى القطعان فهنا عامل الطرد بيئى ايضاً[٣] .

ومما يتشابه وضع زراع البطيخ فى هجرتهم مع هجرة « العبابده » [illegible] فى جنوب شرق مصر وشمال شرق السودان

[illegible] ١٢٤

يكون دافعهم للاستقرار فى مناطق جديدة هو فقرهم عن غيرهم وفقدهم لأبلهم فيبدءوا حياة اقتصادية جديدة عند حافة الاراضى الزراعية[٢] وهو ما يجرى فى حالة عينة بحثنا هذا حيث استقروا عند النطاق الزراعى الغربى لمحافظة المنيا . وثمة تشابه واختلاف فى آن واحد مع هجرة أخرى تجرى فى العراق ، ففى مناطق الصحراء فى البادية هناك حركات أفقية أو سطحية بمعنى أنها تجرى من مكان الى مكان فى بادية منبسطة نوعاً ، ويقوم بها ثلاث مجموعات قبلية هامة هى شمر فى بادية الجزيرة ، وعنزة فى البادية الشمالية ، وقبائل الظفر وتجول فى البادية الجنوبية . وجميعها تكون إبان الشتاء فى الصحراء وتعود الى مساكنها الصيفية الدائمة قرب الأنهار وهذه تتشابه مع هجرة زراع البطيخ الذين يعودون لمساكنهم الدائمة صيفاً ، ولكنها تختلف عن قبائل أخرى تتميز بأن هجرتها رأسية بين حضيض الجبال وقممها وتعنى بها قبائل الاكراد فى لواء لموصل يهبطون فى الشتاء الى الاودية وفى الفصول الأخرى يقصدون المرتفعات المغطاة بالكلأ وهؤلاء على العكس من السابقين تكون منازلهم الدائمة شتوية[٣] .

وهناك بعض أوجه الشبه بين هجرة زراع البطيخ البعلى من شمال كفر الشيخ الى غربى محافظة المنيا وبين هجرة شهيرة فى نطاق حوض البحر المتوسط وهى ما تعرف بحركة الانتقال الفصلى Transhumance وخاصة فى أسبانيا فى هضبة الميزيتا بين السهول والوديان من ناحية فى فصل الشتاء وبين المرتفعات من ناحية أخرى فى الصيف ، ويرى البعض أن هذه الحركة مشتقة من شمال غرب افريقيا حيث مارسها سكان جبال أطلس ونقلوها الى أسبانيا مع الفتح العربى . ووجه الشبه هنا يكمن فى طول المسافة المقطوعة أحياناً ويبدوا الإختلاف فى أن المساكن الدائمة تكون لدى المنتقل الفصلى Transhumant هى مساكن الشتاء بينما لدى زراع البطيخ تكون هى مساكن الصيف حيث يعودون لمواطنهم . وأيضاً تختلف فلا أن هجرة البطيخ أنفسهم سطحية وهجرة

(٢) كوثر عبد الرسول - العابده دراسة فى الاستقرار البدوى فى الصعيد والنوبه الجمعيه الجغرافية المصرية المحاضرات العامة - الموسم الثقافى - ١٩٦٢ ص ص ١٣٥ ١٨٠

(٣) يوسف خليل الموازى - البداوة والاستقرار فى العراق معهد البحوث والدراسات العربيه ١٩٦٩ - ص ١٠٢ ١٠٤ ، ١٣٢ - ١٣٣

الإنتقال الفصلى هجرة رأسية .

كذلك تتشابه هجرة عمالة اسبانية فى طول مسافتها مع هجرة الزراع للبطيخ التى نحن بعددها ، حيث يهاجر الاسبان على طول الساحل البحرسطى لغرب فرنسا للعمل هناك مدفوعين بفقر البيئة المحلية وهو ما يتشابه مع حالتنا[1] وقد لاحظ "Jordan" الفارق بين رعاة الصحراء ورعاة الانتقال الفصلى فى حوض البحر المتوسط من حيث موسمية المسكن الدائم لفصل الاستقرار الذى يكون لدى بدو الصحراء فى الصيف بينما يكون لدى ممارس الانتقال الفصلى فى الشتاء[2] ، وهو عند زراع البطيخ كما لاحظنا يعودون اليه صيفاً لأن موسم زراعة البطيخ ينتهى مع أواخر يونيه .

وبرغم ان الأمثلة السابقة جميعاً تتعلق بحركات الرعاة وعينة بحثنا تتعلق بالزراع فان اوجه المقارنة تتناول المسافة ، وموسم الاستقرار ، والدافع للهجرة وكلها عوامل مشتركة فى الإنتقال ، اضافة الى أن مثالنا يعد فريداً بحق ، اذا علمنا ان الانتقال عامة قاصر تقريباً على هجرة الرعاة أو العمالة لان الزراع دائماً اقرب الى الاستقرار ومن هنا يكون تفرد الحالة التى ندرسها اذ أنها إنتقلت على طول ٥٠٠ كم لتقوم بالزراعة ، وربما يكون النظير المقابل لها على مستوى خارجى هو هجرة العمالة المصرية الزراعية الى العراق مؤخراً .

وقد عرفت بعض مناطق شرق افريقيا هجرات عمالة زراعية أيضاً وخاصة زمن الاستعمار الأجنبى مثل الهجرة الى مزارع « السيسل » فى تنزانيا ، كما أن الهجرة الريفية الريفية معروفة[3] . فى عدة أماكن من العالم ، وتختلف هجرة زراع البطيخ التى نحن بصدد دراستها عن بعض حركات الانتقال العالمية الأخرى والتى لا تكاد تستقر فى مكان معلوم ، ومن أشهرها

(١) Mutton, A.R.A., Western europe, blandford press, londoon 1971, pp. 223 (33.

(٢) Jordan, T.G., the european culture area, A systematic geography, harper & Row pub. Now york. 1973, p. 215.

(٣) [illegible] عمالة فى شرق افريقيا [illegible] الجمعية الجغرافية المصرية السنة الخامسة [illegible] ص ٦٢

تنقلات بعض الحرفيين الايرلنديين الذين يقيمون لبعض الوقت فى أطراف المدن ثم ينتقلون إلى غيرها[٢] .

وتوضح الأمثلة السابقة محليا وعالمياً أوجه الشبه والاختلاف مع المثال الذى نحن بصدده . وجدير بالذكر أن نشير فى ختام مقارنتنا هذه الى أن آثار هجرة زراع البطيخ الى غرب محافظة المنيا تمثل اختلافاً جوهرياً أيضاً مع إستراتيجية التنمية الزراعية الحالية التى تركز على تغيير التركيب المحصولى Crop structure اكثر من الاعتماد على التوسع الافقى الذى هبطت معدلاته اخيراً ، بمعنى أن تلك الاستراتيجية تركز على احلال محصول محل آخر فى نفس الرقعة الزراعية التقليدية المعروفة (حوالى ٦ مليون فدان) بينما تؤدى هجرة هؤلاء الزراع الى زيادة الرقعة الزراعية الافقية وفى ذلك عدة فوائد ، منها أنها تقتحم النطاق الصحراوى المكون لمعظم مساحة مصر (٩٦٪) ، وانها تمثل توسعاً افقياً لا يعتمد على طرق الرى السطحية العادية ولذا لا يشكل عبئاً تبعاً لاسلوب الزراعة الفريد المتبع فى زراعة البطيخ ، وانما هذه الزراعة البعلية لا تنافس محصولا آخر كما هو الحال فى إستراتيجية تغيير التركيب المحصولى الذى فى ظله لا بد ان تضار مساحة محصول معين فى حالة التوسع فى زراعة محصول آخر[٣] . اذ ان زراعة البطيخ تتم فى مناطق صحراوية تماماً ، وبدأت مع نهاية الستينات فى أراضى بكر Virgin Lands لم تزرع من قبل ، بل أن معظم سكانها من الاعراب الذين تنحصر اهتماماتهم فى تربية الحيوان والزراعة التقليدية فى الأراضى الزراعية القديمة لم يلقوا الى هذه المناطق بالا قبل وصول المهاجرين من محافظة كفر الشيخ .

(٢) Gmelch, G., the Irish tinkers cummong publiching comp.,remlopark, california, 1977, pp. 1-9.

(٣) مصطفى الجبيل استراتيجية التنمية الزراعية بين تحقيق الاكتفاء الذاتى وحسن إستغلال الموارد ، بحث ومناقشات المؤتمر الثالث للإقتصاديين المصريين ٢٤ - ٢٦ مارس سنة ١٩٧٧ ، عن استراتيجية الزراعة فى مصر ص ١٤٤ .

استخدام الأرض غربى محافظة المنيا فى زراعة البطيخ البعلى : Land use

تشترك بيئة نزوح المهاجرين فى منطقة البرلس ، مع بيئة الوفود فى غربى المنيا فى كثير من الخصائص ، كما لاحظنا وأهمها سيادة مكونات الرمال . وفى البرلس تكون الفرصة امام المزارع اكبر فى التنوع المحصولى إضافة الى البطيخ البعلى مثل زراعات المقات والطماطم وبعض المحاصيل التقليدية باعتبار أن هذه محاصيل معاشية بحكم إقامته الدائمة هناك ، ولكن فى غربى المنيا يحظى البطيخ بغالبية المساحة المزروعة ، كذلك فى بيئة النزوح تهدد الأمطار الغزيرة التى تتميز بها منطقة شمال الدلتا ذلك النوع من الزراعة ، بينما تتميز منطقة غربى المنيا بالجفاف مما يعمل على زيادة فرص نمو ذلك النوع من البطيخ وإن ظهر عائق آخر هو الصقيع ويتغلب عليه المزارع بتغطية البادرات بقش الأرز .

وتشترك المنطقتان (البرلس وغربى المنيا) ايضاً فى كونهما مناطق هامشية Marginal تقع عند حدود « الايكيومين » او النطاق الزراعى والمعمور ، وثمة عامل بشرى آخر كان له اثره فى توالى نزوح الزراع الى غربى المنيا وهو أن مركز بلطيم حيث يقيم معظم هؤلاء الزراع ينحصر بين البحر المتوسط شمالا وبحيرة البرلس جنوباً ونسبة الأراضى الزراعية ، أو الرملية المتاحة لزراعة البطيخ البعلى قلت كثيراً مع نمو السكان المستمر مما دفعهم الى الهجرة ، وفى دراسة اجرتها الأمم المتحدة فى السنينات ثبت أن دورة العمل الزراعى غير متصلة ، وهناك وقت فراغ طويل ، ويزيد الأمر سوءاً فى مناطق الطرد مثل مركز بلطيم لسيادة المسطحات الرملية والمائية ، وفى دراسة لعينة من العمالة الزراعية فى مصر وضحت النسب التالية لانماط العمالة الريفية[1] كما يوضح الجدول التالى .

(1) International labour office, Geneva, Rural employment problems, in the United Arab republic, Geneva, 1961, p. 50

جدول (١) انماط العمالة الريفية فى مصر فى الستينات

عمال يعملون كل الوقت	٣٩ ٪	عمال غير نظاميين	١٥ ٪
عمال يعملون بعض الوقت	٢٧ ٪	عمال غير مصنفين	١ ٪
عمال موسميون	١٨ ٪	الجملة	١٠٠ ٪

والجدول يوضح أن فترة الستينات – وهى الفترة التى شهدت أول نزوح لزراع البطيخ – كانت من الفترات التى يعانى فيها عمال كثيرين من البطالة آنذاك .

وبعد مجىء هؤلاء الى غربى المنيا بدعوا فى ادخال اسلوبهم Technique الخاص بزراعة البطيخ البعل لأول مرة ، ويعتمد ذلك على تحضير الأرض فى غربى المنيا بتسويتها أولا لأنها جزء من كثبان عديدة بالصحراء الغربية ، ثم تقسم الأرض الى أحواض كل حوض مساحة ٥ قيراط ، ثم تقسم الأحواض الى خنادق طولية تسمى محليا سرايب « جمع سرابة » ، وكل واحدة من هذه السرايب طولها من ١٥ – ٢٠ متراً وتأخذ شكل حرف ٧ . مع ملاحظة أن يكون فى كل حوض من ١٠ - ١٥ « سرابه » واحياناً تسمى هذه العملية بعملية فج الأرض أو الأقساع ويفصل بين كل « سرابة » وأخرى مسافة قليلة ويختلف عمق « السرابة » باختلاف طبيعة الأرض فيزداد العمق كلما كانت الأرض مرتفعة ويقل بانخفاضها ، وعموماً يتراوح عمق السرابة بين ١ – ٢ متراً ، الى أن يقترب العمق من الرطوبة الأرضية وهى الأساس فى هذا الأسلوب من الزراعة . وتوضح صورة (١) السرابة بعد حفرها .

ويقوم المزارع بعمل « جور » فى أدنى منسوب من « السرابة » عن بعضها بما يسمح بحركة النبات ، وفى الجور توضع البذور وتسمى البيئة بين الجور بـ « المصطبة » والتى يستقر فوقها البطيخ عند النضج . وضع البذور تغطى وتخلط بالسماد العضوى الذى هو أساساً مخلفات

ويسمى محلياً « بالرمال » لمساعدة النبات على النمو فى بيئة تفتقر اساساً للسماد العضوى ، وهنا نلحظ نقط غاية فى الأهمية وهى أن مخلفات الحمام هذه تعمل عمل « الأسفنجة » وتكون دائماً مشبعة بالماء الأرضى وتمتص الماء بالخاصة الشعرية ، ولذا يكون ذلك « وسطاً » مركزاً بالعناصر الغذائية يمد النبات دائماً باسباب الحياة فى بيئة صحراوية فقيرة . وبعد ظهور البادرات يجرى خفها وقطع « العروش » الضعيفة وأحياناً لا تنبت البذور فيقوم المزارع بوضع بذور جديدة ، كما يحدث فى زراعة القطن ويسمى ذلك بالترقيع . وعادة ما يختار المزارع البذور الجيدة المعالجة كيماوياً ضد الآفات وهى من نوع « جيزة ١ » ويغطى المزارع جوانب « السرابه » بقش الأرز الذى يحضره معه من محافظة كفر الشيخ لخلو محافظة المنيا من زراعات الأرز ، وذلك حتى يمنع انهيار جوانب « السرابة » وردم الرمال لجور النبات ، كذلك للحفاظ على البادرات الصغيرة وتغطيتها بالقش حماية من الصقيع ليلا ويستخدم المزارع القش أيضاً عند تمام النضج كعازل بين الثمار وبين الرمال الساخنة ، وأيضاً حماية للثمار من سقوط الأشعة الشمسية مباشرة على الثمار فتفسدها عند النضج .

وهكذا يروى البطيخ المزروع سوى مرة واحدة عند بدء الزراعة ووضع البذور ، وأحياناً يؤمن الزراع الحصول على الماء لهذه الرية الوحيدة بحفر حفرة ٤ × ٤ متراً وبعمق ٤ أمتار وبعد الوصول لمستوى الماء الجوفى يستخدم ذلك الماء فى رى البذور عند وضعها إذا كانت الرطوبة الأرضية غير كافية . وتكون هذه الحفرة قريبة من زراعات البطيخ .

والطريقة الموضحة تؤمن اقصى استخدام للأرض ، ولا تتطلب ماء سطحياً ، ولا تنتج عنها مشاكل فى الصرف كما هو الحال فى الطرق التقليدية ، وبذلك لا تؤذى التربة ، ولكن نظراً لضعف مكونات التربة أصلا فانه غالباً ما تزرع نفس قطعة الأرض بين ٤ - ٨ سنوات فقط ، تترك بعدها ٣ سنوات لاستعادة خصوبتها ، أو إذا زرعت مباشرة يجرى تسوية الأرض من جديد حيث ينقلب وضع السرايب بحيث تصبح السرايب الجديدة محفورة مكان

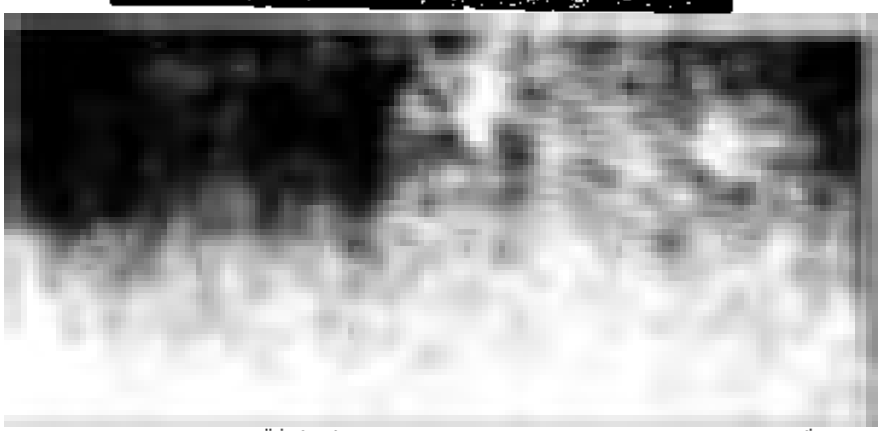

المناطق المرتفعة أى فى غير مكان السرايب القديمة كما يوضح الشكل (١) ولزيادة خصوبة التربة عادة ما يحرق بقايا القش والنباتات المختلفة بعد الموسم وطريقة الزراعة بهذا الشكل قريبة الشبه من الزراعة المتنقلة Shifting Agriculture بما فى ذلك عملية الحرق سابقة الذكر لزيادة خصوبة التربة ، وتوضحها الصورة (٢) .

وخلال الموسم الزراعى والذى يبدأ عادة فى نهاية نوفمبر وبداية ديسمبر ويستمر حتى يونيه ، يعمل المزارع كما لاحظنا فى رعاية المحصول وحمايته ويدخل فى ذلك تحديد منطقة زراعته بعلامات حديدية واحاطة المزرعة بسياج مكون من سعف النخيل وقش الأرز ليمنع سفى الرمال على السرايب وغمرها .

وبصورة عامة لا يزرع فى غربى المنيا سوى البطيخ ونادراً ما يزرع المزارع غيره فيما عدا بعض مساحات ضئيلة من الفجل أو الجرجير او الخضروات الاخرى للاستخدام المباشر من الزراع ، وهذا يعد نمطاً مكثفاً من الاستخدام التجارى Commercial يختلف نوعاً ما عما يسود فى موطنه الأصلى بمركز بلطيم حيث يتسع المركب المحصولى هناك وان ظل البطيخ البعلى محتلا لاعلى النسب من مساحة الأرض المزروعة ولكن ضمن اقتصاد معاشى .

ويلاحظ أن هناك تباين فى حجم مزرعة البطيخ البعلى فى غربى المنيا ، مقارن بحجم المزرعة من الأنواع الزراعية التقليدية فى الأراضى الزراعية القديمة فى وادى النيل ، اذ يلاحظ عامة كبر مساحة مزارع البطيخ عنها فى حالة الزراعات فى الأراضى الزراعية التقليدية . كذلك يلاحظ ارتفاع متوسط مساحة الحيازات – فى حالة وجودها – فى أراضى البطيخ عنها فى الأراضى الزراعية القديمة التى عادة ما تتصف بالتفتت .

والجدول التالى يوضح التوزيع النسبى لمتوسط مساحة المزارع الخاصة بالبطيخ البعلى اعتماداً على العينة المدروسة والدراسة الميدانية .(١)

---

(١) النسب والحسابات من عمل الباحث اعتمادا على الدراسة الميدانية .

جدول (٢)

مساحة البطيخ البعلى	عدد أفراد العينة	٪ من الجملة
- أقل من فدان	١٩	٥ر٢٣
من ١ فدان - ٢ فدان	٨٥	٢٣ر٣٥
من ٢ فدان - ٥ فدان	١٢٠	٣٢ر٩٦
أكثر من ٥ أفدنة	١٤٠	٣٨ر٤٦

ويوضح الجدول اتجاه معظم المزارع الى أن تأخذ حجماً كبيراً مما يبعد عن النمط التقليدى الكثيف والمساحة أقرب من نمط المزرعة الواسعة Plantation أو الاستغلال الواسع Extensive من منظور الحجم فقط ، أما العمل الزراعى والأدوات فهى تتم بطرق تقليدية لا تخلو من خبرة عريضة وأسلوب متميز . وتمتد مزارع البطيخ البعلى فى شكل طولى وبمحاذاة الحد الغربى للأراضى الزراعية القديمة فى السهل الفيضى . ويوضح شكل (٢) مناطق زراعة البطيخ البعلى فى غربى محافظة المنيا .

وثمة تباين آخر بين اسلوب الزراعة هذا والأسلوب الشائع فى المزارع القديمة التقليدية ، وهو أن هؤلاء الزراع للبطيخ البعلى لا يعتمدون اطلاقاً على الماشية كالزراع التقليديين وذلك لعدم توافر الماء اللازم لها ، وعدم وجود العشب ، كذلك لعدم حاجة زراعة البطيخ لجهد الماشية فى العمل الزراعى أو للمادة العضوية المتخلفة عنها اذ يستعاض عنها بمخلفات الحمام وهى أكثر تأثيراً فى زراعة البطيخ ويجرى أحضارها من موطن الزراع عند مجيئهم .

ويُمارس إستخدام الأرض فى زراعة البطيخ البعلى فى غربى المنيا بجهد الافراد ، وان دخلت شركات استصلاح الأراضى فى هذا المجال -

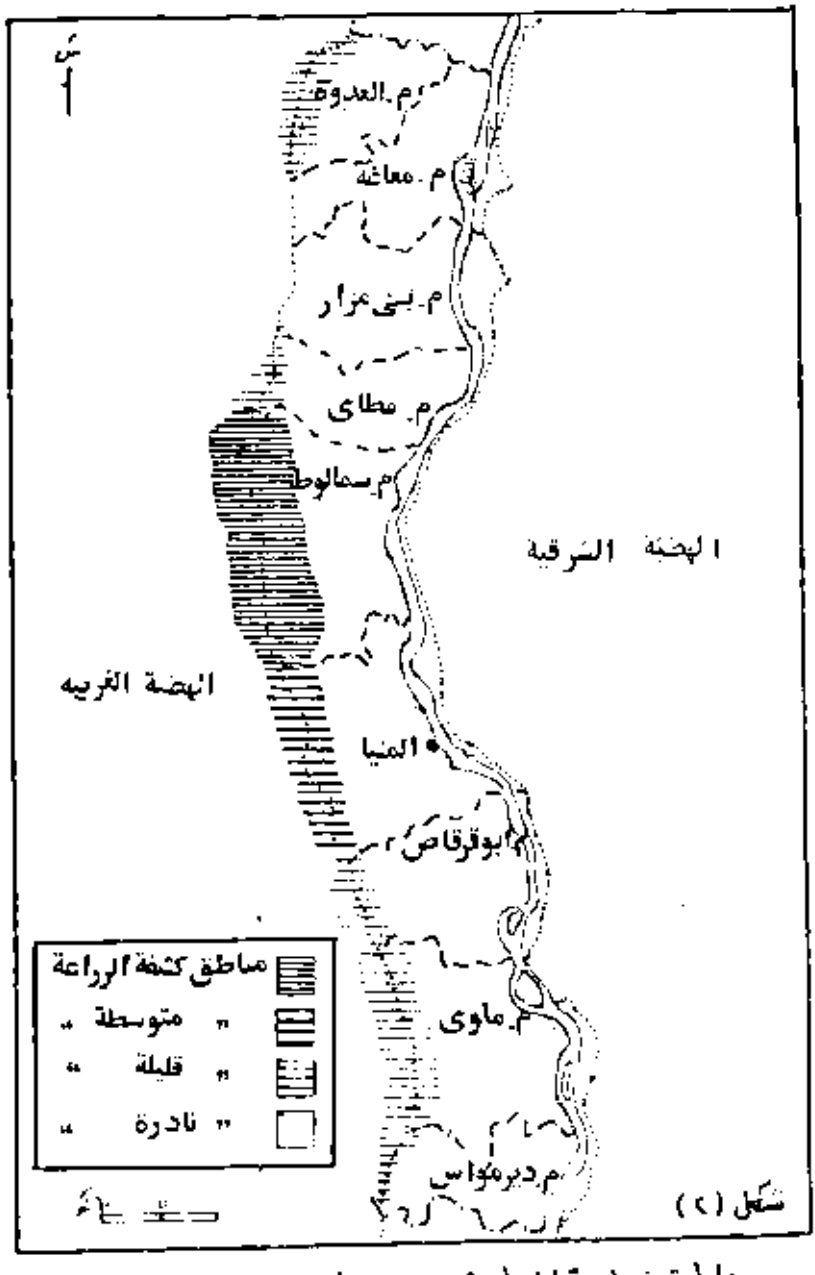

مناطق زراعة البطيخ البعلى فى غرب محافظة المنيا

وخاصة فى منطقة طولية (٤٥ كم) مركزها فى غرب سمالوط ومنه تتجه شمالا وجنوباً ، وزعت بعض أراضى النطاق على خريجى الزراعة . وكان ادخال زراعة البطيخ البعلى الى غرب محافظة المنيا حافزاً على زيادة هذا النوع وعلى زيادة انتاج البطيخ بعامه . يدل على ذلك ان مساحة البطيخ فى المحافظة بلغت سنة ١٩٧٦ (١٦٧٩٠ فداناً) وصلت فى سنة ١٩٨٣ الى (٢٣٧٦٥ فداناً) بنسبة زيادة قدرها اكثر من ٥ر٤١٪ .[1] ويوضح شكل (٣) منطقة غربى مركز سمالوط التابعة لشركة الوجه القبلى الزراعية وحديثة الاستصلاح والتى يزرع بعضها البطيخ البعلى .

كذلك لوحظ فى السنين الأخيرة التركيز على زيادة أنواع البطيخ البعلى وتقليل النوع « المسقاوى » الذى يحتاج الى الرى ، بينما الأولى لا تحتاج لتربة خصبة ولا تحتاج للرى كما لاحظنا ، ولا تتلف المحاصيل التقليدية العادية فى مناطق الزراعة التقليدية وقد أدى ذلك الى توفير اراضى قديمة كانت تزرع بالبطيخ « المسقاوى » وزراعتها بمحاصيل غذائية أخرى . والجدول التالى يوضح تطور مساحة كل من النوعين البعلى والمسقاوى من البطيخ .

جدول (٣)

تطور مساحة البطيخ البعلى والمسقاوى فى محافظة المنيا (بالفدان)

نوع البطيخ	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
مساحة البطيخ البعلى	١٩٤٤٦	١٩١٣٢	٢٠٨٥٨	٢٢٩٧٥
مساحة البطيخ المسقاوى	١٢٤٠	١٨٧	٤٩٩	٧٩٠

المصدر : بيانات غير منشورة عن مديرية الزراعة بالمنيا .

(١) البيانات عن تقرير خط اساس من مديرية الزراعة بالمنيا اثناء الدراسة الميدانية

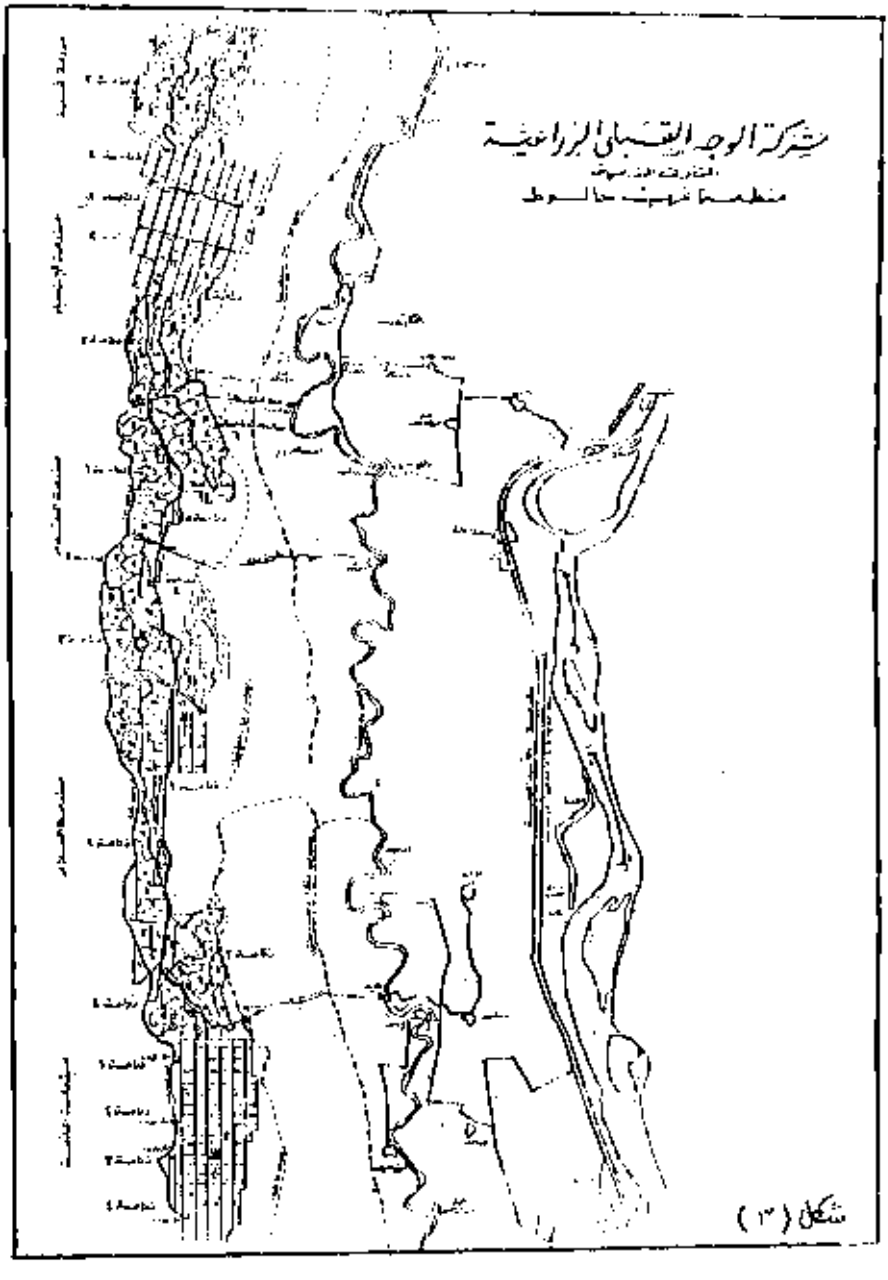

شكل (١٣)

ويوضح الجدول غلبة النوع البعلى الذى كانت مساحته سنة ١٩٨٠ قدر المسقاوى أكثر من ١٦ مرة وأكثر من ١٠٠ مرة سنة ١٩٨١ وسنة ١٩٨١ وسنة ١٩٨٢ أكثر من ٤١ مرة وسنة ١٩٨٣ أكثر من ٢٩ مرة وهو ما يؤكد الاستجابة الى متطلبات البيئة الطبيعية والتخطيط الزراعى السليم فى محافظة المنيا ، فضلا عما يوفره البطيخ البعلى من مساحات زراعية تستعل فى إنتاج حاصلات أخرى ، بعد التخلى عن البطيخ المسقاوى .

ولا تسهم مراكز المحافظة وأطرافها الصحراوية بنفس النصيب ، اذ يلاحظ على إستخدام الأرض تفوق مركزى سمالوط والمنيا على بقية المراكز واحتلالهما دائماً أكبر قدر من المساحة ، وكانت نسبة نصيب هذين المركزين من مجموع مساحة البطيخ البعلى فى المحافظة بين سنة ١٩٧٨ ، ١٩٨٣ كما يلى :

جدول (٤)

نسبة نصيب مركزى سمالوط والمنيا من جملة مساحة البطيخ بالمحافظة

السنة	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
النسبة	٧١,٨٨٪	٧٣,٠٢٪	٧٥ر٩١٪	٧٩ر٨٠٪	٨١ر٥٩٪	٨٠ر٩١٪

والجدول يؤكد توطن معظم مساحات البطيخ البعلى فى هذين المركزين واضافة الى تفوق البطيخ البعلى فى المساحة فانه يتفوق أيضاً فى متوسط الأنتاج والذى بلغ سنة ١٩٨٠ (٩ر٠٨ طناً) مقابل (٧ر٥٣ للمسقاوى) وفى سنة ١٩٨١ (١٠ر١٤ للبعلى) مقابل (٩ر٠٨ طناً للمسقاوى) ، وفى سنة ١٩٨٢ (٩ر٠٩ للبعلى) مقابل ٨ر٧٢ طناً للمسقاوى . ويُبين استخدام الأرض فى زراعة البطيخ البعلى فى غربى محافظة المنيا عن عدم تساوى Disparity كما لاحظنا بالنسبة لمراكز المحافظة ، ويبدو نفس الشىء على مستوى نفس المركز اذ تتركز كمعظم زراعات البطيخ البعلى فى القرى ا

من المركز وفى أطرافه الصحراوية ، ولذلك تأتى قرى مركز سمالوط الغربية مثل شوشة وكوم الراهب وأبو سيدهم والطيبة على رأس قرى المحافظة فى ذلك . وتكاد تخلو من زراعته أطراف مركزى مغاغة وبنى مزار الغربية وان انتقلت زراعته فى مركز مغاغة الى الأطراف الشرقية عند حضيض الهضبة الشرقية والتى تطل حافتها الغربية على نهر النيل فلا تترك إلا مساحة ضيقة يمثل بعضها مع بعض « الجزائر » وجزر النيل مناطق صالحة لزراعة البطيخ البعلى ، ولذلك تشذ منطقة مغاغة عن بقية محافظة المنيا وتتركز زراعة البطيخ البعلى بها وحدها فى أطرافها الشرقية وليس الغربية . مما تكون وضعاً فريداً unique بالنسبة لمناطق زراعة البطيخ البعلى .

وعلى أى حال فهناك مجموعة من العوامل الطبيعية تؤثر تأثيراً فعالا فى أستخدام الأرض فى زراعة البطيخ البعلى وليس مجرد وجود مساحات رملية ومن هذه سهولة الوصول للرطوبة الأرضية ، ووجود تربة أخصب من غيرها رغم سيادة مكونات الرمال ، ومدى بكورة التربة اذ أن أستمرار زراعتها يضعفها ، ولذا تختلف مناطق المحافظة بحسب إمكان أستخدامها والعلاقة بين التكلفة والعائد cost - benefit من مكان لآخر ، وكما رأينا تأتى منطقة غرب سمالوط فى مقدمة أراضى محافظة المنيا فى مجال زراعة البطيخ البعلى .

إقتصاديات البطيخ البعلى والعوامل الجغرافية المؤثرة :

يتحكم فى إنتاج البطيخ البعلى غرب محافظة المنيا بعض العوامل الاقتصادية والجغرافية ، وهذه الأخيرة أشرنا الى بعضها عند الحديث عن استخدام الأرض ، أما العوامل الاقتصادية فتتمثل فى قوانين العرض والطلب ، وتقسيم العمل ، والمنفعة الحدية وغير ذلك مثل علاقات المنفعة والربح أو العائد COst - benefit فزراعة البطيخ تحدد سنوياً بعدد الراغبين فى تأجير الأرض والمساحات المتاحة ، ويقسم العمل بين الوافدين من البرلس ولامقيمين بحيث يعهد للأولين بالأعمال المتخصصة وللآخرين بالاعمال العادية وينعكس ذلك على الأجور التى يصل معدلها للوافد الى ١٠ جنيهات يومياً ، بينما يصل أجر

المقيم الى ٥ جنيهات فقط . وعادة مالا يرغب مستأجر الأرض فى العمال المقيمين رغم انخفاض أجرهم ، لأنهم بقلة خبرتهم يزيدون من التكاليف وعلى سبيل المثال « فالسرابة » التى يحفرها الوافد فى يومين يتمها المقيم فى أربعة أيام[1] وجدير بالذكر أنه ليس كل الوافدين من منطقة بلطيم هم من مستأجرى الأراضى فى غربى المنيا ، بل أن هؤلاء يصحبون معهم العديد من العمال الأجراء لخبرتهم فى زراعة البطيخ البعل ، وقد أظهرت الدراسة الميدانية على عينة البحث التوزيع التالى :

جدول (٥)

توزيع عينة الدراسة الميدانية بحسب صفة العامل ونوع الأستغلال الزراعى[2]

صفة العامل ونوع الاستغلال	العدد	٪
عامل أجير	١٠٥	٢٨٫٨٥
مشاركة مع المالك	٥٥	١٥٫١٠
ايجار من المالك	١٩٩	٥٤٫٦٨
ملكية خاصة	٥	١٫٣٧

المصدر : نتائج الدراسة الميدانية للباحث .

ويوضح الجدول تفوق نسبة المستأجرين وهذه الصفة هى الغالبة وعادة ما يكون الاجراء من الابناء أو الأقارب ، ومن الأمور المتبعة كل عام بعد انتهاء موسم البطيخ ان يقوم المستأجر للأرض بتقديم مبلغ تأمين للمالك أو وضع اليد عادة ما يزيد على قيمة الايجار للابقاء على حقه فى استئجار الأرض .

(١) معلومات من الوافدين فى منطقة كوم والزاهد غربى محافظة المنيا الدراسة الميدانية

(٢) الجدول من حساب الباحث على استمارات الاستبيان الموزعة

العام القادم . ويلعب عامل القرب الجغرافى [illegible] دورة فى الانتاج فمعظم الأراضى المستأجرة تحف بالنطاق الزراعى القديم للمحافظة فى شكل إطار يحده غرباً حتى تكون كل منطقة مزروعة بالبطيخ البعلى قريبة من المعمور التقليدى ، كذلك تأخذ المزارع ذلك الشكل الطولى حتى لا يتوغل كثيراً فى الصحراء فيرتفع منسوب الأرض وتزداد التكاليف وتبعد عن العمران مما يرفع من التكلفة الخاصة بالانتاج والنقل وبذا تتزايد الحدية بالاتجاه غرباً .

ويحتاج البطيخ البعلى لتربة رملية خفيفة أو صفراء ، ويزرع فى الطينية ولكن التربات الأولى أصلح له ، ويحتاج لفصل نمو خمس شهور فى المتوسط ، ويحدد ذلك الفصل وطوله اختلاف موقع ومناخ منطقة زراعته ، وتؤدى الحرارة المرتفعة فى مصر العليا الى التبكير فى زراعته عن الدلتا وعموماً يجرى التبكير بزراعته بالاتجاه جنوباً فى الوادى ، لذلك يبدأ إستهلاك بطيخ المنيا فى مصر كلها قبل ظهور بطيخ الدلتا فى محافظة البحيرة مثلا . وفى مناطق البطيخ التقليدية فى السهل الفيضى تتبع دورة زراعية ثلاثية ، اما المناطق المتأثرة بالامراض الفطرية والآفات فتتبع دورة رباعية أو خماسية ، وأما فى حالة مناطق زراعة البطيخ فى أطراف محافظة المنيا الغربية فلا تتبع دورة زراعية لزراعته كل عام لانه المحصول الوحيد الذى يصلح للزراعة فى هذه المناطق ، مما يستدعى مقاومة مكثفة للآفات والامراض .

ويبدأ نشاط زراعة البطيخ بإنفاق الوافد مع صاحب الأرض - أو واضع اليد عليها وهو عادة من الأعراب ساكنى غرب المنيا ، على إيجار الأرض وقيمته ، ولذا فالايجار جزء من تكاليف الانتاج والتى يوضحها الجدول التالى :

جدول (٦)

متوسط تكلفة الفدان من البطيخ البعلى فى غربى محافظة المنيا سنة ١٩٨٣(١)

نواحى الانفاق	جنيه		ملاحظات
١ اجار الفدان	٢٥٠	٤٥٠	
٢ عمالة زراعية على مدار العام	٢٥٠	٤٥٠	تزيد التكاليف عند حفر الأرض لأول مرة
٣ ثمن البذور الخاصة بالزراعة	٥٠	٩٠	
٤ - ثمن قش الأرز اللازم للزراعة	١٥٠	٢٠٠	يدخل فيها النقل بالسيارات
٥ ثمن الشدة وميدات حشرية	٢٥٠	٣٠٠	
٦ ثمن محلفات الحمام	١٠٠	١٥٠	يدخل فيها النقل بالسيارات
٧ ثمن نقل المحصول	١٠٠	١٥٠	
الجملة	١١٥٠	١٧٩٠	

وتختلف التكاليف بحسب نوع الأرض ودرجة انحدارها وما إذا كانت تزرع لأول مرة أو لا ، حيث يزيد عمق « السرايب » فى المناطق المرتفعة احيانا بنسبة ٣٥٪ مما يزيد من التكاليف . وايضا يؤثر القرب من مصادر العمالة والمناطق الآهلة ، وقد يدخل فى التكاليف مصروفات « عمولة » يحصل عليها بعض الوسطاء حين يقيمون « شوادر » لتجميع البطيخ من الزراع قريبة من المزارع وواقعة على طرق النقل الرئيسية مما يرفع من النفقات على كل من المنتج والمشترى ، ولذلك يأتى احيانا تجار الجملة بعرباتهم للشراء من الزراع مباشرة لتوفير تلك « العمولة » ، واوضحت الدراسة الميدانية ان تكاليف نقل وتحميل البطيخ على العربات تزيد بنسبة ٢٥٪ إذا كانت المزارع بعيدة عن الطرق الرئيسية مما يستدعى استخدام الجمال فى نقلها إلى السيارات .

---

(١) الجدول من عمل الباحث استنادا على متوسطات حرى الحصول عليها اثناء الدراسة الميدانية .

أما عن ثمن بيع ناتج الفدان (ينتج الفدان بين ٩ ١٠ طنا في المتوسط) فيبلغ حوالي ما بين ١٨٠٠ ٣٥٠٠ وبذلك يصل الربح إلى ما بين ٦٥٠ ١٧١٠ جنيها وقد يحصل الزراع على اموال مقدما من تجار البطيخ قبل الزراعة لتمويل تلك العمليات ، وتقع الخاسبة في موسم التضج في شهر يونيه ، واثبتت الدراسة على ان متوسط انتاج الفدان يحمله ما بين عربتان إلى ثلاثه عربات حسب حمولتها وعادة ما تحمل كل عربة ١٠٠٠ بطيخه زنة كل منها ما بين ١٠ ٢٥ كيلجم ، وعادة ما يتم بيع عربات البطيخ في سوق الخضر بالقاهرة أو سوق الساحل بالمزاد العلني إلى تجار التجزئة وغيرهم[1]

التحليل المكاني والزماني لظاهرة هجرة زراع البطيخ البعلي & Spacial Temporal Analysis

تتضمن هجرة زراع البطيخ البعلي من مركز البرلس إلى غربي محافظة المنيا العديد من الأبعاد المكانية والزمانية والتي نثري المنظور الجغرافي لهذه الهجرة ويمكن أن نجمل هذه الأبعاد كما يلي :

١ يختلف التركز المكاني للمهاجرين في غربي المنيا ، وكانت منطقة غرب مركز سمالوط هي النواه nucleus أو المركز الذي إنتشر منه هؤلاء شمالا وجنوبا في المحافظة لانهم وجدوا هنا شبها كبيرا مع بيئتهم الطبيعية في موطنهم عند مجيئهم لأول مرة في نهاية السبعينات . ومن هذه المنطقة التي يمكن ان نطلق عليها « منطقة التخصص » جرى انتقال وانتشار Diffusion لأفكار زراعة البطيخ البعلي واسلوبه Technique الجديد ، وبذلك تأخر وصول هؤلاء في شمال المحافظة في مغاغة وديرمواس مثلا إلى نهاية السبعينات وعلى ذلك نلاحظ نوعا من الانحدار Gradient في تركز مزارع البطيخ والمزارعين بالبعد عن غرب مركز سمالوط شمالا وجنوبا .

---

(١) الأسعار والقيم الواردة في الدراسة خاصة بالوقت الذي جرت فيه الدراسة الميدانية في أوائل سنة ١٩٨٤ .

١ - تبدى هجرة زراع البطيخ مستويين رئيسيين احدهما على نطاق Interregional حين انتقل هؤلاء من محافظة كفر الشيخ إلى محافظة المنيا وإلى مناطق هامشية Marginal اخرى فى اطراف الدلتا مثل الغزاوى واكياد وكفر صقر بالشرقية وحوش عيسى وكوم حمادة بمحافظة البحيرة عند اطراف الدلتا الغربية والمستوى الآخر على نطاق نفس الاقليم Intra-regional حين انتقل زراع غربى محافظة المنيا كما اسلفنا القول شمال وجنوب منطقة سمالوط بل يمكن ان نطبق ذلك المستوى حتى على قرى نفس المركز الادارى فنقول انه ليست كل قراه تزرع البطيخ انما تتركز فقط فى القرى الغربية القصوى من المركز وامتداداتها الصحراوية وليس ذلك القول صادقا على إطلاقه حيث ان مناطق غربى مركزى مغاغه وبنى مزار تكاد تخلو من زراعة البطيخ البعلى .

والجدول التالى يوضح تفاوت اعداد المهاجرين فى مراكز محافظة المنيا :

جدول (٧)
الاعداد التقريبية لمزارعى البطيخ البعلى الوافدين(١)

المركز	العدد	المركز	العدد
سمالوط	١٣٠	[illegible]	٣٠٠
ملوى	١٥٠	العدوة	٢٥
ابنوب	٦٠	مطاى	٢٣
[illegible]	١٠٥	بنى مزار ومغاغه	٢٥

المصدر عن بيانات حصل عليها الباحث خلال الدراسة الميدانيه

ويوضح الجدول ان جملة هؤلاء المهاجرين ٢٨٠٥ مهاجرا يباشر توزيعهم كما اسلفنا القول

(١) الجدول من حساب الباحث اعتمادا على الدراسة الميدانيه والأعداد المذكور فقط

٣ يتضمن التحليل الزمانى المكانى لهجرة زراع البطيخ نوعا من الموسمية Seasonality يتمثل فى بقائهم ثلاثة أرباع العام فى منطقة الوفود وربع العام فقط فى منطقة التزوج ، ويوجد سكنهم الدائم فى موطنهم الأصلى بينما مساكنهم فى منطقة الوفود مؤقتة وهشة وبسيطة ، والصورة (٣) و(٤) توضح بعضاً من هذه المساكن .

٤ بدأت منطقة زراعة البطيخ البعلى تعانى من تناقص الوافدين بعد ان استوعب الكثير من المقيمين من الاعراب لأسلوب الزراعة وبدءوا فى الاستغناء عن الوافدين لذلك شهدت السنين الأخيرة قلة فى الاعداد عما كان يصل منهم فى عقد السبعينات ، لذلك تحول البعض من مزارعى البرلس إلى أطراف الدلتا الرملية[1] أو لحقوا بتيار الهجرة إلى خارج البلاد بحكم ظروف الطرد الكائنة فى موطنهم .

٥ يلاحظ أن رحلة الوفود ورحلة الزوج بعد تصريف المحصول لا تتم كل منهما فجأة انما يتوالى مجىء الزراع من محافظة كفر الشيخ على مدى شهور ثلاثة بدءا من سبتمبر . وانتهاء بنوفمبر ، وكذا الحال فى رحلة [illegible] وتبدأ من يونيه إلى أغسطس . ويرتبط ذلك اساسا باختلاف مواعيد الزراعة ومن ثم مواعيد الحصاد اضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين فى اماكنهم سواء التى جاءوا منها او وفدوا اليها

٦ لا يتم الحصول على محصول البطيخ البعلى مره واحدة انما يتم على مراحل زمنية متتابعة (كما يحدث فى حالة محصول القطن) وقد يتم الحصول على المحصول من المزرعة على أربعة مراحل زمنية إذ يراعى اختلاف [illegible] [illegible] وجود هذه المراحل ويؤدى ذلك إلى إطالة موسم جنى البطيخ وتسويقه

٧ اتضح من دراسة الميدانيه على عينة البحث (٣٦٤ مهاجرا) ان ٢٩.٤٪ منهم له فى منطقه غربى محافظة المنيا من ١٠ ١٦ سنة وان ٤٢.٨٦ لهم من ٥ ١٠ سنوات وان ٢٧.٧٤٪ منهم له خمسة سنوات فأقل وتعكس النسبة الاخيرة الاتجاه إلى تناقص وفود المهاجرين

(١) افاد بعض الوافدين بان بعض مواطنيهم ذهبوا إلى مناطق فايد وابو سلطان وجنيفه بالاسماعيلية

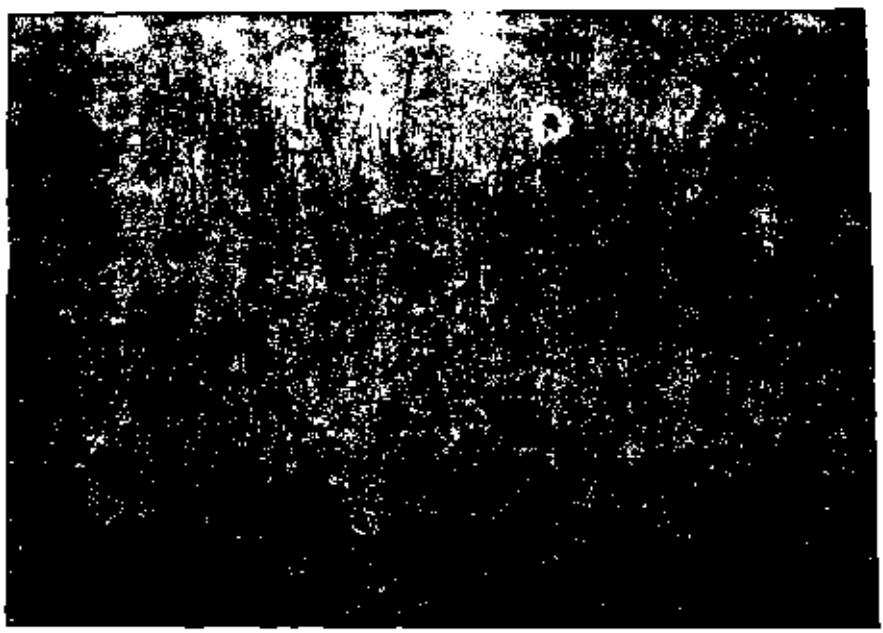

صورة (٣) توضح نوذجا من المساكن المؤقتة لمزارعى البطيخ

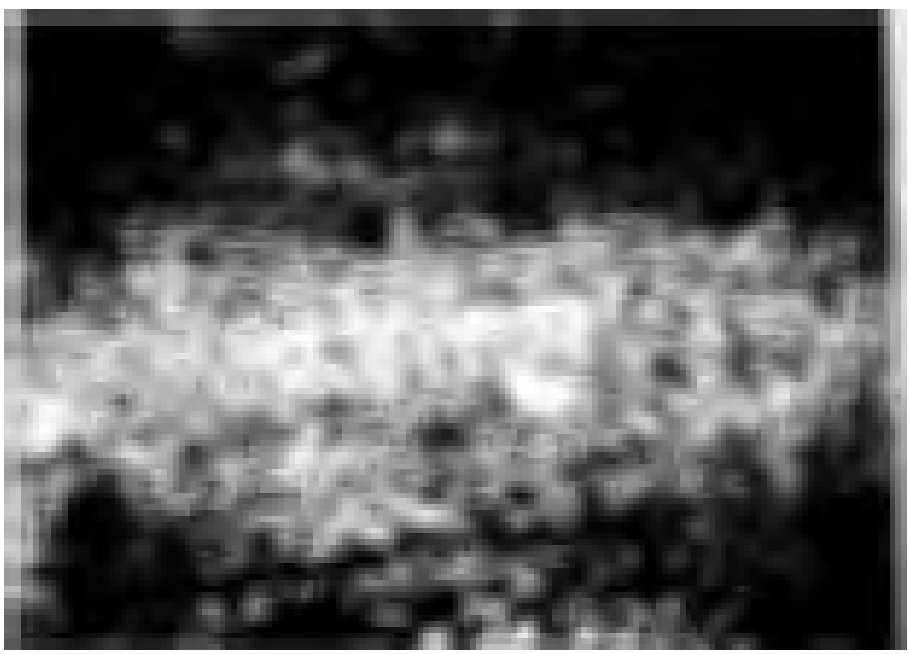

صورة (٤) منظر عام فى غربى مركز سمالوط « المساكن » مزارعى البطيخ

بعد شيوع اسلوبهم الزراعي[1] .

الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين Socio-economic characteristice

أمكن التعرف على أهم هذه الخصائص من تحليل استمارة الاستبيان الملحقة بالدراسة وبداية نقرر ان الدراسة اجريت على عينة كلها من الذكور، وهم أرباب الاسر المصاحبة لهم فى هجرتهم إذا كانوا متزوجين (وهم الاغلبية كما يتضح) ، وايضا على بعض الذكور غير المتزوجين وقد اتضح ان العينة المدروسة (٣٦٤ مهاجرا) تمثل حوالى ١٣٪ (١٢,٩٧٪) من جملة الزراع (الذكور) بالمحافظة وهو ٢٨٠٥ مهاجرا وأوضحت الدراسة والاستقصاء اثناء البحث ان نسبة الاناث من مجموع المهاجرين لا تزيد على ٣٥٪ وجرى تقدير جملة المهاجرين واسرهم من نساء واطفال بحوالى ٨٤١٥ مهاجرا باعتبار أن كل مهاجر من جملة المهاجرين يصطحب معه فى الهجر فردين وأن عدد الذكور التقريبى هو ٥٤٦٩ وعدد الاناث التقريبى هو ٢٩٤٦ وبذلك يصل معدل الذكورة أو نسبة النوع Sex Ratio إلى ١٨٥ وهو ما يميز مناطق الهجرة بصفة عامة من ارتفاع معدل الذكورة .

ومن حيث العمر إتضح أن الأعمار الشابه تغلب على العينة المدروسة ويوضح الجدول التالى الفئات العمرية لعينة البحث ونسبها المئوية .

جدول (٨)

الفئات العمرية للمهاجرين والتوزيع النسبى لها[2]

اقل من ٢٠ سنة	٣٠	٨,٢٥
من ٢٠ ٢٥	٤٠	١٠,٩٨
من ٢٥ ٣٠	٥٨	١٥,٩٥
٣٠ ٣٥	٨٣	٢٢,٨٠
من ٣٥ ٤٠	٩٢	٢٥,٢٧
من ٤٠ ٥٠	٤٩	١٣,٤٦

(١) حسبت النسب من حساب الباحث اعتمادا على الدراسة الميدانية .

(٢) عن الدراسة الميدانية للباحث .

من ٥٠ ـ ٦٠		٢,٧٤
أكثر من ٦٠	٢	٠,٥٥

ويشير الجدول إلى ان ٧٥٪ من افراد العينة يقعون فى فئة العمر من ٢٠ ـ ٤٠ سنة ، وهو ما يعكس الاعمار الشابة لعينة مهاجرى كفر الشيخ وهو ما يتطلبه العمل الشاق فى زراعة البطيخ البعلى .

ومن حيث الحالة المدنية اتضح من الدراسة ان نسبة المتزوجين منهم تصل إلى ٧٤,٧٣ (٢٧٢ فردا) والعزاب إلى ٢٥,٢٧٪ (٩٢ فردا) . إذ يميل اغلبهم إلى اصطحاب بعض افراد اسرهم لطول الفترة التى يقضونها هنا إذا لم يكن بعض ابنائهم فى مراحل الدراسة التى تستدعى وجودهم بموطنهم .

وأوضحت الدراسة أن ٩٢,٨٦٪ من افراد العينة (٣٣٨ مهاجرا) هم من مركز واحد هو مركز بلطيم بمحافظة كفر الشيخ بينما ١,٦٤٪ (٦ أفراد) منهم من خارج ذلك المركز ولكن من نفس المحافظة (كفر الشيخ) وان ٥,٥٪ من جملة افراد العينة (٢٠ مهاجرا) هم من خارج محافظة كفر الشيخ ، وهو ما يعكس وحدة الموطن الأصلى تقريبا لهؤلاء الوافدين وهو ما يشرح العلاقات الوطيدة التى لوحظت بينهم وارتباطهم وتكافلهم بدرجة كبيرة .

ويوضح التوزيع النسبى التالى المناطق التى وفد منها المهاجرين من داخل مركز بلطيم[1] .

جدول (٩)

القرية	العدد		القرية	العدد	٪
سوق الثلاثاء (الوانع)	١٨٩	٥٥,٩٣	المنازل	٢٠	٥,٩٢
الساحل القبلى (الوهابية)	٤٣	١٢,٧٣	الشيخ مبارك	١٣	٣,٨٤
الساحل البحرى ([illegible])	٢٩	٨,٥٨	الشهابية	١١	٣,٢٥
[illegible]	٢٥	٧,٤٠	الحماد	٨	٢,٣٥

(١) البيانات والنسب من حساب الباحث اعتمادا على الدراسة الميدانية .

ويبرز الجدول ان اكثر من نصفهم وفد من سوق الثلاثاء وبسؤالهم اتضح ان سبب ذلك ضغط السكان على موارد القرية الزراعية بالإضافة إلى أن الوافدين الأول كانوا منها ولعب ذلك دورا فى التركيز على جلب هؤلاء لأقاربهم ، ويلاحظ أن القرية سنة ١٩٦٠ كان سكانها يكونون ٩٪ من جملة سكان مركز بلطيم فقط[1] . مما يعكس الدول العوامل الاجتماعية والقرابة فى ارتفاع نصيبها من الوافدين إلى غربى محافظة المنيا بينما لم يفد من قرية البرج بمركز بلطيم وهى اكبر قراه (٢٦,٤٪ من جملة سكانه سنة ١٩٦٠) سوى ٧,٤٪ لأن معظم هؤلاء السكان يعمل بالصيد أصلا فى البحر المتوسط وبحيرة البرلس وليس بالزراعة . وقد اجمع معظم الوافدين ان زيادة السكان وعدم وجود مزيد من الأرض للزراعة بموطنهم وزيادة دخولهم غرب المنيا كانت هى حوافز الوفود الرئيسية .

وتبين بالنسبة للمهاجرين المتزوجين ان مجموعهم ٢٧٢ مهاجرا جاء منهم ١٤٥ جاء مع كل افراد اسرته (٥٣,٣١٪) وان ٩٤ مهاجرا (٣٤,٥٥٪) جاء مصحوبا ببعض افراد الأسرة بينما جاء ٣٣ مهاجرا (١٢,١٣٪) منفردا ، اما غير المتزوجين (٩٢ فردا) فجاء (٥٧,٦٢٪) منهم مع بعض مواطنيه ، ٨,٧٪ مع صديق ، ٧,٦٪ منفردا ، ٢٦,٨٪ لم يحدد طريقة وصوله ، وافاد ٩٥,٥٪ من مجموع افراد العينة بان نشاطهم الرئيسى فى موطنهم كان زراعة البطيخ البعلى أو الزراعة عموما (يدخل ضمن هؤلاء بعض افراد يجمعون بين الزراعة والصيد) اما ٤,٥٪ فقد افادوا بان حرفتهم الصيد بالموطن . وأفاد معظمهم بان نشاطه الرئيسى فى غربى المنيا هو زراعة البطيخ البعلى .

أما عن الفترة الزمنية التى يستغرقها نشاط زراعة البطيخ فقد اختلفت اجاباتهم بحسب نوعية المهاجر ونوع النشاط القائم به فقد اتضح من اجابات العمال الاجراء ان النشاط يستغرق منهم من ٦ - ٧ شهور بينما افاد معظم المستأجرين من المتعاقدين مع اصحاب الأراضى بأن معظمهم يقضى ٩ شهور ويعكس ذلك مرتبة المهاجر وعلاقته بسكان المنطقة من الاغراب ، وإختلاف المسئوليات المنوطة به بحسب وضعه الإجتماعى والاقتصادى .

(١) النسب من حساب الباحث عن ملحق التوابع - محافظة كفر الشيخ الخاص بتعداد سنة ١٩٦٠ ، ص ١١ .

واتضح نفس الشيء عند بحث تردد المهاجرين Frequency على الموطن الأصلي والجدول التالي يوضح ذلك .

جدول (١٠)
تردد المهاجرين على الموطن الأصل

العدد	٪	الفترة	العدد	٪
كل شهر	٩	٢,٤٨	من ٣ ٦ شهر	٥٩	١٦,٢٠
كل ٣ شهور	٥١	١٤,٠١	من ٦ ٩ شهر	٢٤٥	٦٧,٣١
الجملة				٣٦٤	١٠٠,٠٠

ويبرز الجدول طول المدة التي يقضونها بالمنيا وهو ما يفسر ارتفاع نسبة من يصحبون أسرهم معهم من المهاجرين . وقد أفاد ٩٤,٢٤٪ من أفراد العينة بأنهم لازالوا على علاقة بالموطن الاصلي بينما أفاد ٥,٧٦٪ بانقطاع الصلة والاستيطان نهائيا بالوطن الجديد .

اما فيما يتعلق بخصائص المسكن سواء فى الموطن الأصلي أو الجديد فيلاحظ ان المناخ يلعب دورا هاما فى ذلك فمنطقة بلطيم تتلقى اكبر كمية من الامطار الساقطة فى مصر (حوالى ٢٠٠ ملم سنويا) بينما لا يسقط على منطقة المنيا فى احسن السنين اكثر من ٢٠ ملم ، ولذلك فقد افاد معظم الوافدين بان منازلهم فى بلطيم هى المقر الدائم ومبنى من الطوب الأحمر ومدعم بالحديد المسلح ليقاوم الظروف الطبيعية ، بينما افاد ٣٥١ وافدا (٩٦,٤٣٪) بانهم يقيمون فى غرفى المنيا فى مساكن مؤقتة مستمدة اساسا من البوص الذى يضم إلى بعضه البعض بجدائل واحيانا تسد الفتحات بالطين لمنع دخول الهواء ، ويلحق بهذا المسكن البسيط مكان قريب يستخدم كدورة مياه وليس له سقف ، اما عن السكن فاحيانا ما يسقف باقامة بعض القوائم من النخيل ويسقف بالبوص وبقايا النباتات ، وعادة ما تفرش بقش الأرز الذى حمله الوافدون معهم من محافظة كفر الشيخ ويوضح شكل (٤) بعض نماذج من هذا المسكن المؤقت لزراع البطيخ البعلى ، واخر للسكن الدائم .

(١) النسب من حساب الباحث من استمارة الدراسة الميدانية .

ويوضح الصورة رقم (٣ ، ٤) نموذجا لهذا المسكن ، وقد أفاد ١٣ وافدا فقط بانهم يقيمون فى مساكن دائمة عدد افنيا (٣,٥٧٪) وهو ما يمكن تطابع المؤقت لهذه الهجرة . ومعظم المساكن المؤقتة يحصل عليها الوافدين ضمن اجار الأرض الذى يحصل عليه الاعراب ، كذلك افاد ١,٦٤٪ من الوافدين بان لهم مساكن يمتلكونها وهؤلاء غالبا من الذين استقروا نهائيا فى المنطقة

اما عن طريقة شغل المساكن فقد افاد ٢٤٦ وافدا انهم يقيمون فى سكن خاص بهم بينما افاد ١١٨ وافدا باشتراكهم فى السكن (٦٧,٥٩٪ ، ٣٢,٤١٪) على التوالى وهو ايضا ما يعكس ترابط المهاجرين ورغبتهم فى الالتفاف حول بعضهم البعض وقد لوحظ اثناء الدراسة الميدانية اشتراك عدة أسر مع بعضها فى السكن رغم انهم من المتزوجين وتقطن كل اسرة فى غرفة أو غرفتين متجاورتين يليهما اخرى تخص اسرة ثانية ولكن يجمعهم فناء مشترك معا ، وعادة ما يتواجد الزراع امام هذه المساكن فى خارجها ونادرا ما يختلطوا بالسكان من الاعراب كما ان من مشاكلهم الحصول على الماء للحياة اليومية وقد حلت المشكلة جزئيا بانشاء مضخات للماء امام المنازل ، كذلك يلاقوا بعض الصعوبات تتمثل فى عدم استفادتهم من خدمات الجمعيات الزراعية لأنهم ليس لهم حيازات باسمائهم كما ان معظم الأراضى التى يستغلونها لا تدخل ضمن الأراض التى تشرف عليها وزارة الزراعة ويضطروا فى كثير من الأحيان إلى شراء متطلبات الزراعة من السوق السوداء .

كذلك يلجأ معظمهم إلى الأطباء الخصوصيون فى حالة المرض ويذهبون إلى عاصمة المركز التابعين له مباشرة وليس إلى الوحدات الصحية بالقرى البعيدة عنهم ومعظم مناطقهم ليس بها كهرباء بطبيعة الحال ، ولذلك فوسائل التسلية بالنسبة لهم محدودة وان لوحظ أن بعضهم يمتلك اجهزة تلفاز العمل « بالبطاريات » .

وعموما فهم فى اقامتهم غرب المنيا وطريقة حياتهم يؤكدون الانطباع بان اقامتهم هنا مؤقتة ، رغم انهم لا يقضون فى موطنهم الأصلى اكثر من ثلاثة [illegible] فى كل سنة .

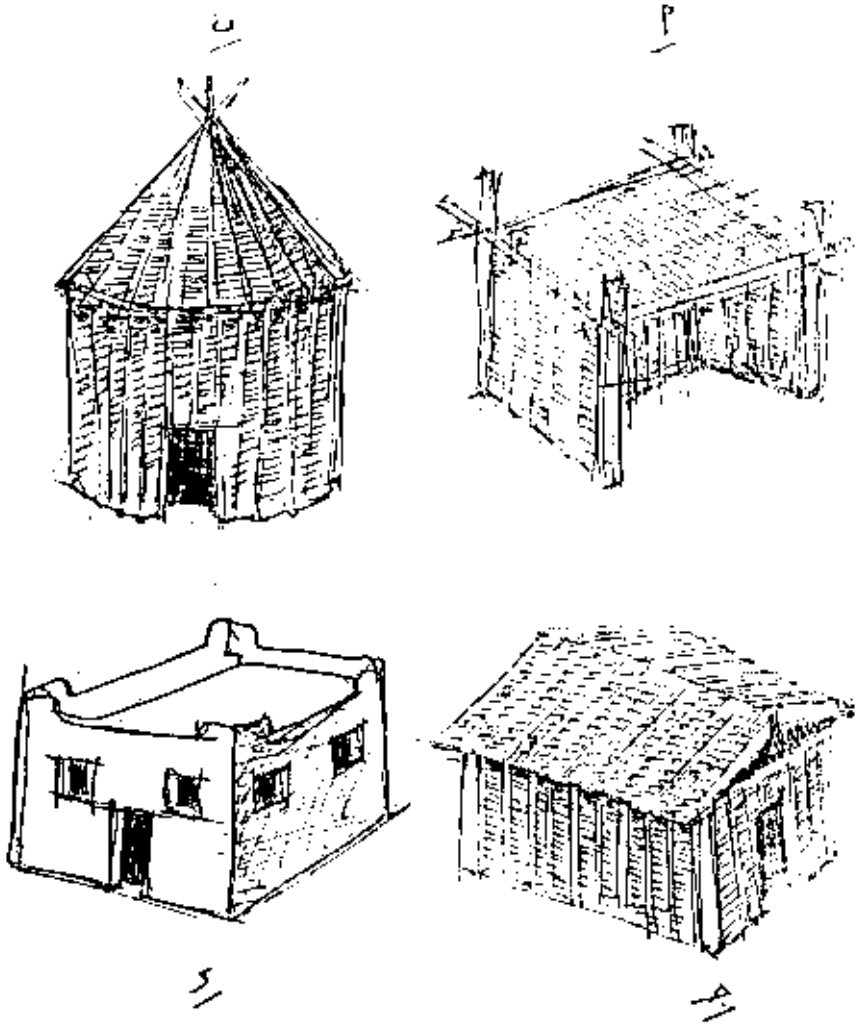

نماذج من أنواع المساكن فى منطقة زراعة البطيخ غربى المنيا
أ ، ب ، جـ مقار خفيفة مؤقته . و د سكن دائم .

شكل (٤)

خاتمـــة :

اهتمت الدراسة الحالية بهجرة زراع البطيخ البعلى من محافظة كفر الشيخ إلى غربى محافظة المنيا ويرى الباحث ان هذه الهجرة بالصورة التى جرى تحليلها هى أدخل فى الجغرافيا الحضارية Cultural geography والتى تتعلق بنظم الاساليب البشرية والممارسات والمهارات المختلفة لمجموعة من البشر كما يذكر سبنسر وتوماس Spencer & thomas "cultural Geography is concerned with systems of human technologies and cultural practices."[1]

ولاشك ان الأسلوب والأدوات Tools والخبرة والأفكار Innovations التى جاء بها هؤلاء المهاجرين لم تكن معروفة قبل مجيئهم إلى غربى المنيا .

ويرى نفس المؤلفين السابقين ان على الجغرافى الاهتمام بنشأة الاساليب المتجددة وأن يرجعها إلى بيئتها الأولى التى ابتدعت فيها لأول مرة ، كذلك بالأفكار التى تغير من شكل البيئة التقليدى[2] وهو ما إتضح فى حالة هجرتنا هذه .

وليس ضروريا ان تكون الاساليب والأفكار المنقولة والمطبقة فى بيئة جديدة قادمة من بيئة اكثر تقدما أو ارق من البيئة التى قدمت منها هذه الأساليب والأفكار فقد لاحظ Zelinsky ان المهاجرين إلى U.S.A. من المستوطنين استفادوا كثيرا من اساليب الهنود الأمريكيين فى تطويع البيئة والتفاعل معها ونقلوا عنهم . وقد انعكس ذلك فيما بعد فى اسماء الأدوات والأماكن بل ان صناعة الأدوية والعقاقير الأمريكية Pharmacopeia لاتزال تحمل بصمات هؤلاء الهنود الأمريكيين . ومثل ذلك حدث بعد هجرة الزنوج إلى العالم الجديد ، ويرى زلنسكى ان حركة وانتقال السكان فى بواكير تاريخ U.S.A. كان لها اكبر الأثر فى تغيير الخريطة الحضارية للبلاد[3] ، ولاشك أن

(١) Spencer, J.E. & thomas, W.L., Introducing Cultural geography, Wiley, New Yorkm 1973, pp. 19-22.

(٢) Ibid. P. 20.

(٣) Zelinsky, W., The cultural Geography of the united states, cultural geography series, prentice hall, englewood cliffs, New jersey, 1973, pp. 14-20 & 80-81.

الاسلوب الذى حمله مهاجرو بلطيم إلى غرب المنيا وافكار زراعة البطيخ البعلى المتميزة تعد إضافة حضارية فى هذه البيئة الجديدة . كما تمثل واحداً من أمثلة إلتقاء الثقافات المتباينة ، إحداهما تنتمى إلى منطقة الدلتا ، والأخرى إلى منطقة مصر الوسطى ، ولاشك أن التفاعل بين الثقافتين له أثره على الأبعاد الحضارية فى كل من البيئتين .

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة المنيا – كلية الآداب

قسم الجغرافيا

استمارة جمع بيانات لغرض البحث العلمي

قياس الأبعاد والخصائص الاجتماعية والاقتصادية لزراع البطيخ بغربى المنيا

– الاسم : العمر : الحالة الاجتماعية :

– الموطن الأصلى : قرية : مركز : محافظة :

– محل الاقامة فى غربى المنيا : قرية : مركز : محافظة :

– مدة الاقامة بالمنطقة : أقل من ٥ سنوات من ٥ – ١٠ أكثر من ١٠ سنوات

– المهنة فى الموطن الأصلى : مزارع : صياد : غيره يبين :

– دافع الهجرة : عدم وجود ملكية زراعية قلة الأراضى المتاحة عدم كفاية الدخل

– المسكن فى الموطن الأصلى : ملك ايجار من الطوب الأحمر من الطوب اللبن من مواد أخرى

– النشاط الزراعى فى الموطن الأصلى : محاصيل تقليدية بطيخ ومقات : طماطم وخضروات : أخرى تبين :

– النشاط الزراعى فى غربى المنيا : زراعة البطيخ البعلى غيره يبين :

– طبيعة النشاط الاقتصادى فى غربى المنيا : مالك أرض مستأجر عامل أخير

– المسكن فى غربى المنيا : ملك ايجار من الطوب من البوص وغيره غربى يبين مستقل مشترك يسكن جوار زراعات البطيخ بعيدا عنها فى القرى القريبة

– التردد على الموطن الأصلى : كل شهر من ١ – ٣ أشهر من ٣ – ٦ شهور من ٦ – ٩ شهور أكثر من ٩ شهور

– المشكلات التى تواجه المهاجر فى غربى المنيا : .....

.....

المراجـــع

المراجع العربية :

١ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : التعداد العام للسكان محافظة كفر الشيخ سنة ١٩٦٠ – ملحق التوابع – القاهرة سنة ١٩٦٢ .

٢ – شركة الوجه القبلى الزراعية : الشئون الهندسية – خريطة منطقة غرب سمالوط مقياس ١ : ١٠٠٠ .

٣ – عبد العزيز كامل : الجغرافيا البشرية للسودان – معهد البحوث والدراسات العربية – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٢ .

٤ – عبد الفتاح محمد وهيبه : جغرافية الانسان – ١٩٧٠ .

٥ – مصطفى الجبلى : إستراتيجية التنمية الزراعية بين تحقيق الاكتفاء الذاتى وحسن استغلال الموارد – من أبحاث ومناقشات المؤتمر العلمى الثانى السنوى للإقتصادين المصريين (من ٢٤ – ٢٦ مارس سنة ١٩٧٧) . والخاص باستراتيجية التنمية فى مصر – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٨ .

٦ – محافظة المنيا : خريطة محافظة المنيا (القرى) – مقياس ١ : ١٠٠٠٠٠ .

٧ – مصطفى خوجلى : الأسس الاقتصادية لاستقرار البدو فى السودان – المجلة الجغرافية العربية – الجمعية الجغرافية المصرية – السنة العاشرة – العدد العاشر – ١٩٧٧ – ص ص ٧ – ٢٤ .

٨ – محمد السيد غلاب – البيئة والمجتمع الطبعة الثالثة – القاهرة – ١٩٦٦ .

٩ – محمد صبحى عبد الحكيم – الهجرة إلى القاهرة – تقرير مقدم إلى اللجنة العليا لتخطيط القاهرة الكبرى ١٩٦٨ .

١٠ – محمد صفى الدين ابو العز : مورفولوجية الأراضى المصرية – دار النهضة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – سنة ١٩٦٦ .

١١ محمد عبد الغنى سعودى : هجرة [illegible] فى شرق افريقيه المجلة الجغرافية العربية السنه الخامسة العدد الخامس ١٩٧٢ ، ص ص ٣٧ ٧٣ .

١٢ محمد مدحت جابر عبد الجليل : مركز فوه دراسة جغرافية رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٣ .

١٣ - محمد مدحت جابر عبد الجليل : مركز المنيا دراسة فى جغرافية العمران رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى قسم الجغرافيا بكلية الآداب – جامعة الاسكندرية ، سنة ١٩٧٨ .

١٤– محمد محمود الصياد ، ومحمد عبد الغنى سعودى : السودان ، ١٩٦٠ .

١٥ يوسف خليل البرازى : البداوة والاستقرار فى العراق – معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة سنة ١٩٦٩ .

المراجع غير العربية :

Beadnell, H.J., The sand dunes of libyan desert, geog. jour, vol. 35,16-1910.

Gmelch, G., the irish tinkers, the urbanizan of an itinerant people,17-cummings publishing company, menlopark, california, 1977.

Hansen, B., & Radwan, S., employment opportunities international18-labour office, geneva, 1982; PP. 233-38.

International labour office, rural employment problems in the united19-arab republic, geneva, 1961.

Jordan, T.G., the european culture area, A systematic geography,20-harper & row pub., new york, 1973.

Kosineki, L.A., & protehro, R.M., migrations & population21-preasures on resources, in zelinski, W., & others, geography and crowding world, oxford university press, london, 1970, PP. 251-58.

Mutton, A.F.-A., western europe, blandford press, london, 1971. 22-
Nassef, A., Demographic development in egypt, 1960-76, in23-
LLO/UNDP, Employment opportunities and eguity in egypt, No. 2,
1983.
Said, R., The Geology of egypt, elsevier publishing company,24-
amestrdam, netherland, 1962.
Spencer, J.E., & thomas, W.L., introducing cultural geography,25-
john wiley, new york, 1973, PP. 19-22.
Zelineski, W., the cultural ccography of the united states, 26-
. Foundation of cultural geography series, prentice.
Hall. Inc., englewood cliffs, New jersey, 1973.

المدخل الاجتماعى للاعلام العربى – [1]
دراسة فى أشكاليات التوصل الفكرى من خلال الاعلام المرئى والمسموع

دكتورة/ نسمة أحمد البطريق
كلية الاعلام – جامعة القاهرة

مقدمة :

تجتاز النظرية العامة للأتصال الجماهيرى مرحلة هامة وحاسمة من مراحل النمو والتطور ، فرضتها ظروف المجتمع الانسانى ، فأصبح الفصل بين علم الاتصال الجماهيرى والنظرية الاجتماعية من الأمور الصعبة بل المستبعدة فى المجالات البحثية التى تخص أكثر المجالات التصاقاً بالمجتمع وتعاملا مع الحياة والانماط الإجتماعية المتعددة . ويمكن إرجاع أهمية العناية بالمدخل الإجتماعى للأعلام المسمعى المرئى فى الدول العربية إلى عوامل عديدة نحصرها فى النقاط الآتية :

(أ) إن دراسة هذه الجوانب من الناحية النظرية والعملية أحد المجالات التى يطرقها الفكر الاعلامى ويعبر هذا الاهتمام عن أحد الاتجاهات فى علم الاتصال وهو معرفة أسباب اللاتوازن الاعلامى والثقافى وخاصة الوقوف على المعوقات التى تعترض العملية الاعلامية والثقافية والابداعية من خلال الاعلام المرئى المسموع خاصة بعد هذه الثورة الهائلة فى مجال اتصالات الفضاء التى أتاحت للقنوات المرئية ازدهاراً وانتشاراً قد يفوق قنوات البث المسموع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى دخول المجتمع العربى عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال بكل أبعاده وثقله فى الوقت الذى تزايدت فيه وتفاقمت المشكلات

الإجتماعية والاقتصادية والغزو الثقافى والفكرى الاجنبى وازدياد التبعية السياسية للدول المصدرة للتكنولوجيا وما يترتب عليه من تعميق الازمات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين اطار العالم العربى من جانب وبين تلك الاقطاع ودول العالم المتقدم الصناعى من جانب آخر ولا يتسع الوقت هنا لشرح تلك الأزمات ومظاهرها ونتائجها البعيدة والقريبة على مستقبل السياسات الاعلامية العربية . وما يهمنا أيضاحه هنا خطورة عملية نقل التكنولوجيا الحديثة للاعلام والاتصال فى بيئة لم تتوافر بها بعد المعوقات الرئيسية لاقامة مجتمع عربى أعلامى حديث .

(٢) إن الثورة التكنولوجية الهائلة فى مجالات الاتصال والاعلام وتدفق المعلومات وما صاحب هذه الثورة العلمية من تطوير فى الآلات الالكترونية الأمر الذى أدى الى منافسة الاعلام المرئى المسموع عن طريق التليفزيون والفيديو كاسيت النظم الاعلامية الأخرى خاصة الخطية . هذا الوضع يزداد خطورة إذا علمنا أن هناك ظواهر اجتماعية أخرى معاكسة لاقامة بنية أعلامية فعالة عربية اهمها تفشى الأمية والبطالة بأنواعها الظاهرة والمقنعة والتضخم السكانى فى المدن والاختلال الطبقى والثقافى ... فرض هذا الوضع العديد من المشكلات الإجتماعية والثقافية والإعلامية التى يجب دراستها بمنظور أجتماعى .

(٣) أصبحت البحوث والدراسات العلمية تؤكد على ضرورة الربط بين علم الاتصال والنظرية الاجتماعية وذلك لإمكان تحديد المشكلات التى تواجه الاعلام المسمعى المرئى . لقد أصبح المدخل الاجتماعى للأعلام والاتصال الجماهيرى خاصة فى مجال الوسائل المسموعة المرئية يضم العديد من وجهات النظر التى قد تصل فى كثير من الاحيان إلى مستوى النظريات العلمية والتى تبلور جميعها أهمية الصورة المتحركة كشكل من أشكال الإبداع الفكرى والفنى الأكثر تعاملا مع الفئات المختلفة من الجماهير إلا أنه لا يحقق هذا التعامل الأدوار الوظيفية المتعددة من تأثير وأقناع وارشاد وتوجيه وتعليم . هذا القصور يمكن إرجاعه فى أغلب الأحيان الى طبيعة المجتمع الذى تتعامل معه الصورة المتحركة ، وقد يكون من المناسب إذاحصرت المقومات الرئيسية للمجتمع

الاعلامى حتى يمكن إيضاح ما قد يعترض الاعلام السمعى المرئى فى الدول العربية من عوائق وسلبيات .

(٤) إن الصورة بصفة عامة كوسيلة للأبداع الفنى وكأساس منهجى للغة الصورة المتحركة لم تتناولها البحوث الاعلامية العربية بالتحليل والدراسة العلمية لبيان مقوماتها الاجتماعية والفكرية . فالصورة كشكل من أشكال الإبداع الفكرى والثقافى والفنى ، نظر لها على الأقل فى فترات الظلام الثقافى قبل عصر النهضة العربية الحديثة فى بداية القرن التاسع عشر على أنها شكل من الأشكال الفنية المحرمة التى لا يجب التعامل معها ، ومع النهضة الثقافية والاجتماعية ، قام رواد الفكر العربى الحديث بتقديم العديد من الحجج والقرائن ، اباحت دخول هذا الشكل الفنى الحياة الثقافية والفكرية مع بدايات القرن العشرين مستندين فى ذلك الى قواعد وتعاليم الشريعة الإسلامية[٢] . ولكن دخول الصورة المتحركة كمفردة من مفردات لغة المرئيات لم يتناولها الفكر الاعلامى العربى بالدراسة والتحليل .

تلك الملاحظات النظرية وغيرها تشير الى أهمية دراسة المدخل الاجتماعى للاعلام المرئى المسموع خاصة وان الدول العربية تتعامل مع وسائل تكنولوجية غربية عن بيئتها الصناعية . وتحاول جاهدة اقلمة ظروفها وبيئتها الفكرية حتى تتلاءم وتكتيك تلك الوسائل وهذا على عكس الدول الغربية الصناعية المتقدمة التى مرت بمراحل صناعية وحضارية ، حققت للمجتمع تطوراً فكرياً وثقافياً واجتماعياً يتناسب وحضارة الآلة بل فرضت تلك المجتمعات ثقافة متميزة قوامها

(٢) ذلك التيار كان وليد حركات التحديث الاجتماعى والثقافى والفكرى التى قادها رواد الفكر العربى الاسلامى ابتداء من رفاعة رافع الطهطاوى الى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده . وفيما يخص دخول الصورة كشكل تعبيرى حديث الحياة الثقافية فى العالم العربى – انظر فتوة الشيخ محمد عبده فى جريدة – الوقائع – ١٩٨١ . حول هذا الموضوع انظر – بسمة أحمد البطريق – المداخل الاجتماعية والثقافية للسينما المصرية . رسالة دكتوراة الدوله – كلية الآداب قسم الصحافة والاعلام الاجتماعى جامعة بروكسب بلجيكا ١٩٧٩ رسالة غير منشورة – بالفرنسية – أنظر أيضاً حول هذا الموضوع محمد رشيد رضا – تاريخ الاستاذ محمد عبده – مطبعة المنار – القاهرة ١٩٣١ أيضاً أنور عبد الملك (بالفرنسية) .

Idiologie et Rennaissance National L'Egypt Editions Anthropos. Paris, 1968.

الصورة المتحركة كمرحلة متقدمة من الابداع الفكرى والثقافى .

إن المقولة التى تؤكد على سهولة الصورة المتحركة فى التأثير وتلخيص الفكر والمعلومات هى مقولة صحيحة ولكن غير كافية لتأكيد صلاحيتها ، وذلك لأن لغة المرئيات لن تحقق القدر الكافى من التأثير على الفئات المختلفة من الجماهير إلا بتوافر شروط المرور بحضارة الكلمة المكتوبة ، ومما لاشك فيه أن النظرة الاجتماعية التى ميزت المجتمعات على أساس الشكل التكنولوجى والصناعى الناقل للفكر والمعرفة والثقافة أصاب التعبير والتحليل كما سنوضح فيما بعد .

الأطار النظرى والمنهجى

إن التحليل المنهجى لمفهوم المدخل الاجتماعى الذى تطور منذ النصف الأخير لهذا القرن لم يعد قاصراً على دراسة النظم الاعلامية بمعزل عن بيئتها الاجتماعية بمقوماتها الفكرية والثقافية والفنية والاقتصادية والانثربولوجية .. بل امتد هذا المنظور ليحلل جزئيات مضمون النظم الاعلامية ويفسر البعد البنائى والتركيبى ، كما يدرس الخصائص العامة لفئات الجمهور المختلفة وذلك لتحديد نوع العلاقات الجدلية القائمة بين القوة الفكرية المنتجة والفئات الاجتماعية المتقبلة لهذا المضمون الفكرى .

ولقد ركزت الدراسات المنهجية التقليدية المرتبطة بمفهوم المدخل الاجتماعى للاعلام الجماهيرى على سلوكيات الفئات المختلفة للوسائل الاعلامية المتعددة . ودراسة المنافسة بين الأنظمة الاعلامية وكيفية الوصول الى الجمهور العريض غير المتجانس لتحقيق مبدأ الانتشار الاقصى ، وتتبع خصائص الفئات المختلفة المستقبلة للأنظمة الاعلامية والثقافية ، لم تعد هذه المحاور والمداخل المنهجية ، رغم أهميتها فى التحليل ودراسة عملية الاتصال كافية لحسم قضية المنظور الحديث للمدخل الاجتماعى للاعلام ولذلك أصبح من الضرورى وضع فروض علمية جديدة لتحليل التكوين البنائى للوحدات الاعلامية السمعية البصرية وايضاح مدى التداخل بين النظم الإعلامية الخطية من ناحية والنظم المسموعة المرئية وحصر الأهمية النسبية لمكانة الكلمة المكتوبة كمقومة من

المقومات الاساسية الداخلة فى التركيب البنائى للمضمون الاعلامى لتلك الوسائل .

وإذا كانت الدول العربية تنتظر العديد من الأدوار الوظيفية من تلك الوسائل لمواجهة تحديات العصر الحديث خاصة فيما يتعلق بالتنمية الإجتماعية والثقافية ، فهناك قضية أخرى تفرض نفسها ، يجب تحليل جوانبها وهى كيفية ألنجاح عملية الاتصال الجماهيرى خاصة فى المجتمع العربى من خلال حضارة الصورة المتحركة ، وتحديد الشروط الرئيسية الواجب توافرها فى الوسط الاجتماعى المتلقى لها لتحقيق علاقات ايجابية متبادلة .

إن من المعروف أن من بين الأسس الهامة الداخلة فى انجاح عملية التواصل الفكرى من خلال الانظمة الألكترونية الحديثة السمعية المرئية الناقلة للفكر توافر معانى مشتركة مقبولة بين القوة الفكرية المنتجة للرسائل الاعلامية وبين القوة المتقبلة لهذه الأفكار . فقد تكون المعانى المطروحة مشتركة فى المحيط الاجتماعى من خلال انظمة التواصل التقليدية ولكن معالجتها بهذه الوسائل المسموعة المرئية قد تفقدها التوازن القائم مما يؤدى الى تدفق الرسالة الاعلامية فى اتجاه واحد وكفقد مفهومها الحقيقى وتغير من مسارها وهدفها النهائى .

فهناك فيصلا منهجياً بين الفكر والثقافة المكتوبة أى الرسائل الخطية والفكر والثقافة التى تتدخل التكنولوجيا الحديثة فى نقلها خاصة عن طريق الصورة المتحركة . ولذلك كان من الضرورى .

(٥) إعادة دراسة الفروض النظرية التى توصل اليها العلماء فى المجالات الاجتماعية والانسانية المختلفة منفردة وإعادة توظيفها لمعالجة هذه القضية الهامة والملحة بعد هذه الثورة التكنولوجية والالكترونية الهائلة التى ساهمت وأدت الى زيادة الهوة بين الجمهور المتلقى بخصائصه الادراكية والتربوية والإجتماعية التقليدية الثابتة ، وبين متطلبات المجتمع الاعلامى الحديث المتطور وعلى وجه الخصوص القضايا المرتبطة بأشكالية التداخل الحضارى بين النظم الاعلامية المختلفة ، وأصبحت من القضايا الملحة للكشف عن متطلبات وخصائص تلك البيئة الاعلامية التى فرضها التقدم العلمى والصناعى لمقابلة تلك الرسائل

المركبة والتي تتدخل أكثر من حضارة في تكوينها . لقد أصبحت البحوث النظرية التي ترتكز على المنهج التحليلي للمحتوى الفكري والاعلامي لوسائل الاعلام والثقافة خاصة النظم المسموعة المرئية من الفروع المتطورة للمدخل الاجتماعي للاتصال الجماهيري ، من حيث إبراز أهمية دراسة مضمون هذه الوسائل ليس فقط كوحدة فكرية تعكس فكر وثقافة المجتمع في مرحلة من مراحل تطوره التاريخي بل لتحديد نوع العلاقة المتداخلة والداخلة في تكوين محتواها الفكري والفني .

وبدون تفسير نظري وعلمي لهذا الجانب يصعب تحديد ابعاد محوراً من المحاور الأساسية للمشكلات التي تعترض الاعلام الأذاعي السمعي المرئي في الوطن العربي .

وإذا كان موضوع الدراسة يمس مدخلا جديداً من المداخل الحديثة لعلم الاتصال الجماهيري فهناك العديد من النظريات الاجتماعية لمعالجة بعض الجوانب المنفردة لهذه القضية ، وسنحاول الارتكاز عليها والاسترشاد بها لوضع تصور شامل وأولي .

فمهمتنا محددة بل وتنحصر في تقديم تفسير نظري يمس مدخلا من المداخل الاجتماعية للاعلام السمعي المرئي . ولن يكون تعرضنا للنظم الخطية الا في حدود حصر أهمية الكلمة المكتوبة كمنهج من المناهج اللغوية الخطية سابقة على الاذاعة المسموعة المرئية لأبراز تأثيرها الايجابي لانجاح عملية الاتصال الجماهيري من خلال تلك النظم الاعلامية المركبة .

هذه الدراسة تثير إذاً قضايا ومحاور متعددة يمكن حصرها في ثلاثة نقاط أساسية :

أولا : بعض الصعوبات النظرية التي اعترضت مسار هذا الاتجاه الإجتماعي للاعلام الجماهيري .

ثانياً : بزوغ الاتجاه الاجتماعي في مجال الاتصال الجماهيري .

ثالثـــاً: متطلبات المجتمع الاعلامي الحديث ومنهجية دراسة المدخل الاجتماعي للاعلام المرئي المسموع في الوطن العربي .

أولا : بعض الصعوبات المنهجية التى أعترضت مسار هذا الاتجاه الاجتماعى للاعلام الجماهيرى

ويمكن ايضاح هذا المدخل النظرى من خلال وجهتين :

أ – أرتباط مناهج البحث فى مجال العلوم الانسانية خاصة فى دول العالم الصناعى بمناهج البحث الخاصة بالعلوم الطبيعية .

ويرجع الافتقار الى أسس نظرية تحكم وتفسر الخلفية الاجتماعية القادرة على توضيح نوع العلاقات المتعددة بين الأنماط الاجتماعية وحصر درجات تفاوتها ومدى قدرتها على تقبل الرسائل الثقافية والفنية الى سبب جوهرى وهو غياب التفسير السوسيولوجى فى البحوث والدراسات الاجتماعية خاصة بعد التطور التكنولوجى والصناعى وسيادة الآلة فى الحياة الاجتماعية ، فزيادة تلك النزعة الامبيريقية الوضعية وزيادة الاهتمام بتطبيق المنهج العلمى الدقيق على الظواهر الاجتماعية تفسيراً ملائماً للتطبيق .

فتعميم الظواهر وتطبيق أسلوب التحليل الاحصائى وأختيار العينات أصبح هدفاً فى حد ذاته ويرجع سيطرة هذا الاتجاه فى تلك الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية الى رغبة علماء الاجتماع منح العلوم الاجتماعية معايير العلم الدقيق وأدوات منهجية دقيقة وصارمة وفروض توجه البحث ، وقوانين تشبع الحاجة الى نسق نظرى متجانس ومترابط . ومن نتائج هذا الاتجاه الوصفى ازدياد الانفصال شبه التام بين العلم وفروضه من جهة وبين التفسير الاجتماعى من جهة أخرى ، كل ذلك تحت ستار الدقة المنهجية وتبنى فكرة النموذج الواحد الذى يمكن تطبيقه على الظواهر المماثلة مهما كان الاختلاف فى البيئة الاجتماعية .[٣]

ورغم سلبيات هذه النزعة التحليلية الوضعية التى اتصفت بها الدراسات الغربية الا أننا لا ننكر أهميتها فى مجالات الدراسات الاعلامية خاصة مناهج البحث التى أمدت نظريات الاتصال منطلقات علمية ونماذج وأدوات

(٣) د. السيد محمد الحسينى . نحو فهم جديد لقضايا علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة أيضاً أنظر د. محمد على محمد مقدمة فى البحث الاجتماعى . دار النهضة . بيروت ١٩٨٢ .

نظرية ساعدت على تفسير آليات العملية الاتصالية . ولعل نموذج العالم الأمريكي Laswell (لاسويل) من تلك النماذج الهامة التي وجهت[٤] البحوث والدراسات الى منطلقات اجتماعية متعددة فارتكازها على عناصر عملية الاتصال الجماهيري ودراسة كل عنصر على حدة فتح مجالا علمياً واسعاً ساعد على اضافة العديد من المفاهيم والابعاد في تكوين تصورات ومنطلقات تبنتها المدارس الأوربية[٥] .

ب سبب خاص بالدول العربية ويرتكز أساساً على نقطتين

أولا : أنشغال الباحثين والعلماء العرب بقضايا التحرر السياسي والاقتصادي ، وثانياً صعوبة تتبع أسباب التفتت الاجتماعي والسياسي في العالم العربي .

أولا : أدى التركيز على ربط الدراسات العربية في المجالات العلمية المختلفة للنظريات السائدة في دول العالم الغربي الصناعي المتقدم ، من ناحية وانشغال الباحثين والعلماء العرب بقضايا التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي الذي يواجه العالم العربي . للأنشغال بايجاد مفهوم موحد للتخلف الاقتصادي والسياسي ومحاولة العثور على حلول عملية للتغلب على الاشكاليات المطروحة والمفاضلة بين الأيديولوجيات ومدارس الفكر الاقتصادي من اشتراكية ورأسمالية ليبرالية بهدف رسم فلسفة للتنمية الاقتصادية .

وكان من الطبيعي أن تتأثر النظم الاعلامية وتخطيط برامجها في مثل هذه الخلفية الاقتصادية السياسية . ورغم جدية البحوث والدراسات المرتبطة بالتنمية الاجتماعية ومحاولة تحديد مفهوم التبعية الاقتصادية والسياسية والفكرية[٦] ولم تساهم تلك التصورات في وضع منهجاً تطبيقياً لتطوير البنية

(٤) حول هذه النقطة راجع د. حيان محمد رشتي - الأسس العلمية لنظريات الاعلام - دار الفكر العربي / القاهرة ١٩٧٨ .

(٥) هم دراسات تلك المدرسة والتي تخص ذلك التطور الاجتماعي ، أنظر

Roger causs, les nouvelles syntheses creditiques. Editions instut de socidogie. bruxlles 1963-

Thoverong. Radio et television dans la vie quotidienne Editions de l'Ins Socio. Bruxelles 1971.

(٦) د. عادية رمضان « التنمية وأزمة البحوث السياسي نشار » عدد يونيو ١٩٨٥ ٤٢ - ٦٩ أنظر

الاساسية والهياكل الاجتماعية التى يرتكز عليها المجتمع الاعلامى الحديث ورسم سياسة شاملة لمواجهة الاعلام العربى اخطار الغزو الثقافى والفكرى عن طريق الوسائل الاعلامية المسموعة المرئية ، وتقديم مفهوم واضح ومكتمل للمدخل الاجتماعى للاعلام العربى ، كمدخل يحلل ويفسر الظواهر الاعلامية كظواهر أفرزها المجتمع وفقاً لتطور تاريخى تنصهر بداخله مقومات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية محددة وأيضاً يجل التكوين المنهجى والبنائى للوحدة الفكرية والكشف عن مقومات هذه اللغة الحديثة ومدى تمثيلها للانماط الاجتماعية المختلفة .

ثانياً : لعل هناك أسباب أعمق توضح نظريات حديثة تتناول هذا المنظور الحديث للاعلام العربى ينطلق من واقع الظواهر والانماط الاجتماعية وعلاقتها بالفكر السياسى والثقافى وتفسيرها من واقع خلفية تاريخية تتبع مسار المجتمع وحركته وترجع هذه الاسباب جميعاً الى صعوبة تتبع أسباب التفتت الاجتماعى والسياسى فى تلك الدول وذلك للميل المتعمد لاختصار المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية وتحجيمها فى صورة لا تتناسب والواقع المرير الذى يعيشه المجتمع العربى وطبقاته المختلفة ، ونتيجة للتقنيات المتبعة من قبل الحكومات فى تلك الدول وتنوعها وفقاً للنزعات السياسية وتحقيقاً لمبدأ سلطوية الدولة ، وانفرادها فى تطبيق ايديولوجية واحدة لا تمثل الوعى الفكرى والثقافى للطبقات والأنماط الاجتماعية الأخرى .(٧)

ويمكن القول بصفة عامة أن الصعوبات التى اعترضت مسار الاتجاه الاجتماعى للاعلام الجماهيرى فى الوطن العربى ترجع الى أن ممارسة العمل الاعلامى العربى يتبع القرارات السياسية ويرتبط بها وهذا يعنى أن العمل

= أيضاً - د. عمر ابراهيم الخطيب « الجوانب الايديولوجية والسياسية والاجتماعية فى الفكر الكنولوجى العربى » - مجلة العلوم الاجتماعية العدد ٤ - شتاء ١٩٨٤ ص ٩ - ٢٨ . أنظر أيضاً - د. انور عبد الملك « الفكر العربى فى معركة النهضة - دار الاداب - بيروت الطبعة الثانية - ١٩٧٧ .

(٧) د. عبد الملك عودة - تعقيب على دراسة د. غسان العطية - « دور الجامعة العربية فى الاعلام » ندوة جامعة الدول العربية - الواقع والصورة مركز دراسات الوحدة العربية ابريل ١٩٨٣ ص ٤١١ - ٤٤٢ .

الاعلامى ترجمة لواقع السياسة ولواقع صناعة القرار فى صورته الاجتماعية الشاملة .

وكل دولة من دول العالم يعيش تلك التناقضات والظروف ، وقد تختلف بعضها فى السمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية العامة إلا أنها تعيش جميعاً التبعية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية بكل أبعادها ومظاهرها . فاذا اختلفت بعض المظاهر من حيث الشكل إلا أن العوامل والاسباب التى أدت الى تلك التبعية تكمن فى أعماق المجتمع ولا تزال آثارها تحكم وتوجه بعض الانماط الاجتماعية سنداً لها لتحقيق أهداف معاكسة للمصلحة العامة[٨] .

---

(٨) مرجع سابق د. نادية رسمى - التنمية وأزمة التحول السياسى .

ثانياً : بزوغ الاتجاه الاجتماعى فى دراسة الاتصال والاعلام الجماهيرى

أصبحت البحوث النظرية التى ترتكز على التحليل الاجتماعى والمنهجى التركيبى والبنائى للمحتوى الفكرى لوسائل الاعلام والثقافة المسموعة المرئية من الفروع المتطورة لنظرية اجتماعيات الاتصال والاعلام الجماهيرى واصبح هذا النوع من الدراسات وجهة يتجه اليها العلماء والباحثين فى دول العالم الصناعى فى الغرب خاصة الوسائل المسموعة المرئية كفرع حديث لنظرية الاتصال الجماهيرى . فالتقدم العلمى فى مجال مناهج البحث قدم وسائل وأدوات لتحليل ودراسة المضمون الاعلامى لتلك الوسائل واستكشاف العلاقات اللغوية والبنائية لتحديد العلاقات المتداخلة بين الاشكال التعبيرية والثقافية المختلفة من جانب وتحديد موقف المتلقى من هذه الوحدة الفكرية والثقافية وكيفية تعامله معها من جانب آخر .

ذلك المنظور الاجتماعى الحديث مر بمراحل عديدة ، ولعل من المفيد الاشارة فى هذا المجال لنموذج العالم الامريكى Lasswel الذى كان له الفضل فى تطوير النظريات الاجتماعية التى خصت بالتحليل والدراسة العناصر المختلفة بهذا النموذج . إلا أنه أغلب هذه الدراسات نظرت الى مضمون الرسائل الاعلامية نظرة منفصلة كل الانفصال عن المضمون الثقافى والفكرى واعتبرت وسائل الاعلام الجماهيرى مجرد وسيط بين منتج ومتلقى للرسالة يمكن الاستغناء عنها[٩] .

وتبنت المدرسة الأوربية خاصة الفرنسية التيار الفكرى الذى يرى ضرورة انطلاق الدراسات الاجتماعية الخاصة بالوسائل السمعية المرئية من منظور تفسيرى لخصوصية النظم السمعية المرئية كنظم هيأت لظهورها وتطورها مقومات اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية ومدى تأثير التابع الحضارى وما هيأه من مقومات ايجابية على التكوين المنهجى والبنائى للغتها المركبة ، أى

(٩) مرجع سابق - د. جيهان رشتى - الاسس العلمية لنظريات الاعلام حول نفس الموضوع أنظر :
Lyman Bryson, the communication of ideas. Harper New York-1949.

دراسة الطبيعة الاجتماعية لعلم الاجتماع أو لنظرية الاعلام الاذاعى السمعى المرئى ، لاستنتاج قوانين تلك الظاهرة وتحديد خصائصها وابعاد النظرية التركيبية[١٠] .

فالدراسات التقليدية الخاصة بتحليل المضمون او المحتوى الاعلامى تناولت هذا النتاج من الناحية الكيفية والكمية ، وبالرغم من أهمية تلك الدراسات القصوى فى حصر اهتمامات المجتمع المتنوعة فى فترة زمنية محددة واستخدام هذه النتائج لتحديد الانماط المختلفة للانتاج الاعلامى وموقفه من الفكر والثقافة وتحديد الاسلوب المتبع ، الا أن هذا النوع من الدراسات لايمكن الاعتماد عليه بمفرده كعنصر وكأداة للتحليل والنقد الاجتماعى لمضمون وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرى خاصة الاعلام السمعى المرئى وتحديد موقف الثقافة والاعلام من القضايا الهامة المرتبطة بالمجتمع وكيفية معالجة هذه الموضوعات من تلك الوسائل الاعلامية المتطورة التى فرضت طرقاً ومناهج قد لا تتقابل وتتلاقى بادراك بعض الانماط الاجتماعية المختلفة فى المجتمع .

ان دخول هذه الوسائل الحديثة بمختلف وتعدد اشكالها وخصوصياتها حياة الأفراد والشعوب أصبحت تشكل ليس فقط السلوك الاجتماعى والتربوى بل تتدخل فى التكوين الفكرى والثقافى والسياسى .

وأصبحت إعادة دراسة الفروض النظرية التى توصل اليها العلماء فى مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة وتوظيفها لمعالجة هذه القضية الهامة والكشف عن مقومات هذه اللغة الحديثة وبعض الاسس النظرية التى ترتكز عليها وكيفية تعاملها مع الفكر والثقافة من القضايا الهامة والملحة التى يجب اخضاعها للتحليل والبحث العلمى المتعمق .

---

(١٠) نفس المؤلف راجع :

N.Chomesky. Deepps Structures Surface and Sementic Cambridge mas. R.Berthes L'empires des signes, Geneve skin 1970.

Le Plaisir dut exte. Paria? 1972

اختلاف المناهج الاعلامية فى تناول المنظور الاجتماعى :

واختلفت المناهج الاجتماعية فى الدراسة والتحليل باختلاف الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى يرتكز عليها المجتمع فى مسيرته التاريخية ولقد أنطلقت الدراسات الاعلامية فى الولايات المتحدة الامريكية من خلال تفسير اقتصادى وسياسى واهمل الجانب الثقافى والفكرى . واصبحت الدراسات الاعلامية تتعامل مع المضمون الاعلامى باعتباره مضمون منفصل عن المضمون الثقافى . فالمضمون الاعلامى لا يعكس بالضرورة ثقافة المجتمع لأنه يقدم الموارد الثقافية فى صورة مبسطة وسطحية تفقد فى كثير من الأحيان الثقافة جديتها وانعكاساتها الفكرية فى الوسط الاجتماعى . ووفقاً لهذا المنظور من الدراسات الاعلامية اعتبر المضمون الاعلامى سلعة تعرض فى سوق الثقافة والفكر ووفقاً لقانون العرض والطلب الذى يحدد ملامحه وخصائصه المستهلك الاعلامى[١١] .

وكان من نتيجة هذه النظرة اهتمام الباحثين والعلماء بالمنهج العلمى المتبع فى دراسة المضمون الاعلامى والتأثير . وأهمل دراسة الوسيلة كظاهرة اعلامية وتكنولوجية تؤثر فى المضمون ، كما أهملت المقومات التحليلية والتركيبية للغة المرئيات ، كعامل من العوامل القادرة على توضيح العلاقات المتبادلة والكشف عن العلاقات المتبادلة بين المستهلك والمنتج الاعلامى اى بين المستقبل والمضمون الثقافى والاجتماعى .

وتطورت مناهج البحث الخاصة بالتحليل المنهجى لعنصر التأثير الاعلامى لوسائل الاتصال الجماهيرى وعنصر الانتشار Audiences خاصة بعد أن قدم Lazarsfeld لازار سيفيلد منهجاً جديداً فى التحليل والدراسة يؤكد فيه على دور قادة الرأى والجماعات الاساسية فى الاقناع والتأثير خاصة فى مجال الدعاية السياسية والتجارية[١٢] ورغم أهمية تلك النظرية فى تطوير البحوث

---

(١١) O. Burgelin "Les communications de Masse dans la societe industrielle" Systemes partiels de communication.

(١٢) حول هذا الموضوع انظر مرجع سابق - د. جيهان أحمد رشتى ص ١٨٣ ص ٢٣٨ .

الاعلامية الا أنها أكدت أتجاها سائداً وهو غياب الدراسات الخاصة بتحليل خصائص الوسيلة وقدرتها على التأثير كشكل ناقل للفكر والثقافة وكظاهرة أعلامية وثقافية واجتماعية وتكنولوجية استمدت قدرتها فى التأثير والاقناع من خلال التطور الأجتماعى والثقافى .

ضرورة الانطلاق من دراسة الوسيلة الاعلامية

فكما أشرنا من قبل أصبح ضرورة الكشف عن المقومات التركيبية والبنائية للمضمون الاعلامى وتتبع الادوار السلوكية المختلفة والكشف عن التأثير الاجتماعى لتلك الوسائل الاعلامية والثقافية من أهداف الدراسات الحديثة فى الأعلام والاتصال الجماهيرى .

ويختلف الاساس النظرى الذى ترتكز عليه الدراسة فى الدول النامية والدول الصناعية المتقدمة لطبيعة البيئة الاجتماعية والسياسية والوسط الذى يتحرك بداخله الحدث الاعلامى والثقافى وأيضاً لطبيعة التكوين الفكرى . وقدرات الجمهور المتلقى . فلقد انطلقت فى الولايات المتحدة الامريكية تلك الدراسات وكما أشرنا من قبل ، من منظور اقتصادى فوظفت فروض النظرية الاعلامية لتحليل الظواهر الاقتصادية وحصر العوامل المؤثرة فى فئات الجمهور المختلفة لقياس درجة تفضيله لأنواع معينة من المحتوى الثقافى أو الفكرى أو السياسى أو الترفيهى للوسيلة الاعلامية . فالعامل المسيطر والموجه لعملية الانتاج الفكرى والثقافى هو مبدأ الربح المادى ، هذا الوضع يتناسب وطبيعة المجتمعات الصناعية المتقدمة التى تختلف فى بيئتها الاجتماعية والسياسية الدول الآخذة فى النمو . فالبيئة الاجتماعية وخاصة البيئة الاعلامية فى الدول الصناعية المتقدمة محصنة لمثل هذه الحرية فى الأختيار بين المواد الثقافية والاعلامية المتنوعة لان المقومات الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية المواتية قد لا تتوافر بصورة متكاملة فى الدول النامية أو دول العالم الثالث بصفة عامة ، لافتقار بيئتها الاعلامية الى المقومات الاساسية لاقامة مجتمع اعلامى بصورة فعالة .

ومن هنا كانت هناك ضرورة لتدخل الدولة لتوجيه مثل هذا الأنتاج

الفكرى والثقافى بدرجات متفاوتة حتى فى الديمقراطيات الحديثة فى أوربا مثل فرنسا وانجلترا .. لحماية الافراد من هذا الغزو الفكرى المتعدد الانماط والذى قد لا يتقابل والمصلحة العامة للقاعدة العريضة للافراد . فوسائل الاعلام والثقافة خاصة الاعلام الاذاعى السمعى المرئى ينتظر منه العديد من الادوار التنموية إذا ما أحسن التعامل معه ووجه الوجهة الصحيحة .

بعض الاتجاهات الحديثة فى دراسة مضمون الوسيلة الاعلامية

(أ) قدم العالم الفرنسى Edgard Morin « أدجار موران » تحليلا نظرياً لدراسة جانب من الجوانب هذا المنظور الاجتماعى اعتبر اسهاماً واضافة جديدة فى مجالات الدراسات الاجتماعية الخاصة بوسائل الاعلام الجماهيرى . فقدم تعريفا جديداً للثقافة الجماهيرية وثقافة الاتصال الجماهيرى على اعتبار أن الثقافة بمفهومها التقليدى الجاد ، أصبحت مادة اساسية لتغذية المضمون الاعلامى الحديث ، وانطلاقاً من هذا التعريف امكن تحديد ودراسة المضمون الاعلامى من منطلق جديد يساعد على اظهار ماقدمه التطور التكنولوجى من وسائل وامكانيات تزيد من امكانيات الوسيلة الاعلامية على نقل أهم الملامح الثقافية والاجتماعية[١٣] .

فانطلاقاً من دراسة الظواهر الاجتماعية يمكننا الوقوف على أهم الاختلافات فى المضمون الاعلامى على أساس ما هيأه المجتمع المعين من مقومات أجتماعية وفكرية وتطور تكنولوجى .

وتتشكل ثقافة الاتصال أو الثقافة الجماهيرية فى النهاية وتتحدد ملامحها وفقاً للعلاقات الجدلية بين تلك الطبقة المنتجة للفكر والطبقات المستقبلة له ، اى بين المنتج والمستهلك لتلك الوحدات الفكرية والثقافية . ومحصلة تلك العلاقات التى تطورت على مر العصور هى التى حددت مفهوم الثقافة

(١٣) Morin. K Espit du Temp. Grassit. Paris, 1968. Nouveau courants dans L'etude des communications de masse. Rapport . UN.E.S.O 1969.

الجماهيرية ان صانع الرسالة الاعلامية أو المبدع أو الفنان أو المثقف ينتج مضمونه الثقافي والاجتماعي بالوسائل والادوات الثقافية المتاحة ، ليعبر عن سياسة وفكر وملامح العصر الحديث ويفجر الأفكار الكامنة التي تراود افراد الطبقات الاجتماعية المختلفة . فالرسالة الاعلامية تجمع في اطار وحقل واحد المنتج والمستهلك ويبدو ان هذا هو الشرط الاساسي لتفهم الجمهور المستقبل لها على وعيه الاجتماعي والسياسي والثقافي من خلال المضمون الفكري والثقافي الذي افرزه كل من المنتج والمستهلك . ومن هنا يتفق « موران » من خلال ذلك التعريف ومقولتي « كارل ماركس » الشهيرة ان المنتج يخلق المستهلك « وجيمس جويس » المنتج هو المستهلك .

(ب) ولقد رسم ابراها مولز اطاراً منهجياً جديد لتعريف الوسيلة الاعلامية من منظورها الاجتماعي قد يتفق مع منهج « موران » ويتلاقى في أهمية دراسة الخصائص الاجتماعية والثقافية كنظم تمخضت وتشكلت من خلال التطور الحضاري للمجتمع ، لتحديد مفهوم الثقافة الاعلامية ، أو ثقافة الفيضاء الا أن مولز يعرض الثقافة بمفهومها الواسع الشامل كمحصلة حضارية افرزها المجتمع من خلال التتابع الحضاري ، وبين الثقافة الجماهيرية أو ثقافة الاتصال التي افرزها التطور التكنولوجي الحديث .

ان الثقافة التقليدية وفقاً « لمولز » لا تتغير ولكن الوسيلة التكنولوجية كشكل ناقل لها هي التي تغير من تلك الثقافة ومحتواها الفكري . ولقد أضاف جديداً في هذا التحليل وهو الفرد فالفرد الاجتماعي الذي يعيش في مجتمع محدد يؤثر ويضيف وحدات الى تلك الثقافة كما يتأثر بمحصلة هذه الثقافة النهائية . فالتقدم الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي والاقتصادي ينطلق دائماً من الفرد والى الفرد .

ولا يفهم من هذا التحليل الذي نقدمه ان جميع الافراد في المجتمع يعيشون الواقع الاجتماعي والثقافي بنمط واحد من الادراك ، فهناك عوامل ومقومات فكرية تميز بين درجات الادراك والقدرة الانتاجية للفكر والثقافة .

فهو يخص الطبقة المفكرة والمنتجة للثقافة والفكر باهتمام بالغ كقوة دافعة ومحركة للثقافة والحضارة .

ان الفرد المنتج كالنظام المفتوح يكتسب مهارات وقدرات جديدة وفقاً لسمات الاطار الاجتماعى والسياسى والفكرى .. الذى يتحرك بداخله . ان الوسائل الاعلامية تتعامل مع هذا الاطار العام للمجتمع فهى تستمد قوتها فى التعبير عن تلك السمات المكونة للأنظمة الاجتماعية الجزئية بخصائصها المختلفة والمكونة للمجتمع ككل .. اى وفقاً لموقف النظم والمؤسسات الاجتماعية من تلك الطبقة المنتجة للثقافة .

ومن هنا يتضح لنا أهمية الفرد المنتج كعامل مؤثر فى الثقافة الحديثة أو ثقافة الاتصال « ثقافة الفيفساء » ، ويمكن قياس فاعلية وايجابية الأدوار الوظيفية لتلك الوسائل من خلال ما يضيفه الافراد من فكر وثقافة لمحصلة الانتاج الثقافى فى المجتمع .

ووفقاً لهذا التعريف وهذا التحليل الذى يعتبر مدخلا لعلم اجتماع معرفة على الاتصال فهو يجمع بين الطبيعة الاجتماعية والثقافية للفهم ويربطها بظروف المجتمع ومشكلاته المتعددة وبموقف نظرية الاعلام والاتصال الجماهيرى من تلك السياقات الاجتماعية والفكرية والثقافية .

فالمجتمع هو الاطار العام الذى يجمع القدرات المتعددة ويهيىء المقومات الثقافية وأدوات ووسائل التعبير عن الانماط الاجتماعية المختلفة .[١٤]

(ج) اضاف العالم الكندى ماك لوهان ابعاداً هامة فى التحليل ودراسة ذلك المنظور الاجتماعى . فقد حصر اهتمامه فى أهمية الشكل الناقل للمحتوى والمضمون وأهمية الوسيلة التكنولوجية والالكترونية فى تشكيل الفكر والثقافة وأيضاً فى تشكيل مهارات الانسان وقدراته الادراكية . ولقد اعتمد فى تحليله على معادلة Lasswel لاسول الشهيرة ، لقد جمع العالم بالاتصال والجمهور المتلقى فى اطار واحد هذا الاطار يحدد بالشكل التكنولوجى للوسيلة

(١٤) انظر ابراهام مولز Sociodynamique de la Culture. Editions Mouton, Paris 1969.

الاعلامية – أى أن التطور التكنولوجى والصناعى الذى هيأ لظهور تلك الوسائل أن أيضاً الانسان العصرى خصائص وقدرات عديدة ساعدته على مواجهة تلك الوسائل بشكل متطور . وبالرغم من الانتقادات التى وجهت الى تلك النظرية والتعارض فى وجهات النظر فى تقيمها ، الا أن هناك شبه اجماع على فاعليتها فى توجيه البحوث الاعلامية الى وجهة جديدة فى الدراسة وتحليل الشكل الناقل لمحتوى الفكر والثقافة .[١٥]

إن أهمية تلك النظرية فى رأينا تنطلق من تعريف للشكل الناقل للمعرفة ، فكل شكل جديد أو أداة جديدة للمعرفة تحتوى الأشكال السابقة لها ، فالتليفزيون مثلا كشكل حديث أو (حضارة التليفزيون) أو الأعلام السمعى المرئى ، يحتوى الاشكال والحضارات السابقة له . فكيفية التعامل مع الاشكال السابقة هى التى تحدد فاعلية تعرضنا للاشكال الحديثة . فالوسيلة الحديثة امتداد للقدرات الذهنية والفكرية والادراكية التى تكونت من خلال طريقة تعاملنا مع الوسائل السابقة .

ان الحضارة السمعية المرئية أو حضارة الصورة المتحركة تحتوى على حضارات ثقافية سابقة عليها وهى حضارة الطباعة وحضارة الاذاعة أو حضارة الصورة .

---

(١٥) من أهم علامات المدرسة البلجيكية فى مجال المدخل الاجتماعى للاتصال انظر مرجع سابق
. Clauses, Roger, les nouvelles Iyntheses Critiques

انظر مارشال ماك لوهان La Galaxie Gutenberg editions Mame / Seuil Paris
1972.

ثالثاً : رسم منهجية لدراسة المدخل الاجتماعى للاعلام المرئى المسموع فى الوطن العربى

يتضح مما سبق اهمية المنطلقات الاجتماعية والحضارية كمحور من المحاور الأساسية التى قامت عليها دراسات وآراء رواد الفكر النظرى للمدخل الاجتماعى والثقافى للاتصال الجماهيرى بصفة عامة ان دراسة الوسائل الاعلامية التكنولوجية الحديثة ودراستها من زاوية واحدة أى كوسيلة وشكل تكنولوجى فقط قدمه التطور العلمى والصناعى لن يثرى هذا المنظور البحث الاجتماعى والاعلامى ولن يعمل على ايضاح وتحليل العلاقات المتداخلة داخل الوحدة الفكرية التى يعكسها الاعلام المرئى المسموع .

لكن تحليل ودراسة تلك الظاهرة باعتبارها انعكاس حضارى واجتماعى وفكرى ونتيجة من نتائج التحديث والتطور الثقافى والاجتماعى . هذا النوع من الدراسات المتعمقة يمكنه ايضاح واضافة العديد من العوامل السلبية التى تعرقل مسار عملية الاتصال الجماهيرى من خلال تلك الوسائل وحصر المشكلات والعوائق التى تعترض العمل الاعلامى كما يمكن لهذا التحليل الاجتماعى للاتصال ان يحدد الاهداف ويشير الى البدائل التى من شأنها دفع وانجاح عملية الاتصال الجماهيرى من خلال الاعلام المركب .

هذا المنهج الاجتماعى لدراسة الاعلام والاتصال الجماهيرى لا يقتصر على حصر مقومات العملية الابداعية والثقافية ، ولكن أيضاً يحدد كيفية تعامل واستقبال الفئات الاجتماعية المختلفة لتلك التاجات الفكرية والثقافية والفنية .

وبذلك نصل الى نقطة البدء فى التحليل الاجتماعى للاعلام المرئى المسموع التى لاتقتصر فقط على حصر المقومات الاجتماعية والثقافية والحضارية والاقتصادية ولا على دراسة الجوانب اللغوية وكيفية تعامل الوسائل الاعلامية السابقة عليها بمعطيات الفكر والمعرفة فى المجتمع من حيث خصوصية لغة المرئيات كنظام متميز له عناصره ومقوماته . ولكن تجمع بين المنهجية فى دراسة الظاهرة الاعلامية المسموعة المرئية من أجل الوقوف على خصائص البيئة الاعلامية من حيث أهميتها فى تحديد قدرة المجتمع على الممارسة الثقافية والفنية

والابداعية من خلال تلك النظم الاعلامية المركبة من ناحية ، وعلى تحديد مقومات اللغة الاعلامية الحديثة (التى حدد وحصر اطارها رائد علم اللسانيات الحديثةف دى سوسيور) كنظام لغوى أفرز عناصره التقدم الاجتماعى والثقافى وفقاً للرموز المكتسبة على طول مراحل التتابع التاريخى والحضارى[١٦] .

وانطلاقاً مما سبق يمكن حصر تصورنا لمنهاجية دراسة المدخل الاجتماعى للاعلام المرئى المسموع فى الوطن العربى من خلال دعامتين اساسيتين :

الأولى : وحدة الظاهرة الاعلامية والاجتماعية والثقافية والحضارية وتكاملها .

الثانية : خصائص البيئة الاعلامية .

الدعامة الاولى : وحدة الظاهرة الاعلامية والاجتماعية والثقافية والحضارية واللغوية وتكاملها

وانطلاقاً مما سبق تبين منطلقاتنا الخاصة المرتبطة بدراسة الظاهرة الاعلامية حيث نحصر العناصر المختلفة لتلك الظاهرة من حيث أنها وحدة اجتماعية وثقافية وحضارية ولغوية متكاملة . تلك النظرة ترتكز على أهمية الربط بين الجوانب الثقافية والفكرية من طرف والديناميكية السوسيولوجية من طرف آخر كعملية تتفاعل فى اطار تاريخى محدد . واعتبار التطور التكنولوجى والصناعى والعلمى عامل من العوامل الدافعة والمطورة للعقلية الاجتماعية القادرة على تقبل النتاجات الثقافية والفكرية من ناحية ومن ناحية اخرى اعتبار هذا التطور عامل من العوامل المحددة لقدرات ومهارات الجمهور المستقبل للصورة المتحركة كعنصر ووحدة لغوية للاعلام المرئى المسموع . ان دراسة هذه العناصر مجتمعة تقدم للباحث الاعلامى أدوات تساعده على استكشاف

---

(١٦) انظر فوسوسيور.

-F, De Saussure. Gand de linguistique General. Paris Payout 1971.

-Foucault. M. des mots et les choses. Gallimard. Paris 1966.

كيفية تعامل الطبقات الفوقية بمعطيات الواقع الاجتماعى وتحديد درجة الابتعاد او الاقتراب منه والكشف عن دوافع الابداع الفكرى والثقافى والفنى . كما توضح الاسباب المعاكسة لهذا الازدهار .

هذا يعنى أن دراسة المدخل الاجتماعى للاعلام المرئى المسموع تقوم على تحليل الظاهرة الاعلامية من حيث التمييز بين شكل المعرفة ومضمون المعرفة بمعنى أن دراسة تلك الظاهرة هى دراسة مزدوجة تقوم على دراسة الوسيلة ليست فقط كشكل ناقل للمعرفة بل تدرس الظاهرة من الداخل اى تحلل من خصائص مضمون الوسيلة الاعلامية تفحص نسقها الداخلى والقوانين التى تتحكم فيه من لغوية وفكرية واجتماعية كما يحدد علاقة تلك الأفكار والايديولوجيات التى تبثها تلك الوسائل بالواقع الاجتماعى اى يدرس ايضاً العلاقة بين عالم الفكر والمعرفة والواقع الاجتماعى الذى تبثه الطبقات الاجتماعية المختلفة . ومتى تحققت تلك الدراسة امكن السيطرة على المضمون الفكرى للوسيلة الاعلامية وأمكن الحكم على مدى صلاحيته واهليته للمشاركة فى العمل الانمائى والثقافى والتربوى فى المجتمع .

لقد أصبح التمييز بين الشكل والمضمون من الادوات المنهجية التى تساعد الباحث الاعلامى على حصر المقومات الاجتماعية والفكرية والتكنولوجية ، وكعوامل مساندة ومساعدة للانتاج الثقافى والفكرى . لقد اتضحت هذه الاهمية البحثية المزدوجة بعد عملية حصر للنظريات المتعددة لعلوم اللسانيات خاصة المرتبطة بنظرية الصورة المرئية . لقد أظهرت تلك النظريات ان مضمون الاعلام المرئى المسموع هو مزيج من الرموز الانسانية والتكنولوجية[١٧] . حيث يرتكز الجانب الأول لهذا المنهج على دراسة القضايا الفنية المرتبطة بتطوير الوسيلة كشكل تكنولوجى يعمل فى اطار اجتماعى محدد ، له أدواته ورموزه اللغوية فى الأبداع والتعبير . والجزء الثانى من هذا المزيج يقوم بدراسة اللغة من جانبها المعرفى والثقافى والفكرى ويقوم على حصر

(١٧) انظر فى هذا الصدد . د. نسمة أحمد البطريق « المفهوم الحديث للاعلام المرئى المسموع » دراسة فى نظرية الصورة المتحركة ٢٢ بحث تحت النشر - معهد الصحافة وعلوم الأخبار - تونس ١٩٨٥

العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية التى يمكن أن تساند هذا المضمون كقوة معبرة عن الواقع الاجتماعى الذى تعيشه طبقات المجتمع .

ان أهمية حصر المعطيات الفكرية للعملية الابداعية قبل معالجتها بالوسائل المركبه المرئية المسموعة ، وبعد العمليات الفنية والتكنولوجية المرتبطة بالوسيلة ذاتها تتضح من خلال حصر مقومات الابداع الفنى والثقافى من خلال حصر مقومات الابداع الفكرى والثقافى من خلال تلك الوسائل وايضاً الوقوف على أسباب الثغرات الفكرية والابداعية كما تساعد هذه النقطة الباحث والمتخصص الاعلامى كنهج لدراسة الثغرات الثقافية والاجتماعية التى تعانى منها بعض المجتمعات الناقلة للتكنولوجية الحديثة دون المرور بمراحل التطور الاجتماعى والثقافى المصاحبة لعمليات التقدم العلمى والصناعى والاقتصادى ، من ناحية ومن ناحية أخرى الوقوف على سلبيات البيانات الاعلامية من حيث تحديد أهمية وسائل الاتصال الخطية كأساس ومقومة فعالة فى تحديد القدرات الادراكية والمهارية للجمهور المستقبل لتلك الوسائل الاعلامية المركبة .

تلك النظرة القائمة على وحدة الظاهرة الاعلامية والاجتماعية والثقافية والحضارية وتكاملها يقدم لنا الادوات العلمية التى تحكم منهج دراسة الوسائل الاعلامية المرئية المسموعه فى الوطن العربى والتى ترتكز على اعتبار الظاهرة الاعلامية .

أولا : ظاهرة اجتماعية وجدت مسبباتها ومقوماتها فى سياج هذا المجتمع واستمدت كيانها من هذا الاطار الاعم للمجتمع العربى . وبمعنى اعتبار نشأة هذه الوسيلة مسحة من المسحات العامة للتطور الثقافى والفكرى فى المجتمع .

ثانياً : اعتبار مضمون تلك الوسائل نتاج فكر وثقافة وتاريخ وفن مجتمع له مواصفات بعينها ، فلكل أسلوب للتعبير والمعالجة الفنية حاميات تستمد خيوطها من التطور الثقافى والاجتماعى . ان المضمون الثقافى المرئى المسموع هو مضمون غاية فى التعقيد لأنه ناتج من وسيلة التعبير المباشرة والغير مباشرة فى نفس الوقت ، حيث ان الاديب

عندما يؤلف قصة يكتبها بأسلوب يتفق ورؤيته الادبية . تلك القصة اذا ما عولجت تليفزيونياً اى من خلال ذلك الشكل التكنولوجى المعقد فإنها تخضع لحتميات ومتطلبات الآلة المركبة التى تفرض على الموضوع رؤية خاصة . هذه الرؤية تخضع لعدة عوامل أهمها عامل التطور التكنولوجى . وكما أشرنا من قبل يجب النظر الى الظاهرة الاعلامية والثقافية المرئية المسموعة نظرة شاملة من حيث وحدة مقوماتها الثقافية والتكنولوجية والاجتماعية .

الدعامة الثانية : خصائص البيئة الاعلامية

ويرتكز اهتمامنا فى هذه النقطة على أهمية دراسة ملامح البيئة الاعلامية وتحديد المقومات التى تقوم عليها . ولقد أمكن من خلال عملية حصر بعض فروع علوم الاجتماع تقديم منهج لدراسة تلك البيئة . والذى يهمنا من إثارة تلك النقطة هو التأكيد على أهمية الانطلاق أولا من دراسة المضمون الاعلامى والثقافى والفنى لتلك الوسائل بغرض استخلاص وحصر النظريات المتعددة التى تحكم لغة المرئيات . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى استخلاص المقومات اللازمة لانجاح العملية الاتصالية التى تؤهل لهذا المحتوى الدخول فى علاقة جدلية بين المصدر والمستقبل لمضمون الاعلام المرئى المسموع .

ولقد أمكن من خلال هذه المنهجية الوقوف على سلبيات البيئة الاعلامية بصورة أدق وأشمل .

ان هدفنا ينحصر اذا فى هذه المرحلة فى وضع اطار نظرى لدراسة لغة المرئيات وبصفة خاصة التأكيد على مفهوم الصورة المتحركة كمفردة من مفردات اللغة المرئية وكأساس ومنطلق لدراسة وتحديد البيئة الاعلامية الحديثة .

لكن ما ان يطرح موضوع اللغة على صعيد الفكر النظرى حتى تبرز وتتضح مجموعة من القضايا والاشكاليات بعضها يتعلق بالاساس البنيوى والبعض الآخر يتعرض لأشكاليات التعرض لها . فليس من مهام تلك النقطة

حصر كل ما يتعلق بمفهوم اللغة المركبة . فالاشكالية المحورية التى يهتم باثارتها هو الكشف عن بعض القضايا التى تعترض عملية الاتصال الجماهيرى من خلال النظم الاعلامية المرئية المسموعة والاسباب التى تعرقل ادوارها الوظيفية خاصة المرتبطة بالتنمية الاجتماعية والثقافية فى دول العالم الثانى خاصة وهى تخطو مرحلة جديدة من مراحل اتصالات الفضاء . وحتى نحصر هذا الاطار المترامى الابعاد نشير الى نقطتين كأساس فى دراسة هذا الجانب .

(أ) المفهوم العام للغة المرئيات أو اللغة الفيلمية .

(ب) أهمية الفكر المكتوب كأساس لتحديد قدرات ومهارات المتلقى للاعلام المرئى المسموع .

إن وضع مفهوم عام للغة المرئيات يقود الى ضرورة حصر بعض نظريات علوم اللسانيات الحديثة ونظريات البنائية والتركيبية ، هذا التعرض يقودنا الى مدارس الفكر النظرى المرتبط بالمناهج الوضعية والتفسيرية فى مجالات الأدب والشعر وفروع التعبير والابداع الثقافى والفنى حتى نصل الى حصر منهجاً يقتصر على لغة المرئيات أو لغة الصورة المتحركة كمفردة ووحدة اساسية ترتكز عليها تلك اللغة الحديثة . ورغم أهمية هذا الحصر فى اثراء منهج البحث الا أن هذا المجال لا يتسع فى تلك الدراسة ، ولكننا يمكن وضع مفهوم الصورة المتحركة والاشارة الى خصوصيتها وبعض التيارات الفكرية التى تعرضت لهذا المفهوم . ان بلورة هذا المفهوم ومنهجية دراسة هذه اللغة يرجع الى المدرسة الأوربية وعلى وجه التحديد المدرسة السويسرية الحديثة الخاصة بالمناهج الوصفية . ويمكن الاشارة فى هذا الصدد الى أن الفضل الأول فى وضع هذا الاطار المنهجى يرجع الى رائد العلوم اللغوية الحديثة « دى سوسيور F.De Saussure المرتبطة بمجالات الحركة البنائية التركيبية والتى تبنتها فيما بعد نظريات كل من « ليفس ستروس » « وشوسكى » « ورولاند بارث » « وجاكوبسون » .. ويقوم هذا المنهج الحديث فى دراسة الأدب والنقد واللسانيات الحديثة على مبدأين :

الأول : تحليل الظاهرة اللغوية لاكتشاف اجزائها والوقوف على نوع وخصوصية العلاقات التى تحكم ذلك النسق اللغوى بهدف التوصل الى المعانى الكامنة . وذلك بمعنى ان هذا المنهج يقوم على مبدأ هام وهو تحليل الظاهرة اللغوية كنظام اجتماعى ونسق للقيم ويتتبع حركة المجتمع الفكرية والثقافية والاجتماعية . ومن ثم يعتبر النظام اللغوى نتاج فكر وثقافة وتاريخ وفن مجتمع له مواصفات بعينه على اعتبار ان لكل اسلوب التعبير والمعالجة الفنية حتميات تستمد خيوطها من التطور الثقافى والصناعى والسياسى .

ان تطبيق هذا المبدأ كأداة بحثية فى الدراسات المرتبطة بالاعلام المرئى المسموع فى الوطن العربى يساهم الى حد بعيد فى ادراك العلاقات التى تربط بين التطور الاجتماعى والثقافى والحضارى من جانب ونشأة انماط حديثة من التعبير الفكرى والثقافى والفنى من جانب آخر . فالتطور الاجتماعى والثقافى الذى شهده الوطن العربى من بداية القرن التاسع عشر وبالرغم من عدم تعميم هذه الظاهرة الحضارية فى أنحاء الوطن العربى الا أنها ساهمت بالرغم من ذلك والى حد بعيد فى نشاط الحركات الفكرية والثقافية والفنية وكان لها عظيم الاثر فى اثراء اللغة العربية بالفاظ جديدة تتناسب واحداث العصر الحديث وكأداة هامة للتعبير عن قضايا التحرر . أفادت هذه الحركات الفكرية والوطنية فى نهضة الصحافة العربية . وتطور الاشكال المختلفة للأدب من زاوية حديثة ادت الى نشأة المسرح العربى الحديث . وهذه الوسائل المرئية المسموعة المختلفة من سينما وتلفزيون[١٨] .

أما المبدأ الثانى الذى يقوم عليه هذا المنهج الحديث هو مبدأ الرؤية الثنائية للظواهر بمعنى ان عملية التعبير الفكرى والفنى من خلال الصورة المتحركة هى عملية مزج بين مستويين من المفاهيم ، المستوى الأول يرتبط بالواقع المادى والمستوى الثانى وهو عملية المفهوم الحسى والتعبيرى للشىء نفسه من خلال

(١٨) مراجع سابقة

A. Moles h'image.

R.Barthes. L'eompires des signes.

وضعه فى العمل الفنى أو الفكرى وايضاً يتوقف المعنى التعبيرى على كيفية التعامل برموز لغة المرئيات للتعبير عن ذلك الواقع المادى . على اعتبار ان الصورة هى أداة الفكرة وأداة التعبير عن هذا الواقع المادى والحسى . وان الصورة المتحركة تتعامل مع الفكر والثقافة من خلال رموز تكنولوجية مرتبطة بالوسيلة التكنولوجية نفسها ورموز أخرى تستمد قواعدها من الفكر الثقافى والمعرفى وتسمى رموز انسانية .[١٩]

ولقد أمكن من خلال حصر نتائج نظريات علوم اللسانيات الحديثة التوصل الى اهمية الرموز الانسانية فى تحقيق التوازن اللازم بين التوزانين الداخلية للنسق الفنى للمضمون والقوانين الخارجية الخاصة بالمهارات الانسانية المتعددة التى يجب توافرها فى مستقبل ومنتج ذلك النوع من الرسائل المرئية المسموعة .

كما أمكن التأكيد على أهمية التقدم العلمى التكنولوجى والاجتماعى والثقافى فى زيادة المفردات العملية والابداعية وزيادة فاعلية الصورة المتحركة فى التعبير عن الاحداث بصورة صادقة عن الواقع الحسى والمادى .

هذا يعنى ان قارىء الصورة المتحركة يقف امام مضمون فكرى وفنى يختلف مدى تأثيره عملية كرسالة مركبة فى الأقناع على حجم وكثافة التجارب الانسانية والقدرات والمهارات المكتسبة ، وأيضاً على حجم الرموز المتنوعة التى تحتويها الصورة المتحركة وأشكالية تعامل المبدع والمفكر بها للتعبير عن الظواهر الاجتماعية والفكرية المختلفة .

أهمية النظم الخطية كأساس فى تحديد قدرات ومهارات الجمهور المستقبل

ويمثل هذا العنصر أحد الجوانب الداخلة فى اطار الدراسات الاجتماعية الخاصة بدراسة جمهور الاعلام المرئى المسموع . من حيث حصر وتحليل خصائص الجمهور المستقبل للمضمون . وتحديد سلوكه تجاه الوسائل المختلفة للاتصال الجماهيرى . ويطرح هذا النوع من الدراسات عدة تساؤلات اهمها هل يمكن لهذا الجمهور التأثير على مضمون هذه الوسيلة بحيث يصبح قوة

لتطوير هذا المضمون . أم هو مجرد عامل سلبى لا يساعد على تطوير هذه الأدوات الاعلاميةوالثقافية الخطيرة والتى يمكنها الاسهام فى تنمية المجتمع .

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية بمناهجها المختلفة من ميدانية ووصفيته .. فى مجال تحليل سلوكيات المتلقى وقدراته المهارية اللازمة فى مواجهة الاعلام المركب ان الفرد عند تعرضه للثقافة والاعلام المرئى المسموع يقوم بنشاط ذهنى وفكرى متعدد الانماط . ان التعرض للغة المرئيات تفترض نوعاً من الادراك الفكرى القادر على التحليل الفورى والاجمالى اى يفترض قدرة على الانتاج والمنطقية فى الترتيب وذلك لخصوصية لغة الصورة المتحركة المرتبطة بمبدأ البنائية ، القائم على ارتباط كل جزء من اجزاء التركيب او البناء اللغوى لما يسبقه او يلحقه من أجزاء وهذا يفسر صعوبة ادراك المعنى الكلى والحقيقى للوحدة الفكرية اذا تعذر تحديد أو فهم العلاقات التى تربط كل جزء من اجزاء هذا الكيان المترابط والمتكامل[٢٠] .

وهذا يعنى ان المعانى الفكرية يتضح معاملها من خلال عملية تتابع اللقطات . وتفترض نظاماً من الممارسات المنطقية التى تفرض على المستقبل القيام بها اثناء تعرضه للمضمون .

والمبدأ الثانى الذى تقوم عليه لغة الصورة المتحركة هى ارتكازها على قاعدة فكرية وثقافية اساسها الكلمة المكتوبة القادرة على عملية الايضاح والتفسير وللظواهر الاجتماعية والانسانية المختلفة .

فبدون فهم مسبق للاحداث بتفاصيلها عن طريق الفكر المكتوب من خلال الصحيفة والكتاب لا يمكن فهم عمليات الابداع والتعبير من خلال الصورة المتحركة التى تقوم بالتجريد والتكثيف – تجريد الكلمات الى لقطات وصفية وحسبة للواقع والاحداث ووفقاً للمستوى الثقافى والفكرى والاجتماعى لعدد من المثقفين والمفكرين الذين يقومون بتلك العمليات الفكرية والثقافية فى المجتمع .

---

(٢٠) د.نسمة احمد البطريق . المرجع السابق – المفهوم الحديث للاعلام المرئى المسموع

تلك الخصوصيات تفترض حداً من الممارسات المتطلبة لدى المستقبل الاعلامي ولايمكن توافرها بدون التعليم ، تعليم القراءة والكتابة ، اى المرور بحضارة الفكر المكتوب الذى من شأنه تنمية القدرات والمهارات الانسانية .

ان الكلمة المكتوبة اذاً هى اساس المعرفة التكنولوجية الحديثة ، وتمثل أيضاً أساس الادراك الحسى والمنطقى وهو مايمكن استخلاصه من دراسات علماء النفس والتربية أمثال بياجيه ، وروز ، وبوب مامبز ودافيد جاليه ... الخ . لقد أوضحت هذه الدراسات أهمية القراءة والكتابة والعمليات الحسابية كأساس للمهارات والقدرات فى الترتيب المنطقى . فالفرد لا يمكنه المساهمة الايجابية فى العملية الثقافية والاعلامية الا بعد سيطرته على تلك المهارات الثلاثة . ولا نقصد هنا ان التعليم شرطاً أساسياً للتعرض الى برامج التليفزيون المتعددة . فليس هناك ما يمنع فى الأمر للتعرض الى أكثر البرامج تعقيداً . ان القضية الاساسية التى نود ابرازها هى قدرة الفرد على أختيار النافع ورفض كل ما يضر ويتعارض مع قيم وتقاليد المجتمع . ان تلك النظرة الثاقبة لن تتحقق الا بتوافر الشروط الاجتماعية والثقافية اللازمة .

يقودنا هذا التحليل الى ادراك سلبيات البيئة الاعلامية العربية وتخلفها خاصة فيما يتعلق بنسب التعليم المنخفضة . فمن خلال الاحصائيات المختلفة التى قدمت فى أواخر السبعينات والتى تشير الى انخفاض اعداد الذين يعرفون القراءة والكتابة ، فى نصف الدول العربية الى اقل من ٢٥٪[٢١] . هذه النسب لا تختلف كثيراً فى الثمانينات ، فلا تزال الاقطار العربية المختلفة تعانى من تلك الظاهرة الاجتماعية والتعليمية . ونحن لا نقصد بالتعليم هو مجرد الالمام بأصول اللغة ومعرفة قراءتها وكتابتها انما قصدنا من التعليم كأداة لنقل الثقافة المكتوبة وواسطة لاكتشافها والاطلاع عليها .

ان مجرد معرفة الكتابة والقراءة لاتضيف الكثير الى القدرات الانسانية مالم توظف الى تنمية القدرات والانفتاح على الثقافة والمعرفة .

---

(٢١) نحو نظام عرب جديد للاعلام والاتصال - مشروع تقرير نهائى - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ص ٥٠٣٤ ، تونس ١٩٨٥

واذا طبقنا هذه المناهج جميعاً في دراسة مقومات البيئة الاعلامية الجديدة لأدركنا البعاد والهوة العميقة التي تفصل بيئتنا العربية للاعلام والاتصال الجماهيري وبيئات العالم الغربي الصناعي المتقدم من حيث كثافة التعليم وأدوات الثقافة والاعلام المكتوب وتعدد اشكاله وأدواته . ولعل أهم تلك الأدوات الصحيفة والكتاب والتوسع في نشر هذه الأدوات بطرق ديمقراطية وتشجيع قراءتها . ولاأدعي غياب الكتاب والصحيفة العربية كلية عن حياتنا الثقافية ولكن غياب الوعي الثقافي والاعلامي الذي يتمثل في ضآلة نسب الاطلاع والقراءة واتخاذها عادة ونمط يومي للسلوك .

أن أهمية القراءة والاطلاع وعلاقتها برقي الحياة الانسانية وتطورهاتها المعقدة . ولعل أهمها تجنب الانقياد الى الوسائل الترفيهية السهلة التي تساهم الى حد كبير الى تحطيم وتهديم الارادة البشرية . ان مجرد المشاهدة العابرة في عواصم ومدن الأقطار العربية المعدة بجانب الملاحظة الدقيقة تؤكد لنا درجة الفراغ الثقافي الذي يعيشه شباب العالم العربي وهو يحاول جاهداً ملئه بوسائل التسلية السهلة ولعل أكثر تلك الوسائل انتشاراً نوادي الفيديو المخصصة لبيع وتأجير أفلام وشرائط قد تبث افكار من شأنها تحطيم الشخصية وعرقلة نموها[٢٢] .

وتفوق اعداد هذه النوادي اعداد المكاتب المخصصة لبيع الكتب كما تفوق ايضاً أعداد صالات العرض السينمائي التي غالباً ما تعرض افلام مرت بين أيدي الرقابة الوطنية .

ان هدفنا من أثارة تلك الملاحظات هو التأكيد على ضرورة أهمية دراسة هذه الجوانب دراسة اجتماعية دقيقة وتحليل البيئة الاعلامية العربية تحليلا علمياً يستند الى المناهج الاجتماعية المتعددة من ميدانية ووصفية .

ونتساءل عن كيفية وضع نظرية عربية للاتصال والاعلام الجماهيري ونحن لم نحلل بعد المداخل الاجتماعية والثقافية ولم نقم بدراسات تحدد نظم

(٢٢) د. محمد النويهي . ثقافة الناقد الأدبي مكتبة الخانجي ط ٢ - بيروت ١٩ أنظر أيضاً د. احمد أبو مطر ، أساليب ومناهج ندوقية لدراسة الأدب العربي قضايا عربية عدد يناير ص ١٤١ - ص ١٦٢ .

العلاقات الاجتماعية وتحديد سلوكيات الجمهور المستقبلة للوسائل الاعلامية المختلفة . وتحليل مضمون تلك الوسائل واستكشاف التداخل بين النظم اللغوية المتعددة ومقوماتها وبصفة عامة حصر المعلومات والدراسات العلمية الكافية لتحديد مقومات وعناصر البيئة الاعلامية وخاصة ونحن على مشارف اتصالات الفضاء .

لا بد من وجهة نظرنا ان يتجه علماء الاتصال والاعلام الجماهيرى العرب الى دراسة هذه النقاط والتى تشكل مقدمة ضرورية تسبق نظرية عربية نستمد فروضها من واقع بيئتنا وقضايانا .

BULLETIN
OF THE FACULTY OF ARTS

Vol. XXXV.
1987

All requests for copies of this Bulletin should be made to the Librarian of the Faculty of Arts, Alexandria University, Shatby, Alexandria, A.R.E. Communications regarding contributions should be addressed to the Editing Board of the Bulletin.

EL-DAR EL-ANDALUSSIA PRESS
ALEXANDRIA

A yearly refreed bulletin

Head of the Editorial Board

Prof.Dr. G.H.Clouda

Editor-in-Chief

Prof.Dr. O.A.A.Omar

Editorial Board

Prof.Dr. A.Abdel-Khalek

Prof.Dr. N.Abdallah

Prof.Dr. A.A.Galaby

Dr.M.M.El-Hareary

Dr.O.Mattar

Secretary

M.E.Huseein

M.A.Sadek

B.A.Beltagui

Correspondence and research papers should be sent to

Vice-Dean of Higher Studies,
Faculty of Arts, Shatby.
Alexandria, Egypt.
Tel.: 4935735-4935737
Tlx.: 54467 UNIVY UN

CONTENTS

1.THE TEACHING, ASSESSMENT AND TESTING OF WRITING
O.M.S.MATTAR P.1

2.WILLIAM OF TYRE: AHISTORIAN OF THE CRUSADES AND THE KINGDOM OF JERUSALEM (c.1130- 84)
PETER W. EDBURY 43

3.MESOSCOPIC FRACTURES AND AIRPHOTO LINEATIONS
M.RAMADAN MOHAMMAD 53

4.EPIDEMICS IN ANCIENT GREECE
HUSSEIN A. EL SHEIKH 69

THE TEACHING, ASSESSMENT AND TESTING OF WRITING : a look at what we have been doing in the last five years.

BY

O.M.S. MATTAR Ph.D. (Lond.)

Lecturer, (Applied Linguistics)

Department of English Language & Literature

Faculty of Arts,

University of Alexandria.

INTRODUCTION:

Testing is an important aspect of every teaching and learning experience. Well made and well marked tests can help students in two ways. Firstly, they can help create positive attitudes towards learning. In the interest of motivation and efficient instruction, teachers aim at providing positive class experiences for their students, and testing can contribute by giving students a sense of accomplishment. Secondly, tests can help students learning a language to master that language. The students are helped when they study for tests and again when tests are returned and discussed. A test confirms to the student what he has mastered, and points up those language items that need further attention. But if not well used, tests can have another effect.

On the other hand, teachers are required to account for the results of their instruction. Tests can help teachers find out if they have been effective in their teaching, and the results of tests answer questions that are important to teachers and the teaching process..... questions such as : "Am I teaching some skills effectively and others less effectively ?", "What areas do we need more work on ?" etc. The answers to these questions make teachers examine what they have been doing in their classes, and in turn ask "What's going wrong ?" "Why ?" and "What can we do that is better ?".

This paper aims at looking at what has been going on in the teaching of free writing in the Department of English, Faculty of Arts, University of Alexandria in the last five years, and why, in spite of the use of a revised syllabus based on a needs analysis of the students, has their production in free writing not improved. Suggestions for improvement are made at the end and a way shown to teachers as to how best to redirect their future efforts. There is, of course, no one remedy, no panacea for all teachers in all classrooms. This is only one suggestion.

Statement of the Problem:

In January and June of every year, results of the mid-year and end of year examinations appear and they have a detrimental effect on both teachers and students alike. The results show a discrepancy in level between students' improvement after instruction in receptive skills versus productive skills. It is a fact that the productive skills like speaking and writing are definitely more difficult to master than the receptive skills

where language learning is concerned. But the writing of students in general seems to improve very little and very slowly in the cours of four years of instruction at the undergraduate level; some of the written papers of students of the BA year are very poor indeed. This undermines student motivation and these results have an unhealthy effect on students' attitudes towards essay writing and other subjects on the curriculum that involve any kind of free writing. The general feeling amidst both teachers and students is that students fail some of their literature papers (particularly in the first year) on their inability to express themselves in correct fluent English. As far as the first year is concerned, after a year of instruction in essay writing skills, the results are still unsatisfactory although those of the 'Language' paper, which is mostly receptive in nature, are not. The following table shows a sample of the first year results.

Because of the size of this paper we shall concentrate only on the first year, although it is to be kept in mind that the results on the essay writing paper in the other three undergraduate years are also far from satisfactory.

The total number of students attending the examinations = 71.
(54 freshmen + 17 doublers)

SAMPLE OF FIRST YEAR RESULT

SUBJECT	ESSAY	LANGUAGE		ESSAY	SKILLS	ORAL SKILLS		POETRY	NOVEL
Number of Students	45	68		67					
Who Passed	45	68	67	48	15	41	48	15	41
Number of Students Who Failed.	26	3	4	23	56	30		56	30

A word about the type of examination that students are required to sit for is appropriate here. In the 'Essay' paper, students are given four topics to choose from. They write about one in 3 hours. The topics are of the following type:

1. The future is definitely better than the present.
2. I like being what I am because . .....
3. Gossip is enjoyable whatever people may say.
4. There is nothing called equality of opportunity in any society

The students are free to write as they please. I shall comment on this type of exam later.

The 'Essay Drills' paper (3 hours) is one that includes types of exercises that students have practised in class. (See Appendix I for material for this course and the type of exercise.) A model paragraph is analysed for topic, major and minor support sentences, as well as irrelevant ones if there are any. A paragraph is unscrambled, reorganised and rearranged; a paragraph is written according to specific guidelines. Students are asked to identify good topic sentences and say why. If they are asked to write two or three paragraphs linked together, then they are reminded to use a clear topic sentence in each paragraph.

The 'Language' paper (3 hours) is made up of a long passage for reading, with different types of exercises following. There are six different types :

(a) a multiple choice type vocabulary exercise where the meaning of the word is identified according to its context in the passage.
(b) a true/false exercise in which the student must identify detailed points made by the writer.
(c) a multiple choice type exercise where the student is required to identify the main idea in each paragraph in the passage.
d. An exercise where the student is asked to identify the main point of the whole passage and write it out in a paragraph of 10-12 lines.
(e) an exercise in structure where students are asked to re-word sentences starting with particular words or constructions, but not changing the meaning.
(f) a cloze test related to the passage (but not part of it) where students supply missing words, i.e. they must decide what is appropriate to the given context.

The exam follows exactly the same format of the units the students work on during their classes.

Obviously the 'Oral Drills' is an oral test that requires correct pronunciation, stress, rhythm, intonation etc, to bring out correct meaning whether in spoken language or reading aloud.

The results are here included to show that the students'oral results are not satisfactory just like their written production, although of course speaking and writing are not identical and there are many differences between them as productive skills.

The 'Novel' and 'Poetry' results are included to show how, when answering literature questions in the written formstudents can fail. The essay answers to such subjects not only involve content, but students'ideas must be clearly and forcefully expressed, be convincing, in correct grammar and according to rhetorical formulae. The students must know how to compare, contrast, argue, and describe. Their poor command of linguistic rules and the lack of development in their composing processes simply stand in the way of their handling such essay tasks successfully. The materials for the essay writing course are based on the novel course and its content, and yet lack of skill in written expression stands in the way of success.

The very high failure rate in the poetry paper can be explained. Poetry is a difficult condensed form of literature. Writing about poetry as taught in the mother tongue, Salama (1981) states that at secondary level the choice of poems does not cater for the students' pedagogic and psychological needs. The poems are difficult and in archaic language and are therefore divorced from reality where the students are concerned. The result is that the student is alienated from poetry instead of being driven to appreciation of, understanding and feeling for poetry. To the student, poetry is understood by the initiated few.

Psychologically he therefore rejects poetry and finds it difficult. If this is the case in the mother-tongue situation, then poetry in the foreign language cannot be easy for students. The poetry course in the first year is fairly simple : students explore with the teacher the world of short easy poems, modern or otherwise. They try to identify themes, figures of speech, rhythm; they investigate how, for example, movement is treated by different poets in different words and images and their effect. Yet they are scared, especially in exams, as they are not used to dealing with unseen

texts. Appendix 2 shows a typical first year poetry examination. Students have to answer questions on an unseen poem in paragraph form. The exam is receptive in that students have to understand and interpret the poem for themselves, and productive in the sense that they have to write about it. A sample poetry answer in Appendix 3 shows that the spelling and grammar mistakes in the paper are enough to fail it, let alone the lack of content and organisation.

It becomes apparent that students of the Department must improve their written production, not only in order to pass their literature papers but so that they can enjoy their four undergraduate years and learn properly. The essay writing course must be improved as it feeds into almost all the other subjects on the curriculum.

Again, the educational case for retaining the essay type of test outweighs the psychometric case for abolishing it as an examination device that is unreliable. Madsen (1983, 101) states,

"Test variety stems from the various applications of writing." In the Department, students are required to write essays in the medium of English. The essay therefore has a useful role to fulfill. Valette (1977, 285) again states,

> "Essay tests require the students to organise their thoughts and to substantiate their interpretation. Since almost all literary criticism is in essay form.....the essay test in literature is a highly valid test form".

The essay allows for freedom of response; the student selects from his own background what he wants to put down and organises the answer and expresses it in his own words. An extended essay gives some scope for evaluation of organisation and promotes emphasis on the whole rather than on parts. This is what is needed in a language and literature department.

To solve our problem we need to investigate the cause of the problem. There are several factors that could be the cause :

1. The students' background where the skill of writing is concerned.
2. The students' attitude towards subjects in the Department and particularly essay writing.

3. The teaching material used in the writing course.
4. The teaching method.
5. How the essay type test is used.
6. The marking of the test.
7. The nature of the writing task under examination conditions.
8. All of the above or some of the above in combination.

An examination of the above factors may lead us to certain conclusions and suggestions for the direction of future efforts where essay writing in the first year is concerned.

The Students :

The students' average age is 18-19 on entry. They are mixed, with a considerable majority being female, and are mainly from the more privileged sectors of society. Most of them come from non-Arabic medium private 'language' schools. Their study environment is thus fairly favourable both at school and at home; their independent study habits however, are not particularly well developed as they are used to rote learning rather than problem solving and thinking for themselves. Generally they have had from 8-12 years of study of the English language, even in French and German schools. Their teachers at school have a good command of English. As a result they have more spoken competence than students of public-sector schools and much more experience in reading and writing longer texts. This does not mean that they read and write well. Close examination of the situation shows the following :

(a) Because their motivation at school (and at university) is intrinsic and directly linked with passing examinations, exams are taken very seriously and worked for with a narrow determination.
(b) The third secondary 'ordinary level' examination which they all have to pass involves only the writing of a guided paragraph of five sentences, completing a short dialogue, writing a short letter, a cloze test and a translation passage. The few who sit for the 'High level' examination are not required to write consistently for more than 20 lines (Mattar, 1986).
(c) Thus the students' experience of written free production is very limited.

Generally speaking, their competence in English on entry to the Department of English is intermediate to advanced, though frequently with

an over confidently careless attitude towards accuracy of expression (both spoken and written) as well as to logic or depth of thought (Hawkey, 1978). Private conversation with teachers of Arabic at language schools showed that students are not good at writing essays in their native language and find it difficult (Mattar, 1986).

Attitudinal Factors :

Many students do not seem very highly motivated and are unenthusiastic about the courses, though not in a particularly articulate or searching way. Their complaints usually boil down to personalised grumbles that a particular factor in a particular course made an exam more difficult to pass. Informal 'research' carried out for clearer information as to attitudes and aims of students produced the following :

1. High ratings for relevance on courses on :
   novel, grammar, translation, drama, composition.
2. Fairly high ratinges for relevance on :
   Arabic, poetry, criticism.
3. Minority relevance rating for :
   French,civilisation (Hawkey, 1978)

This lack of enthusiasm makes their written work in both language and literature courses complacently slapdash in thought, language and presentation and their attitudes in lectures and classes "degage' and slightly tittering" (Hawkey, 1978).

The students and their parents seem to be under the misapprehension that because they have been to 'language' schools they speak and write 'very good English'.... a thing they want to capitalise upon for their future careers, and thus they join the Department of English. They do not however, have very clear career specific reasons for this choice; they want to become 'translators' or 'secretaries' in well paid private sector institutions, or perhaps 'teachers' in language schools. Many of them do not know what they want to do after graduation.

The falling level of Language Competence :

A matter of unanimous agreement amongst staff in the Department of English is the falling level of language competence. Whatever students may think about their competence in English, it is certain that it leaves much to he desired. This decline in language competence necessitated a

change of Department objectives and reforms in syllabus design and implementation, a step that was taken in the late 1970's.

The role of English and Department Objectives :

It is very difficult to fit English in the Department of English Language & Literature into any real E O P mould, or E A P role where it is studied for the purposes of education in another discipline, unless the other discipline is English literature. Again it is unrealistic to teach entrants to the Department as if they are native speakers embarking on specialist training in English Literature and culture. The Department therefore decided that instead of teaching English through and for literary/cultural purposes as an end in itself to provide students with a liberal oriented training in the verbal arts, it would raise the language competence of students and improve the skills required in order for them to benefit as fully as possible from their specialisation in English. The language skills that are untrained or need remedial attention would be dealt with by materials and methods designed for the purpose. This would not represent a switch from literature to language, since the specific skills for initial training would include some aimed at helping learners towards a target competence enabling them to handle literature properly. It would also include skills aimed at, and even trained through literary/cultural activities. The language programme components would be coordinated in terms of level, content and approach with literary/cultural components. Ideally after four years this programme would produce a graduate whose English is good and who can deal with any job that requires the handling of the English language.

Syllabus and Communication Need Factors :

A more sensitive and detailed syllabus specification representing a coordinated needs-based approach to the improvement of skills required replaced the old syllabus in 1979. A description of the new syllabus is found in **The Consultancy Report on Faculty of Arts English Programme, Alexandria University** by Roger Hawkey. The fact that students in the English Department are being trained as specialists in English means that dimensions of size, complexity, range, delicacy, speed and flexibility of texts they are required to handle both receptively and productively are all high. Similarly tolerance of error, stylistic failure, lack of fluency, need to ask for repetition or explanation is relatively low when learners are speaking or writing English. Conversely, as specialists, they would be

expected to be able to cope with errors, stylistic failure, lack of fluency, requests for repetition or explanation when they are on the receiving end.

Among the communicative activities that students are to be trained for, those for writing are :

(a) Note-taking from lectures.
(b) Note-taking from readings.
(c) Writing factually from notes or other previously collected data.
(d) Writing creatively.
(e) Writing critically.
(f) Writing in these ways in report, essay, longer text form.

The topics in connection with writing are language, literature, history, background, education, current affairs etc.

The specific language skills and functions take accout of the fact that students' level of competence on entry, though falling, is not low. The syllabus does not include items that they have in fact mastered but still handle carelessly. Most errors are taken to be due to their attitude and their lack of real motivation. Their attitude will not be improved by a full fledged remedial course. The solution is in stretching them out of their complacency by systematic creative training in relevant skills and functions, accompanied by strict 'on the spot' remedial treatment of carelessness. The onus for correction is put on the student not the teacher.

ESSAY WRITING COURSE

Since we are concentrating on free writing we shall only deal with the language component formerly called "Essay" and now taught under "control level reading/writing skills development".

The Essay component was formerly very much a spur of the moment affair with rather unsystematic selection of titles, perhaps some preliminary discussion, generally thoughless unplanned and linguistically inaccurate writing from the students, and often painstaking but mainly wasted correction by the teacher; then on to the next title. The following is new being followed :

1. **Remedial work based on the commonest errors, viz :**

(a) concord.
(b) prepositions.

(c) sentence structure and punctuation.

2. **Paragraph organisation:**

(a) exercises in recognising the internal order of a paragraph.

(b) sentence connection.

Material : **Paragraph Writing**, Chaplen, F., OUP, 1979, (First Impression 1970), Chapters 1-5.
Supplementary exercises from the department

3. **Guided paragraph Writing**

Designed to put into practice the principles learnt in 2 above. Subject matter drawn from novel course and material provided by the department.

4. **Free Paragraph Writing**

Subject matter drawn from novel course. Students are given topic sentences to develop and write about.

5. **Paragraph into Essay**

Exercises in organisation.
Material provided by the department
Subject-matter drawn from novel course.

Appendix 1 shows samples of the materials used covering those five stages. The material was prepared by a British Council KELT adviser in cooperation with the department and its use outside the department is not authorised. It is copyright of the Council and C.B. Hudson.

The materials in Appendix 1 are taught under 'Essay Drills' for two hours a week to small groups of 12-15 students. As mentioned before, the content of the free and guided paragraph writing and the organisation of paragraphs into essay are based on the novel course where students study the following :

1. **Animal Farm** G. Orwell.
2. **The Chrysalids** J. Whyndam
3. **Brave New World** A. Huxley

This is done firstly to link the literature and language courses, and secondly, so that students do not have the double burden of worrying

about content and correct language.

Another 2 hours a week are devoted to 'Essay'. The whole class of 70 students attend this class together because of the teacher shortage. Here the teacher is supposed to teach students how to write. The teacher uses a step by step breakdown of the writing process derived entirely from an analysis of written products.

First students and teacher choose a topic, restrict that topic then write a thesis sentence. With that single restricted thesis clearly in mind, students write a sentence outline, with Roman and Arabic numerals, capital and lower-case letters all in place. The rest is supposed to follow easily. The students are supposed to write their essay from introduction to conclusion according to the outline, revise it carefully, check that they have avoided grammatical and mechanical errors and hand it in for marking. When students get bad grades they wonder why, when they have followed a pattern, proof-read and have done what was asked for, do they fail ?.

If we look at the materials we find out why students pass Essay Drills' and fail 'Essay'. In the former we have paid careful attention to organisation skills, selected appropriate exercises, taught them and then tested them. The 'Essay Drills' test is therefore valid. In the case of 'Essay' we expect that good writing will arise out of following a set outline. We know that students have already had punctuation and grammar exercises, free paragraph writing etc. and so expect essays to be relatively free of errors. But what we have not taught students is how to 'compose'. Free writing is the ability to write freely what has been taught and not the ability to write anything at all. It means that "the writing which has been practised under control can at last be accomplished without control" (Pincas, 1982). In our case we are not teaching students either what to write or how to write it. We let them plunge in and leave them to sink or swim. Thus the 'Essay' test is invalid. Moreover, producing a piece of writing involves:

1. Syntax (sentence structures....sentence boundaries...).
2. Grammar (rules for verbs, pronouns etc.).
3. Mechanics (punctuation, spelling...).
4. Organization (paragraphs, topic and support...).
5. Word Choice (vocabulary, idiom, tone...).
6. Purpose (the reason for writing).

7. Audience (the reader/s).
8. Content (relevance, clarity...).
9. The Writer's Process (getting ideas, writing drafts, getting started, revising).

As teachers, we have only stressed one or two features of the nine mentioned above, mainly mechanics, grammar and organisation.

The materials and the teaching method emphasise structure, first syntactic and then rehtorical, and implies that if students follow it then they will be able to write fluently in an organised way. Considering the complexity of teaching writing, it is not surprising that we concentrate on the rule governed forms of the foreign language and the mechanics of prose. It is simply because they can be straightforwardly taught. But no matter how many exercises of the type given in the remedial material we use, it does not mean that students are learning to compose. They are merely improving their grammar.

When we deal with paragraphs, we try to be equally straightforward in our tasks. We give paragraphs to be analysed, unscrambled, reorganised and written according to guidelines. We ask students to manipulate prose written by someone else. However patterns and model paragraphs will not teach students how to write.

We assume that students need mastery over the sentence before proceeding to the paragraph and mastery over the paragraph before proceeding to the essay. We then provide controls that make the task easy for us, but is it easier for the students? What happens is they worry about accuracy, spelling and punctuation. They are not concerned with concepts or ideas. By giving students a topic sentence we imprison them in a semantic and rhetorical prison (Raimes, 1983, 261). The first sentence restricts them before they have begun to develop their ideas. Again by giving them the content of the novel course to deal with, we do not leave scope for development of their own ideas. Widdowson (1983, 41) says.

> "It is worth noting that when we instruct students to draw up a plan of an essay before writing and then to conform to it closely as they write we may be inhibiting the interactive process that generates written discourse".

The result is that students concentrate on what Widdowson calls 'text' rather than discourse and communication of ideas. Perhaps in a foreign language, student problems are textual rather than discoursal. If they have already learnt how to write in their mother tongue, then they will have acquired the essential interactive ability underlying discourse enactment and the ability to record it in text. Their problem is how to textualise in the foreign language. But we have already mentioned that students are poor in essay writing in Arabic. They therefore lack experience with the concept of any written paragraph and with the mental processes that are needed to express ideas on paper for a reader. The problem here does not seem to be only one of carelessness and being slapdash in thought and presentation.

MARKING

The student produces prose that is flat, with a welter of errors, different ones each time he writes. This in turn leaves the teacher little option other than covering the paper in red marks, a process that is most discouraging for teacher and student alike. This is what is called 'negative' marking. All the 'marks' which are the 'response' of the teacher are so overwhelming that they will be probably ingored by the student. To him it means "you have made a large number of errors". He is overcome by the quantities of red marks, does not know how to react and where to begin for improvement to take place.

After that, the fact that students write again at all is a manifestation of ability and perseverence.

The teacher's response is to the finished product given in by the student. He can only judge an evaluate but not influence the piece of writing. Responding to a paper only at the end limits teachers to correcting errors, giving a grade and a comment like "careless" or "needs improvement" In a sense this is futile especially for the student who has worked hard.

He puts the paper away therefore and hopes that next time he will get fewer 'red marks'. For correction of a writing error to be effective there are three conditions:

(a) the comment should be comprehensible to the reader.
(b) it should lead to improved performance.
(c) it should relate to a genuine error, i.e. a recurring error rather than one which is connected with speed or carelessness.

What is suggested for both teaching and marking is a shift in emphasis from product to process in composition writing.

Raimes (1983, 260) suggests we respond to the piece of writing as readers and not as item checkers. She also suggests that the teacher can intervene during the process of writing. This transforms the writing task from doing an assignment for the teacher to an interaction between teacher and student.

If teachers and students are to be partners in a joint collaboration over the student's work in progress, then this is better for students' motivation. The suggestions that are given for written work and its presentation in Appendix 4 may, and do work for discipline and getting rid of carelessness; but where the student is concerned, there are too many threats and warnings. The student may do the writing task, but will he take pleasure in expressing his ideas, and will he improve his composing process through interest and motivation ? It is doubtful.

The 'Marking Code' suggested is a code for marking written products only. It is a type of marking code that is more fit for testing rather than for assessment on the progress of students' work. There seems to be an essential confusion between testing as a procedure and assessment of students' progress during instruction. This confusion arises mainly because we concentrate on product rather than process of writing. When we assess progress, we adapt our marking to fit what we teach and what we emphasise. We respond to the ideas expressed, how they are expressed and not only to the number of errors on the page. Rather than correct errors in syntax and punctuation etc. we note what problems our students are having, explain in groups through discussion the syntactic points, and then assign exercises that move from recognition to production. It is sometimes better not to correct grammar at all in the students' first two drafts on an essay, rather assign a topic that is likely to generate the topic in question. At the same time praise what has been done correctly on the essay; good beginnings, relevant word choice, lively detail and so on. Warmly praising comments like 'I like this point' or encouraging ones like 'Can you tell me more about this?' are likely to be more beneficial. This type of assessment is different to testing, where students must display visible and measurable progress at crucial points throughout their educational career. There we can mark errors. Let us look at the situation with the essay test.

TESTING AND ASSESSING

When one watches students writing, one can plainly see that it is a painful experience for them. They cross out sentences and words, write others that are equally wrong, consult their dictionaries and produce flat uninteresting prose that is full of repeated errors. They complain that they do not have ideas to put down or they cannot find the right words. They worry about grammar and spelling and dread essay exams more than literature exams. This is not surprising when one asks what does writing involve? It involves mechanics such as spelling and punctuation, vocabulary, grammar, appropriate content, word selection, rhetorical matters like organisation, cohesion, unity, appropriateness to audience, topic, as well as other concerns such as logic and style. When we think of what the foreign learner has to learn in a new language in order to write fluently and accurately, the mind boggles. Again, all the above is not easy to teach.

Writing on the other hand is not the type of activity that can be tested in the way other subjects that involve content and knowledge can be tested. We are not looking for what a student knows about a subject. We are looking at how he can use the phonology, grammar, vocabulary and syntactical structures of the foreign language, as well as the mechanics of prose of that language. We evaluate his thinking, his ideas and the communicating of these ideas. But what the student chooses to produce under exam conditions may not necessarily be what he is actually capable of producing. If he is constrained by the title of an essay in an exam which does not interest him, he may have very little to say on the subject. If he is constrained by time, which he is under examination conditions, he may again produce very little, especially if he is writing in a foreign language, because he cannot present his ideas in an ordered way in the time available to him. Even a professional writer writing in his own language would be unlikely to produce his best work, given a blank sheet of paper and 2 or 3 hours in which to fill it. It can be argued then that the essay exam is not an indication of what the student can produce but simply of what he chooses to produce at a given time under exam conditions.

Another argument against the essay as a measure of writing skill is from the point of view of the marker. The marker's response to an essay is essentially subjective and therefore unreliable. Reliability can to a certain extent be achieved by using what is generally called 'the mechanical accuracy method'. Here the essay is allocated, for example, 100 marks and

marks are deducted for errors. Often, using this scheme, some errors are deemed to be more serious than others and therefore lose more marks. There can therefore still be disagreement among examiners as to the relative seriousness of errors. This method shows that in spite of its objectivity, essay marking is still subjective, impressionistic and intuitive; the method also has a negative effect as it looks for error in essays rather than help students overcome errors. Heaton (1975) is horrified by this method as it sacrifices validity to reliability, since it completely ignores the communicative function of the essay. The essay is not treated as a piece of discourse and a unit but simply as a string of words which are either correct or incorrect. If the essay is to be used as a method of writing ability, then surely it must be treated as discourse and assessed as such.

It is therefore suggested for writing to be assessed fairly, it should be by continuous assessment of student's work throughout the year. This will show how regularly and how hard students have worked and their rate of development during the academic year. This is something that one essay written under exam conditions cannot show. If an end of year exam is a must, then it should be allocated 25 marks out of 100, and the 75 remaining marks should go to the continuous assessment of year's work.

Gannon (1985, 16) warns that it is dangerous to evaluate a piece of writing out of context, i.e. without knowing the student, his rate of development where writing is concerned, the nature of the task that has been set for him to do, its origins and its purposes. Considering that the examiner marks exam papers at the end of the year without knowing which paper belongs to what student, and considering the unreliability of the essay as a measure of writing ability, this is not fair on the student. The method of assessment I have suggested seems to me more adequate. This method fits in well with the method that is suggested below for teaching.

The marking of essay examinations should also be changed. We cannot go on marking in a totally subjective and intuitive way and we cannot simply use the mechanical accuracy method. What is suggested is the use of a writing assessment scale like the one used by institutions like the British Council for assessing written work on public examinations. This uses 9 bands ranging from expert writer in band 9 to unassessable writer in band 1.

This assesses theme, logicality, clarity, accuracy, intelligibil-

appropriateness of style, communication, vocabulary, presentation, variety etc. Band 5 for example states,

"Modest writer : theme can be followed, but logical presentation may be broken and lack clarity or consistency. Several inaccuracies and style not always appropriate to presentation. May lack interest or variety, but the basic message is presented. The reader will have to strain on occasion to comprehend meaning." This type of assessment scale may help the teacher, overburdened with thousands of papers to mark at the end of the year, judge students' written production more fairly and consistently. The most important part that will help improvement in free writing is the shift of emphasis from product to process in teaching. This is the part we shall turn to now.

Teaching procedures

Thornton (1980, 29), says "One learns to write by writing". It is only by trying to write in response to need that one can explore for oneself the two constraints, namely what the writing system will allow and what our own mastery of the writing system will allow us to do. Free writing is concerned with fluency, content and audience. It must revolve around subjects that students are interested in and these subjects then become the basis for other more focused writing tasks, e.g. literature. One must therefore be very careful in choosing and giving assignments to students. It does not only involve giving a topic but also giving suggestions as to how to go about writing about the topic.

The Process of Composing

The shift in emphasis should be from focussing on product to focussing on process of composing. Raimes (1983) suggests that the process of writing does not seem to be a linear one with pre writing, writing and then revising coming in that order. Rather the three activities all go on at the same time. Composing means expressing ideas & conveying meaning and that entails thinking. "The thinking/writing process is also a way of discovering what we know, a way of 'form finding' " (Berthoff, 1978). Writing therefore helps us find out what we want to say. If this is the nature of the composing process then we have to avoid forcing students into the three types of activities pre-writing-writing revising- separately. A teaching method that encourages the three activities all together may be the following :

1. Do not draw up a plan of an essay and make them follow it.
2. Put down a list of ideas about the chosen topic and ask students to put down words in a list that the topic suggests to them.
3. Ask students to describe, define, classify objects or actions and concepts in that list.
4. Ask students to write one or two paragraphs, lengthen them, shorten them or even throw them away if they do not like them. Students can work alone, in pairs or in groups.
5. Discuss the content with them and ask them to discuss it among themselves.

In this way the students have time to deal with content, organisation and only at the end with grammar, although grammar will crop up while they are discussing content if it is preventing clear expression. What students must realise is that what they first put down on paper is not necessarily their finished product but just a beginning, a setting out of the first ideas, a draft. They, and the teacher should not expect that the words they put down on paper will be perfect straight away. Students should be given time for the composing process to work, time to try out ideas and have appropriate feedback on the content of what they write in their first draft. The feedback could come from the teacher going around to the several groups, or from the students of other groups. This encourages students to discover new ideas, new words and new sentences as they plan, write once, revise and write again. To explore a topic fully teachers may use activities such as brainstorming, reading, debate and list-making.

The first piece of writing is not corrected or graded. The teacher only looks at the ideas. Then, after showing each other and the teacher drafts and using what they have written to read over, think about and revise, students move on to other new ideas about the same topic. This is a process of discovery of new ideas as well as new language forms to express those ideas. Revision will be important for students if the teacher shows them how important it is, by expecting them to revise. Spending a little time helping students with revision is more important than a whole new assignment. Honest criticism of ideas, praise for what they have done right and encouragement will make students want to revise and improve. It will also help them proof read effectively. The paper they use can have a wide margin left for comments by teacher and other students in other groups. This could also serve for their revision notes. Then they can write

another draft anew. When they feel that they can give in their composition in its final form, they can do so.

Choosing the Topic

If a topic is chosen with care and discussed and students are allowed time to think about it and write, this will improve their syntax. With some topics the teacher can predict the use of certain syntactic structures that are likely to be used with the topic; e.g. if one is talking about a certain moral dilemma, then one is likely to use 'should have' 'could have' 'rather' 'if' etc.. The teacher could review such structures beforehand and stress them again at the reading stage when revising. One however must be careful not to turn a composition class into a grammar class.

The topics chosen must be interesting for young adults. They could keep a journal where they record observations, as has been tried in the mother-tongue situation. This will certainly increase their fluency and help generate ideas. But for academic purposes one needs topics that will help them compare, describe, persuade, argue a point and so on. They could report on an accident after looking at a picture of it. They could compare witty cartoons with famous paintings that deal with the same topic. Discussion will help develop vocabulary structures and ideas. The foreign language that they are trying to use must help them to form concepts and deal with causes.

It is not advisable to give easy topics simply because we feel that students cannot cope with grammar and structures. This only means that good ideas are an impediment to correct writing. Purpose and audience are very important. To make purpose and audience less artificial (i.e. not only writing for the teacher and peers) we could ask them to go and look at public buildings and describe them to a pen-pal abroad and bring in a copy of the actual letter. We could bring in a topic that they can really feel they want to express an opinion about. (A reading exercise that I have once used which contained a quiz on self-defence, articles from newspapers about booby traps set up in houses for self defence) and that went off and killed people brought about very interesting and involved discussions. I then made students write down all the opinions and feelings on the subject).

This leads to writing that unites form, content, ideas and organisation, syntax and meaning, thinking revising and proof-reading. This brings up

the point of teaching exercises through reading which are very useful for writing purposes.

Reading for Writing Purposes

Readings can be used as springboards for discussions and ultimately for writing purposes. Raimes (1983: 268) suggests using close reading for examination of what a writer says and of why and how he says it. This includes determining the writer's intent, extricating and paraphrasing the meaning and asking questions such as 'How is this related to what has gone before and what comes next?' One can also examine words and structures used to produce meaning. In this way students may become aware of what is expected of a writer that writes for a reader. This type of exercise could be used to enhance writing about literature.

In Appendix I, the last part of the material uses a cloze exercise with words omitted. Most of the omitted words we notice, are function words or linking devices. This makes the exercise mainly one of idiom and correct usage. However, if a reading passage were used as a cloze type exercise with only content words omitted, students could be asked to come up with as many alternatives as possible, discussing each word, its connotations, tone, effect and so on. One could even use a multiple choice type cloze procedure with the actual word used by the author as one of the choices; then one can see who predicts the choice of the author's word, and ask him/her to say why and discuss the effect of this word as opposed to the other choices.

For tone, textual and thematic development and effect one can give either first lines of novels or short stories and ask students to write what they think comes next and how they think the story will develop. One can even ask them to write how they would like the story to develop and what they would like to read as a story. This will enhance their awareness of direction and movement in written texts. Again this exercise feeds into their literature courses.

Some of the exercises, mainly those on essay planning, used in the material in Appendix I show an attempt at finding out how ideas are linked logically in paragraphs and short passages and how students can use these, especially in the guided paragraph units. An alternative way can be done by the 'prediction' type procedure. One can give a section of a text and ask

students to predict the subsequent 5-8 sentences and write them. Then, in groups, they explain their predictions. Again, instead of only rearranging the already written sentences of an essay under the appropriate paragraphs as is done in the material in the appendix, the students could be asked to provide the paragraphs themselves. This could be done by giving students the first lines of the paragraphs in a two page essay. They are to predict and write how each paragraph will develop. This makes them write, as well as look at prose as a woven fabric.

Another type of exercise that can be used and can be tied in with culture and the background course is a transposition exercise. Students read a story set in England and they try to transpose it to their own home country. They isolate theme, main events and subsidiary detail and then they divide in groups what major advances would be required for the transposition to be acceptable. They can also transpose a story from city to country, from one viewpoint to another or from one age group to another. The transposition should be from remote to familiar. The class can first consider words and phrases whose meaning relies on cultural values. Then they try to find the equivalent in their own culture. They will consider how language differs or is similar because of the difference in culture. After discussion they can write the passage again. Sometimes they will find out that this cannot be done. This discovery in itself is of great value. Translation is not normally thought of as a composition exercise, but inasmuch as translation from the mother tongue leads to writing of whole pieces of English, it has its place both as a stimulus, a source of ideas and an experience of writing which can indicate to students that there are important similarities and differences between Arabic and English.

The approaches through reading make students explore the complex and delicate relationships that hold between utterances, their contexts and intents, in discourse. Johnson (1983, 253), suggests the use of what he calls 'if' exercises. Students read a passage and the teacher asks them to consider how would the writer have put it if he had wanted to say something slightly different; how the writer would have put it in a different context. This makes students change the intent and context and they see how it affects the utterance. Again rhetorical transformation could be trained by asking students to write, for example, a set of instructions as a description.

The last point concerns grammar in composition writing. If any grammar is to be included in the teaching of composition it is definitely the grammar of cohesion. The internal logic of the ideas is revealed in the surface structure of the ordering of sentences in relationships between sentences and in the grammatical and lexical system. Failure in using cohesion is failure in producing acceptable paragraphs or essays. Reference conjunction, lexical links, substitution, ellipsis and patterning show sentence links and logic. An examination of a passage for these and again producing these links and examining the production gets students to look beyond the sentence. It is a tool for examining how writers get things to work for them. It is part of composing, not just foreign language grammatical structure.

It is hoped that the suggestions made will help to change the essay writing course, its teaching methods, its assessment and the marking and testing of essays. This however, will not be seen until we have tried it out in the coming academic year.

APPENDIX 1

ESSAY YEAR I **UNIT 2** **FACULTY OF ARTS**

I Concord

Select the correct alternative form the words in brackets :

1. The man and his son, who (was)/(were) standing outside the hotel, (was)/(were) tourists.

2. To study language (is)/(are) a usefel intellectual (exercise)/(exercises)

3. The man, who (were)/(was) one of the (footballers)/(footballer), and (his)/(their) friends who (was)/(were) trainers (were)/(was) congratulating (themselves)/(himself) on the victory.

4. The films showing at the Moulin cinema (is)/(are) the same (ones)/(one) that (were)/(was) showing in Cairo last week.

5. The discovery of the treasures of Tutankhamun's tomb (were)/(was) one of the causes of revived interest in archaeology.

6. He (considers)/(consider) that he (have)/(has) never seen a trainer or horses who (were)/(was) better at understanding animals in general.

7. Of all the things he (discuss)/(discusses) in the essay, the thing which (interest)/(interests) me most (is)/(are) the ways which psychologists (use)/(uses) to make people understand (himself)/(themselves)

8. Which of the places he (have)/(has) visited (do)/(does) he (thinks)/(think) (is)/(are) the most interesting ?

9. (Do)/(Does) all the sugar (comes)/(come) from abroad ?

10. (Is / Are) the questions the policeman (are / is) asking about you; or (does / do) they (concern / concerns) someone else ?

II Preposition Practice

BY

1. Used to indicate **Manner** in certain expressions.

   Exercise : Fill in the blanks with an appropriate word from the list below :

   Heart, design, chance, accident, far –

   (a) This is by ..... the most interesting.

   (b) You'll have to learn these instructions by .....

   (c) He dropped it by .....

   (d) We met by ..... in the street.

   (e) It wasn't an accident; it was done by .....

2. Used to mean 'alone' when used with reflexive pronouns.

   Exercise: Fill in the blanks with an appropriete word from the list below :

   myself, yourself, himself, themselves

   (a) She lives by .....

   (b) He went by .....

   (c) Why did you go by ..... ?

   (d) I hate eating by .....

   (e) They can't manage by .....

3. Used to mean 'by means of'.

   Exercise : Fill in the blanks with an appropriate word from the list below :

   electricity, expression, miracle, argument, plane

   (a) You'll get there quicker by .....

   (b) Radios work by .....

(c) I could see by his ..... that the wasn't pleased.

(d) You'll never convince him by .....

(e) We succeeded by a .....

To

1. Used after certain nouns :

allusion (mention, reference)	attachment
attention	attitude
promotion	cruelty
reference	kindness
resistance	similarity
loyalty	tendency
obligation	

Exercise : From the list of nouns given above, complete the sentences on the next page.

Essay I **Unit 2**

(a) The speaker made several ..... to the new scheme.

(b) Why don't you pay more ..... to what you're doing ?

(c) John's ..... to manager was a surprise.

(d) The people offered vigorous ..... to the invaders.

(e) He has never wavered in his ..... to the party.

(f) R.S.P.C.A. stands for Royal Society for the Prevention of ..... to animals.

(g) Guests have an ..... to their hosts.

(h) Some people have a ..... to accidents.

(i) Don't you notice the ..... to your own plan ?

(j) Some people have a ..... to fatness.

FOR

1. Often used following a noun :

e.g. cure **for**, reason **for**, excuse **for** etc.

Exercise : From the list of words given below, complete the sentences which follow :

cure, refill, substitute, use, reason, receipt, toys, classes, time, excuse –

(a) ..... are for children.
(b) Have you a ... . for a ballpoint pen ?
(c) Are there any ..... for beginners ?
(d) We just have .... for another drink.
(e) Is there any ..... for a cold ?
(f) I didn't buy it, as I had no ..... for it.
(g) He has an ..... for everything.
(h) There's no real ..... for wool.
(i) I don't see any ..... for his attitude.
(j) Please give me a ..... for the money.

2. Also used to indicate duration of time :
e.g. She has been at the university for three years.

Exercise : Match the pairs.

(a) Christianity has existed	(a) for more than a century.
(b) France has been a republic	(b) for about 80 years.
(c) Slavery has been abolished	(c) for five years.
(d) The motor-car has been in existence	(d) for nearly 2 centuries.
(e) The president is elected	(e) for nearly 2000 years.

Essay Year 1 **Unit 2**

III

(a) Select the correct form the alternatives in brackets.
(b) Fill in each numbered blank with a suitable preposition form this list : of, with, by, to, for, across, off, in, above, up, down, from –

1. When did a man first cross the Channel between England and France (1) ..... air? If you $\frac{\text{(asks)}}{\text{(ask)}}$ somebody that question he will probably $\frac{\text{(answer)}}{\text{(answers)}}$ "(2) ..... 1909". Or he will mention the name (3) ..... Louis Bleriot who flew a small aeroplane (4) ..... France to England (5) ..... that year. That $\frac{\text{(were)}}{\text{(was)}}$ the year (6) ..... which a balloon carried a man (7) ..... the Channel

(8) ..... the first time. Balloons (was)/(were) making long journeys (9) ..... air a hundred years before the first aeronanc left the ground.

Leonardo da Vinci (was)/(were) already thinking (10) ..... flying machines (11) ..... about 1500. But he did not think (12) .....balloons. His machines (was)/(were) opersted (13) ..... wings or propellers. None of them ever got (14) ..... the ground. Leonardo understood the reason (15) ..... this. He did not have enough power. Man (were)/(was) not strong enough to life machines (16) ..... in the air and (keeps)/(keep) them there. Where (was)/(were) the power to come (17) ..... . ?

Essay Year I **Unit 2**

2. Later the Montgolfier brothers thought that since hot air (rise), if they (was) to fill a bag (1) ..... hot air, (rises) (were)
the bag would rise. A very large bag (2) ..... hot air might lift a man (3) ..... the ground.

Since the two brothers (was)/(were) the sons of a paper maker, it (were)/(was) not very difficut (4) ..... (them)/(him) to make a large bag (5) ..... paper and cloth. A crows gathered (6) ..... Annonay to watch. (He)/(They) held the bag (7) ..... a fire. The bag filled (8) ..... hot air and rose into the air. But the brothers did not go (9) ..... in their balloon.

The aeroplane and not the balloon (has)/(have) become man's real

flying machines. But a lot of people still (goes) / (go) up (10) ..... balloons. (He) / (They) (do) / (does) (it) / (them) (11) ..... pleasure, especially (12) ..... America and Europe. There (is) / (are) often balloon races and the balloonists (travel) / (travels) hundreds of miles before (he) / (they) (come) / (comes) (13) .....

Chaplen, F., **Paragraph Writing** 6

Contents

	Preface	v
1.	Introduction	1
2.	The good paragraph	1
3.	The controlling idea	1
	Exercise 1	3
	Exercise 2	6
4.	The topic sentence	8
	Exercise 3	9
	Exercise 4	13
5.	Support of the controlling idea	14
	Exercise 5	21
	Exercise 6	23

ESSAY 1 PARAGRAPH WRITING
THE IDEALS OF ANIMAL FARM

TOPIC SENTENCE

"Throughout the story of Animal Farm the principles and ideals of the revolution are betrayed".

Ma.1 (Comradeship)

One of the ideals put forward by Major is .....

Mi. 1 a But .....

1 b

1 c

Ma. 2.a (Attitudes to man) Mi a) dealings with man

Mi b) human habits

Mi.c) Another of the principles is that .....

Ma. 2 b) But again, both aspects .....

a)

b)

c)

Ma. 3 (Equality)

Finally, the most fundamental principle .....

Mi 3a) But Napoleon and the pigs .....

3b) By the end .....

Essay Planning

1. The essay is entitled "Genetic Mutation in the Chrysalids".
2. The headings of your paragraphs are as follows:
   a) The causes of genetic mutation
   b) The extent of genetic mutation
   c) The effect of genetic mutation on religion
   d) Meassures to prevent and control mutaion
3. Below you will find the sentences of the essay. But they are not in the right order.

Exercise 1 Decide whether each sentence belongs in paragraph a), b), c) or d).

Exercise 2 decide which sentence is the topic sentence of each paragraph.

Exercise 3 Arrange the sentences in the correct order to form the completed paragraphs.

The Sentences:

1. Since the restoration of the norm is a sacred duty for them the people of Labrador haye regulations for controlling and preventing deviation in plant. animal or human life.
2. The Chrysalids describes the effect of this process on Lahrador, which has been affected by atomic bombs dropped on the U.S.A. and therefore suffers from genetic instability.
3. A long time before the book begins, there has been a nuclesr war.
4. This means that neither plants, animals nor humans can be relied on to "breed true".
5. The extent of genetic mutation varies from one part of Labrador to another, and from one period to another.
6. Nuclear fall-out, or atomic radiation, is known to have an adverse effect on the breeding of living things.
7. Instead, they tend ot produce forms that are abnormal in some way.
8. The effect it has is known as ghenetic mutation.
9. At certain seasons, there was an increase in the rate of generic mutation on account of the direction of the wind.
10. By these means the people of labrador try to restore all forms of life to the norm.
11. These regulations are sent out from the central government in $Ri_{-}o$. and they specify exactly what is normal and what is abnormal.
12. As a result of this belief, the eradication of deviations in vegatable animal or human life is a sacred duty.
13. When there are deviant animals. Which they call "Offences" everybody gathers in the yard while they are slaughtered to prevent them breeding futher deviations.

14. Between these two were the areas which they called the Wild Country, where there was a 50% chance of "breeding true", and the fringes which was much less stable, and inhabited by exiled mutants.
15. Some areas, thought not completely stable are habitable and a reasonably secure life can be lived there.
16. Other areas are completely uninhabitable because the deviations are so extreme; these are called the Badlands.
17. They also believe that God made man in his own image and that therefore anything with deviates from the "true image" is the work of the devil.
18. Religious people, such as David's father, display texts from this book on the walls of their houses, and all these exts are about the elimination of abnormalities.
19. Human deviations, which they call "Blasphemies", are sterilised and sent to the Eringes.
20. The people of labrador believe that God sent what they call "Tribulation" on them as a punishment.
21. In the case of vegetables, when there is a deviant crop, it is the duty of the owner to burn the field where it grew to prevent the deviation form spreading.
22. This duty is emphasised in a book called Repentances which alongside the bible, is their sacred book.
23. One of the strange features of Labrador society is that it makes geneties a religious matter.

Cloze Test

1. Fill in the blanks, one word for each blank :
"Has **The Chrysalids** a message".

Is **The Chrysalids** simply a good story or is it a book with message? The story is certainly exciting and full (1) .... suspense to the very end. (2) ..... it is a story full of interesting, (3) .... imaginary, detail; and this information is scientifically (4) ..... credible. But does Wyndham use this story and its details to (5) .... us something? It (6) .... that the answer to this question is that (7) ..... are, in the story, certain themes and ideas about (8)

.... Wyndham feels strongly. These themes (9) ... . an important part of the book, but it is not (10) .... that they add up (11) .... single message.

The first of these themes (12) .... the horror of nuclear war: we learn that the (13) .... of unclear war is disastrous, on the land, (14) ..... all living things and on human history. We learn that: (15) .... parts of the land have been (16) .... destroyed so that nothing will (17) ..... live there again. In other parts, all life, (18) .... vegetable, animal or human is (19) .... to mutation, Life in these unstable (20) .... is very hard; and the attempt to control mutation meets (21) ..... small success. But it is the effect of modern war (22) ..... human history that is the most frightening. (23) ..... most of the globe, nearly all human learning and achievement has been lost. Technology is very primitive, literacy (24) ..... but there is little to (25) ..... and there is almost no (26) .... between one inhabited area and another. Only religion has (27) .... from the "Old World"; and in attempting to deal (28) ..... the effects of war it has become unrecognisable. These terrible (29) .... are well summed up by the Sealand (30) .... she says "There was the power of gods in the hands of children., but were they mad children, all of them, quite mad?".

Another theme (31) .... which Wyndham feels strongly is intolerance and the cruelty that goes (32) ..... it and this is shown clearly (33) ..... his presentation of three incidents. In the first of (34) ..... incidents Sophie and her perents are driven out because she has six toes. In his (35) ..... of this incident. Wyndham (36) ..... the despair of this family, and their goodness, so that we sympathise strongly (37) .... them and criticise the socjety (38) ..... intoleranee condemn them. I here the same (39) ..... in the incident of Aunt Harriet. Davids father cruelly refuses (40) .... help save her deviant baby, and we feel that the religion that (41) ..... him refuse her is an evil one. Finally we see intolerance (42) ..... work when society outlaws the group (43) .... even the excuse of religion. (44) ....the less, they persecute the group because they are atiatd of differences which they do not understand. Intolerance in all these incidents is (54) .... as something ugly and evil.

There is a connection in **The Chrysalids** (46) .... this last theme and another near the end of the book (47) .... the Scaland woman speaks about evolution She points (48) ..... that the Labrador people were wrong to persecute the group, not only because it was cruel and intolerant to do (49) ...., but because they ignored the principle of (50) ..... change. Life is never sttic : new forms evolve, develop and then die (51) .... For this reason the Labrador people were wrong to try to make humans (52) .... to the "true image" as though no further evolution was (53) .... In introducting this theme. Wyndham wants us to consider that (54) .... if man becomes extinct, life itself might (55) .... go on evelving and improving.

We have been Wyndham presents each of (56) .... three themes in a way which stimulates thought and (57) .... our conventional ideas. We come away (58) .... the book (thinking how disastrous nuclear war would be, how uglyintolerance (59), ..., and remembering that life is constently (60) ..... and changing. In The Chrys lids there is some (61) ..... between these themes, in that the Labrador people, by their intolerance of deviation are (62) ..... evolutionary progress. Outside the story, however, the themes are quite (63) .... if Whyndhams main intention had been to convey a message, it would have been more (64) .... to have only one theme. But if, on the other hand, the story was his (65) ..... interest, there is no reasen why he should not (66) .... his feelings on various subjects in the (67) .... of telling his story. And this, it seems, is what he has done: he has prunarily, told a story for its own sake, and (68) ...., he has allowed his story to (69) .... themes in which he has a strong interest.

APPENDIX 2

DEPARTMENT OF ENGLISH
FACULTY OF ARTS — JANUARY 1980
POETRY — ONE HOUR
YEAR 1

ANSWER THE QUESTIONS ON THE FOLLOWING POEM :

UNWELCOME

We were young, we were merry, we were very very wise,
And the door stood open at our feast,
When there passed us a woman with the West in her eyes,
And a man with his back ot the East.

O, still grew the hearts that were breathing so fast,
The loudest voice was still.
The jest died away on our lips as they passed,
And the rays of July struck chill.

The cups of red wine turn'd pale on the board,
The white bread black as soot.
The hound forgot the hand of her lord,
She fell down at his foot.

Low let me lie, where the dead dog lies,
Ere I sit me down again at a feast,
When there passes a woman with the West in her eyes.
And a man with his back to the East.

Mary Coleridge

1. What kind of poem is this ?
2. Is this meter familiar to you ? Give examples of any poems you have read which are written in the same manner.
3. What do you think of this poem ? Give reasons.

N.B. MARKS WILL BE DEDUCTED FOR CARELESS WRITING.

2. In the above poem there are different kind of imagery through which the poet tried to clear out his own idea in this poem by choising the correct imagery and good diction. The first stanza has many imagery in the first line "a field of silver grain it is a personfication the poet personify the field to appear an silver". Bells on golden wings it is a metaphore the poet sees the bellos as brids with golden wings and golden wings is personfication, he is personifying the fields by gold.

   In the second stanza there is many imagery too, "the ghostly sea" the sea appeared to be like a ghost of a dead thing which give us the feeling of frighten and great silence. In the third line "Rises and walks on feet" personfication the poet imagin this ghostly sea as a person who winses and walks on his feet when hearing the sound of the falling rain a round him. In the foth line" Shakes the darkness another personfication when Faulkner personifys the dark as a person or any object which can be shocked.

3. The rhythm illustrate movement in the avove poem because the poet used the exact rhythm for his well choisen dictions and this clear in many positions of the poem in the first line of this poem by "Rain rain...a field of silver grain" as we find the first two words a sewzeora in the line which give us the impretion of the rain as if it is coming dow and we can hear and see it or in another word it makes us feel the movement of this rain. The way the poet divides his line according to the rhythm show the movement clearly as if we look at "The sleeper stirs, and sleepily opens an eye" it give us the felling of somebody hearing the rain and his emotions stared to move during his sleep and sleepily starts to open an eye which make us feel the movement and truth of this imagery. "Bells on golden wings slide slightly down" dividing the feet of this line using the thytlm let us feel as if we are hearing the movement sound of this wing which slide lightly. We might say that through the choisen dictions and this light rythm Faulkner succeded in translating his emotion to the people, because as an old poet said "Poetry is the correct words in the correct form".

4. I think that Faulkner to a great extent did not suceed as a poet because from my own point of view he choses very simple dictions and very simple imagery, in many lines through the poem he repates the same word I knew sometime he do this to illustrate the meaning but it was

boering sometimes this rhythm is very light and easy but at the end I would like to say that I like this poem very much because nearly I understood most of it, even if I only think so.

1. I would describe the style of the above extract as a balade because of its light rhythm and its free verse. It may sound very nice if using music with it. also because of repoatendness of some word it might sound more if it is illustrated by music.

APPENDIX

Suggestions for Teaching the Course 1

One of the main purposes of this course is to counteract from the start the lackadaisical approach to written work. A very important part therefore, is discipline in attendance, punctuality, presentation and format. To this end:

1. Students should come equipped with :
   a) pencil and pen
   b) a proper lined writing pad
   c) an exercise book used exclusively for this course, and to be used only at the teacher's discretion, not for notes.
2. Students should be warned that a 100% attendance is essential.
3. Tests may be given at any time without warning.
4. Work will only be marked if handed in at the appropriate time, and decently presented.

Most of us are depressed with the quality of the written work presented for the following reasons:

a) It is undertaken in a slipshod manner, carelessly presented and is often late, with the result that:
b) it is full of easily avoidable errors.
c) the students endlessly repeat these errors. Thus they 'learn their mistakes' instead of learning from their mistakes.

The following system therefore should be applied uniformly.

1. Work should be handed in on paper. Only decent paper and properly presented work (-name, title, margin, proper paragraphing etc.-) should be accepted.
2. Students should be told in advance that late work will not be accepted, and that if work is missed, their term's mark will be affected.
3. These papers should be marked as soon as possible according to the code given below. They should then be returned to the student who will write a fair copy in an exercise book used solely for that purpose.

1. These are the actual instructions to the teachers.

1. The student should hand in his fair copy by a given time, together with

the rough copy. This will then be given a mark. Only fair copies that have been preceded by a rough copy and handed on time, should be given a grade.

Marking Code :

Underline the word or words, and mark with a letter as follows :

S – spelling (Encourage use of dictionaries)

P – punctuation — These frequently co-occur

SS – sentence structure

SS – for a long sentence, improperly constructed that should be

P – divided up

Pr – preposition

T – tense

L – lexical error, wrong choice of word

C – concord – very common yet easily avoidable

X – error of fact or judgement

X – a whole passage so erroneous that it should not be reproduced. No need to correct the grammatical errors there.

This does not pretend to be a comprehensive or watertight system. But it is a workable rough and ready system, comprehensible to students, and corrects the more obvious and accessible of their mistakes.

Use of Remedial Work : (What to do with the three types of exercise)

1. Concord

Explain –
1. What is meant.
2. That it is a very common mistake and must be eliminated at an early stage in their university career.
3. Do two or three orally to illustrate concord and check that they know the rules. When this is agreed, impress on them that since they know the rules, only 100% accuracy is acceptable.
4. Do the rest in full on paper in class.
5. Swap papers : check results and see who get 100%.

II. **Prepositions**

1. Do in class as with Concord exercises 1-5.
2. Do in full in exercise books those that were found difficult, but out of class.
3. Impress on students the importance of learning the uses that are unfamiliar, recognising them and noting them in their reading, and practising them themselves.
4. In many cases the best way is to learn the phrase in which the proposition occurs, or the word which it follows, together with the preposition.

III. **Practice Concord and Preposition**

1. Do part 1 in class, on paper, swap papers and check results.
2. Part 2 to be written in or out of class in exercise books for marks.
3. Use part 2 above, i.e. the exercise, to teach format of the paragraph as follows :
   Title
   One line blank
   Indent first line
   Write all other lines up to the end
   Ask them not to write on alternate lines.

IV. At the end of the remedial phase there will be an unannounced test and the marks for the test will be published on the notice board.

BIBLIOGRAPHY

1. Berthoff, A., (1978), "Tolstoy, Vygotsky and the Making of Meaning", **College Composition and Communication**, 29, 249-255.
2. Chaplen, F., **Paragraph Writing**, O U P, 1979, (First Impression 1970).

Freedman, pringle and Yalden, **Learning towrite: First Language/ Second Language**, Long Man, 1983.

3. Gannon, P., **Assessing Writing : Principles and Practice of Marking Written English**, Edward Arnold, 1985
4. Hawkey, R., (1978), **The Consultancy Report on Faculty of Arts English Programme, Alexandria University.**
5. Heaton, F., **Writing English Language Tests**, Longman, 1975
6. Johnson, K., (1983), "Communicative Writing Practice and Aristotelean Rhetoric", in Freedman, Pringle and Yalden, **Learning To Write : First Language/Second Language**, Longman, 1983.
7. Madsen, H., S., **Techniques in Testing**, Oxford, 1983
8. Mattar, Q.M.S., (1986) "Where are we, what are we doing and How in English Literature", Paper read at the **Sixth National Symposium of English**, March, 1986.
9. Pincas, A., **Teaching English Writing**, Essential Language Teaching Series, Macmillan, 1982.
10. Raimes, A., (1983), "Anguish as a Second Language", in Freedman, Pringle and Yalden, **Learning to Write : First Language/Second Language**, Longman, 1983.
11. Salama, Y., "Psychological Needs and Arabic Teaching", Paper read at a conference, Faculty of Arts, Alexandria University, Arabic Language: its status and how to improve on it. , 1981.
12. Thornton, G., **Teaching Writing : The Development of Written Language Skills.**, Edward Arnold, 1980.
13. Valette, **Modern Language Testing**, Harcourt, Brace, Jovanovitch, 1977.
14. Widdowson, H., (1983), "New Starts and Different Kinds of Failure" in Freedman, Pringle and Yalden, **Learning to Write : First Language / Second Language**, Longman, 1983. .

WILLIAM OF TYRE : A HISTORIAN OF THE CRUSADES AND THE KINGDOM OF JERUSALEM (c.1130-84)

by

PETER W. EDBURY

(University College Cardiff)

No one can read very far in any study of the crusades to the Eastern Mediterranean in the twelfth century AD without coming across references to William, archbishop of Tyre, and his historical writing. William's History covers the period of the First Crusade of 1095-9/488-92 and then describes the fortunes of the kingdom of Jerusalem, the kingdom set up by the crusaders in Palestine immediately after the Crusade, from then until his own day, stopping in the year 1184/580. It is a major work of medieval historical writing, much of it our only source for the events concerned. It is also a long work – the new edition of the Latin text fills about a thousand pages, as does the older and well-known English translation of Babcock and Krey.[1]

William's History is an essential source of information for the history of the states founded by the crusaders in the twelfth century, but, as is true of all historians, his information was not invariably correct and his understanding sometimes may have been wrong. He also wrote with a purpose – medieval writers of history, at least those in the intellectual of western Europe, did not write history simply for its own sake – and, like all men who hope to influence their readers, his intentions in writing would have shaped what he had to say and how he said it.

Some appreciation of William's message and his intentions are important for all modern historians who want to use his work. We need to understand why he wrote in the way he wrote if we are to be able to assess the historical value of his statements. We also need to know when he is being a propagandist and for what, just as we need to know when he is well informed and when his information is less likely to be correct.

The easiest approach to his history is consider the man himself and the circumstances under which he was writing. In fact we know quite a lot

about his career. In 1962 Professor R.B.C. Huygens of Leiden University discovered the missing chapter (Book XIX, chapter 12) in which William told of his own early career and his studies in western Europe[2]. It had long been known that there was such a chapter – in several manuscripts its heading is included in the table of contents – but in all the manuscripts except one it is lacking, and it so happens that no one had previously studied this particular copy of the work. (Unfortunately the chapter has never to my knowledge been translated out of the original Latin into any modern language; Babcock and Krey, the two scholars responsible for the English translation, were at work long before 1962.) Thanks to this discovery we now have far more information about William's personal history. He seems to have been borne around 1130/524 in Jerusalem itself, a member of a leading burgess family. For almost twenty years he studied in western Europe – in France at Paris, Chartres and Orleans and in Italy at Bologna – and eventually, in 1165/560, he returned to the Kingdom of Jerusalem. Like all educated men of his age he was destined for a career as a churchman, and he soon received ecclesiastical posts in the cathedrals at Akko and Tyre. But in fact he had entered the service of the king of Jerusalem, King Amarlic. It was common at this time throughout western Christendom for kings to employ priests in government service, rewarding them with church appointments over which they had influence, and William, as an educated man who embarked upon a career in government employment in this manner, was typical of his age.

In 1168/563 Amarlic sent William on an embassy to the Byzantine emperor, Manuel Comnenus. Then from 1170/565 he was the tutor to Amarlic's son and future successor, the leper king Baldwin IV, and indeed William claimed that he himself had been the first to realize that the young prince was suffering from leprosy. He also tells us that Amarlic had asked him to write his history and also a history of the Muslim world which alas has not survived, although I do not think we should read too much into these statements. Certainly in its completed form the work is not an "official" history of the kingdom, and Amarlic himself emerges from its pages as one of the least attractive of the kings.

In 1174/569 King Amarlic died. His son Baldwin was too young to rule and so after a brief interlude a regency was established under Amarlic's cousin, Count Raymond III of Tripoli. It was presumably thanks to Raymond's patronage that towards the end of 1174/570 William became chancellor of the kingdom and then in 1175/571 archbishop of Tyre. As

archbishop of Tyre he ranked second only to the patriarch of Jerusalem in the Church; as chancellor he was in charge of the royal writing office.

It is at this point that we get into difficulties. As we read the History we find William emphasizing his ecclesiastical role: conducting funerals, attending Church councils and the like. To a large extent he gives the impression of having withdrawn from royal service and to have been concentrating on his religious duties. In 1177/572-3 it is true he was engaged in diplomatic dealings with Count Philip of Flanders, and in 1182/578 he was appointed a receiver of taxes. But these tasks may not have amounted to very much. As for his role as chancellor, we find that in the mid 1170s he had a deputy to perform his functions for him, and in 1183/578 he leaves us in no doubt that he was absent from the important council which appointed Guy of Lusignan regent for the king who by now was very ill with leprosy. So it looks as if William had become a conscientious bishop and had largely given up being a royal servant and politician.

The problem is did he choose to concentrate on his duties as an archbishop, or was he forced out of politics by his opponents and so had little else to keep him occupied? Most of the books give the impression that for much of Baldwin's reign William was in a political wilderness. Raymond of Tripoli was out of power from 1176 until 1183, while his enemies led by the queen mother were in the ascendant, and, so the story goes, William suffered because he had been Raymond's protégé. Is this accepted opinion correct? I'm not sure that it is. It is true that in one place William launches into an attack on the queen mother. It is also true that in 1180/576 he was passed over for promotion to the patriarchate of Jerusalem in favour of Eraclius, the archbishop of Caesarea. In the past Eraclius has had a bad press, but recent work has stressed his abilities; it may well be that his appointment was largely on merit and that the scandalous allegations against him were no more than hostile gossip.[3] Concerning all these issues there is much that has to remain uncertain – as also for example there is over the date of William's own death. But rather than allow myself to become enmeshed in the finer details of the subject of William's career in the time of Baldwin IV – a subject which could occupy a whole lecture – I should like to think more generally about his one great surviving historical work

Schoolars, politicians, churchmen. William of Tyre was all three. We know that he had begun work on his history by 1169/564 because in one place he explicity tells us so. He was still writing in 1184/580 as he makes clear in his prologue, and he ends with events from the early part of that year. So he was at work over a fifteen-year period. This is a long time, and there are three developments which were taking place during these years which are essential if we are to understand his History and the assumptions which lie behind it.

(1) The growth of Muslim power. In the 1160s King Amaric of Jerusalem was on the offensive. The Fatimid regime in Egypt was weak and Amaric was attempting first to place Egypt under tribute and then to conquer it. But this agressive policy failed. As is well known, Nur al-Din, the ruler of Damascus and Aleppo, sent his army to Egypt, and in 1169/565 his commander, Shirkuh, took power. Shirkuh was followed by his nephew Salah al-Din, and in 1171/566 Salah al-Din did away with the Fatimid dynasty once and for all. When in 1174/569 Nur al-Din died, Salah al-Din usurped power in Damascus. The kingdom of Jerusalem was now surrounded. Until 1183/579 Salah al-Din concentrated his efforts on capturing Aleppo, but from 1174/569 the Muslims were a far greater threat to the crusaders than ever before, and William of Tyre was clearly well aware of this fact.

(2) The problem of Baldwin IV. Baldwin was a leper. At the time when the Muslim threat to their kingdom was greater than ever, the crusaders settled in the East had saddled themselves with a king who was chronically ill and so unlikely to be able to give either the political or the military leadership required. Because of his illness he could not marry and have heirs, and so at his death there was certain to be a dynastic crisis. Under these circumstances it comes as no surprise to find that political factions developed among the baronage of the kingdom.

(3) The decline of Byzantine influence. In the past the Byzantine empire had intervened directly to aid the crusaders in the East. In 1169/564-5 there had been a joint expedition against Egypt and as late as 1177/572-3 there were proposals for another joint expedition. In the 1150s people had believed that the Byzantine under Manuel Comnenus could and would aid the Crusaders. But after about 1170 things were going wrong. In 1176/571 Manuel was defeated by the Turks at Myriokephalon: at the

Some time the fleet was being run down; in Cilicia the Armenians were taking control. In 1180/576 Manuel died, and his death was followed by a prolonged and bloody dynastic crisis. By the mid 1180s Byzantium could do nothing to help the crusaders even if the emperor had wanted to, and the emperor had wanted to, and the emperor, the violently anti western Andronicus Comnenus, did not want to.

So in the years that William of Tyre was at work there was a growing Muslim threat, the king was an invalid and the crusaders could no longer expect any help from Byzantium.

So how did he set about writing? As I said earlier, he returned to Palestine in 1165/560. His account of the early 1160s is thin, but suddenly, in 1167/562 with the description of King Amarlic's largely successful campaign of that year into Egypt he becomes very detailed. It could well be that this was the first thing he wrote. Some historians have gone further and have suggested that his original intention was simply to write a history of King Amarlic's reign, perhaps modelled on Einhard's life of Charlemagne. William, writing at Amarlic's request, could have started with the intention of telling the story of his king's conquest of Egypt. It was not to be, and even if William had started with this intention, the finished work as it survives to this day is completely different.

William wrote in Latin, and so there can be little doubt that he intended that his work should be read by other clergy — normally the only people who would have been capable of reading it. The opening books retell the history of the First Crusade and here William adapted the earlier writings he had at his disposal including the Gesta Francorum, Fulcher of Chartres, Albert of Aachen or perhaps a common source that he and Albert both used. After the First Crusade we find an increasing use of material not to be found in any of the surviving chronicles. The last of these sources is Fulcher of Chartres who had taken his account as far as 1127/521. So William either had other writings available to him which have not survived, or was relying on the memories of men and women older than himself to cover the period from the 1120s until his own return to the East in 1165/560. It is not surprising therefore that we find his chronology is slightly wrong in places or his information inadequate. For example, he was frequently in error concerning the accession dates of the kings of Jerusalem, and in writing about the Second Crusade of

1147-8/542-3 it is clear that he did not know much about what actually happened either in Asia Minor or at Damascus.

After 1165/560 William was back in the East and was an eyewitness. But of what? Reading his account carefully it would seem that he did not ever go with the army on campaign as many other clergy did. He was well-placed as a royal servant and archbishop to know what was going on, but he seems not to have been a participant in much of what he describes.

But anyhow, William worked away at his history; tutor to the future king; then chancellor and archbishop. Exactly how fast he worked and how his work proceeded is hard to tell. But what we do know is that in the early 1180s he was engaged in making extensive revisions. Every so often he makes statements which draw attention to this fact, and most if not all of these instances were duly noted by Krey in the footnotes to his translation. What I believe happened was this. In 1179/575 William attended the Third Lateran Council. This was a gathering of catholic bishops from all over Christian Europe held in Rome, summoned by the pope, and William was in fact away from Tyre for almost two years At Rome he met his counterparts from among the clergy of the West and the conversations he would have had with them would have made him more concious of what it was that he wanted his readers to know. When he come to dedicate his work, he offered it to his "venersble brothers" – in other words, his fellow bishop. These were the people he had met in Rome. Having met them he could now see far more clearly what they needed to be told and he revised his work accordingly.

At one level he realized that he ought to remind his readers in the West that the Church in the East – the Catholic Church, that is, of which he was a representative – was an integral part of Christendom, and it seems likely that in the course of his revisions he introduced much of the material into his history which related to church affairs. Partly he was hoping thereby to hold the attention of his audience, but also he was trying to emphasize the point that the Kingdom of Jerusalem was a province of Christendom and therefore entitled to the support of the other provinces of Christendom in western Europe.

But there was far more to it than this. What I suspect he found at the Lateran Council was a remarkable ignorance about the history and the

present conditions in the kingdom of Jerusalem. He would have come across a number of ideas with which he would have disagreed and would probably have found deeply disturbing. He had to point out that the kingdom was in danger Salah al-Din was ever more threatening and that the crusaders needed western help. It was no good people in the West saying "Let's leave it to the Byzantines", because there was no longer any help to be had from that direction. At one time, it is true, William had imagined that Byzantium would help, and it is interesting to trace his changing attitude from the cautious optimism about Byzantine assistance when writing about the events of the 1140s and 1150s to his virulent hostility at the end of his career when recording developments in Constantinople in the 1180s.

But there were other points which William had to answer. In particualr there was the belief in western Europe that the crusaders settled in the East were obstructing western efforts to assist them, and secondly there was the idea that the king's illness and consequent incapacity was itself a reason why people in the West were not coming to the defence of the Christian Holy Places in Jerusalem as they might.

Two episodes in particular had damaged the reputation of the Kingdom of Jerusalem in the eyes of the West: the Second Crusade and its failure outside the walls of Damascus, and the expedition of Count Philip of Flanders to the East in 1177-8/573-4. Why did the Second Crusade fail? People in the West had blamed the crusaders settled in the East, and in his account of the expedition William was careful to ensure that the responsibility for its failure was laid upon the western participants and not on his compatriots among the eastern settlers. The failure of the Second Crusade certainly made raising further crusades in the West more difficult. But a few years later, in 1153/548, the king of Jerusalem, unaided by western support, captured the important city of Ascalon. William described this success in theological terms. It was a victory bestowed by God, and in William's eyes the failure of the Second Crusade was effaced: the Christian success at Ascalon was God-given and so the settlers in the East were vindicated.

Much more recent was the expedition to Jerusalem of Count Philip of Flanders. He was a western nobleman and a close relative of King Baldwin IV as well as of the kings of France and England. In Jerusalem he achieved

nothing; at Antioch he participated in the unsuccessful siege of Harim, and he then returned home with nothing to show for his efforts. It is easy to imagine that he would have blamed the Palestinian Franks for his failure, and his tales would have helped confirm people in the West in the impression that the settlers in the East could not be aided because they themselves refused to allow westerners to do anything worthwhile even when they went to the trouble and expense of going to Jerusalem. William of Tyre tried to head off such criticisms by going out of his way to suggest that Philip's failure in the East was the result of his own stupidity and lack of tact. And he goes further. In 1177/573, while Philip was in Antioch, the king of Jerusalem had won a major victory over Salah al-Din near Ramla at a place William calls Mont Gisard[4] It was another God-given victory - a miracle. William uses the same sort of language that he had for the victories of the 1st Crusade and the capture of Ascalon of 1153. God had favoured His people in a miraculous way; simultaneously the actions of the count of Flanders had come to nothing. His readers could draw their own conclusions.

So God is on the side of the crusaders settled in the East: therefore, by implication, if Christians in the West genuinely want to help - rather than behave with high-handed arrogance like Philip of Flanders - they can be assured of a welcome and the chance to join in future God-given victories.

But there was still the problem of the leper king, Baldwin IV. William went out of his way to portray him in a favourable manner so as to avoid all possible criticisms. Firstly, Baldwin was the rightful king. Throughout his History William was careful to stress that each new king was legally entitled to be king, both by descent from the previous king and by undergoing a proper coronation at the hands of the bishops. Baldwin IV was no exception, although in his case there was a problem: his parents had been divorced. But William nevertheless insisted on his legitimacy. He was the true heir of Godfrey of Bouillon and Baldwin I, the heroes of the First Crusade.

Secondly, despite his illness, Baldwin was a surprisingly effective king. He himself is cast as a sort of tragic hero. On a number of occasions, he led his army on campaign. Indeed, I think that William may have overstated his argument in certain respects. In 1177/573 at least there is good evidence to suppose that the Christian army which defeated Salah al-Din at Mont Gisard was commanded not by Baldwin, as William claimed, but

by Raynald of Châtillon, the leading baron whose later behaviour was said to have brought about Salah al-Din's invasion in 1187. But the meaning is clear. Baldwin was the rightful king and had been born to a long line of successful kings stretching back to the time of the First Crusade.

Then, at the very end of his History, William was able to show that although Baldwin had had to relinquish his control the kingdom of Jerusalem was now safely in the hands of the most capable man in the kingdom, none other than his own patron, Count Raymond III of Tripoli.

So what then is William's message? The kingdom of Jersalem needs western aid. It deserves western aid. The History is not in itself an appeal for a new crusade; rather it is an attempt to educate opinion through that the defence of Jerusalem is the concern of all Christian and provide an apologia for the deeds of the crusaders who had settled in the East. The First Crusade had been a triumph given by God; later victories down to the present as at Mont Gisard have similarly been triumphs given by God. The kings had all been able - even the lepar king Baldwin IV. The whole work is propaganda for the kingdom of Jersualem - an attempt to put the kingdom in a more favourable perspective than was normal at that time.

There is much else I might say. But let me end with just one more point. Aa we read this work, we all know what happened next: in 1187 the army of the king of Jerusalem was crushed by Salah al-Din and Jerusalem recovered for Islam. But by then William was dead. He had not lived to see the growing Muslim threat to the crusaders come to fulfilment. But anyone who had read his work before 1187 and understood the gorwing power of the Muslims and the difficulties facing the Kingdom of Jerusalem would not have been too surprised to learn how things turned out.[5]

[A lecture delivered in the Faculty of Arts of the University of Alexandria on 3 February 1987.]

Notes

(1) A new edition of the Latin text which will now supercede the nineteenth-century edition in the **Recueil des Historiens des Croisades** has been edited by R.B.C. Huygens as **Willelmi Tyrensis Archiepiscopi Chronicon** (Corpus Chirstianorum Continuatio Mediaevalis, 63–63A; Turnholt, 1986). The English translation by E.A. Babcock and A.C. Krey was published as **A History of Deeds Done Beyond the Sea** (New York, 1943).

(2) R.B.C. Huygens, 'Guillaume de Tyr étudiant. Un chapitre (XIX, 12) de son "Histoire" retrouvé', **Latomus**, 21 (1962), 811–29.

(3) See B. Hamilton, **The Latin Church in the Crusader States: The Secular Church** (London, 1980). 79–84; B.Z. Kedar, 'The Patriarch Eraclius' in **Outremer: Studies in the history of the Crusading Kingdom of Jerusalem** (Jerusalem, 1982), 177–204.

(4) For a discussion of the location of this battle, see M.C. Lyons and D.E.P. Jackson, **Saladin: The Politics of the Holy War** (Cambridge, 1982), 123.

(5) A study on William of Tyre by P.W. Edbury and J.G. Rowe entitled **William of Tyre: Historian of the Latin East** is to be published by the Cambridge University Press in 1987 or 1988.

J.Fac. Arts, Alex. Univ., 1987.

MESOSCOPIC FRACTURES AND AIRPHOTO LINEATIONS OF AD-DAWADIMI AREA, PROVINCE OF AR-RIYADH, SAUDI ARABIA

By

Mohammad Ramadan Mohammed

Department of Geology, Faculty of Science, Alexandria University, Alexandria, Egypt.

ABSTRACT

Mesoscopic fractures within and area of about 250 sq. km. adjacent to Ad-dawadimi city constitute three systems; J1, J2 and J3 comprising six sets. J1 trends generally NEE and has two sets that are either parallel or including small horizontal dihedral angle. J3 is almost normal to J1 and has two sets with the same conditions. J2 consists of two sets striking diagonally to J1 and J3 and including horizontal dihedral angle, approximate average; 55° to 70°, in between and around J1. The fractures cut through Precambrian rocks.

Photographic lineations within an area of about 2100 sq.Km. including the previous area are analysed. They show preferred directions to NNE, NE, E and SEE. Such trends are well correlated to J1 and J2 but poorly correlated to J3. Local differences in the preferred directions are related to variable multi-stress directions probably originated from the tensional character of the old magmatism within this part of the Arabian shield.

Fractures in the studied area are related to two episods The earlier one developed multidirectional tensional fractures mostly filled by dyke intrusions. The succeeding episode, probably caused by NEE-SWW compression, led to the formation of the six sets of fractures related mostly to J1, J2 and J3.

INTRODUCTION

The studied area occurs at the extreme eastern parts of the Arabian shield, including the city of Ad-dawadimi at its northern parts (Fig. 1). It is bounded by the longitudes 44° 11' & 44° 33' E, and the latitudes 24° 19' & 24° 30' N, comprising about 2100 sq. Km. The air photographic linear features are studied within the whole area, inside dashed line rectangle in Figure 1 – b, while the mesoscopic fractures are studied in the field within a part of the area, mostly rectangle B of Figure 5.

The general geology of the area, after Bramkamp et al (1963), is shown in Figure 1 – b. Gneissic granite covers most of the area, an amphibolite complex forms a block of a boss dimensions and chlorite and sericite shist appears at the eastern and western borders of the studied area. Numerous dykes cut the area.

Two Precambrian orogenic cycles affected the region, named by Brown (1970 & 1971) as Higaz and Najd orogenies. The older one "Higaz" was dominated by east - west compression giving north - northeasterly to meridional structural belts (folds and faults, locally overthrust beds). The succeeding and partially overlapping orogeny "Najd" is distinguished by a change in direction of pressure giving rise to northwest strike - slip faults (Fig. 2).

Stoeser and Camp (1984) divide the Arabian shield into five microplates (terranes) separated by four suture zones. The studied area occurs within the Al Amar suture zone (Fig. 2) that separates the two microplates named Ar Rayn to the east and Afif to the west of it. Collision between them resulted in widespread '670 – 360' Masynorogenic plutonism (Clavez and others 1983) with a NNW linear pattern, approximate trend of which is about N155°.

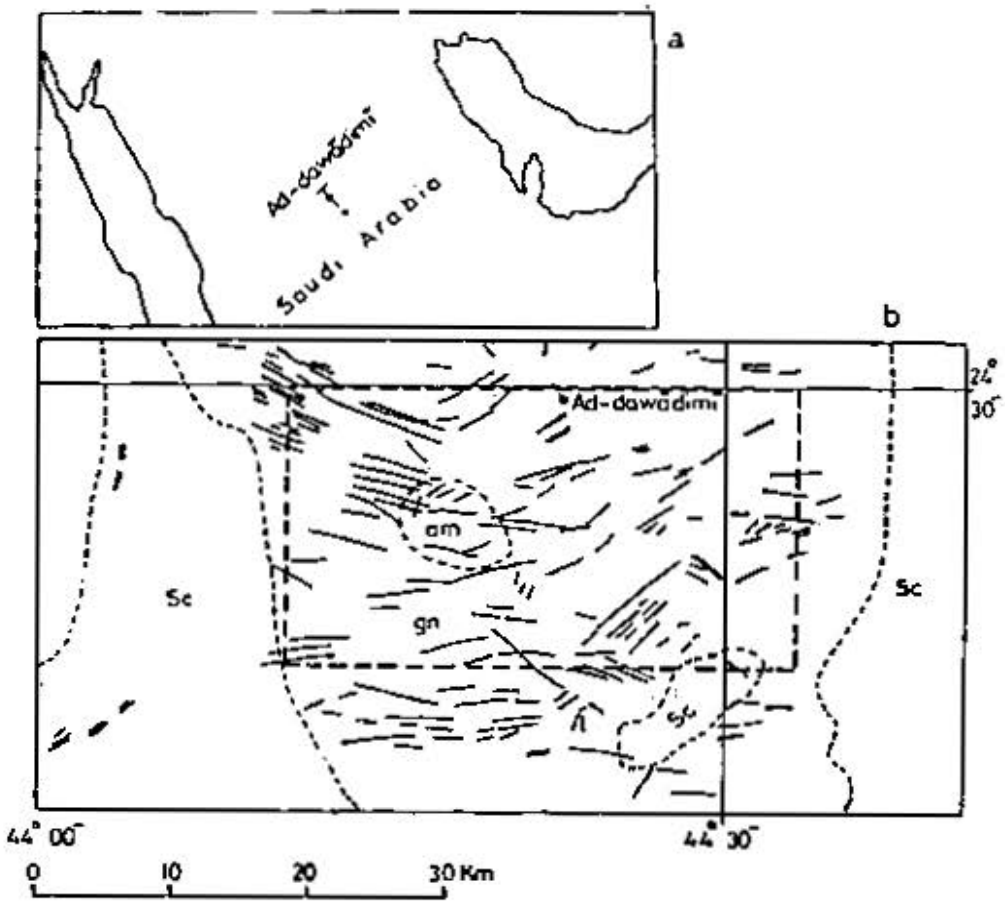

Fig.1-a;Location map of the studied area. b;General geology of the region including the studied area (inside dashed line rectangle);am;amphibolite,gn gneissic granite, sc;schist and —/—;dykes (after Bramkamp et al 1963)

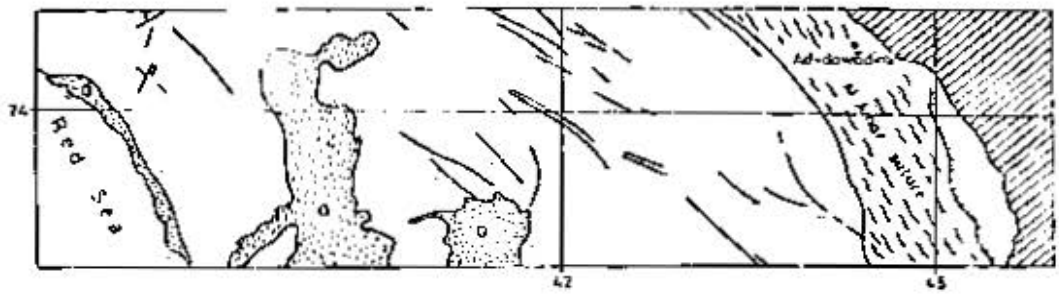

Fig. 2

Fig. 2-Regional fractures, mostly transcurrent faults, cutting the Arabian shield adjacent to the project area ; Arabian shield , Arabian shelf and Quaternary (After Brown 1971) Orogenic belt of Al Amar suture within the shield (after Stoeser and Camp 1984)

Fig. 3-A; Mean strikes of the mesofractures measured in the field, amphibolite, granite, B; Pole contour diagram of these fractures 169 poles, ; > 5.3%, ; 3% to 5.3% ; 0.6% to 3% and ; < 0.6%, C; Mean planes of the maxima shown in B

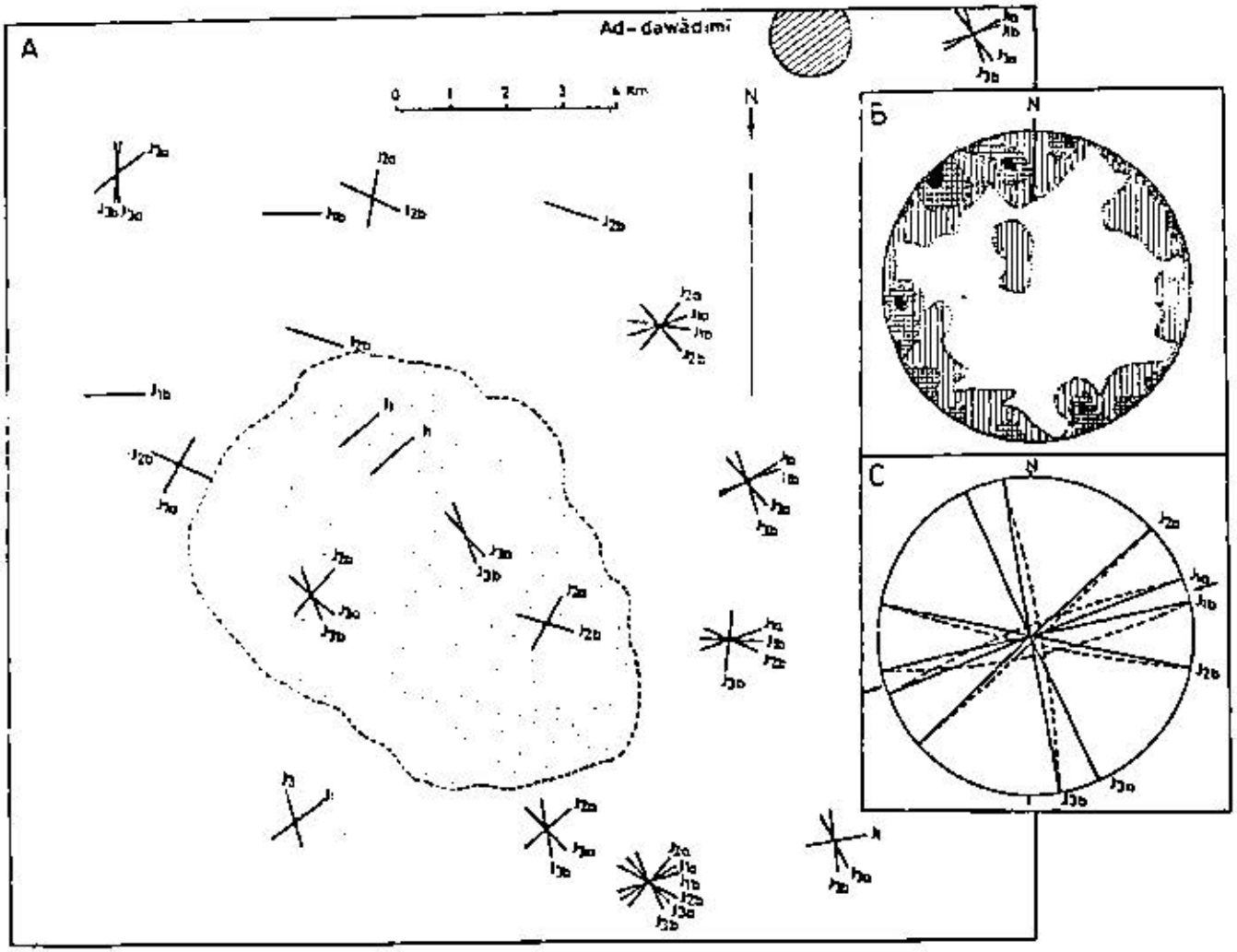

Fig. 3

MESOSCOPIC FRACTURES

Fracture cleavage, Joints, minor faults and fracture filled by rock and mineral dykes are measured, dip and strike, and noticed in the field at twenty stations (Fig. 3). The stations occur mostly within rectangle B of Figure 5 which is relatively rich by photographic lineations. Fracture cleavage are almost well developed in the dyke intrusions, parallel to the walls of the dykes or slightly inclined (Pl. I – A). They are considered here as defined by Spencer (1977) as closely spaced parallel joints and fractures. The density of them in the studied area reached 90 planes within one meter length normal to fracture planes.

The jointing ranges from small planes cutting for small vertical distances; usually less than 5 meters, and medium size joints, roughly between 5 and 15 meters vertical length to master joints extending for more than 20 maters. The density varies from 50 per 10 meters length normal to the joint planes for smaller joints to 5 or even less for the master joints.

The mesoscopic fractures exist mostly as vertical to subvertical planes. Some fractures were opened and filled by igneous dykes or by hydrothermal minerals (Pl. I – B), such fractures are considered as extension fractures. Those that are straight, tight and usually without filling materials are considered as shear fractures. They exist in the studied area in two sets (J2a and J2b) comprising horizontal acute angle of about 40° to 80° in between, the bisectrix of which trends NEE – SWW (Fig. 3 – C). Fracture cleavage are developed also parallel to them (Pl. I – A).

Six sets of fractures (Fig. 3 – A) are distinguished by field measurements. The poles of the fracture planes projected on the lower hemisphere equal area Schmidt net and contoured by the Schmidt grid method (Fig. 3 – B & – C) show also six maxima comparable to field sets. Azimuthal directions, clockwise from N to E, of the mean fracture planes of each set as detected by both field measurements and pole contour diagram are shown in Table 1, classified under the three systems J1, J2 and J3, each includes two sets; a and b.

Table 1 : Mean planes for the fracture sets of the studied area.

System	Set	Trend	
		Field data	Pole maxima
J1	J1 a	N060° E	N069° E
	J1 b	075	078
J2	J2 a	040	047
	J2 b	110	102
J3	J3 a	145	155
	J3 b	165	171

J1 is almost normal to J3 (Fig. 3 - C) and the two sets forming each of them are either parallel or comprising small dihedral horizontal angle in between (Fig. 3). Both are interpreted as extension fractures. Some of these fractures were filled by igneous rocks and minerals, later cut by younger trends of J1, J2 and J3. Younger fractures of J1 and J3 are almost barren, slightly opened and sometimes irrigular with matching margins.

In order to distinguish the older extensional trends, an azimuth frequency diagram (Fig. 4 – B) is plotted for the mesoscopic and larger dykes, approximately within the area of field measurements (Fig. 4 – A). This diagram shows that the dykes are mostly diffused within a broad azimuthal area between NE clockwise to SEE including three preferred trends; (N030° – 040°), (N050° – 060°) and (N090° – 110°) which are subparallel to J2 a, J1 and J2 b respectively. They almost reflect directions of old tension fractures with local stress variations. El – Eir (1971) discussed a similar problem. He stated that once a tension set of fractures is filled by dyke intrusions it cezses to act as channel ways for further injections anymore. This leads to local changes of stress orientation allowing the devlopment of new set of tension fracturesaronnddifferent trend. These multidirectional older extension fractures were almost superimposed by younger systematic sets of mesoscopic fractures of the systems J1, J2 and J3.

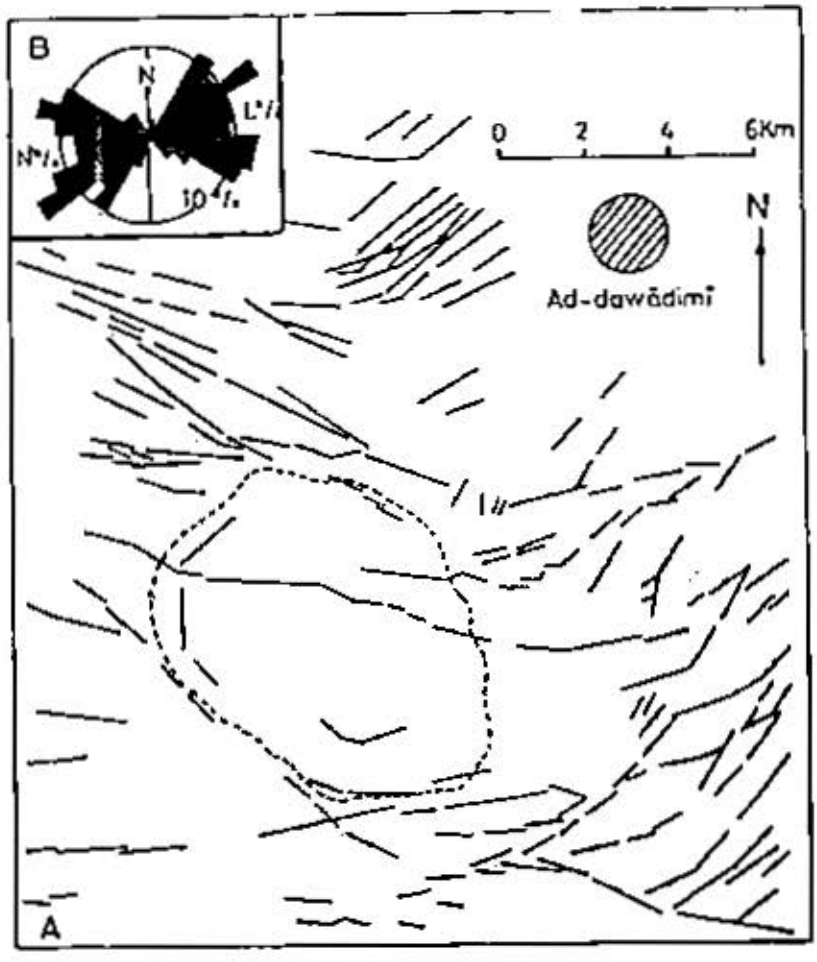

Fig. 4-A; Dyke lineations, nearly for area of rectangle B of Figure 5, B; Azimuth frequency diagram for these lineations

The northwesterly trending [illegible] strike-slip faults (Fig. 2), having approximately the general trend N130°, do not show good correlation with any of the identified sets of fractures. Better correlation is obtained if considering the NNW linear pattern related to the Al Amar suture zone (Fig. 2) and trending approximately N155°. This trend may be considered roughly as parallel to the acute bisectrix of the angle between J3 a and J3 b. J1 is generally normal to it. The normal to this trend may be considered as the acute bisectrix between the two conjugate sets J2 a and J2b, the mean of the acute angle in between ranges between 55° and 70°.

A compressional stress trending NNW – SSE (nearly N037.5°), as indicated by the two arrows in Figure 3 – C, acting more probably after the granditoid emplacement; contemporaneous and probably also after injection of the dykes, is proposed as responsible for the identified three systems. The model presented by Price (1966, p. 144) supports this view. Such stress is responsible for J1 (tension) parallel to it, J3 (tension) normal to it and for the two shear fracture sets of J2 oblique on both sides of it.

AIRPHOTO LINEATIONS

Uncontrolled mosaic for the studied area is built by aerial vertical photographs of average scale 1 to 80.000. Linear features of the area are plotted using this mosaic. About one thousand of such features are distinguished (Fig. 5). They include dyke ridges, fractures without injections, linear valleys, scarps, tonal variations, and linears separating geologic features of different textures. The area is almost dry and barren without vegetation lineaments.

In order to obtain a homogeneity in the prepared orientation diagrams, the area is subdivided into 8 rectangles and an azimuth frequency diagram is built for each one (Fig. 6). The eastern halves of the diagrams represent the length percentages of total lineations within azimuthal classes of 10° from the sum lengths of lineations in each rectangle while the western halves represent the corresponding number percentages.

The plotted linear features are almost microlinears; below 2 Km. in length, only about 5% from the total number of linears exceeds 2 Km. and up to 5 Km. in length.

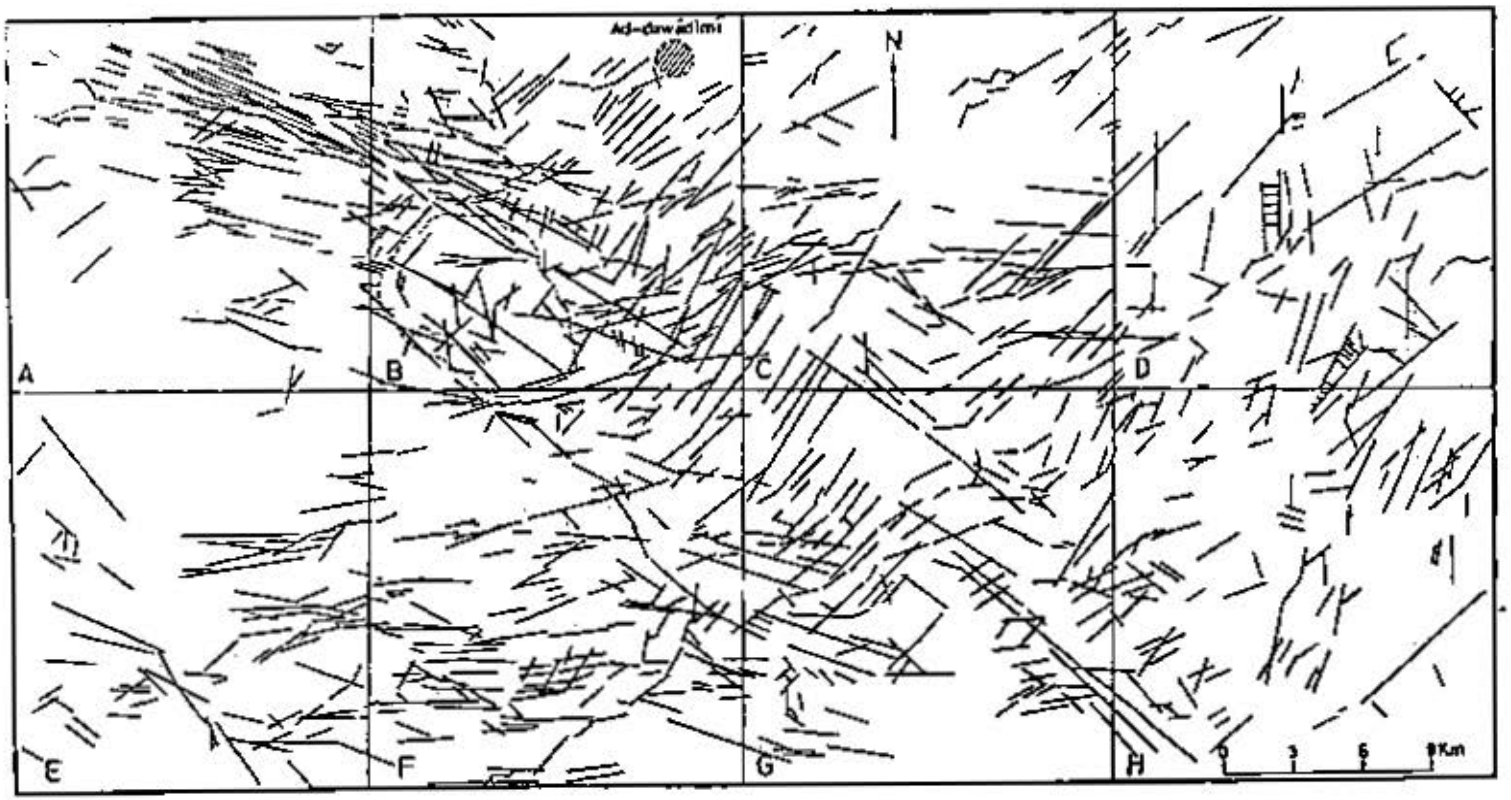

Fig. 5- Air photo lineations of the studied area

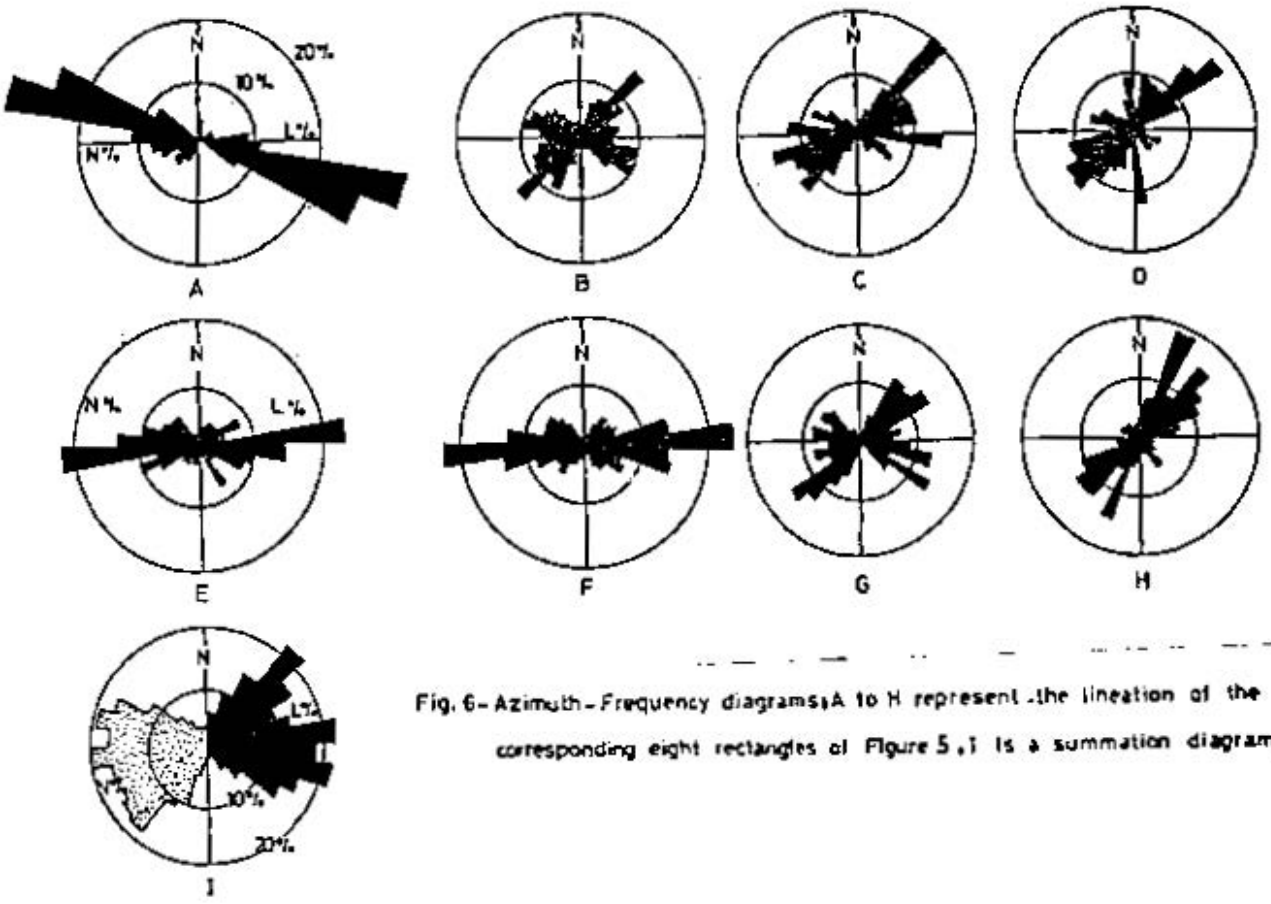

Fig. 6 - Azimuth - Frequency diagrams; A to H represent the lineation of the corresponding eight rectangles of Figure 5, I is a summation diagram.

Preferred directions appeared on the azimuth frequency diagrams are generally to NNE, NE, E and SEE (Fig. 6) with slight local variations. A preferred trend to north appears only in rectangle D. The length percentages of all the maxima are almost slightly larger than the corresponding number percentages, either both are nearly equal. This may denote that they probably reflect mesoscopic to regional fractures rather than microfractures and joints.

Nearly all the preferred trends have diffused lineations forming smaller maxima around it, sometimes of considerable frequencies as shown in the rectangles A & F, Figure 6. They represent local scattered mesoscopic fractures subparallel to the adjacent preferred trends.

Preferred trends that may be regarded as being represented locally as well as regionally are those in NE; (N030° – 040°) and (N040° – 060°) and SEE; (N100° – 120°) and (N120° – 130°) directions.

The summation diagram (Fig. 6 – 1) representing all the lineations in the area shows preferred trends in NE; (N040° – 050°), E; (N080° – 090°) and SEE; (N100° – 110°).

LINEATIONS AND FRACTURES

Comparing the photographic lineations with the fracture sets obtained by field measurements, especially those of rectangle B of Figure 5, in which field measurements were focused, the preferred lineation trends are almost subparallel to the four sets of fractures forming J1 and J2. J3 has no comparable lineation predominant trend. Most of the lineations have probably developed along older trends of J1 and J2; Precambrian multidirectional tensional fractures, while younger trends of them together with J3 are not yet expressed topographically obviously as the older ones.

REFERENCES

Bramkamp, R.A., Ramirez, L.F., Brown, G.F. and Pocock, A.E., 1963, Geologic map of the Wadi Ar-Rimah quadrangle, Kingdom of

Saudi Arabia: U.S. Geol. Survey Misc. Geol. Inv. Map I-206B, Scale 1:500,000.

Brown, G.F., 1970, Eastern margin of the Red Sea and the coastal structures in Saudi Arabia: Royal Soc. (London) Philos. Trans., v. 267, no. 1181, p. 75 - 89.

Brown, G.F., 1971, Tectonic map of the Arabian Peninsula: U.S. Geol. Survey Saudi Arabian Project rept. 134.

Calvez, J.Y., Alsac, C., Delfour, J., Kemp, J., and Pellaton, C., 1983, Geological evolution of western, central, and eastern parts of northern Precambrian shield, Kingdom of Saudi Arabia: Deputy Ministry for Mineral Resources Open - File Report B GM – OF - 03 - 17, p. 57.

El-Etr, H.A., 1971, Analysis of airphoto lineations of Darheeb district, south Eastern Desert: Annals Geol. Survey, Egypt, v.1, p. 93 – 108.

Girdler, R.W. (ed), 1972, East African rifts: Amsterdam, Elsevier.

McConnell, R.B., 1972, Geological development of the rift system of Eastern Africa: Geol. Soc. America Bull., v.83, no. 9, p. 2549ff.

Price, N.J., 1966, Fault and joint development in brittle and semi-brittle rock: Oxford, Pergamon.

Spencer, E.W., 1977, Introduction to the structure of the earth: New York, McGraw-Hill.

Stoeser, D.B. and Camp, V.E., 1984, Pan-African microplate accretion of the Arabian shield: Saudi Arabian Deputy Ministry for Mineral Resources, Open-File Report USGS – TR - 04 – 17, p.26.

PLATE I

A Fracture cleavage cutting through thick basic igneous dyke and existing in two sets, J2a; approximately normal to the plane of the photograph and J2b; slightly oblique on this plane. the hammer rests on a surface of J2b.

B Extension fractures (J3) filled by thin hydrothermal mineral vienlets.

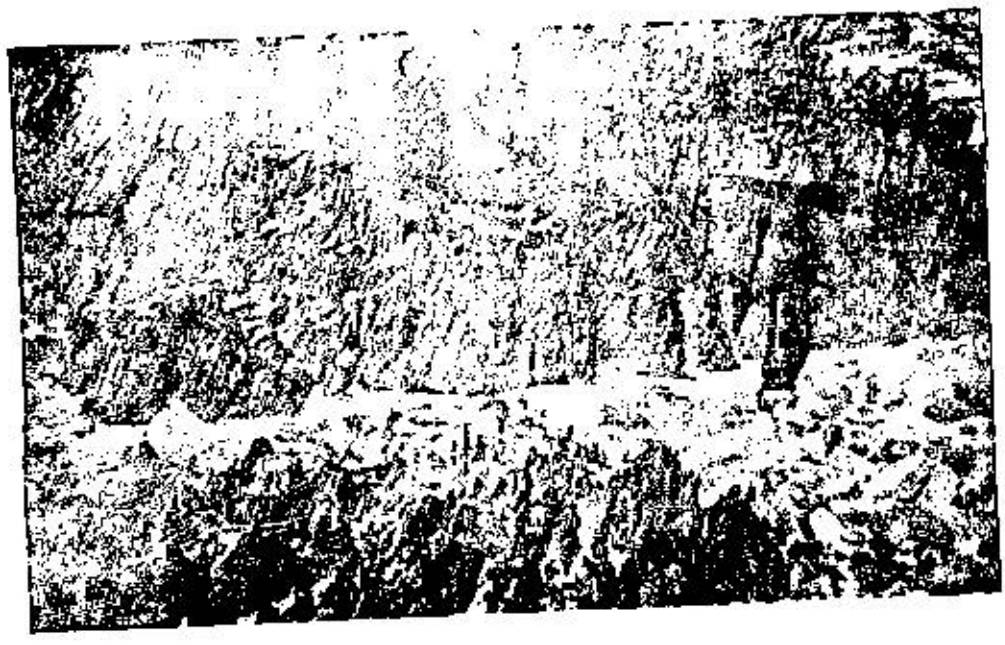

A

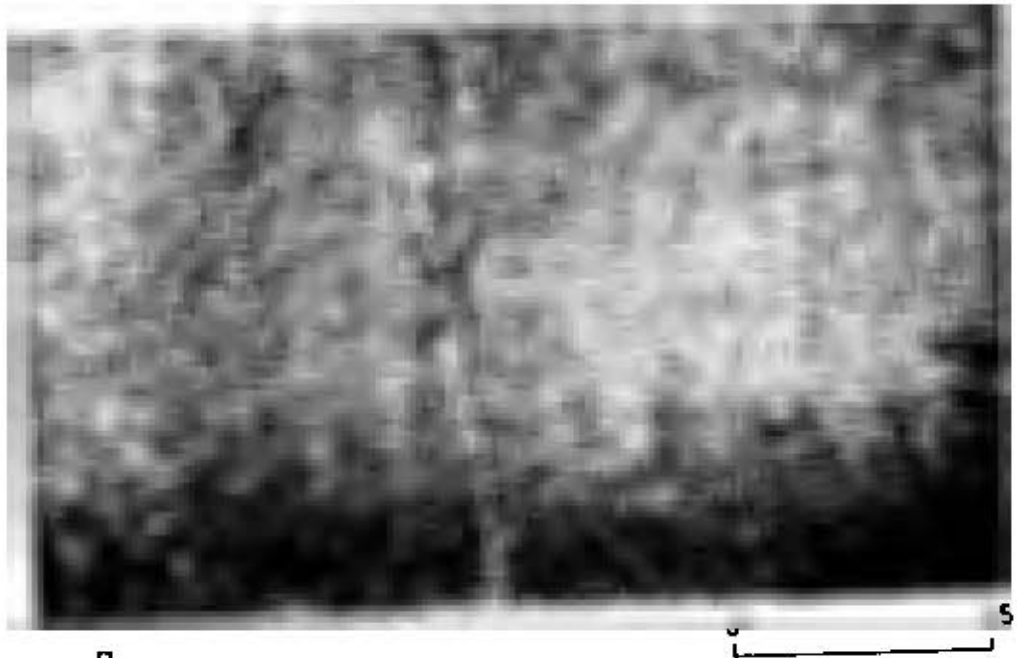

B

PLATE I

Epidemics In Ancient Greece
The Great Pestilence In Athens
(430 B.C)

Hussein A. El Sheikh, Ph.D.
Faculty of Arts
University of Alexandria.

Epidemics in Ancient Greece
The Great Pestilence in Athens
(430 B.C)

The term (NOSOS)[1] by which Thukydides identified the great epidemic or disease, which began for the first time to show itself among the Athenians[2], had formerly been a term of common use.[3] The term was used widely denoting sickness, diseases of both body and mind, the plague, fever and epidemics. Sometimes (LOIMOS) or (PURETOS) are almost synonymous terms in use, but it is obvious thet (NOSOS) was much common in use.[4].

The first mention of (PURETOS), the most general term for fever[5], is in Homer[6] who states that the Dog-Star brings much PURETOS upon

1. Due to Difficulties in printing Greek letters, I hereby will transliterate Greek terms or names into English.
2. Thuk., II, XLVII. 3.
3. Thuk. used the same terms to describe some other diseases such as fever, and throat and voice problems, due to the lack of medical terms.
   Adam Parry, The Language of Thucydides, a description of the plague, Bulletin of the Institute of Classical Studies, XVI (1969), pp. 106-118. Cf. Vivian Nutton, Murders and Miracles, Lay Attitudes Towards Medicine in Classical Antiquity, reprinted from "Patients and Practitioners", edited by Roy porter, Cambridge University Press (1985) pp. 23 - 53.
4. For NOSOS see:
   Il., I. 10; Od., IX. 411, XI. 172;
   Aesch., Pers., 473, 750; Xen., Cyr., VIII.3.41;
   Herod., I.22; Soph., Aj., 185;
   Euripid., Hipp., 767; Orest., 10;
   For LOIMOS see :
   Il. 1.61; Herod., VII.171; Aesch., Pers., 715;
   Plato, Symp., 201D; Diod. Sic., XII.45, 58, XIV. 70; For PURETOS see :
   Il., XXII. 31; Aristoph., Wasp., 812;
   Xen., Mem., III. 8.3, III. 8.7.
5. According to lack of therapy in ancient Greece some kinds of fever were taken as epidemics and sometimes endemics, particularly Malaria and Typhoid.
   cf. W.H.S.Jones, Malaria and Greek History, to which is added':
   The History of Greek Therapeutics and the Malaria Theory,
   by E.T.Withington, AMS Press, New York 1977. Reprinted from the edition of 1909 published by the University Press, Manchester.
   pp. 127 - 129, 131 - 133 and passim.
6. Il., XXII. 31.

miserable mortals, and the verb (PURESSW) occurs for the first time in Euripides Cyclops.[7]

Again we meet with (PURETOS) in Aristophanes Wasps while the chorus of the play talking about the juryman Philocleon who "may be now lies sick of a fever" [8]

In the Memorabilia of Xenophon, Socrates is represented answering the questioner who asked him if he knew anything good, "good for what? for fever?", answered Socrates.[9]

The term (LOIMOS) was mentioned in Hesiod "Works" where it was coupled with (LIMOS) denoting famine[10].

Again (LOIMOS) occurs in the Oedipud Tyrannus[11] of Sophocles in the context of description of a pestilence which was the first of its kind in non-medical writings, great epidemic has fallen upon Thebes : "Blighted are the fruits of the earth, blighted the herds of cattle and the barren pangs of women. Withal the fever-god swooping down, a dreadful plague, is ravaging the city".[12]

In Plutarch's Vitae[13] Pericles "seems"[14] to have died of an attack of (LOIMOS)[15].

7. Eur., Cycl., 228; cf. Athen., III. 75.
8. Aristoph. Wasps, 281; cf. Ibid., 812.
9. Xen., Mem., III,8.3., III,8.7.
   cf. Plato, Tim., 86A, Idem, Phaedo, 105C; where PURETOS and NOSOS coupled together. For more details about the term PURETOS cf. Jones, op. cit., pp. 41 - 59.
10. Hesiod, Works, 243.
11. The play was put by Jebb between 429 and 420 B.C, but most of the critics put it about 429. This seems to be more reasonable because of the vivid description of the pestilence which suggests a relation between it and the great epidemic that beset Athens the year before (430).
    For various opinions about the date of the play
    cf. Cedric Whitman, Sophocles, a study of heroic humanism, Harvard University Press, 1951, p. 55.
    Jacques Lacariere, Sophocle, Paris 1960, p.33.
12. Jones translation, op. cit., p. 33, who suggested that pestilences was Malaria because of the effect upon child-birth mentioned in the lines quoted above, op. cit., p. 34.
13. Plut., Vitae, Pericles, 38.
14. At the same passage Plut. did not guarantee the truth of the statement. XXX
    cf. Frederick F. Cartwright, Disease and History, London 1972, p. 8, who adopts the theory that "Pericles may have cought the infection, for he is supposed to have died of Plauge in 429 B.C.".
15. LOIMOS was coupled with NOSOS giving the same meaning in Plut., op. cit., loc. cit.,
    Again Jones identified the disease as Malaria according to symptoms given by Plut.,
    For frequent mention of LOIMOS in other sources
    Cf. Homer, IL., 1.61; Hdt., 7.171; Aesch., Pers., 715;
    Plato, Symp., 201D. Diod. Sic., XII. 45, 58. XIV. 70.

As far (NOSOS) it appeared for the first time in the Iliad when Homer described the disease which infected the Greek Army before Troy[16]. Then in Herodot the term occurs again when he stated the incident of the Greek crew trained by Dionysius of the Phocaeans for the resisting of the Persians, during their course of training, many of them had fallen ill and the rest were expecting the same end.[17]

THERMAN NOSWN appearewd in the third Pythian Ode of Pindar, for the first time, the noun NOSOS is connected with an adjective "therman" meaning "hot", THERMAN NOSWN was the disease that Hiero of Syracuse was suffering from.[18]

The appearance of epidemics and acute infectious diseases, such as plague, cholera, small-pox and typhus, throughout the ancient world and middle ages was of unsuspected results, these epidemics spread rapidly with countless victims, wiping out, sometimes, the entire population in some certain areas.[19]

Epidemics and infectious diseases were much more dangerous than today. Their true nature, cause and the way they spread were unknown, so much so that ancient populations were unable to defend themselves against them.[20]
However, ancient writers did their best to find an explanation for those infectious diseases.

16 Homer, IL., I.10.

17 Hdt., VI.12.
Cf. Strabo, V.251, who speaks about healthy and unhealthy districts in Posidonia.

18. Pindar, Pyth., III.66.
It is a pure guess but may be Hiero was suffering from a kind of fever, according to the "THERMAN NOSWN" or the "hot disease".
NOSOS appeared frequently in the ancient sources the same as PURETOS and LOIMOS.
Cf. Thuc. II.14, 52; Diod Sic., XII. 45, 58, XIV, 70; Plut. Vitae, Pericles, C.34; Dionys. Halic., Ant. Rom., X. 53.

19. During the fourteenth century in Europe 25,000,000 died from plague.
Cf. Srboljub Zivanovic, Ancient Diseases, the elements of Paleopathology, translated by Lovett F. Edwards, Methuen 1982, p. 217.
With one of these epidemics which appeared in Florence in the year 1348 the "Decameron" of Boccaccio opens.

20. Ibid., Loc. Cit.

For example, Hippocrates[21] ...ught the cause of infection in the air, w... as well as climatic factors.[22]

The Hippocratic idea of an "Epidemic Constitution" is that particular years are of their nature subject to particular diseases.[23]
Hippocrates was the first to show a genuine interest in the prevalence of infectious diseases. The first half of airs, Waters and Places is the Hippocratic traetise on endemic diseases. It sets out thediseases associated with different climatic conditions and with different places.
The two books which really form one treatise known as Epidemic I and III give forty-two clinical case histories, and discuss the four "Constitutions" with the epidemic diseases prevalent in each.
These constitutions were not seasons of the year, but varying periods of time presumably occuring in different years. Mumps and malaria can be clearly recognized in these descriptions.[24]

Infectious diseases break out when three basic conditions are fulfilled. These are : the existence of a parasite, conditions favourable for the

21. For Hippocrates see:
Guido Majno, The Healing Hand. Man and Wound in the Ancient World, Harvard University Press 1975, pp. 147 – 148. it is stated that "Greek Physicians spent much of their time travelling – or to use their term doing epidemics. The word has radically changed its meaning, for it meant (visits to places)" several Hippocratic books are titled Epidemics.
Cf. Hippocratic writings, edited with an introduction by G.E.R. Lloyd, Penguin 1983, pp. 9– 12, 21 36, 51 – 59 and passim, also Cf. Henry Sigerist, A History of Medicine, Vol. II, Oxford University Press 1961, pp. 269 – 270, for how Hipp. was honoured by the Athenians, and for his collection of Hippocratic writings see p. 260 ff.

22. Roman authors as Varro (116 – 27 B.C.) and Columella (first century A.D.) tried to find out the causes of infection and concluded that tiny living creatures called Bestiolae were unseen by men and were perhaps the carriers of infectious diseases.
Cf. Zivanovic, Op. Cit., pp. 217 – 218.

23. Charles Singer, E. Ashworth underwood, A Short History of Medicine, Oxford 1962, p. 106.

24. Ibid., p. 728.
The difficulty in diagnosing the diseases mentioned in non medical writings lies in the vagueness of nomenclature, where specific names or detailed descriptions are rare. As for medical writings, some other difficulty arises, specific terms are common enough, but they do not always correspond to modern equivalents. The Greek Physician classified diseases according to their symptoms, the modern way is to classify them according to the micro organisms that are their primary cause, except for those of nervous origin which can be classified symptomatically.
Cf. Jones, Op. Cit., p. 61.

development of that parasite and its transmission to the host, animal or human. In other words, the requirements for the spread of an infectious disease are a source of infection, a suitable carrier of the germs and an organism susceptible to the attack.[25]

These conditions seem to be almost fulfilled in Athens in 430 B.C., the second year of the Peloponnesian War. Due to the Peloponnesian invasion of Attica the Athenians followed the advice of Perikles, all the population retired within the city walls, and the outcome was a terrible pestilence or epidemic that broke out fiercely and unexpectedly at Athens.[26]

A clear and impressive description of this pestilence has been left by Thukydides, himself not only a spectator but a sufferer. The observations which follow attract particular attention.[27]

He said : [28] (I shall describe the disease actual course, explaining the symptoms, from the study of which a person should be best able, having knowledge of it beforehand, to recognize it if it should ever break out again. For I had the disease myself and saw others sick of it.[29] ..... Suddenly and while in good health, men were seized first with intense heat of the head, and redness and inflammation of the eyes, and the parts inside the mouth, both the throat and the tongue, immediately became blood - red and exhaled an unnatural and fetid breath.

25 Zivanovic, Op. Cit., p. 218.

26. Diod. Sicul., XII, 45., stated that

For since a vast multitude of people of every description had streamed together into the city, there was good reason for their falling victim to diseases as they did.

George Grote, A History of Greece, London 1930, p. 401 and note 2. Although the Athenians and their property were locked in within the walls, they had not driven in their sheep and cattle, these were earlier transported over to Eubaea and the neighbouring islands. In this way a serious aggravation of the epidemic was avoided. The accumulation of great numbers of cattle, along with human beings during the epidemics which ravaged Rome under similar circumstances worsened the calamity

Cf. Thuk, II 14, Livy, III. 66. ; Dionys. Hal., Ant. Rom., X. 53 There were epidemics in Rome between 436 - 432 B.C.

Cf. Livy, III. 66, IV. 21, XXV. 26.

For other dates of other epidemics in 293 B.C. , 542 A.D., 684 A.D. see

Guido Majno, Op. Cit., pp. 339, 500 - 501 note 125

Singer, Op. Cit., pp. 25, 68, 488.

27 Grote, Op. Cit., p. 401.

28 C.F.Smith translation, Thuk., Loeb I. 1969.

29 Thuk. II XLVIII. 3.

In the next stage sneezing and hoarseness came on, and in a short time the disorder descended to the chest, attended by severe coughing. When it settled in the stomach, that was upset, and vomits of bile of every kind named by physicians ensued, these were also attended by great distress ; and in most cases ineffectual retching followed producing violent convulsions, which sometimes abated directly, sometimes not until long afterwards.

Externally, the body was not so very warm to the touch ; it was not pale, but reddish, livid, and breaking out in small blisters and ulcers. But internally it was consumed by such a heat that the patients could not bear to have on them the lightest coverings or linen sheets, but wanted to be quite uncovered and would have liked best to throw themselves into cold water, indeed many of these who were not looked after did throw themselves into cisterns, soTormented were they by thirst which could not be quenched ; and it was all the same whether they drank much or little.

They were also beset by restlessness and sleeplessness which never abated. And the body was not wasted while the disease was at its height, but resisted surprisingly the ravages of thedisease, so thatwhen the patients died, as most of them did on the seventh or ninth day from the internal heat, they still had some strength left ; or, if they passed the crisis, the disease went down into the bowels, producing there a violent ulceration, and at the same time an acute diarrhoea set in, so that in this later stage most of them perished through weakness caused by it. For the malady, starting from the head where it was first seated, passed down until it spread through the whole body, and if one got over the worst, it seized upon the extremities at least and left its marks there ; for it attacked the privates and fingers and toes, and many escaped with the loss of these, though some lost their eyes also.

In some cases the sufferer was attacked immediately after recovery by loss of memory.(30)

30. Thuk., II. XLIX.

For a similar description of the pestilence but with some differences in symptoms. Cf. Diod. Sicul., XIV. 70. 4 – 6, 71.

Who mentioned similar distresses in the Carthagian army besieging Syracuse, during the terrible epidemic with which it was attacked in 395 B.C., he stated that :

(The plague began with a catarrh, then came a swelling in the throat, gradually burning sensations ensued, pains in the sinews of the back, and a heavy feeling in the limbs; then dysentery supervened and pustules upon the whole surface of the body.... some

For the origin of such a shameful epidemic Thuk. said:
"The disease began, it is said, in Ethiopia beyond Egypt, and then descended into Egypt and Libya and spread over the greater part of the king's territory. Then it suddenly fell upon the city of Athens, and attacked first the inhabitants of the Peiraeus".[31]

Ethiopia and Egypt seem to be not the only possible origin for the disease, especialy because there is no account of such an epidemic or endemic diseases in Herodote History about Egypt. Carthage was also a possible place of origin for the disease in Rome, and from Rome it fell upon Peiraeus and Athens as Thuk. said.[32]

Apart from moral, social and religious results, which will be discussed later on, this pesilance had terrible consequences, it lasted three years, continuously during the entire second and third years of the war, after which followed a period of relief for a year and a half, then it revived again for another year with the same severity,[33] though no exact estimate of the

became mad and totally lost their memory.} (XIV. 71. 2 - 3).

Diod., thought the place where the Carthagians camped to be responsible for the disaster "since the terrain was marshy and in a hollow" (XIV. 70. 5).

We have to be aware however that he gave the same factor as a main cause for the epidemic in Athens. (XII. 58. 3 - 5), he seems to be echoing the Hippocratic idea of an "Epidemic Constitution".

31. Thuk., II. XLVIII. 1 - 2.
Cf. Frederick Cartwright, Op. Cit., p. 7. who adopted the same theory.

32. The statment mentioned by Thuk. that the disease appeared first in Peiraeus suggests that this disease was an outcome of the relation between Greece and the outer world especially Egypt, Carthage and Magna Graecia.

I recommend Italy as an origin for the disease and Magna Graecia as a way of transportation to Peiraeus, according to Dionys. Halic. and Livy who mentioned epidemics in Rome that had similar symptoms and results between 436 - 432 B.C.
Cf. Dionys. Halic., Ant. Rom., X, 53;
Livy, IV. 21.
Compare Holm (GK. Hist., II. p. 346 N 3)
apud Grote, Op. Cit., p. 401 N 1.

33. Diod. Sicul., XII. 58.
Cf. Grote, Op. Cit., p. 403.

This revival proves Zivanovic theory about infectious diseases which Physicians may regard as controllable while they are in fact smouldering, waiting for an opportunity, when circumstances are unfavourable to men, they awaken once again, burst out and gather their tragic harvest. Zivanovic, Op. Cit., p. 218.

number of deaths can be made, perhaps at least a third of the population died[34].

Diagnosing the disease, the only fully described symptoms were given by Thukydides (a historian) who was an eyewitness and a sufferer[35].

Some hold that this was a highly malignant form of Scarlet Fever, other authorities have suggested Bubonic Plague, Typhoid, Malaria, Typhus, Small - Pox, Measles, and Anthrax of unusual virulence[36].

Out of these diseases Malaria, Typhoid, and Bubonic Plauge deserve some particular attention[37].

Malaria and Typhoid correlate with some of the symptoms given by Thuk. and vary in others. for Malaria the distinguishable symptoms are a fluctuating high temperature and a severe headache, the same as for Typhoid, plus vomiting, white tongue, no appetite and diarrhoea at times[38].

Both in Malaria and Typhoid there is no inflammation of the eyes, sneezing and hoarseness, the reddish, livid body with blisters[39] and ulcers.

These symptoms suggest plague as an identification for the disease and

34. Frederick Cartwright, Op. Cit., p. 7.
Thuk. (III. 87.) said that 300 hersemen all among the rich men of the state, died of the epidemic, besides 4.400 hoplites and a number of the poorer population, so great as to defy computation.
Diod. Sicul., (XII.58. 2), raised the number of poor dead population over 10.000 which Grote thinks to be greatly beneath the reality, (p. 403 N 3).
Cf. Dionys. Halic. mentions that the number of deaths in Rome (451 B.C.) due to a similar epidemic was great, almost all the slaves were carried off by the pestilence and about one half of the citizens, Ant. Rom., IX. 53. 1.).
35. Hippocrates who lived at the time of the disease in Thessaly left no description of it. Even the Physicians, Thuk. stated, were unable to cope with the disease, since they had to treat it without knowing its nature. (II. XLVII. 4).
36. Frederick cartwright, Op. Cit., p. 8.
37. Typhus, Small-Pox, Measles and other diseases are out of question because they differ widely in their symptoms from those given by Thuk. For the symptoms of those diseases see:
A.B. Christie, Infectious diseases, Epidemology and Clinical Practice, Churchill Livingstone, Longman 1974, Passim.
38. Ibid., passim.
39. Which are of some other kind than those of Small-Pox.

especially the Bubonic Plague as a disease of terrible consequences[40]

There remains the possibility that the disease was one which so far is unknown[41]

This murderous plague yielded terrible results both on physical and moral status, the first has been already discussed; as for Morals, the bonds both of law and morality became relaxed, amidst such total uncertainty of every man both for his own life, and that of others[42].

The picture of the Athenian society under the pressure of such a terrible plague with its train of physical torment, wretchedness and demoralization, has been drawnobjectivelyby Thukydides who stated that:

"For the calamity which weighted upon them was so overpowering that men, not knowing what was to become of them, became careless of all law, sacred as well as profame. And the customs which they had hitherto observed regarding burial were all thrown into confusion[43].

They saw how sudden was the change of fortune in the case both of those who were prosperous and suddenly dies, and of those who before had nothing butin a moment were in possession of the property of the others. And so they resolvd to get out of life the pleasures which could be had speedily and would satisfy their lusts, regarding their bodies and their wealth alike as transitory[44].

No fear of Gods or law was felt, on the one hand, seeing that all men were perishing alike, they judged that piety and impiety came to the same thing, and on the other, no one expected that he would live to be called to account and pay the penalty of his misdeeds.

On the country, they believed that the penalty already decreed against them, and now hanging over their heads, was a far heavier one; and that before this fell it was only reasonable to get some enjoyment out of life"[45]

40. I conclude that this disease is Bubonic Plague on the basis of the symptoms given by Thuk. compared with those mentioned in the text medical books of Epidemics and Epidemology and as a result of long discussions with experts inEpidemics and Tropical Diseases.
41. Frederick Cartwright. Op. Cit., p. 8.
42. Grote. Op. Cit., pp. 402 403.
43. Thuk., II. LII. 3 - 4.
44. Ibid., II. LII. 1 - 3.
45. Ibid., II. LIII. 4.